

أشهر الشعراء

في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي



علاء الدين



الدكتور / قيس كاظم الجنابي



أثر الشُّعر في تَدْوِينِ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ
خِلَالَ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ

الجنابى ، قيس كاظم
أثر الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية خلال العصر الأموى
تأليف /د/ قيس كاظم الجنابى
ط1 - القاهرة : دار الأفاق العربية 2007
400 ص ، 24 سم
تدمك : 4 - 200 - 344 - 977
1- الشعر - تاريخ - العصر الأموى
أ - العنوان
ديوى : 811/3
رقم الإيداع : 2006/20974

الطبعة الأولى
1428 هـ - 2007

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار الأفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
55 ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: Daralafk@yahoo . com



أشعر الشعراء

في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي

الدكتور / قيس كاظم الجنابي

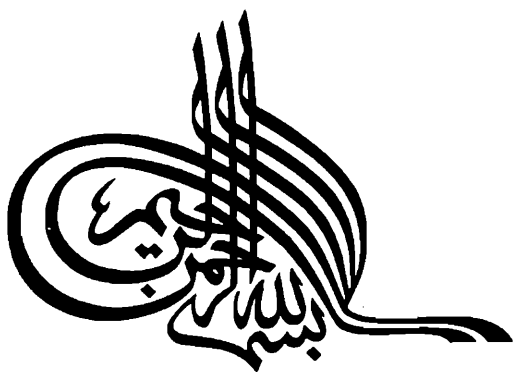
شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بديل < mktba.net





المحتويات

٩	المقدمة
٢٥	الفصل الأول: الشعر والتاريخ - دراسة تمهيدية
٢٧	توطئة
٣٧	عصر ما قبل الإسلام
٤٥	عصر الرسالة الإسلامية
٥٩	عصر الخلفاء الراشدين
٧٣	الفصل الثاني: العهد الشفّيفاني (٦٤٠هـ / ٦٨٢-٦٦٠م)
٧٥	معاوية بن أبي سفيان بن حرب (٤٠-٦٠هـ / ٦٦٠-٦٧٩م)
١٠٩	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠-٦٤هـ / ٦٧٩-٦٨٣م)
١٣٢	معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ / ٦٨٣م)
١٣٧	الفصل الثالث: المروانيون المتقدمون (٦٤-٨٦هـ / ٦٨٣-٧٠٥م)
١٣٩	مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤-٦٥هـ / ٦٨٣-٦٨٤م)
١٥١	عبد الملك بن مروان بن الحكم (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م)
٢٢٣	الفصل الرابع: المروانيون المتوسطون (٦٨-١٠٥هـ / ٧٠٥-٧٢٢م)
٢٢٥	الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٤م)
٢٤١	سليمان بن عبد الملك بن مروان (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م)
٢٥١	عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٩١٧م)

٢٥٨	يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١-١٠٥هـ / ٧١٩-٧٢٣م)
٢٨٧	الفصل الخامس: المروانيون المتأخرون (١٠٥-١٣٢هـ / ٧٢٣-٧٤٩م)
٢٨٩	هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م)
٣٢٧	الويد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٢-٧٣٤م)
٣٣٩	يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ / ٧٣٤م)
٣٤٣	مروان بن محمد بن مروان (١٢٧-١٣٢هـ / ٧٤٤-٧٤٩م)
٣٧١	الخاتمة ونتائج البحث
٣٧٤	جريدة المصادر والمراجع

المقدمة

يعد البحث وسيلة من وسائل الكشف عن الحقيقة وبيان ما خالطها من شوائب ومؤثرات؛ فهو أداة بيد الباحث لدراسة ما غمض من أحداث ووقائع وما صاحبها من ملاسبات وللتنقيب في خفايا الأمور، ولابدً والحالة هذه من اتخاذ سبيلاً في كشف أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية موضوع الدراسة، بما يميّط اللثام عما غمض منها وما اعتراه من شوائب؛ لذا حاول البحث أن يرصد جانباً مهماً من التاريخ العربي الإسلامي، وهو العصر الأموي الذي كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين في الشعر والنثر؛ وإنما غالباً ما يستشهدون بها لتأكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربي سجلاً لمآثر العرب، فهو موضع علمهم وموطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم في قوة الألفاظ ودلالات المعاني، وهو العصر الأموي الذي كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين في الشعر والنثر؛ وإنما غالباً ما يستشهدون بها لتأكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربي سجلاً لمآثر العرب، فهو موضع علمهم ومواطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم في قوة الألفاظ ودلالات المعاني، وهو جامع لعناصر ثقافتهم ولسمو أفكارهم، والمعبر عن قوة الحدس ورقى الشعور، والكاشف عن اتصال العقل بالعواطف. فلا غرو أن تحفل كتب التاريخ والأدب والفكر والتراجم والفرق بالشواهد الشعرية مما يعكس الأهمية الكبيرة للشعر في حياة وسلوك العربي

فهو جزء لا يتجزأ من كيان إنسانى ينمو ويتطور فيغرس آثاره وأحاسيسه فى كل جانب من جوانب حياة العربى وفى كل رافد من روافد ثقافته وخبرته لأن الأحداث التاريخية شكلت مادة رئيسة فى قراءة الماضى وكشف أبعاده الحضارية فإن الشعر واكب هذه الأحداث وأثر فيها تأثيراً واضحاً فكان ذلك مثار اهتمام الباحثين فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ من استشهاد بالشعر، و موقف لشاعر، أو رجز انطلق من حرارة الأحداث فأسهم فى تدوينها.

وإذا كان العصر الأموى الممتد تاريخياً من سنة (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) يعد عصرًا صخبًا فى توالى الأحداث، ومرحلة من مراحل تطول الدولة العربية الإسلامية بعد عصر صدر الإسلام. فلا بد من أن يدرس دراسة خاصة تخضعه إلى نظرة تحليلية لغرض قراءة الأحداث ومتابعة تدوينها من زاوية أخرى هى الاستعانة بالشعر فى تفسيرها، بعد أن كان الباحث يركز على الروايات التاريخية ولا يلوى الشعر الأهمية المطلوبة فى تمثل الأحداث وكشف أبعادها الموضوعية وملابساتها التاريخية، وقد تنبه أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) فى كتاب (نقائض جرير والفرزق) إلى ذلك حين اختط سبيلاً آخر هو بيان أثر الشعر فى تدوين أحداث هذا العصر، وكان الدكتور نورى حمودى الفيلى السبق حين اهتم بهذا الموضوع فى كتابه (الشعر والتاريخ)، كما درسه زميلى محمد حسين حاسب الطرفى فى رسالته للماجستير (دور الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثانى الهجرى فى العراق) وهى دراسة لم تف بالغرض المطلوب فى دراسة العصر الأموى لذا رأيت أن أدرس هذا العصر دراسةً شاملةً تستوعبه من الناحيتين التاريخية والجغرافية وهذا ما تطلب من الباحث إجراء مسح يكاد أن يكون تاماً على التراث الشعرى لهذا العصر وعلى المصادر التاريخية القريبة منه وذات الأهمية الخاصة فى عرض وفهم الأحداث التاريخية وهذا ما يشكل نوعاً من الازدواج ما تناول الحدث التاريخى، أى أن يمتلك الباحث نظرة متجانسة تجمع بين تثبيت الحدث التاريخى وتفسير وتحليل ما قيل فيه من شعر، وهى نظرة مهما تجردت من نوازع النقد الأدبى والبحث التاريخى فإنها وليدة مزيج يحاول أن يصهر جانبيين يتقاربان حيناً ويتباعدان حيناً آخر، من هنا بدأت صعوبة التوازن والتوفيق فرأى

الباحث أن يعرض الحدث التاريخي مشفوعاً بالأصداء الشعرية، وقد جابه البحث حساسية التحليل وجسامة الأحداث وغزارة النصوص الشعرية أحياناً مما كشف عن حاجة ملحة إلى التسلح بالموضوعية والصبر ونفاذ البصيرة في استجلاء الموقف الشعري كي ينسجم مع الحدث وتوجهاته السياسية والاجتماعية والنفسية... وغيرها.

ولأن الشعر نص فضفاض مرتبط بهواجس النفس وباللغة التي تمنح الإحساس اهتماماً خاصاً، فينطق من آفاق الحدس ورؤية الشعور وخفائيه ليكون نافذة ذات وجهين: أحدهما، مباشر واضح وضوح الحدث. وثانيهما: مراوغ يتبدى حيناً ويتوارى حيناً آخر. فمن هنا برزت أمام البحث إشكالية التعويل على تفسير الشعر للحدث وكيفية التأثير فيه، ولعل الملتقى سيلفظ ذلك وتبينه بعد قراءة البحث وتتبع الأحداث ومجرياتها العديدة؛ لذا فإن الباحث لا يدعى الكمال في هذا الجانب، ولكنه يرى أنه حرث بأرض لم تشبعها معاول الباحثين المحدثين حرثاً، وإن الكثير من الأحداث كان للشعر أثره في إمطة اللثام عن تفاصيلها بما ينسجم وقوة الحدس الشعري ونفاذ رؤية الشاعر ذاته، فكان الشعر يفتح أفقاً عميقاً يبعث في النفس إحساساً سامياً يرقى العقل العربي ورفعة مداركه في النظر إلى الأحداث وفي استلهاهم المواقف الحاسمة والخطيرة، فكان خير ما يقنع النفس ويدارى اعتدادها بتناسكها الداخلى في الصمود وإيثار الموت على الهزيمة أو الخيانة أو الذل بيتاً من الشعر يجعل طعم الموت سائغاً ومستطاباً ولعل موقف مصعب بن الزبير (ت، ٧٢ هـ/ ٦٩١م) في اللحظات الحاسمة بين المهادنة والموت خير دليل على قوة المبادئ الإنسانية الخلاقة وتوغلها في نفس العربي وتمكنها من وجدانه.

لقد جابه الباحث صعوبات منها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع موضوع البحث وندرة الدراسات المتخصصة التي تجمع بين التحليل التاريخي الخالص للأحداث والتحليل النقدي للشعر، فجابه بذلك إشكالية الجمع بين الجانبين، إذ دأب الباحثون على تناول جانب واحد وترك الآخر، فقد حفلت كتب الأدب بدراسات وافية عن الشعر في العصر الأموي، كما دأب المؤرخون على دراسة

التاريخ السياسى لهذا العصر مع قلة الاهتمام بما قدمه الشعر من تأثير على الأحداث التاريخية، فلم تتوفر لدى الباحث المصادر أو المراجع التى تجمع بين الحدث التاريخى وما واكبه من أثر شعرى إذا استثنينا (نقائض جرير والفرزق) و(الشعر والتاريخ) مما يجعل الأمر أكثر تعقيداً قد يدفع الباحث نحو مسالك غير محسوبة النتائج.

تحليل مصادر البحث:

لابد لكل بحث جديد يتناول الحقب التاريخية المنصرمة من مادة يتناولها فى الدراسة والتحليل، والعصر بهذه الحساسية والتشعب لابد وأن تعكس ذلك مصادر دراسته أيضاً، فكيف إذا جمع البحث بينها وبين المصادر الشعرية؟.

قام البحث على أساس عرض المادة فى مظانها التاريخية ثم بيان انعكاسها فى الشعر، فكانت حصيلة الشعر وافيةً ومتسعةً بما جعل من مهام الباحث أن يعتمد اعتماداً مباشراً على المصادر الشعرية، ثم المصادر التاريخية، ثم كتب التراجم، ويمكن ترتيب مصادر البحث كالآتي:

أولاً: الدواوين والأشعار:

يعد العصر الأموى عصرًا خصبًا أسهم فى نشاط حركة الشعر وتنامى قوته وازدياد أهميته بعد أن عانى تقلصاً واضحاً فى عصر صدر الإسلام (عصر الرسالة النبوية الشريفة وعصر الخلفاء الراشدين) نتيجة انشغال المسلمين بالدعوة الإسلامية وحركات التحرير والفتوح، فقد زالت هذه العوائق وعادت القبائل العربية تحتفل بشعرائها ونشطت أسواق العرب فأخذت تحتفل بالشعراء وترعى المباريات الشعرية بين عمالقة الشعر، فكان سوق المربد فى البصرة يؤجج النقائض بين جرر (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، والفرزدق (ت، ١١٥هـ / ٧٣٣م)، والأخطل (ت، ٩٢هـ / ٧١٠م)، حتى كان ذلك مسرحاً لتأليب الصراعات وانتشار القصائد وبروز ظاهرة استخدام الشعر كأداة بيد الخلفاء والولاة ويبد خصومهم فى الأحزاب السياسية التى ناهضت الحكم الأموى.

اعتمد الباحث على نتاج شعراء النقائض، والشعراء الذين واكبوا الأحداث ولقد بوصفهم أحد الجند أو الفرسان أو شعراء الفرق والثورات أو من مشاهير شعراء هذا العصر، أو من خلال دواوين أشعارهم التى نشرت بشكل مستقل والتى تولى تحقيقها محققون أكفاء، ودور نشر مشهود لها بالدقة والثقة، ومن هؤلاء الشعراء:

أبو الأسود الدؤلى، ظالم بن عمر بن سفيان (ت، ٦٧هـ / ٦٨٦م)، ويزيد بن المفرغ (ت، ٦٩هـ / ٦٨٨م)، وعبدالله بن الزبير الأسدى (ت، نحو ٧٥هـ / ٦٩٤م)، وعبيد الله بن قيس الرقيات (ت، ٧٥هـ / ٦٩٤م)، وسراقة بن مرداس البارقي (ت، ٧٩هـ / ٦٩٨م)، وأعشى همدان، عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارى الهمدانى (ت، ٨٣هـ / ٧٠٢م)، والحارث المخزومى (ت، ٨٥هـ / ٧٠٤م)، ومسكين الدارمى، وربيعة بن عامر (ت، ٨٩هـ / ٧٠٧م)، والعجاج، عبدالله بن رؤية التميمى (ت. نحو ٩٠هـ / ٧٠٨م)، وعدى بن الرقاع العاملى (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م)، والقطامى، عمير بن شبيب (ت، نحو ١٠١هـ / ٧١٩م)، وكثير بن عبدالرحمن (ت، ١٠٥هـ / ٧٢٣م)، ونصيب بن رباح (ت، ١٠٨هـ / ٧٢٦م)، والأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصارى (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، وثابت بن كعب المعروف بثابت قطنة (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، والنابغة الجعدى، عبدالله بن المخارق (ت، نحو ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، والطرماح بن حكيم (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، وأبى دهيل، وهب بن زمعة (ت، نحو ١٢٦هـ / ٧٤٢م)، والكميت بن زيد الأسدى (ت، ١٢٦هـ / ٧٤٤م)، ونصر بن يسار (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م)، ورؤية بن العجاج (ت، ١٤٥هـ / ٧٦٢م)، وقد جمعت هذه الدواوين وحققت على وفق منهج متقارب من حيث ترتيب القصائد، وهو ترتيب القوافى على وفق تسلسل حروف المعجم، وقد شذَّ بعض صنائع الدواوين الذين حققوها على مخطوطات سابقة أو دواوين جمعها رواة متقدمون، فى إثبات ما جاء بالمخطوط ثم تقضى ما زاد على ذلك وترتيبه وجمعه فى حقل مستقل، أو جمع ما ثبتت صحة نسبته إلى الشاعر بصورة مستقلة ووضع ما نسب إليه فى حقل آخر.

كما استقصى الباحث ما جاء من شعر للخفاء الأمويين على وفق الطبقات الجديدة التي تولاهم محققو أكفاء فاستفاد من ديوان معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠ هـ/٦٦٩م)، وديوان ابنه يزيد (ت، ٦٤ هـ/٦٨٣م)، وديوان الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت، ١٢٦ هـ/٧٤٣م).

واستفاد الباحث أيضًا مما جمعه المرحوم الدكتور نوري حمودي القيسي لجمهرة من شعراء العصر الأموي في كتابه (شعراء أمويون) فيما يتعلق ببعض الشعراء المقلين الذين واكبوا الأحداث وأسهموا في العديد منها من أمثال: مالك بن الربيع (ت، ٤٤ هـ/٦٦٦م)، وحارثة بن بدر الغداني (ت، ٦٤ هـ/٦٨٣م)، وعبيد الله ابن الحر الجعفي (ت، ٦٨ هـ/٦٨٧م)، والمغيرة بن حبناء (ت، ٩١ هـ/٧١٠م)، وكعب بن معدان الأشقري (ت، ٩٥ هـ/٧١٣م)، وقد افرد المحقق مقدمة وافية لكل شاعر ثم رتب القوافي على وفق حروف المعجم.

وكان يهم الباحث أن يطلع على التحقيق العلمي لكل شاعر أمكن الحصول على مجمع شعره فاستقصى ما نشر في المجلات المتخصصة مثل مجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة المورد، ومجلة حوليات الجامعة التونسية، من خلال مجاميع أشعارهم من أمثال: زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥ هـ/٦٩٥م)، والأقشير الأسدي (ت، ٨٠ هـ/٦٩٩م)، وأرطاة بن سهية (ت، ٨٦ هـ/٧٠٥م)، وعبد الله بن همام السلولى (ت، ٩٥-١٠٠ هـ/٧١٣-٧١٨م)، ونهار بن توسعة البكري (ت، بعد ١٢٠ هـ/٧٣٧م)، وأبي العطاء السندی، أفلح بن يسار (ت، نحو ١٨٥ هـ/٦٩٧م).. وغيرهم. هذا فضلًا عن المراجع التي اضطلع بإعدادها بعض المحققين مثل (شعر الخوارج) لإحسان عباس و(ديوان الخوارج) لنايف محمود معروف، و(شعراء ثقيف في العصر الأموي) لعيضة الصّواط، و(المستدرك في صنائع الدواوين) للدكتور نوري القيسي وهلال ناجي.

كما حاول الباحث الاستفادة من النصوص الشعرية المبثوثة في كتب الاختيارات، وخصوصًا من الحماسة التي اشتملت على اختيارات مهمة في متابعة الأحداث التاريخية وبالذات في شعر من لم تحقق أو تجمع أشعارهم، كما في

حماسة أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وحماسة الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وحماسة البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، هذا فضلاً عما احتفظت به من شعر الكتب الموسوعية وكتب الاختيارات التي جمعت بين الاختيارات الشعرية والآراء النقدية وسرد بعض الأحداث التاريخية كما هي الحال لدى الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في كتابه: (البيان والتبيين) و(الحيوان)، وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) في كتابه (عيون الأخبار)، والمبدر، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) في كتابه (الكامل في اللغة والأدب)، وابن عبد ربه الأندلسي (ت، ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) في كتابه (العقد الفريد)، والزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت، ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) في أماليه، والقال، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) في أماليه أيضاً.. وغيرهم.

ويتفرد الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) في كتابه (الأغاني) في كونه موسوعة جامعة للأخبار والأنساب والأشعار والنقد الأدبي والموسيقا فقد رتبته على أساس ذكر الشاهد الشعري ومن عناه ثم يسترسل في مناسبة القصيدة وحياة الشاعر وجوانب أخرى من الأحداث التاريخية وما لها صلة بشعره وعصره.

ولم يكتف الباحث - في غالب الأحيان - بالإشارة إلى الدواوين ومجموعات الشعر، وإنما رأى أن يشير إشارة مزدوجة تجمع بين المصدر الشعري والمصدر التاريخي اللذين وردت فيهما الأبيات موضوع البحث توخيًا للفائدة العلمية المرجوة في التأكيد على أهمية اقتران الشاهد الشعري بالحدث التاريخي الذي واكبه وتفاعل معه، فاستشهد به المؤرخون بما يكشف عن تلازم الشعر بالأحداث التاريخية، وفي هذا دلالة واضحة على التواصل الحقيقي بين الشعر والتاريخ وتوكيد لتفاعلهما وقدرتهما على فهم الوقائع والمواقف بما يغني البحث ويثريه ويبعث فيه

روح الجدة والأصالة ويكشف بشكل لا يقبل اللبس عن العلاقة الحميمة بين أحداث التاريخ الكبرى والأحاسيس الإنسانية التى جسدها الشعر وأضفى عليها نوعاً من الحيوية والابتكار.

ثانياً: المصادر التاريخية

كانت الأحداث التاريخية هى سدى هذا البحث ولحمته الأشعار، وبتماسك هذين العنصرين استقام نسيجه وتماشج مزيجيه، فلا بد والحالة هذه من الاعتماد على المصادر التاريخية المناسبة فى مد هذا السدى لترتيب السياق العام للبحث ليغدو متماسكاً تستجيب فيه النصوص الشرعية لتحديات الأحداث التاريخية. وكان عماد هذا السدى تاريخ خليفة بن خياط (ت، ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وهو مرتب ترتيباً حولياً، ويعد من الكتب التاريخية المبكرة التى لها أثرها فى توثيق الأحداث، فكان خير عون لكتاب (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفر الطبرى، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ / ٩٢٢م) وقد تركز ثقل البحث عليه وهو مرتب ترتيباً حولياً على وفق التاريخ الهجرى، ابتدأ فيه من بدء الخليقة وانتهى عند سنة (٣٠٢هـ / ٩١٤م) وقد كان هذان المصدران هما البساط التاريخى للأحداث من حيث جوهر البناء التاريخى للبحث، وقد اتبع الطبرى منهج المحدثين الذى اتبعه جماع الحديث النبوى الشريف، بأن يذكر الحوادث المروية بمقدار ما عنده من الطرق كما يذكر السند حتى يتصل بصاحبه ولا يبدى فى ذلك رأياً فى معظم الأحيان.

أسهم فى إسناد الكتاين السابقين كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ / ٩٨٩م) الذى جمع بين الأنساب والتاريخ والذى تناول فيه التراجم والأحداث المتعلقة بالأسر القرشية كالعلوين والأمويين والزييريين، فكان منهجه يجمع بين منهج علم الأنساب ومنهج المؤرخين فى دراسة الشخصيات وعلاقتها بأحداث عصرها، وما يلاحظ عليه أن يتتقى مادته بعد تصفيتهя ونقدها، ويحاول أن يعطى صورة محايدة ومتوازنة للأحداث، متجنباً تقديم روايات متعددة للحدث الواحد.

كما ساهم في تدعيم المصادر التاريخية كتاب (المعارف) لابن قتيبة، والذي استهله من بدء الخليقة، ثم تناول به أنساب العرب، ثم نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أخبار الخلفاء الراشدين، وأخبار الصحابة والتابعين، ثم ما تيسر له من أخبار العباسيين، ثم افرد بابًا للأشراف المشهورين، وأصحاب الرأي، وأصحاب الحديث، ورواة الشعر، والمعلمين، والمهاجرين، والأوائل، والمساجد، وجزيرة العرب، وبلدان الفتوح، وأهل العاهات، والمنسويين إلى غير عشائهم، كما ذكر قصص الأقوام التي سبقت الإسلام. هذا فضلاً عما اعتمده الباحث من كتب تاريخية لا بد من الاستفادة منها مثل كتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) والذي جعله من بدء الخليقة فتابع فيه تاريخ الدولة العربية الإسلامية حتى وفاة المعتصم سنة (٢٢٧هـ/ ٩٠٤م)، وتاريخ المسعودي، على بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٧٥م) المعنون (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وقد اقتصرت الاستفادة من اليعقوبي والمسعودي على الشواهد الشعرية في غالب الأحيان.

كما استعان الباحث بكتايب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، على بن محمد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، و(البداية والنهاية) لابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) وهما كتابان مرتبان حوليًا.

ثالثاً: التراجع

يقتضى البحث على وفق المنهج التاريخي أن يعرف الباحث أو يشير إلى مصادر ترجمة الشخصيات التي يتطرق إليها في بحثه، ولأن مساحة البحث زمنياً امتدت في التمهيد منذ عصر ما قبل الإسلام حتى بدء نشأة الدولة الأموية، ثم تواصل البحث حتى نهايتها وظهور الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) فإن الباحث استفاد في هذا الجانب من الكتب التي عنيت بتراجم الصحابة والتابعين ومن تلاهم من شخصيات تاريخية كان لها أثرها في الأحداث مثل كتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وهو منظم على المدن والنسب، وتميز بالسعة والشمول والدقة، وكتاب (الثقات) لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت، ٣٥٤

هـ/ ٩٦٥م) وهو مؤلف ضخمة تناول فيه الثقات الذين يجوز الاحتجاج بأخبارهم. وقد صدره بأخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده أوجز أخبار الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين، والخلفاء العباسيين حتى أيامه، ثم ذكر بعد ذلك على المعجم أسماء الصحابة ثم التابعين وأتباع التابعين وتبع أتباع التابعين إلى زمانه، وقد اختص بترجم الصحابة ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) في كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، وابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة) وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) في كتابه (الإصابة في تميز الصحابة) وقد رتب هذه المؤلفات على حروف المعجم وأفردت أبواباً خاصة بالكنى والنساء وغيرهم، وقد كان كتاب (تهذيب التهذيب) لابن حجر معنياً بترجم الرجال، وهو واسع ومرتب على حروف المعجم مختصر عن (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للمزى، يوسف بن عبد الرحمن (ت، ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

أما تراجم الشخصيات العامة الأخرى، فقد استعان الباحث بمؤلفات الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) مثل (سير أعلام النبلاء) والذي ضم تراجم الرجال المهمة، ثم كتابه (العبر في خبر من غبر) والذي تناول فيه تراجم الرجال على وفق الترتيب الزمني للأحداث، ثم كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) الذي رتب على وفق حروف المعجم.

ومن تراجم الشخصيات العامة كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان، أحمد بن محمد أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وهو مرتب على حروف المعجم تناول فيه التراجم الرئيسة. فضلاً عن التراجم العارضة الأخرى، وهو يعد موسوعة مهمة في بابها، لكن ترجماته تختص بالشخصيات المشهورة، بينما يبقى العبء الأكبر والجهد الأضخم هو في تراجم الشخصيات غير المشهورة وأكملة بكتاب (وفات الوفيات) للكثيري، محمد بن شاعر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

كما استعان الباحث بموسوعة كبيرة ومهمة تعد الفريدة في نوعها هي كتاب (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) بطبعة حديثة تكونت

من (٧٣) جزءاً ورتبت على حروف المعجم مع أفراد أبواب خاصة للكنى والألقاب والنساء المجهولات، مضيفاً إلى ذلك مما استدل به من كتب الأنساب التى ذكرت بعض الشخصيات التى لم يترجم لها معاصروها مثل (جمرة النسب) لابن الكبى، هشام بن محمد (ت، ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) و(جمرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسى، على بن أحمد بن سعيد (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). وفى تراجم رجال الأندلس رأى الباحث الاستفادة من كتاب (بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس) للضبى، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وهو مرتب على حروف المعجم.

وفى نطاق تراجم الأدباء تمت الاستفادة من تراجم الشعراء والأدباء التى تير الطريق وتوضح الالتباس بين الشخصيات، فاستفاد من كتاب (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحى (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) وقام على تقسيم الشعراء إلى عدة طبقات هي: الجاهليون، وأصحاب المرائى، وشعراء القرى، الإسلاميون، وطبقات الرجاز. وقد تأثر بهذا المنهج ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء)، واقتفى اثر هذين الكتائين وأكمل ما لم يعاصراه عبدالله بن المعتز (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) فى كتابه (طبقات الشعراء). استهدفت أيضاً من تراجم ونصوص الآمدى، الحسن بن بشر (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م) فى كتابه (المؤتلف والمختلف) والمرزبانى، محمد بن عمران (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) فى كتابه (معجم الشعراء) فقد قام الأول على ترتيب الشعراء على وفق ألقابهم لبيان ما ائتلف واختلف منهم، ابتداءً بمن اسمه عمرو وانتهى عند حرف الياء وأفرد باباً لمن غلبت عليه كنيته والكتاب وصل إلينا ناقصاً، كما استعان الباحث بكتاب المرزبانى (الموشح) الذى يعد كتاباً نقدياً بالدرجة الأساس.

وقد أسهمت كتب تراجم الشعراء فى إنارة بعض جوانب البحث والتعريف بالشعراء مثل كتاب (سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى) لأبى عبيد البكرى، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) و(شرح شواهد المغني)

للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، وكتاب ياقوت الحموي (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) المعروف بـ (معجم الأدباء) الذي يعد موسوعة مهمة في تراجم المؤلفين والأدباء وهو مرتب على وفق حروف المعجم.

واستعان الباحث بالتراجم المتخصصة بالأسماء والأسر مثل كتاب (من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام) لابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، وكتاب (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) للقفطي، علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وهما كتابان واضحان في اهتمامهما بأسماء من اسمه عمرو أو محمد، أما كتب الأسر فمنها كتاب (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصفهاني، و(نسب قريش) للزبيرى، مصعب بن عبدالله (ت، ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، و(نسب قريش وأخبارها) لزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) وهى التى تخصصت بتراجم آل الزبير وأخبارهم.

وفى الترجمة للبلدان اعتمد الباحث اعتمادًا مباشرًا على كتاب (معجم البلدان) لياقوت وهو مرتب على وفق حروف المعجم، كما استعان بكتاب (معجم ما استعجم) لأبى عبيد البكرى، وفى التمهيد استفاد البحث من كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) وبكتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) للقزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م).

أما فى التعريف بالجماعات والفرق فقد جرت الاستفادة من كتب الفرق التى تتشابه فى ترتيب موضوعاتها وتقترب بها يجعل تعريف بعض الفرق من كتاب إلى آخر يكاد يكون واحدًا، فقد بدأت من ظهور الخوارج وما تلا ذلك من فرق وجماعات كل حسب طريقته فى التعريف، ومن ذلك ما طرحه الأشعرى، على بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/ ٨٣٤م) فى كتابه (مقالات الإسلاميين)، والبغدادى، عبدالقاهر: بن ظاهر (ت، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) فى كتابه: (الفرق بين الفرق) و(الملل والنحل)، والشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) فى كتابه (الملل والنحل).

هذا فضلاً عن المصادر الأخرى التى اعتمد البحث فى فصوله المتعددة هذه، وهى مصادر كثيرة ومتشعبة سدت فراغاً كبيراً كان البحث بحاجة إليه فى أكثر من جانب، من حيث التاريخ واللغة ونقد الشعر.

أسلوب عرض البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وخمسة فصول، كان الفصل الأول بعنوان الشعر والتاريخ) وهو دراسة تمهيدية عن علاقة الشعر بالتاريخ بدأت بتوطئة عن أهمية الشعر عند العرب وأثره فى التدوين التاريخى، نتيجة الاتصال الروحى بين الشعر والتاريخ لأن الشعر يسد ثغرات كثيرة فى دراسة التاريخ ويعمل على كشف الأسباب التى أثرت فى معارك التاريخ الكبرى، لذا كان الشاعر لسان حال قبيلته والمتحدث باسمها، فكان للشعر أثره فى تدوين الوقائع والأيام فى تدوين الأخبار والسير والأنساب وتحديد المواقع والأمكنة، إبراز القيم الاجتماعية والأعراف والمعتقدات، وتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوى الشريف وأحد شواهد اللغة والنحو... وغيرها.

واستعرض البحث هذا الأثر بصورة موجزة فى عصر ما قبل الإسلام ثم عصر الرسالة الإسلامية، ثم عصر الخلفاء الراشدين.

تناول الفصل الثانى العهد السفينانى (٤٠/٦٤هـ/ ٦٦٠-٦٨٣م) والذى تضمن أيام معاوية بن أبى سفيان بن حرب (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م) وابنه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٦٠-٦٤هـ/ ٦٧٩-٦٨٣م)، ثم أيام معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ/ ٦٨٣م) وهو عهد خصب ومشحون بالصراعات والأحداث الكثيرة وفيه بدا أثر الشعر واضحاً فى تدوين الأحداث، وفيه اتخذ الباحث سياقاً ظل ثابتاً هو عرض الحدث التاريخى بالتاريخين الهجرى وما يقابله بالتاريخ الميلادى وذلك بالتاريخ الميلادى وذلك بالاعتماد على تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ الطبرى يساعدهما فى ذلك كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذرى وكتاب (المعارف) لابن قتيبة وكتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير... وغيرهم.

بينما تناول الفصل الثالث عهد كل من مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤-٦٥/٦٨٣-٦٨٤م)، وابنه عبدالمملك بن مروان بن الحكم (٦٥/٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)، والذي استقر الرأي أن يكون بعنوان (المروانيون المتقدمون) لأنه تناول انتقال السلطة من بنى سفيان إلى آل مروان فاستقر في أيديهم، واستطاعوا القضاء على خصومهم في كل الأمصار، وقد شهدت أحداثه تصاعداً كبيراً كان فيها الشعراء يواكبون الأحداث ويسهمون فيها إسهاماً مباشراً، كما كان عبدالمملك بن مروان يولى اهتماماً خاصاً للشعر والشعراء ويرى فيها وسيلة إعلامية مهمة.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (المروانيون المتوسطون) شمل الحقبة الزمنية (٨٦-١٠٥هـ/٧٠٥-٧٢٣م) وهو يتناول أيام الوليد بن عبدالمملك بن مروان (٨٦-٩٩هـ/٧٠٥-٧١٤م)، وأخيه سليمان بن عبدالمملك بن مروان (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م)، وابن عمهما عمر بن عبدالعزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) وقد شهد متغيراً مهماً هو تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة ومحاولته إصلاح مؤسسات الدولة، ولكن مدة حكمه القصيرة حالت دون ذلك، وقد وثق الشعر هذه الأحداث ووصفها بوضوح فعبّر عن أثر الشعر فيها بما ينسجم مع منطلقات البحث ونتائجه. وجاء بعده يزيد بن عبدالمملك بن مروان (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) وفي عهده بدأ الضعف يسرى في جسد الدولة واستعرت الصراعات القبلية.

أما الفصل الخامس والأخير فهو بعنوان (المروانيون المتأخرون) وشمل الحقبة التاريخية الأخيرة من آل مروان والتي امتدت من (١٠٥-١٣٢هـ/٧٢٣-٧٤٩م) وبنهايته كان أقول الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية، وتناول البحث فيه عهد هشام بن عبدالمملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) آخر من تولى الخلافة من أبناء عبدالمملك ثم انتقلت فيما بعد على حفيديه: الوليد بن يزيد بن عبدالمملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م)، ويزيد بن الوليد بن عبدالمملك (١٢٦هـ/٧٤٣م)، ثم انقلبت بعد صراع دام بين أبناء هذه الأسرة إلى يد مروان بن محمد بن مروان (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) وقد كان الشعراء وبالذات شعراء

خراسان يوثقون الأحداث بوصفهم شهودها وفرسانها، لهذا أعطى الشعر صورة واضحة عن الصراع المستديم بين سكان البلاد من السغد وبين العرب الفاتحين تجلت أبرز ملامحها في تثبيت الوقائع والأماكن والشخصيات بما يجعل الشعور الإنسانى متواصلًا مع مواطن الصراع وأبعاده وخفاياه.

الفصل الأول

الشعر والتاريخ

دراسة تمهيدية

توطئة

لم تكن علاقة العرب بالشعر وليدة ظرفها الآتي؛ وإنما كانت علاقة كانت عميقة الصلات موغلة الجذور، فهو مادة معرفتهم وموطن علمهم، وتراث آبائهم وموئل سحرهم، وموضع حديثهم، به يتفاخرون، ومن خلاله يتحاورون ويتميزون ويتصدرون، فكان للشاعر عندهم منزلة رفيعة يسمونها على غيره، لأن الشعر دليل التعبير عن الحسن الدافق والنبوغ المعرفي، فهو يؤنس الوحشة ويهذب الذوق ويثري اللغة، ويعمق المدارك.

أما تعريفه، فهو: "كلام منظوم، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية"^(١). وقيل هو: "كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت"^(٢). والدلالة على معنى عنى التعبير عن فهم جلى للحياة وتهذيب لجانب من جوانبها، فقد جاء فى الحديث: إن من الشعر لحكمة، وقيل حكماً"^(٣). أي: "قولاً صادقاً مطابقاً للحق.. فالمعنى أن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع السّفه"^(٤). فكان موعظة وعبرة تؤثران فى

(١) ابن منظور، محمد بن محرم (ت، ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، الجزء الثاني (دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠م)، ٢٣٢ (شعر).

(٢) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ/١٠٠٤م): الصحاحى فى فقه اللغة وسنن فى كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشويمى. (مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ٢٧٣.

(٣) البخارى، محمد بن إساعيل (ت، ٢٥٦هـ/٨٦٩م): صحيح البخارى، الجزء الثامن (عالم الكتب، بيروت، دس)، ٦٣؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزوينى (ت، ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الثانى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تأريخ)، ١٢٣٦.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): فتح البارى بشرح البخارى، الجزء ١٣ (مطبعة عيسى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٥٩م)، ١٥٦.

الحياة الاجتماعية ومادة ثقافية تنير الأحداث وتكشف عن خفايا الأشياء، فتشكل موقفاً تقتزن به الفصاحة بالقوة^(١). فقد كان "الشعر ديوان العرب"^(٢). لأن "به حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله -جل شأنه- وغريب حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحديث صحابته والتابعين"^(٣). فقد كانت العرب لا تعرف "أنسابها وتواريخها وأيامها ووقائعها، إلا من جملة أشعارها"^(٤) التى توثق بها أخبارها، لأن الشعر لدى العرب كان "ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون"^(٥). وكان ابن عباس رضى الله عنه (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م) يقول: "إذ قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب"^(٦). والديوان فى اللغة: مجتمع الصحف، وهو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء^(٧). فالشعر بالتالى تاريخ وصحيفة توثق الأيام والأنساب واللغة والأحداث، لذا كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر هنأتها القبائل لأن الشاعر يحمى

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت، نحو ٤٩٥هـ/ ١٠٠٤م): كتاب الصناعتين (طبعة مصر، القاهرة، ١٣٢٠هـ)، ١٠٤.

(٢) الجرهمي، عبيد بن شربة (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، ملحق بكتاب التيجان (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ)، ٣٦٦؛ الدينوري، أحمد بن داود (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ٣٣٠.

(٣) ابن فارس: الصحاحي، ٢٧٥؛ السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوي، الجزء الثانى (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ٤٧٠.

(٤) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الجزء الأول (دار الجليل، القاهرة، الطبعة لرابعة، ١٩٧٢م)، ٢٧.

(٥) ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م): طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شارك، السفر الأول (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ)، ٢٤.

(٦) ابن رشيق: العمدة ٣/١.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ١/ ١٠٣٩ (دون).

أعراضهم، ويذنب عن أحسابهم، ويخلد مآثرهم، ويشيد بذكرهم^(١). هذا فضلاً عن كون الشعر يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم^(٢). فكان الشعر يخلد أبطالهم وأخبارهم، ومدار حديث نواديهم وشاهد صوابهم وخطئهم والأصل الذي يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم وأفكارهم^(٣).

ومما يروى عن حكيم بن معية، أنه أقبل مع بنى سليط ودون الموقف، أى وثقه شعراً فقال:

لَا يَتَّقَى حُولا وَلَا حَوَامِلَا يَتْرُكُ أَصْفَانَ الْحِصَى جَلِيلَا^(٤)

لقد صار الشعر أساساً في توثيق الأحداث التاريخية وحفظها وعدم نسيانها لأنه يثير في السامع أو القارئ لذة المتابعة والمعايشة لتلك الأحداث، وبذلك برز الاعتماد على الشعر عند المدونين الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين الذين بدأوا بتدوين مختلف العلوم التي شعروا بضرورة تدوينها كالتفسير والحديث النبوي والمغازي والسير والأخبار، لأنه مورد من الموارد التي تساعد المؤرخ في الوقوف على تاريخ العرب والاطلاع على أحوالها^(٥). فهو العلم الذي "اختلفت به عن سائر

(١) ابن رشيق: العمد، ١/ ٦٥.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م*): البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ٢٤١.

(٣) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب (ت، القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، القسم الأول (دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، دون تأريخ)، ٢٩؛ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): المقدمة (دار القلم، بيروت، دون تأريخ)، ٤٧٣.

(٤) أحمد بنو المجر من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة: ينظر الترجمة والخبر: أبو عبيدة، معمر بن مثنى التيمي (ت، ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): نقاض جرير والفرزدق، تحقيق د. أشلي بيغان، الجزء الأول (مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٥م)، ٦، ٩.

(٥) علي، جواد: الفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول (دار لعلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م)، ٦٧.

الأمم"^(١)، فجعلوه مصدرًا من مصادرهم وإلى ذلك يشير التنوخي فيقول: "واعتقدت إثبات كل ما أسمعته من هذا الجنس وتلميحه بها يحث على قراءته من شعر المتأخرين من المحدثين، أو يُجيد من الكتاب والمتأدين"^(٢). فأدى إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث لأن تداوله وحفظه يعنى حفظ وتداول الأخبار المتعلقة بذلك الحدث وهو ما كون مادةً أساسية لدى الإخباريين أسهمت في تدوين الأحداث وتبويبها، فاندفع المؤرخون نحو الإكثار من الاستشهاد بالشعر والاعتماد عليه بوصفه جزءًا مهمًا في منهج كتابة التاريخ، وإن دراسته أفادت في كشف الأبعاد الحقيقية للكثير من المواقف والأسرار المتصلة بحياة الناس.

وعندما وفد عبيد بن شرية الجرهيمي^(٣) على معاوية بن أبي سفيان ت، ٦٠هـ/ ٦٩٧م) وهو خليفة في دمشق "فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وكان استحضره من صنعاء اليمن فأجابه بما أمر به معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية"^(٤) فكانت الأيام وأخبارها مادة من مواد المؤرخ العربي في حفظ الأحداث التاريخية المتعلقة بها حتى جرى تدوين التاريخ وحساب السنين، فكان التاريخ السجل الحافل بما هو خاص وعام، وكان المؤرخ يبحث باستمرار عما يديم الصلة الحية بالوقائع عبر الصورة النقية، والكلمة العذبة، والفكرة الصادقة لغرض استنباط الحقيقة والوقوف على

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ٣٠.

(٢) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): نشوار المحاشرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالحي، الجزء الأول (بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ١٠.

(٣) عبيد بن شرية الجرهيمي، إخباري (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) له كتاب (الأمثال)، وكتاب (الملوك)، وأخبار الماضين. ينظر ترجمته: ابن النديم، محمد بن إسحق (ت، نحو ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): الفهرست (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دون تاريخ)، ١٣٨؛ ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم الأدباء، نشر مير جليوت، الجزء ١٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ)، ٧٢-٧٨.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ١٣٨؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٢/ ٧٨.

صحة الواقعة ومجرى الأحداث المهمة مع البحث عن الجوانب الثانوية التي تعوّض الباحث عن الوثيقة، فقد كان عبيد بن شربة الجرهمي يقول: "إن الشعر ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم"^(١) في عصر ما قبل الإسلام، فأشار إلى الإسلام، وأشار إلى تاريخ عاد مستعيناً بالشعر في قول الشاعر:

عَجِبْتُ لَعَادٍ وَأَمثالِها تُحَاوِلُ العِزَّ والمُكْرَمَاتِ^(٢)

كما غدت كتابات وهب بن منبه^(٣) (ت، نحو ١١٦هـ/ ٧٣٤م) أكثر ميلاً للاتجاه الإخباري في التدوين التاريخي^(٤)، الذي يدعم المورد الشعري بوصفه شاهداً يؤكد حقيقة الخير ويوثق الأحداث التاريخية، ويحقق صحة الوقائع والأيام^(٥)، فقد سأل الحجاج بن يوسف الثقفي^(٦) (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) أعرابياً "فقال: فهل تروى الشعر؟ قال إني لأروى المثل والشواهد، قال: المثل قد عرفناه فما الشاهد؟ قال: اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر، فإني أروى ذلك الشاهد"^(٧).

(١) الجرهمي: أخبار اليمن، ٣٦٦.

(٢) نفسه.

(٣) أبو عبدالله وهب بن منبه اليمني، صاحب الأخبار والقصص (ت، نحو ١١٦هـ/ ٧٣٤م)، ترجمته: ياقوت: معجم الأدباء، ١٩/ ١٢٨٢م: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس الجزء السادس (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٣٥-٣٦.

(٤) حادي، عبدالحضر جاسم: الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، دراسة في بدء التدوين، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية (بغداد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١١١.

(٥) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ١٩٢٣م): تأريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨)، ٣٧٨-٣٧٩. في استشهاده بشعر جرير في انتقال الملك عند الفرس من (أفريدون) إلى (منوشهر) وأن الفرس تنكر هذا النسب، ولا تعرف لها ملكاً إلا في أولاد (أفريدون) ولا تقر بالملك لغيرهم.

(٦) أبو محمد، الحجاج بن يوسف الثقفي (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م). ترجمته: الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الجزء الأول (دار الفكر، بيروت، دون تأريخ)، ٤٦٦؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، الجزء الثاني (دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٢١٠.

(٧) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج المذهب ومعادن الجواهر، ضبطه يوسف أسعد داغر، الجزء الثالث (دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م)، ١٣٦.

لذا وجد المؤرخون في الشعر أهمية خاصة في تدوين الأحداث ومادة في الاستشهاد وركيزة من ركائز الاعتماد في توثيق الأخبار^(١)، كما رويوا شعراً يصف البلدان بلدًا بلدًا واديًا واديًا وجبلًا جبلًا، فأحسنوا إحصاءها وجودوا وصفها في الشعر^(٢).

من هنا يمكن ملاحظة الصلة العميقة بين الشعر والتاريخ التي منحت التاريخ إمكانيات عديدة في الاستفادة من خصائص الشعر، ومنها:

الاتصال الروحي بين الشعر والتاريخ، لأنها ينطلقان من بؤرة معرفية واحدة، حتى أن أحد الباحثين الغربيين وصف الشعر بأنه "تاريخ مخلق"^(٣) بينما رأى باحث غربي آخر استمرار وجود هذه الصلة بقوله: "لا يزال التاريخ بالنسبة لي شعراً على حد كبير"^(٤)، فقد استعان المؤرخ بالشعر في فهم الأحداث التاريخية، فكان الشعر وثيقة يعود إليها في تأكيد الخبر ووقع الحدث^(٥).

يسد الشعر ثغرات كبيرة في دراسة التاريخ، لأنه دليل من أدلة تقوية الأخبار وتعميق المضامين بما يسهم في كشف الجوانب الخفية من الأحداث وما اكبتها من أخبار، لأن الشاعر بطبيعته ينظر إلى الحدث نظرة فاحصة بما ييسر للباحث في أن يجعل الشعر وثيقة تاريخية، ومصدرًا من مصادر دراسة التاريخ^(٦). فقد عمل الشعر

(١) القيسي، نوري حمودي: الشعر والتاريخ (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م)، ٣.

(٢) الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ / ٩٤٥م): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكويع (مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ٣٣٣-٣٣٧.

(٣) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العي، مراجعة د. محمد توفيق حسين (مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد - نيويورك، ١٩٦٣م)، ٢٤٥.

(٤) نف، إيمري: المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مراجعة محمد شفيق غربال (مكتبة الأنجلو المصرية مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٦١م)، ٢١٨.

(٥) القيسي: الشعر والتاريخ، ٤٠.

(٦) الطرقي، محمد حسين جاسب: دور الشعر في تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثاني الهجري، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، قسم التراث الفكري (بغداد، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ٤٧.

على كشفِ الأسبابِ والمسببات حين صاحبَ معاركَ التاريخِ الكبرى، ووفر للباحث مادةً غنيّةً بالمعلومات، فكان الشعر المصدر الرئيس الذي حفظ به العرب الكثير من المعلومات المختزنة^(١). فوفر للباحثين رؤية شاملة ومتعددة الأطراف منحت المنهج التاريخي رافدًا إضافيًا شارك في إنضاج المظاهر الحضارية للبحث التاريخي^(٢).

يعد الشاعر لسان قبيلته والمتحدث باسمها، فإذا قال شعرًا تناقله أفرادها وأشاعوه، وخاصة عندما يتعلق هذا الشعر بالصراع مع القبائل الأخرى، فأصبح الشعر وسيلة لحفظ الوقائع والأيام والحروب، لما يثيره في نفوس الشعراء من فخر وانتصار واعتزاز^(٣)، فكان الشعر مصدرًا من مصادر تاريخ أيام العرب حتى غدت النقائص وثيقة تاريخية مهمة في فهم الكثير من الأيام على مدى التاريخ العربي^(٤). ذلك لأن الروايات القبلية كانت تتداول شفاهًا وبصورة نثرية، فأدى الشعر دورًا أساسيًا في إيصالها وخصوصًا إذا كان الشاعر قد شارك في الأحداث بما يعطيها حيوية وتأثيرًا بحيث أصبح الشعر بمرور الزمن الوثيقة التي تعزز صحة القصة، أو صحة الواقعة التاريخية، فقد تسابقت القبائل في حفظ أيامها وأشعارها فحفظت تاريخًا حافلًا بالأحداث.

أثر الشعر تأثيرًا واضحًا في تدوين الأخبار والسير، وانتشار رواية القصص والوقائع فحفلت كتب التاريخ بالأشعار الكثيرة التي كانت شاهدًا حيًا له أهميته في توثيق الأحداث، فقد شجع معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٩٧م) على تدوين سيرة تُبَعَّ وأشعاره^(٥)، بما يجعل الشعر دليلًا على صدق ما يروى، فهو كالشاهد

(١) حسين، عبدالله محمود: تدوين الحروب في الشعر الجاهلي (منشورات مكتبة النهضة، مطابع دار التضامن، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ٣٩-٤٠.

(٢) القيسي: الشعر والتاريخ، ١٦.

(٣) ضيف، شوقي: العسر الإسلامي (دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م)، ٢٤٥.

(٤) الدوري، عبدالعزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م)، ١٠٦.

(٥) ينظر الأصفهاني، علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): الأغاني، الجزء ١٨ (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١٨٢؛ ياقوت: معجم الأدباء، ١٢/ ٧٨.

الذى يوضح الحدث ويفسر ما غمض منه. لذا صارت الكتابة فى الأحداث التاريخية بما فيها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، ومغازيه تعتمد على الشعر فى توثيق رواياتها والدليل على ذلك ما جاء عند ابن إسحاق (ت، ١٥١هـ/ ٧٦٨م) فى كتابه (السيرة) وعلى ما بذله ابن هشام (ت، ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) فى تهذيب هذا الكتاب وحذف الكثير من الشعر الذى ورد فى كتاب ابن إسحاق، إلا أن سيرة ابن هشام لا زالت تحوى الكثير من الشعر^(١).

مما لا ريب فيه أن معرفة الأنساب صارت موردًا من موارد معرفة تاريخ العرب، طيلة قرنين من ظهور الإسلام^(٢)، والتى توارثت تلك المعارف عن طريق الشعر، خاصة شعر النقائص، وفى الروايات العائلية والقبلية، وفى سجلات دواوين الجند^(٣). وقد أسهم الشعر بشكل خاص فى تدوين وحفظ الأنساب، فأسهم بذلك فى حفظ الأحداث التاريخية التى وثقها الشعر والتى تعاون النسابون والمؤرخون على حفظها والاهتمام بروايتها^(٤)؛ لذا كثرت الإشارات - فى الشعر - إلى النسب فى القبائل، وإلى قحطان وعدنان^(٥)، فكتاب (الإكليل) حافل بالإشارات الشعرية إلى الأنساب، كما فى توثيقه لنسب عبدشمس بن يشجب:

(١) ينظر على سبيل المثال ابن إسحق، محمد بن إسحق المطلبى (ت، ١٥١هـ/ ٧٣٣م): السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر، بيروت، دون تاريخ)، ٦٢-٦٤، ٣١١، ٣٢٠-٣٣٢؛ ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (ت، ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): السيرة، تقديم وتعليق وضبط طه عبدالرؤوف سعد، الجزء الأول (دار الجليل، بيروت، ١٩٧٥م)، ٢٤٠، ٢٨٨، ٢/٦٦، ١٨١، ٣/٦٣، ١٥٦-١٦١، ٤٥/٤، ١٠٨.

(٢) حمادي: الحركة الفكرية، ١١٨.

(٣) الدوري: بحث، ٤٠.

(٤) ينظر على سبيل المثال ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت، ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): جهرة النسب، تحقيق ناجي حسن (عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ٤٨، ١٩٠، ٢٠٧، ٣٧٠، ٥١٣، ٩٥٤؛ الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٤؛ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الندلسي (ت، ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م)، ٨٢، ١٧٢، ٢٩٦.

(٥) الدوري، عبدالعزيز: التكوين التاريخي للأمة العربية (مركز دراسات الوحدة العربية، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م)، ٥٠.

وأيُّنا عبدُ شمسٍ وابنه زُرعة القليل وذى التاج قطن^(١)

وقد تضمن كتب الأنساب شعراً يوثق بعض الأنساب مما أسهم في توثيقها وحفظها، وهو الذى شجع القبائل على جعل الشعر سجلاً لوقائعها^(٢)، ومفاخرها ومآثرها القبلية وهو يتضمن إشارات واضحة إلى أنساب بعض القبائل والبطون:

وللشعر المدون فى المصادر التاريخية دور كبير فى تحديد مواقع العرب وغيرهم وتسميتها ورسم معالمها وطبيعة ظروفها المناخية والاقتصادية، ومن الشعر فهم الجغرافيون جوانب كثيرة من علمهم والتى أودعوها فى بطون مؤلفاتهم، ومنهم الهمداني^(٣)، وياقوت^(٤)، والقزويني^(٥)... وغيرهم. فصور الشعر مواقع الرب وواقع حياتهم من خلال تصوير الأمكنة وتعرض لتصوير المحسوسات المحيطة بالإنسان وبالذات بيئته التى هى وعاء ينبثق من داخله مجتمع استطاع أن يكون حضارة عريقة وينشئ مجتمعاً قوياً استنهض كل جوانب الحياة واستثمرها، فلولا هذه البيئة لما ولد مجتمع عربى إسلامى كان له مكانته ووجوده وتأثيره.

أبرز الشعر القيم الاجتماعية والأعراف والمعتقدات التى كانت سائدة فى المجتمع العربى، فوثقها وعمل على إيصالها على الأجيال اللاحقة، فكان صورة صادقة لأحاسيس السواد الأعظم، بما يكشف عن اللقاء الإنسانى

(١) الهمداني، الحسن بن علي بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، الجزء الثاني (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م)، ٥٥.

(٢) ينظر: النص، إحسان: العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموري (دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م)، ٥٤٤؛ مصطفى، شاكِر: التاريخ العربى والمؤرخون، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م)، ١٠٤.

(٣) الهمداني: الإكليل، ٨/ ١٠، ٤٤، ٥٩؛ صفة، ٣٢٤-٤٠٤.

(٤) ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، الجزء الأول (دار إحياء التراث العربى، بيروت، دون تاريخ)، ٥٠، ١٣٠، ٢٠٦، ٢/ ٤١، ١٩٥، ٣٢٠، ٣/ ٦٢، ١٥٦، ٢٥١، ٣٣٥، ٤/ ٤٥٦، ١٣٣، ٢٤٣، ٣١٥، ٤٠٨، ٥/ ٦٧، ١٢٥، ٢١١، ٣٣٤، ٤٤١.

(٥) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م): آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت، دون تاريخ)، ٥١، ٩٩، ١٣٤، ٢٠٣/ ٤٨٥، ٥٦٢.

والوجداني بين الشاعر وقبيلته أو مجتمعه، فعرض الشعر بذلك حياة العامة مثلما عرض حياة الخاصة^(١).

لقد عكس الشعر واقع الأحداث الإنسانية وما فيها من مضامين فكرية وشعور إنساني وطبائع اجتماعية ومعتقدات دينية، وقيم أخلاقية تكشف عن كيفية التعامل بين الإنسان وبيئته ومجتمعه، كما عكس نتائج هذه الاتجاهات وإفرازاتها العقائدية والسياسية والاقتصادية، وفي كل ذلك دلالة على وجود ترابط وثيق بين الشعر والتاريخ، فهما رفيقان في درب واحد.

أسهم الشعر في تفسير ما غمض من آيات القرآن الكريم، بوصفه حامل ثقافة العرب، ومعجم ألفاظها، والمعبر عن مشاعرها وحواسها حتى أن ابن عباس قال: "إذا قرأتم من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب"^(٢)، كما أسهم في تفسير غريب القرآن الكريم^(٣) وغريب الحديث^(٤) النبوي

(١) ينظر على سبيل المثال عبيد بن الأبرص (ت، نحو ٥٥٥م): الديوان، تحقيق: تشارلس ليال (دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ٢٦، ٣١، ٤١، ١٣٨، ١٤١؛ أمية بن أبي الصلت (ت، نحو ٩هـ/٦٣٠م): حياته وشعره، دراسة وتحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩١م)، ٥٠، ٩١، ٩٥، ١٥٧، ١٨٤، ٢١٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢١؛ الحوفي، محمد أحمد: الحياة العربية في الشعر الجاهلي (دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م)، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٧٠، ٤٣٤.

(٢) ابن رشيقي: العمدة، ٣/١.

(٣) ينظر على سبيل المثال في تفسير القرآن الكريم: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/٩٢٣م): جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء السابع (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٥١، ٨/٣٤، ١٠/٩٣، ١٥٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت، ٧٤٤هـ/١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ٣٧، ٤٠، ١٣٦، ٢٧٣، ٤٣١، ٤/٢٦، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٤، ٤٤١.

(٤) ينظر على سبيل المثال في شرح غريب الحديث النبوي الشريف: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/٨٩٩م): غريب الحديث، تحقيق: د. عبدالله الجبوري، الجزء الأول (وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/٩٧٧م)، ٣٠٤، ٤٣٢، ٤٩٠، ٢/٦١، ١٧، ٥١٦.

الشريف، فكان الشعر مادة لغوية ثرية قادرة على كشف الكثير من غوامض النصوص بيان أصولها الواقعية الضاربة في أعماق التراث العربى وتاريخ العرب قبل الإسلام.

عصر ما قبل الإسلام:

اهتم العرب فى رواية الشعر وتداوله لأنه يعبر عن إحساسهم ويصور أحداثهم ويرسم لهم المعانى التى يرنون إليها، فهو سجلهم الذى حفظ مآثرهم وأيامهم وما كانوا لهم فيه من عادات وتقاليـد وما سَموا إليه من معتقدات روحية ومعانى إنسانية، وما لا شك أن الاهتمام لدى العرب قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً مع تاريخهم الطويل.

وبالإمكان القول أن توجه العرب إلى الشعر إنما هو مرتبط مع بدء تكوينهم الحضارى، ولا نتفق كثيراً من تحديد زمن معلوم لمثل هذا التوجه الذى يحاول أن يضع تاريخاً تقريبياً لبداية الشعر كقول الجاحظ: "وإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتى عام^(١) لأن القرنين من الزمن التى سبقت ظهور الإسلام لا يمكن أن تكون بداية للشعر عند العرب، إلا إذا قصد من ذلك الشعر الموثوق المعبر عن الحدث وطبيعة الحياة وهذا ما نميل إليه فى تأويل ما ذهب إليه الجاحظ فى هذا النص.

وثمة حرص واضح عند العرب لحفظ الشعر لما فيه من معلومات تخص تاريخهم وما وقع فيه من أحداث، وساعدهم على ذلك سلامة الذاكرة وسرعة الحفظ بحيث أنه كان لا يدخل شيئاً إلى مسامع الفرد العربى إلا حفظه، واستمرت هذه الخاصية حتى بعد ظهور الإسلام، فلا نقرأ قصة من قصص أيام العرب، إلا ونجد فيها شعراً ينسب إلى أحد الأبطال الذين ساهموا فيها، أو شعراً يذكر فيه قائله قومه أو

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): الحيوان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون الجزء الأول (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ٧٤.

خصوصهم، فكان أن حفظ الشعر تلك الأيام في ذاكرة الأجيال، ثم أقدم المدون فدونها، فوصلت إلى أيام التدوين^(١) وتناقلتها كتب ومؤلفات اللاحقين بعده، فظل الشعر أداة للتوثيق، وبقيت قوة الكلمة مواكبة لقوة الاندفاع من أجل تسجيل المجد القبلي^(٢) ولذلك أرّخت كل قبيلة بيوم مشهود من أيامها المشهورة في حروبها^(٣).

زعم "الإخباريون أن نوحًا عليه السلام خرج من السفينة يوم عاشوراء، واحتجوا بأشعار المتقدمين في هذه القصص"^(٤). كما في قول الشاعر أمية بن أبي الصلت:

وقد تُدرك الإنسانَ رحمةَ ربِّه ولو كانَ تحتَ الأرضِ سبعينَ واديا
تعال وتُدركهُ من الله رَحمةٌ ويُضحى ثنائه في البريةِ زاكيا
كرَحمةِ نُوحَ يومَ حَلِّ بسبغةٍ لمَهبطِهِ كانوا جميعاً ثمانيا
فلما استنارَ اللهُ تنورَ أرضه ففارَ وكانَ الماءُ في الأرضِ ساجيا^(٥)

وقال في قصيدة أخرى:

فسارت بهم أيامها ثم سبعةً وستٌ لَيالٍ دائبات غواطيا^(٦)

(١) علي: المفصل، ٦٦/٩.

(٢) القيسي، نوري حمودي: البطل في التراث (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م)، ٣٧.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والإشراف (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ١٧٤.

(٤) ينظر المقدسي، المطهر بن طاهر (ت، ٣٥٩هـ/٩٦٩م): البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي، شرح كلّمان هوار، الجزء الثالث مطبعة برطوند، شارلون - باريس، ١٩٠٣م)، ٢٤.

(٥) من شعراء ثقيف بالطائف أدرك الإسلام ولم يسلم، شعره له علاقة بالقصائد والديانات (ت، نحو ٩هـ/٦٣٠م). ترجمته: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/٩٩٤م): الموشح، تحقيق علي محمد الجاوي (دار نهضة مصر، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥م)، ١١٢؛ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي: سمط الآلي في شرح أمالي القاضي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، الجزء الأول (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٦٣م)، ٣٦٢.

(٦) شعره، ٣١٧-٣١٨.

(٧) نفسه، ٣١٩. ينظر أيضًا، ٣١٢.

لقد عرض الشعر أحداث التاريخ البعيدة في الزمن، ومنها الطوفان، ولذلك استعان المؤرخون بالشعر لتوثيق الأحداث، ومنها الواردة في الكتب الدينية كالقرآن الكريم، ومن هؤلاء أمية بن أبي الصلت الذي كان على جانب كبير من المعرفة الدينية ورغب عن عبادة الأصنام وكان يحكى قصص الأنبياء^(١)، لذا قال عنه النبی (صلی الله عليه وسلم): "فلقد كان يسلم في شعره"^(٢) واستشهد الطبري بشعره عندما بيّن السبب الذي من أجله أمر نبي الله إبراهيم "عليه السلام" بذبح ابنه، وأن ذلك كان من نذر إبراهيم كان قد نذره، فأمره الله بالوفاء به^(٣)، وفي ذلك يقول أمية:

ولإبراهيم الموفى بالند	راحتساباً واحمل الأجزاء
يكره لم يكن ليصبر عنه	أويراه في معشر أقتال
أبنى إني نذرتك لله	شحيطاً فاصبر فدى لك حالي
فأجاب الغلام أن قال فيه	كل شيء لله غير انتحال
أبتى إني جزيتك بالذ	ه تقياً به على كل حال
فأقضى ما قد نذرت لله وأكففت	عن دمي أن يمسسه سربالي
واشدّد الصفد لا أريد عن السكين	حيد الأسير ذي الأغلال ^(٤)

فقد سرد الشاعر حادثة الذبح سرداً يعبر عن نضج رواية هذه الحكاية وكثرة تداولها، وعلى تمكن الشاعر في ترتيبها لاطلاعه على مصادر دينية قديمة

(١) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): الشعر والشعراء، تحقيق محمد يوسف نجم وإحسان عباس، القسم الأول (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٣٦٩.

(٢) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ/ ٨٧٤م): صحيح مسلم، الجزء الثاني (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٣٨٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ١/ ٢٧٧.

(٤) شعره، ٢٥١-٢٥٢: الطبري: تاريخ، ١/ ٢٧٨ مع شيء من الاختلافات.

استطاع المؤرخ الاستفادة منها في بحث هذا الحدث التاريخي والديني بحثاً معززاً بالشعر.

كان يوم (جبله) قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة قبل مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، بسبع عشرة سنة^(١). وفي ذلك يقول حليف بني نمير بن عامر، وهو المعقر بن أوس بن حمار البارقى:

أَمِنْ آلِ شَعَثَاءِ الْحَجُولِ الْبَوَاكِرِ	مع الليلِ أم زالت قبيلُ الأباغِرِ
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هِضَابٍ وَأَيْكَةٍ	فليسَ عليها يومَ ذلكَ قاورِ
وَأَلَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى	كما قرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ
وَصَبَحْنَا أَمْلَاكُهَا بِكُتَيْبَةٍ	عليها إذا أُمستَ مِنَ اللَّهِ نَاطِرِ
مُعَاوِيَةَ بْنِ الْجَوْنِ ذَبِيانَ حَوْلَهُ	وحسَّانَ في جمعِ الرِّبَابِ مَكَاثِرِ
فَمَرَوْا بِأَطْنَابِ الْبُيُوتِ فَرَدُّهُمْ	رِجَالٌ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ مَسَاعِرِ
وَقَدْ جَمَعُوا جَمْعًا كَأَنَّ زَهَاءَهُ	جَرَادٌ هَوَى فِي هَبْوَةٍ مَتَطَايِرِ ^(٢)

توثق القصيدة مقدار الجمع الذي كان وتبين حجمه بما يعبر عن أثر الشاعر في حفظ تفاصيل هذا الحدث التاريخي وتحديد معالم الواقعة والإشارة على شخصياتها من أمثال معاوية وحسان، وكيف تلاحم الطرفان عند أطناب البيوت بما يكشف عن خطورة الصراع وحراجه الموقف حتى استطاع المدافعون عن حمى القبيلة ردّ المهاجمين بعد أن جمعوا جمعاً يشبه الجراد في كثرته.

حين خمد أوار الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان، قال الشاعر زهير بن أبي سلمى^(٣):

(١) أبو عبيدة: النقائص، ٢/٢٧٦؛ وعند الطبري أن يوم جبله كان عام الفيل. ينظر: تاريخه: ١٥٤/٢.

(٢) أبو عبيدة: النقائص، ٢/٦٧٦.

(٣) زهير بن أبي سلمى الزماني، شاعر من الطبقة الأولى، من أصحاب المعلقة. أدرك الإسلام (ت)، ٦١٥م. ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/٥١؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٠/٢٩٨.

فأقسمتُ بالبيتِ الذى طَافَ حوله رجالٌ بنوه من قريشٍ وجُرحهم
يَمِينًا لنعمَ السَّيِّدانِ وجدُّنا على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرم
تداركتُما عَبَسًا ودُبيانَ بَعْدَما تَفَانُوا ودَقُّوا بَيْنَهُم عِطَرَ مَنْشَمٍ^(١)

فإذا كان زهير "نظامًا متوقيًا"^(٢) يديم النظر في القصيدة حولاً كاملاً، فإنه لا بد وأن يكون ملماً بأيام العرب وتاريخهم، وأن يكون دقيقاً في توثيق الأحداث وتصويرها حتى وصلت إلينا على هذه الصورة حيث أشار إلى قبيلة جُرحهم وقريش، مثلما أشار إلى منشم العطارة التى يضرب المثل بعطرها.

كانت العرب تؤرخ بوفيات الأشخاص المهمين، فلما "مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخاً"^(٣) كما أرخت "ب وفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها"^(٤). فحين غزا أبرهة مكة جاء عبدالمطلب إلى باب الكعبة فتعلق به^(٥) وقال:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَنْ مَعُ رَحْلِهِ فَا مَنَعُ جِلَالِكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَوْلِيَهُمْ وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ
وَلَسْتُ فَعَلْتُ فَإِنَّهُ أَمَرْتُ بِهٖ فِعَالِكَ^(٦)

(١) زهير بن أبي سلمى (ت، ٦١٥م): ديوانه بشرح ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد (ت، ٢٩١هـ/٩٠٣م)، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م)، ١٤-١٥.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/١٥٠٥م): شرح شواهد المغني، تصحيح وتعليق: محمد محمود ابن التلاميذ وأحمد ظافر كوجان، القسم الثاني. (لجنة التراث العربي، دمشق، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ٢٥٦.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٦/١٣٦.

(٤) نفسه.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهيب بن واضح (ت، ٢٩٢هـ/٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي، تعليق محمد صادق بحر العلوم، الجزء الأول (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ٢٢٢.

(٦) ابن إسحق: السير والمغازي، ٦٢؛ ابن هشام: السيرة، ١/٤٥؛ اليعقوبي: تاريخ، ١/٢٢٣؛ الطبري: تاريخ، ٢/١٣٨٩ مع اختلاف بعض الألفاظ.

لقد حفز الحدث التاريخي زعيم أهل مكة لأن يستنصر ربه من أراد به وبدينه
وببلده شرًا، فاقترن شعره بصفة العدو الدينية، وهو الصليب رمز المسيحية، فلما
انصرف أصحاب الفيل عن مكة قال عبدالمطلب:

مَنَعْتَ الْأَرْضَ الَّتِي حَمَيْتْ	من اللثام فَلَمْ تَخْلُفْ لَهُمْ دَارًا
مَنَعْتَ مَكَّةَ مِنْهُمْ إِنْئى رَجُلٌ	ذو أسرة لم تكن فى الحبِّ غَدَارًا
إِذَا قُلْتُ يَا صَاحِبَ الْجِيْشَانِ إِنَّا لَنَا	مِنْ دُونِ أَنْ يَهْدِمَ المَعْمُورُ أَخْطَارًا
فَسَارَ فى جَيْشِهِ بالفيلِ مُقْتَدِرًا	وَسِرَتْ مُسْتَبْسِلًا للموتِ صَبَارًا
فى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ مِثْلُهُمْ	بمورثٍ حَيَّهم شَيْئًا وَلَا عَارًا ^(١)

كان انتصار قريش على جيش أصحاب الفيل مؤثرًا فأشبههم فى خلودها فى
الأذهان وجعل منها تاريخًا مشرفًا للعرب قبل ظهور الإسلام، ودفع الشعراء إلى
توثيقها، ولما كان عبدالمطلب فى المواجهة فإن شعره هذا يعد وثيقة تاريخية مهمة،
وهو ما دفع الشعراء إلى توثيق مواقعها وحرارة الجيوش فيها، فكان الشعر تخليدًا لها
من خلال تثبيت أماكن الجيوش وتحديد مواضعها الجغرافية بعد أن اندرست بتقادم
الزمن عليها وبذلك صار الشعر سجلًا "للتاريخ الزمانى والمكانى لهذه المواقع"^(٢).

فهذا عبدالله بن الزبعرى^(٣) (ت، ١٥ هـ / ٦٣٦ م) يشير إلى وقعة الفيل فيقول:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرَمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْشَمَتْ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلَ أَمِيرِ الْجِيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	وَلَسَوْفَ يُبْنِى الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يُؤْوُوا أَرْضَهُمْ	وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا

(١) ابن إسحق: السير والمغازي، ٦٤.

(٢) القيسي: الشعر والتاريخ، ٣٨.

(٣) عبدالله بن الزبعرى بن قيس الفهري، صحابي في شعراء قريش. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٥ / ١٣٨؛ السيوطي: شرح، ٥٥١ / ٢.

كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمْ قَبْلَهُمُ وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا^(١)

يحدد الشاعر عدة الجيش الغازي يستين ألفاً، ويذكر أنهم لم يؤوبوا إلى وطنهم، أما السَّقِيم الذي لم يعيش فهو أبرهة بن يكسوم المعروف بالأشرم^(٢). فقد حملوه معهم حين أصيب حتى مات بصنعاء^(٣).

وقد ذكر أمية بن أبى الصلت (ت، نحو ٩٠هـ / ٦٣٠م) ما لاقاه جيش أبرهة، فكان كلهم مكسور الساق:

إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ	مَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ	مُسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو الظَّلَامَ رَبُّ كَرِيمٌ	بِمَهَارَةٍ شُعَاعِهَا مَنْثُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْمَسِ حَتَّى	ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
لَا زِمًا حَلَقَهُ الْجِرَانُ كَمَا قُطُّ	رَمَنْ كَبِيبٍ مَحْدُورُ
حَوْلَهُ مَلُوكٌ كِنْدَةٌ أَبْطَا	لَمْ يَمْلَأُوا فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا	كُلُّهُمْ سَاقُهُ مَكْسُورُ ^(٤)

وهذا ما جعل الشعر سجلاً يتضمن بعض التفاصيل عن يوم الفيل، وما حدث فيه من تفاصيل تكشف عما حصل لجيش الغزاة.

وفي يوم ذى قار^(٥) الذي كان بين العرب والفرس، فقتل فيه جميع الفرس ومن معهم^(٦) قال الأعشى^(٧) (ت، ٧٠هـ / ٦٢٩م):

(١) ابن الزبيري، عبدالله (ت، ١٥٠هـ / ٦٣٦م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ٤٩-٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ١٥٤ / ٢.

(٣) ابن هشام: السيرة، ٥١ / ١.

(٤) شعره، ٣٣٧-٣٣٩.

(٥) ماء لبني بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس. كما في: ياقوت: معجم البلدان، ٢٩٣ / ٤ (قار).

(٦) الطبري: تاريخ، ٢ / ٢١٠.

(٧) ميمون بن قيس بن جندل، شاعر أدرك الإسلام ولم يسلم (ت، ٧٠هـ / ٦٢٩م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١ / ١٧٨؛ البكري: سمط، ١ / ٨٣.

فَدَىٰ لَبْنَىٰ ذُهْلَ بْنَ شِيَّانَ نَاقَتِي
هُمُو ضَرَبُوا بِالْحَنُوِّ حَنُوا قَرَأِرِ
فَلِّلَّهُ عَيْنَا مَنْ رَأَىٰ مِنْ عَصَابَةٍ
أَتَتْهُمْ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرِقُ بَيْضُهَا
فَثَارُوا وَثَرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
وَقَدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحَ
كَفُوا إِذْ أَتَى الْهَامِرُزُ تَخَفَّقَ فَوْقَهُ
وَأَحْمُوا جَمَى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ
أَذَاقُهُمُو كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً
سَوَابِغُهُمْ بَيْضٌ خَفَافٌ وَفَوْقَهُمْ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَاتُ رَيْحٍ مَفَاضَةٌ
فَصَبَحَهُمْ بِالْحَنُوِّ حَنُو قَرَأِرِ
عَلَى كُلِّ مَحْبُولٍ السَّرَاةُ كَأَنَّهُ
فَجَادَتْ عَلَى الْهَامِرِزِ وَسَطَ بَيُوتِهِمْ
تَنَاهَتْ بَنُو الْأَحْرَارِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ

وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَقَلَّتْ
مُقَدِّمَةُ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ
أَشَدُّ عَلَى أَيْدِي السُّعَاةِ مِنَ النَّيِّ
وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاسْتَقَلَّتْ
وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتْ
عَوَانٌ شَدِيدَةٌ هَمَزُهَا فَأَضَلَّتْ
كَظَلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتْ
لَنَا ظَعْنٌ كَانَتْ وَقُوفًا فَحَلَّتْ
وَقَدْ بَذَخَتْ فَرَسَانَهُمْ وَأَدَلَّتْ
مِنَ الْبَيْضِ أَمْثَالَ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ
وَأَسْهَلَ مِنْهُمْ عَصَبَةٌ فَأَطَلَّتْ
وَذَى قَارَ مِنْهَا الْجَنُودَ فَقَلَّتْ
عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرَقَبٍ إِذْ تَعَلَّتْ
شَايِبَ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَاسْتَهَلَّتْ
فَوَارِسَ مِنْ شِيَّانَ غُلِبَ فَوَلَّتْ^(١)

يعد هذا اليوم من الأيام التي لها وقع مؤثر في تاريخ العرب قبل الإسلام، لأنه كشف عن استقلالية واضحة بالرأى، فلا غرو أن يتغنى الأعشى بها، فهو من قبيلة لاقت الأمرين من تسلط السَّاسانيين، فكان شاهد انتصار قبيلته على دولة الفرس، فقد كان الشعراء يتغنون بانتصار أبناء قومهم، مما بين الأثر المهم في تاريخ تدوين الحروب والوقائع^(٢). لذا كان شعر الأعشى وثيقة حية حملت معها الموقف

(١) الأعشى، ميمون بن قيس (ت، ٧هـ/ ٦٤١م): ديوانه: شرح وتعليق م. محمد حسين. (مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، دون تاريخ)، ١٥٩-١٦١.

(٢) حسين: تدوين الحروب، ١٠٨.

الاجتماعى لهذه القبيلة، وموقف العرب الذين عانوا استهانة الفرس بوجودهم القومى والإنسانى والإقليمى؛ وبهذا غدا الشعر صورة للواقع وما يعكسه من صراعات ومواقف تشكل فى مجموعها رؤية عميقة للفعل الإنسانى المؤثر فى حركة التاريخ وقدرة الإنسان العربى على خلق مقومات الانتصار، وهذا بدوره مهم لظهور أمة قوية استطاعت أن تستوعب الرسالة الإسلامية وتنطلق منها نحو آفاق واسعة لتستعيد مجدها وعنفوانها وتؤسس حضارة أصبحت موضع دراسة وبحث مستمرين منحت الإنسانية دفقة عالية من النمو والتقدم حتى الآن.

عصر الرسالة الإسلامية:

بعد مبعث النبى محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) وحمله رسالة الإسلام حدث صراع قوى بين عقائد أهل الشرك وعقيدة التوحيد الإسلامية أدت إلى هجرة المسلمين من مكة إلى يثرب (مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثم نشوء نواة الدولة العربية الإسلامية التى تأسست على تشريعات الرسالة الإسلامية السمحاء على وفق ما جاء به القرآن الكريم وسنة النبى (صلى الله عليه وسلم)، فكان ذلك مقدمة لبروز منطلق جديد يحدد بدء الرسالة، ثم بدء الهجرة النبوية المشرفة، فكان ذلك نقطة انطلاق نحو التاريخ.

وقد برزت الحاجة لدى أصحاب الدين الجديد على وسيلة إعلامية ليواجهوا بها الإعلام المضاد الذى يشنه شعراء مشركى قريش فى مكة، ولبيان موقف الإسلام من الشعر، فقد كان الشعر عند العرب أرقى معارفهم وأكثرها تأثيراً، فجاء واضحاً وجلياً بعد أن أعجز القرآن العربى إعجازاً لفظياً ومعنوياً، حتى جاء فى الذكر الحكيم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿١﴾. ويريد بهم الذين ((ذكروا الله فى كلامهم وقيل فى شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق)) (٢). أى ما قدمه من

(١) سورة الشعراء: الآيات، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) ابن كثير: تفسير، ٣/ ٣٥٥.

حكمة أو حكماً^(١) مطابقاً للحق^(٢) على وفق المقياس الأخلاقي في اجتناب الشر والالتزام بالخير، فكان التحوُّل في أهمية الشعر وأثره في الظروف السياسية والاجتماعية يعد تغييراً خطيراً في مسيرة الشعر العربي، ومنعطفًا في أغراضه ومراميه حتى اعتقد الأصمعي (ت، نحو ٢١٦هـ/ ٨٣١م) أن "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير الآن، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب - من مرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحمة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم - من شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير، والنابعة، من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار؛ فإذا أدخلته في باب الخير الآن"^(٣)، في حين يرى أحد الباحثين المحدثين أن الشعر في صدر الإسلام نشط متأثرًا بالظروف السياسية والاجتماعية الجديدة في الحواضر، وبالمفاهيم والقيم الإسلامية^(٤). فانتقلت زعامة الشعر من البوادي إلى الحواضر، وهذا ما قلل من جزالته^(٥).

كان لشعر شعراء المشركين واليهود أثر كبير على نفوس المسلمين لما كان له من ذبوع وانتشار بين القبائل العربية الساكنة خارج المدينة والتي لا يصل إليها عامل التأثير إلا من خلال الشعر، والذي كان المشركون فيه أكثر سبقًا من المسلمين. ثم انتبه المسلمون على ما سبقهم فيه أعداؤهم فسابقوهم في ذلك حتى صار لهم اثر واضح وظهر من بينهم الشعراء الكبار، وقالوا الشعر الكثير الذي حفظته المصادر والمؤلفات الأولى.

ولما أصبح الشعر سلاحًا في مجابهة خصومهم غدا له أثره في تدوين السيرة النبوية المشرفة وروايتها، فقد عرف مدونوها الشعر وحفظوه، فكانوا يروون الأشعار التي

(١) ينظر البخاري: الصحيح، ٨/ ٦٣؛ ابن ماجة: السنن، ٢/ ١٢٣٦.

(٢) ينظر ابن حجر: فتح الباري، ١٣/ ١٥٦.

(٣) المرزباني: الموشح، ٨٥.

(٤) الدوري: التكوين التاريخي، ٨٧.

(٥) علي: المفصل، ٩/ ٨٤٢.

ذكرها الرجال الذين ورد ذكرهم في حوادث السيرة^(١). كما صار للشعر أثره في تدوين الأحداث التاريخية، وفي توثيق الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلال عصر الرسالة الإسلامية، لأنه كان يشجع الشعر الذي يستفيد من المعاني الإسلامية وتمثل خط الدعوة وفي هذا توجيه ظاهر للشاعر^(٢)، في قدرته على التأثير في الأحداث.

كان للشعر أثره في نفوس أعداء المسلمين، كلما كان أثره في تعزيز معنويات المسلمين وحثهم على تثبيت أقدامهم واستمرارهم من مناجزة الأعداء، ففي سنة (٢٢٣هـ/٦٢٣م)^(٣) حدثت وقعة بدر^(٤)، فقال حسان بن ثابت الأنصاري^(٥):

لقد علمت قريش يومَ بدرٍ	غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنّا حينَ تشتجر العوالي	حُماة الحربِ بعد أبى الوليدِ
قتلنا ابنى ربيعة حين ساروا	إلينا مصافى مضاعفة الحديدِ
وقربها حكيم يوم جاءت	بنو النجار تخاطر كالأسودِ ^(٦)

يشير الشاعر إلى انتصار المسلمين على خصومهم مشركى قريش في هذه المعركة، وإلى العون الذى قدمه بنو النجار، وهم قوم الشاعر، وكيف فشا القتل والأسر في

(١) القيسي: الشعر والتاريخ، ١٨.

(٢) الجبوري، يحيى: الإسلام والشعر (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٨٣٨هـ/ ١٩٦٤م)، ٥٧.

(٣) ابن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هيرة العصفري (ت، ٢٤٠هـ/ ٢٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، الجزء الأول (مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ١٥؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٤٦.

(٤) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ينسب إلى بدر بن يخلد بن النصر بن كنانة، وقيل هو رجل من بني صخرة كما في ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣٥٧ (بدر).

(٥) صحابي شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، عمر حتى توفي سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢٢٠؛ البكري: سمط، ١/ ١٧١.

(٦) حسان بن ثابت الأنصاري (ت، ٥٤هـ/ ٦٧٣م): ديوانه، تحقيق سيد حنفي حسنين (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م)، ٢٦٥؛ ينظر أيضاً: ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٦٨.

المشركين، وهذا ما جعل الشعر يوثق الحدث التاريخي، ويسهم في تدوينه وترسيخه وشيوعه في أوساط العرب، فكان وسيلة إعلامية كبيرة للرسالة الإسلامية بين قبائل العرب، فأصبحت وقعة بدر منعطفًا خطيرًا في انتشار الدين الجديد، وفي تعزيز ثقة المسلمين بأنفسهم، وخصوصًا أن الشعر سهل الحفظ، جميل الوقع، قوى التأثير، واسع الانتشار.

ونتيجة تعرض المسلمين إلى هجاء مستمر من شعراء مشركي قريش أخذ شعراء المسلمين من الأنصار في الرد عليهم، وهجاء المشركين بوصف الشعر أداة إعلامية مهمة، وسلاحًا لفظيًا مؤثرًا، فأخذ كعب بن مالك الأنصاري^(١) يهجو المشركين ويدافع عن المسلمين فيقول:

لَعَمْرُ أَيْكَمَا يَا بَنِي لُؤَى	على زهو لديكم وانتخاء
لَمَّا حَامَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرِ	ولا صبروا به عند اللقاء
وَرَدْنَا بِنُورِ اللَّهِ بِأَمْرِ	من الله أحكم بالقضاء
فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرِ	وما رجعوا إليكم بالسوء
فَلَا تَعْجَلْ أَبَا سَفْيَانَ وَارْقَبْ	جياذ الحيل تطلع من كداء
بَنَصْرِ اللَّهِ رُوحَ الْقُدُسِ فِيهَا	وميكال فيا طيب الملاء ^(٢)

تبدو الروح الإسلامية ومفردات الدين الجديد واضحة مما يبرز مدى تأثير العقيدة الإسلامية على هذه القصيدة، فقد تضمنت مفردات مثل: نور الله، وروح الله، وروح القدس.

في الجانب الآخر كان شاعر مشركي قريش عبدالله بن الزبيري (ت، ١٥هـ/ ٦٣٦م) يكي قتلى بدر من المشركين فيقول:

(١) صحابي توفي في خلافة علي بن أبي طالب، أحد شعراء الأنصار (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): ترجمته الأصفهاني: الأغاني، ١٦/ ١٦٤؛ السيوطي: شرح، ١/ ٣٥٣.

(٢) كعب بن مالك الأنصاري (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): ديوانه، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ١٦٩؛ ينظر: ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

ماذا على بدرٍ وماذا حوله
 تركوا ثبيها خلفهم ومنبها
 والحارث الفياض يبرق وجهه
 والعاصي بن منبه ذا مرة
 تنمى به أعراقه وجدوده
 وإذا بكى بالك فاعول شجوه
 حيا الإله أبا الوليد ورهطه
 من فتية بيض الوجوه كرام
 وابنى ربيعة خير خصم فثام
 كالبدر جلى ليلة الإظلام
 رُمحاً تميماً غير ذى أوصام
 ومأثر الأخوال والأعمام
 لعلى الرئيس الماجد ابن هشام
 رب الأنام وخصمهم بسلام^(١)

تضمن هذا الشعر رثاء للأموات، ومدحاً للأحياء، وكشفاً لجانب من ظروف
 المشركين وهزيمتهم فى وقعة بدر. كانت الحرب سجالاً بين المسلمين وبين
 خصومهم من مشركى قريش ومن حالفهم حتى كانت وقعة أحد^(٢) فى السنة
 الثالثة^(٣) من الهجرة التى خسر فيها المسلمون أمام المشركين الذين تصاعدت
 معنوياتهم فنشط شاعرهم ابن الزبعرى بالقول:

يا غرابَ البينِ أسمعْت فقل
 إن للخير وللشر مدي
 والعطيات خُساسٌ بينهم
 كلُّ عَيشٍ ونعيمٍ زائل
 أبْلَغنا حسانَ عَنى آية
 إنمّا تنطقُ شيئاً قد فعل
 وكلا ذلك وجهٌ وقيل
 وسواء قَبْرُ مُثَرٍّ ومَقْل
 ويناتُ الدَّهْرُ يلعبُ بكل
 فقريضُ الشَّعرِ يشفى ذا الغُلل^(٤)

ثمة إشارة واضحة إلى عقيدة التشاؤم من الغراب ونذره بالشؤم، وإشارة أخرى
 إلى شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت، وهى بداية لهجوم ساخن

(١) ابن الزبعرى: شعره، ٤٧؛ ابن هشام: السيرة، ٢/ ٢٦٥.

(٢) جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل فى شمالها. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ١٠٩ (أحد).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦؛ الطبرى: تاريخ، ٢/ ٤٩٩.

(٤) شعره، ٤١.

يكشف عن تصاعد معنويات المشركين بعد وقعة أحد وإحساسهم بنشوة الانتصار إلى أن يقول في هذه القصيدة أيضًا:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعَ الْأَسْلُ
حِينَ حَكَتْ بِقُبَاءٍ يَرْكُمَا	وَاسْتَمَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَثَلِ
ثُمَّ حَفَّوْا عِنْدَ ذَاكُمُ رَقَصًا	رَقَصَ الْحَفَّانِ يعلو في الْجَبَلِ
فَقَاتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ	وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاغْتَدَلُ ^(١)

وبالرغم من خسارة المسلمين في وقعة أحد وصعود معنويات المشركين بعدها، إلا أن شعراء المسلمين لم يثتهم ذلك من الرد على خصومهم لشدة عزيمة المسلمين، والكشف عن بلائهم في القتال للتقليل من قيمة نصر أعدائهم، فأجاب حسان بن ثابت ابن الزبيرى قائلا:

ذَهَبَتْ بِابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَعَةٌ	كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلُ
وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ	وَكِذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُولُ
إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةَ صَادِقَةٍ	فَاجْأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
إِذْ تَوَلَّوْنَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ	هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ النَّمْلِ
نَضَعُ الْخَطِيئَةَ فِي أَكْتَافِكُمْ	حَيْثُ نَهَوَى عِلَالًا بَعْدَ نَهْلِ
يُخْرِجُ الْاَكْدَرُ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ	كَسِلَاحِ النَّيْبِ يَأْكُلُنَ الْعَصْلُ
وَشَدَخْنَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ	مِنْكُمْ سَبْعِينَ غَيْرَ الْمُتَحِلِّ
وَأَسْرَنَّا مِنْكُمْ أَمْثَالَهُمْ	فَانْصَرَفْتُمْ مِثْلَ إِفْلَاتِ الْحَجَلِ
ضَاقَ عَنَّا الشَّعْبُ إِذْ نَزَعُهُ	وَمَلَأْنَا مِنْهُمْ الرَّجْلُ ^(٢)

تمخض هذا التهاجي بين شعراء المسلمين وخصومهم من شعراء مشرقي قریش عن انتعاش شعر النقائض الذي يقوم على المناقضة، أى ينقض الشاعر الآخر ما قاله

(١) نفسه، ٤٢؛ ابن هشام: السيرة، ٣/٦٩-٧٠.

(٢) ديوانه، ٩٣-٩٤؛ ابن هشام: السيرة، ٣/٦٩-٧٠.

الأول^(١). كان بذلك ظهور النقيضة، وهى قصيدة يرد بها الشاعر على قصيدة لخصم له فينقض معانيها عليه: يقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح على نفسه، وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويها^(٢). فكانت هذه النقائض، وما تلاها بين شعراء العصر الأموي استمراراً للهجاء القبلي عند شعراء العرب قبل الإسلام، والتي كان "كان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين"^(٣)، فكانت النقائض موضع اهتمام المجتمع العربي "لما تؤديه من دور في إثبات تفوق الشاعر على خصمه، والفوز بإعجاب المجتمع"^(٤). فكان شعراء مشرقي قرش ومن والاهم يهجون المسلمين، فيرد عليهم شعراء الأنصار ناقضين هجاءهم، فكان ذلك أول عهد حقيقى للنقائض فى الشعر العربى والتى ستزدهر فى العصر الأموي ازدهاراً تاماً^(٥) بعد أن شهد مقدماته الأولى فى صراعات شعراء القبائل، فكانت النقائض ذات أثر واضح فى تدوين الأحداث التاريخية لأنها تقوم على مهاجمة المتناقضين ومحاولة كل جانب إثبات وجهة نظره، وتقويض مبادئ وأهداف خصمه، هذا فضلاً عما حملته من مادة تاريخية ذات اتجاهين مختلفين. بيد أن ما يؤاخذ عليها أنها تقوم على الهجاء ومحاولة كل جانب النيل من صحة آراء الجانب الآخر مما يجعل الحقيقة ذات وجهين متضارين، وقد استفاد هذا النمط الشعرى فائدة مثلى من المحفزات والصراعات إذ حاول كل طرف أن يقنع المجتمع بصحة رأيه وجدوى تعرضه لخصمه، وهو فى الوقت نفسه أنعش انتشارها وقدرتها على التأثير.

وثق رثاء شهداء المسلمين فى هذه الواقعة الأحداث التاريخية، وأسهم فى انتشار

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٣/ ٧٠٥ (نقض).

(٢) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربى، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ م)، ٣٦١.

(٣) نفسه، ١/ ٣٦٣.

(٤) حمودي، جعفر صادق: النقائض فى العصر الأموي "دراسة فنية"، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة بغداد (ربيع الأول ١٤١٥ هـ/ آب ١٩٩٤ م)، ٤٣.

(٥) إبراهيم، طه أحمد: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (دار الحكمة، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦.

مبادئ المسلمين، ورسخ فكرة الاستشهاد التي كان المسلمون يقاتلون فيقتلون من أجل بلوغها للفوز بالجنة، كما في قول كعب بن مالك:

نشجت وهل لك من منشج	وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أتانى لهم	أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق	من الشوق والحزن والمنضج
وقتلهم في جنان النعيم	كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء	لواء الرسول بذى الأضوج
غداة أجابت بأسياها	جميعاً بنو الأوس والخزج
وأشياغ أحمد إذ شايعوا	على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة	ويعضون في القسطل المرهج ^(١)

تشير القصيدة على الصراع العقائدي بين الجانبين، وعلى إسناد قبيلتي الأوس والخزج لمن هاجر مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعلى طبيعة عقائد الطرفين في النظرة إلى الحياة الآخرة.

كان في رثاء عبدالله بن رواحة^(٢) (ت، ٨هـ / ٦٢٩م) لحمزة بن عبدالمطلب (ت، ٣هـ / ٦٢٤م) محاولة لاسترجاع أحداث معركة بدر، فأسهم في توثيق حدثي بدر وأحد في قصيدة واحدة مما يبرز الرؤية الشمولية للصراع، وتصميم الشعراء على الاستمرار في الدفاع عن عقيدتهم بالرغم من تزايد التضحيات، ومما قاله:

بكت عيني وحق لها بكاهها	وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا	أحمزة ذاكم الرجل القليل؟
أصيب المسلمون به جميعاً	هناك، وقد أصيب به الرسول

(١) ديوانه، ١٨٧؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ٧٠-٧١.

(٢) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري صحابي استشهد في معركة مؤتة سنة (٨هـ / ٦٢٩م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢١٥؛ السيوطي: شرح، ١/ ٢٨٨.

أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ رُبُّكَ فِي جَنَّاتٍ مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبِيرًا فَكُلُّهُ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللَّهِ مَصْطَبَرٌ كَرِيمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنَى لُؤْيَا فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَذُولُ^(١)

وكما يشير إلى مصير الشهيد حمزة بن عبدالمطلب، وهو الخلود في جنات النعيم، بعيد للأذهان نتائج وقعة بدر وما تشكله من منعطف كبير في الرسالة الإسلامية، وكيف كانت مقاتل مشركى قريش فخراً للمسلمين. فيقول:

نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقُلُوبٍ بِدْرٍ غَدَاةً أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
غَدَاةً ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرًّا جَمِيعًا وَشَبِيهَ عَضَّةِ السَّيْفِ الصَّقِيلُ
وَمَتْرَكَنَا أُمِّيَّةً مَجْلَعًا وَفِي حَيَزَوْمِ لَدُنْ نَزِيلُ
وَهَامَ بَنَى رِبِيعَةَ سَائِلُوهَا فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ^(٢)

الشاعر يُذَكِّرُ المشركين بأن انتصارهم في أحد لا يوازي هزيمتهم في بدر ومقتل كبار فرسانهم من أمثال عتبة بن ربيعة (ت، ٢هـ/ ٦٢٣م) وابنه الوليد وأخيه شيبه، مما يؤكد على أهمية الشعر في تدوين الحدث التاريخي، وعلى كون الشعر سلاحاً من أسلحة الدعوة الإسلامية، فكان أحد أدوات المعركة بين النبي^(ص) صلى الله عليه وسلم وخصومه المشركين.

كانت غزوة الخندق في شوال سنة (٥هـ/ ٦٢٦م)^(٤) تحدياً مصيرياً للمسلمين،

(١) ابن رواحة، عبدالله (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م): ديوانه، دراسة وتحقيق وليد قصاب (دار العلوم للطباعة والنشر، مطبعة المتوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٤٢؛ ابن هشام: السيرة، ٣/ ٨٨.

(٢) ابن رواحة: ديوانه، ١٣٣.

(٣) الجبوري: الإسلام والشعر، ٤٣.

(٤) ابن هشام: السيرة، ٣/ ١٢٧؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٥٦٤.

وتعبيراً عن تعبئة عسكرية متقدمة في حصار المدن، فكان الشعر وثيقة لهذا الحدث الجديد في حياة العرب المسلمين بما يكشف عن قدراتهم القتالية في مجابهة التحديات التي تحيط بهم، فهذا حسان بن ثابت يقول عن هذه الغزوة:

عرفت ديار زينب بالكثيب	كخَطِّ الوَحى فى الرِّقِّ القشيب
تعاورها الرِّياح وكُلُّ جَوْنٍ	من الوسمى منهمر سَكُوبٍ
فأمسى رسمُها خَلْقاً وأمست	يَساباً بعد ساكنها الحبيب
فَدَعُ عَنْكَ التَّذْكَرَ كُلَّ يَوْمٍ	ورَدَّ حرارة الصَّدْرِ الكئيب
وخبَّر بالذى لا عيب فيه	بصدقٍ غير أخبر الكذوب
بما صَنَعَ المليكُ غداة بدرٍ	لنا فى المشركين من النَّصيب
غداة كأنَّ جَمْعَهُمُ جِراءُ	بَدَتْ أركائسه جنح الغُروب
فلا قيناهمُ منا بجمع	كأسد الغاب من مُردٍ وشيب
أمامَ مُحَمَّدٍ قد آزورُو	على الأعداء فى وهج الحروب
بأيديهم صوارمُ مُرهفاتُ	وكُلُّ مُجربٍ حاظى الكُبوب
بنو الأوسِ الغطاريف آزرتها	بنو النُّجَارِ فى الدين الصِّلِبِ ^(١)

وفي الجانب الآخر عند مشرقي قريش كان شاعرهم عبدالله بن الزبعرى يشير إلى وقعة الخندق، واصفاً مسيرة معاشرهم بأجمعهم من أنصاب مكة إلى يثرب، حينما يصف خيلهم، وكيف وردوا المدينة وقد ارتدوا أسلحتهم للموت قاصدين النبي، صلى الله عليه وسلم، وكيف كانوا يدخلونها لولا الخنادق التي اضطرتهم إلى الرحيل، ولولا ذلك لتركوهم للطيور والذئاب، فهو يقول:

واذْكُرْ بلاءَ معاشرٍ واشْكُرْهمُ	ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصابِ مَكَّةَ عامدين يثربَ	فى ذى غياطلَ جَحْفَلِ جبجباب

(١) ديوانه، ٤٣-١٣٥.

فِي كُلِّ نَشْرِ ظَاهِرٍ وَشَعَابٍ
قُبُ الْبُطُونِ لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ
كَالسَّيْدِ يَادِرْ غَفْلَةَ الرُّقَابِ
فِيهِ وَصَخْرَ قَائِدِ الْأَحْزَابِ
غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَعْقِلُ الْهَرَابِ
لِلْمَوْتِ كُلِّ مُجَرَّبٍ قُضَابِ
وَصَحَابُهُ فِي الْحَرْبِ خَيْرُ صَحَابِ
كَدْنَا نَكُونُ بِهِمَا مَعَ الْخُبَابِ
قَتَلَى لَطِيفٍ شُعْبٍ وَذُنَابِ^(١)

يَدْعُ الْحَزُونَ مَنَاهِجًا مَعْلُومَةً
فِيهِ الْجِيَادُ شَوَازِبُ مَجْنُونَةٍ
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبِ
قَرْمَانٍ كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا
جَيْشُ غُيْنَةٍ قَاصِدٍ يَلْوَائِهِ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَدُوا
شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
نَادَا بِرَحْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قَلْتُمْ
لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

ولأن الشعر وسيلة إعلامية مهمة، فإن أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم، كعب بن مالك الأنصاري نقض هذه القصيدة على قافية القصيدة السابقة وروياها.

وقد عبرت هذه النقائص في هذه المرحلة عن بدء فكرة التناظر والحوار بين عقيدتين متعارضتين، كل منهما تحمل فكرًا وديناً وقيماً تختلف عن الأخرى، فهذا ما يقوله كعب بن مالك لسان حال المسلمين وهو يرد على شاعر المشركين ابن الزبعرى:

مِنْ خَبَرِ نَخْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ
حُمَّ الْجَذُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ
لِلجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ
عَلَفَ الشَّعِيرِ وَجِزَّةَ الْمُقْضَابِ
جَرَدُ الْمُتُونِ وَسَائِرِ الْأَدَابِ
فَعَلِ الضَّرَاءُ ثَرَاخُ لِلْكِلَابِ

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً
بِيضَاءَ مَشْرِفَةِ الدُّرَا وَمَعَاظِنَا
كَالْلُوبِ يَبْذُلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا
وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاجِ نَمَا بِهَا
عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضُهَا
قُودًا ثَرَاخَ إِلَى الصَّبَاحِ إِذَا غَدَتِ

(١) شعره، ٢٩-٣٠؛ ابن هشام: السيرة، ٣/١٥٨-١٥٩.

حوش الوحوش مطارة عند الوغى عُيس اللقاء ميينة الإنجاب
عُلفت على دعة فصارت يدنا دُخس البضيع خفيفة الأقسام
يغدون بالزحف المضاعف شكه ويمترصات في الشفاف صياب^(١)

يرد الشاعر كعب بن مالك على خصمه المشترك فينقض أفكاره مستخدماً القافية ذاتها، مستفيداً من ألفاظ القرآن ومعانيه، فكان الشعر صوتاً لإيصال أفكار الدين الجديد بين القبائل التي لم تكن تسمع عن الإسلام شيئاً إلا عن طريق ما يصل إليها من الشعر^(٢). فكان شعراء الإسلام من المهاجرين والأنصار أكثر تعبيراً عن جوهر الحدث من خلال النظرة المتروية والفاحصة لعملية الصراع بين الإيمان والشرك، عبر رؤية مترعة بالروح الإسلامية، من دون التخلي عن نزعة الافتخار بفروسية جند الإسلام وصفاتهم الإنسانية؛ وبهذا أسهم الشعر في توثيق جوانب من الحياة الواقعية بما يكشف عن طبيعة حياتهم ونظرتهم للموت وقدرتهم على مناجزة عدوهم، لذا كان للشاعر وشعره أثرهما في الحدث من خلال المشاركة الفعلية في المعركة، ففي وقعة مؤتة^(٣) التي حدثت سنة (٦٢٩هـ/٦٢٩م)^(٤) قال ابن رواحة:

جلبنا الخيل من أجأ وفرع تُغرُّ من الحشيش لها الغكوم
خدونها من الصوان سبتاً أزلَّ كأنَّ صفحته أديم
أقامت ليلتين على مُعانٍ فأعقبَ بعد فترتها جُوم
فرحنا والجياد مسومات تنفّسُ في مناخِرها السَّموم
فلا وأبى مآب لنأتيها وإن كائت بها عَرَبُ ورُوم^(٥)

وحين أخذ ابن رواحة الراية^(٦)، وقاد جيش مؤتة، كان رجزه في أثناء القتال

(١) ديوانه، ١٧٩-١٨٠؛ ابن هشام: السيرة، ٣/١٦٠.

(٢) العاني، سامي مكّي: الإسلام والشعر (عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٦٧.

(٣) مؤتة، بالهمزة، من مشارف الشام كما في ياقوت: معجم البلدان، ٥/٢١٩-٢٢٠ (مؤتة).

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٣/٣٦.

(٥) ديوانه، ١٤٩؛ ابن هشام: السيرة، ٤/٩-١٠.

(٦) ينظر الطبري: تاريخ، ٣/٣٦.

جزءًا من تفاصيل الحدث التاريخي، وتعبيرًا عن الإصرار على مبادئ العقيدة الإسلامية، وإيثار الشهادة على الحياة، فكان يقول:

أَقَسَمْتُ يَا نَفْسُ التَّزَلُّةُ
طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةُ
مَالِي أُرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةُ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً
هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَتَّةٍ
جَعَفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحَ الْجَنَّةِ^(١)

كان لحسن العاقبة عند المسلمين، وإحساسهم بأن ثواب الشهداء هو الجنة حافزًا قويًا لاندفاع ابن رواحة وقاتله المستميت، وهو يخاطب من سبقه من شهداء معركة مؤتة، فكان يجذب لنفسه ريح الجنة، فقاتل حتى لقي ربه شهيدًا، فلما وصلت الأخبار إلى المدينة رثى حسان بن ثابت شهداء مؤتة بقوله:

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ	وَإِذْ كَرَى فِي الرِّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ
وَإِذْ كَرَى مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا	يَوْمَ رَاحُوا فِي وَاقِعَةِ التَّغْوِيرِ
حِينَ وَلَّوْا وَغَادَرُوا ثُمَّ زِيدًا	نِعَمَ مَا أَوَى الضَّرِيكَ وَالْمَأْسُورِ
حِبُّ خَيْرِ الْأَنَامِ طُرًّا جَمِيعًا	سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصُّدُورِ
ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ	ذَاكَ حُزْنِي لَهُ مَعًا وَسُرُورِي
ثُمَّ جُودِي لِلخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ	سَيِّدًا كَانَ ثُمَّ غَيْرَ زُورِ
قَدْ أَتَانَا مَنْ قَتَلَهُمْ مَا كَفَانَا	فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرَ سُورِ ^(٢)

يرثي الشاعر شهداء مؤتة، فيشير إلى استشهاد زيد بن حارثة (ت، ٨هـ/

(١) ديوانه، ١٥٣.

(٢) ديوانه، ٢٢١-٢٢٢؛ ابن هشام: السيرة، ٤/٢٠-٢١.

٦٢٩م)، كما أشار ابن رواحة في رجزه إلى استشهاد جعفر بن أبي طالب (ت، ٨هـ/ ٦٢٩م)، فكان الشعر وثيقة تكشف عن التاريخ الحقيقي لوفيات من شارك في الغزوات والمعارك.

وعندما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى سنة (١١هـ/ ٦٣٢م)^(١) استنهض حسان بن ثابت قواه الشعرية، وهو الشاعر الذي جعل شعره صوتاً مدوياً في سبيل الإسلام، فرثى الرسول، صلى الله عليه وسلم، بقوله:

أَلَيْتُ حَلْفَةً بِرٍّ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ	مِنِّي أَلْيَةً بِرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ
بِاللهِ مَا حَمَلْتُ أَثْمِي وَلَا وَضَعْتُ	مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولَ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ	أَوْلَى بِدَمِّهِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادٍ
مَنْ الَّذِي كَانَ نَوْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ	مُبَارَكُ الْأَمْرِ ذَا حِزْمٍ وَإِرْشَادٍ
مُصَلِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلْيَ سَلَفُوا	وَأَبْذَلَ النَّاسَ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَادِي
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ	جَارٍ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الصَّادِي
أَمْسَى نَسَاؤُكَ عُطْلَنَ الْبُيُوتِ فَمَا	يَضُرُّنِي فَوْقَ عُرَى سِتْرِ بَأْوِتَادٍ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ	أَيَّقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي ^(٢)

يبدو أثر وقع الحدث النفسي واضحاً على الشاعر، لذا أطرى فضائل المرثى فدمج بين أسلوب الرثاء في إيلاء مظاهر الحزن اهتمامه وفي بيان مناقب شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وميزة رسالته في توكيد رسالات الأنبياء، فوصفه بأنه خير البرية وأبذل الناس بالمعروف، بينما وصفه كعب بن مالك في رثائه له بأنه خير من حملت ناقة، وأتقى البرية، وخير الأنام حين قال:

يَا عَيْنُ فَاكِكِي بِدَمْعِ ذُرَى	لَخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُصْطَفَى
وَبِكِّي الرَّسُولَ وَحُقَّ الْبُكَاءُ	عَلَيْهِ لَدَى الْحَرْبِ عِنْدَ اللَّقَا

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٥٨؛ الطبري: تاريخ، ٣/ ١٩٩.

(٢) ديوانه، ٢٠٧-٢٠٨؛ ابن هشام: السيرة، ٤/ ٢٣٦.

على حيرٍ مَنْ حَمَلَتْ نَاقَةً
على سَيدٍ ماجِدٍ جَحْفَلٍ
لَهُ حَسَبٌ فَوْقَ كُلِّ الْأَناءِ
نَخْصٌ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِهِ
وكانَ بِشِيرًا لَنَا مَنذِرًا
فَأَنقَذَنَا اللهُ فِي نَوْرِهِ
وَأَتَقَى البرِيَّةَ عِنْدَ التَّقَى
وَخَيْرَ الْأَنامِ وَخَيْرَ اللَّهَاءِ
مَنْ هَاشِمٌ ذَلِكَ الْمُتَجَمَّى
وكانَ سِرَاجًا لَنَا فِي الدُّجاءِ
وَنورًا لَنَا ضِوؤه قد أَضَاءَ
وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مَنْ لَظَأَ^(١)

ينطلق الشاعر في رثائه للنبي (صلى الله عليه وسلم) من المفاهيم الإسلامية التي أشاعتها لغة القرآن الكريم بما يوصل بين جسامته الحدث ووقع القصيدة لأنها ينبثقان من أرض إسلامية واحدة رسختها قوة تأثير الرسالة، فكان الرثاء يجمع بين فكرة الاصطفاء في النبوة ونبل النسب، مما يعنى أن الشاعر زواج بين الاختيار بالنسب عند شعراء قبل الإسلام والاعتزاز الكبير بالدين الجديد، وبشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي رأت في الشعر خير عون ضد الأعداء.

عصر الخلفاء الراشدين

ثَبَّتَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أركان الدولة العربية الإسلامية في شبه جزيرة العرب بعد أن وضع أصولها وبنى قواعدها وأوضح معالمها، فاتخذ من يثرب عاصمة لدولته التي سميت بمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومنها انتشر الإسلام وتوسعت دولته بعد أن حمل أعباءها خلفاؤه من بعده، فحرروا الأمصار وفتحوا البلدان وساهموا في إعلاء دين الإسلام فرادى وجماعات في الحرب والسلام.

كان للخلفاء الراشدين مواقف مع الشعر، فقد روى شعر لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي^(٢) (رضى الله عنهم)، كما كان عمر بن الخطاب يقول: "الشعر علم قوم

(١) ديوانه، ١٧٣.

(٢) ابن رشيقي: العمدة، ١/ ٣٢-٣٤.

لم يكن لهم علم أعلم منه"، وكان على بن أبي طالب يقول: "الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم: الشعر ميزان القوم"^(١). مما يعنى أن الشعر شكل جزءاً من ثقافة مرحلة عاشوها وظلوا يرون فيه علماً ومؤثراً على حياة العرب بعد الإسلام. وكانت لهم مواقف مع الشعراء حتى أن حسان بن ثابت خاطب عمر مرة عندما نهره عن قول الشعر بقوله: "دعنى عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير على ذلك، فقال عمر: صدقت"^(٢). ولعل ذلك هو الذى دفع بعمر إلى الكتابة إلى أبى موسى الأشعري: "مر من قبلك بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالى الأخلاق، وصواب الرأى، ومعرفة الأنساب"^(٣).

وعندما قدم الزبرقان بن بدر^(٤) إلى أبى بكر الصديق (١١-١٣هـ/ ٦٣١-٦٣٤م) فى خلافته، وهو يحمل معه أموال الصدقات فى سنة ١١هـ/ ٦٣٢م)^(٥) قال:

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت	سُعاة فلم يَرُدْزَ بعيراً مجيرها
مَعًا ومنعناها من الناس كلهم	تَراها الأعادى حَوْلَنَا ما تَضِيرُها
وأديتها من أن تُضامَ بدمتى	مَحَانِيقَ لَمْ تُدرَسْ رُكوبًا ظُهورها
أردتُ بها التقوى ومجد حديثها	إذا عُصْبَةُ سامى قَبيلى فَخُورُها
ولأنى لَمَنْ قَوْمٍ إذا عُدُّ سَعِيهم	أبى المخزيات حَبيها وقَبييرها

(١) نفسه، ٢٧/١-٢٨.

(٢) نفسه، ٢٨/١.

(٣) نفسه.

(٤) هو الحصين بن بدر التميمي، شاعر مخضرم محسن. ينظر ترجمته: الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م): المؤلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ١٨٧؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء الأول (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ)، ٥٤٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٠٥.

صِغَارُهُمْ لَمْ يَطِيعُوا وَكِبَارُهُمْ أَصُيِبَتْ مِنْهَا يَاهَا عِفَافًا صُدُورُهَا^(١)

ينطلق الشاعر من خلال امتزاج الاستجابة الذاتية بالحدث، للتعبير عن موقفه كإنسان شعر بتواصل عهد الخليفة الأول بعصر الرسالة الإسلامية، مشيرًا إلى أنه جاء بحق الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي شرعه.

وفي سنة (١٢هـ/ ٦٣٣م)^(٢) هزم القعقاع^(٣) الفرس في وقعة حصيد^(٤) فقال:

أَلَمْ يَكُنْه عَنَا حَى أَرْسَ أَنْنَا	مَنْعَنَاهُمْ مِنْ رِيْعَهُمْ بِالصَّوَارِمِ
وَأَنَا أَنْاسٌ قَدْ نَعُوذُ خَيْلِنَا	لِقَاءَ الْأَعَادَى بِالْحَتُوفِ الْفَوَاطِمِ
وَرُوزَ قَتْلِنَا حَيْثُ أَرْجَفَ خَدَّهُ	وَكُلُّ رَئِيسٍ زَارِنَا بِالْعِظَائِمِ
تَرْكْنَا حَصِيدًا لَا أَنْيْسَ يَجْرُهُ	وَقَدْ شَفِيتَ أَرْبَابَهُ بِالْأَعَاجِمِ
وَأَنْي لِرَاجِي أَنْ تَلَاقَى جُمُوعُهُمْ	غُدَيَا الْمُنْكَرَاتِ الصَّوَارِمِ
أَلَا أَبْلِغَا أَسْمَاءً أَنَّ جَيْلَهَا	قَضَى وَطَرًا مِنْ رُوزَى الْأَعَاجِمِ
غَدَاةً صَبَحْنَا فِي حَصِيدَةٍ جُمُوعُهُمْ	بِهَنْدِيَّةٍ تَفْرَى فِرَاحَ الْجَمَاجِمِ
وَرُوزَ أَصَابَتْ بِالْمَنَايَا فَأَوْجَعَتْ	سَيُوفُ بَنِي عَمْرِو يَاحْدَى الْعِظَائِمِ ^(٥)

واكبت هذه القصيدة معارك تحرير العراق، والتي أصبحت إحدى الوثائق التاريخية التي "لها قيمتها في تأكيد الوقائع وسلامة الأحداث وقدرة الشعر على تصوير التاريخ. وتثبت أحداثه وتصويره لحياة المحررين ومشاعرهم"^(٦) الإنسانية

(١) أبو عبيدة: النقاظ، ٢/ ٦١٧؛ الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٠٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٨٠.

(٣) القعقاع بن عمرو التميمي (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد الجزء الرابع (دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٠٩.

(٤) حصيد: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٦٦ (حصيد).

(٥) القعقاع بن عمرو التميمي (ت، نحو ٤٠هـ/ ٦٦٠م): شعره ضمن كتاب: شعراء إسلاميون، تحقيق نوري حمودي القيسي (منشورات مكتبة النهضة العربية - عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ٤٩.

(٦) القيسي: الشعر والتاريخ، ٥٨.

والقتالية، فكانت واضحة المعانى وثقت مقتل شخصيتين من شخصيات رجال العدو وهما "روزبة و"روز مهر"^(١).

حين توفي الخليفة أبو بكر الصديق سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) رثاه حسان بن ثابت فقال:

إذا تذكرتُ شجواً أمن أخى ثقةً	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أنقاها وأعدلها	بعد النبی وأوفاهما بما حملا
والثانى الصادق المحمود مشهده	وأول الناس منهم صدق الرُسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً	يهذى صاحبه الماضى وما انتقلا ^(٢)

يبدو على هذه الأبيات أنها متقاربة في الدلالة والمعنى مع ما جاء في رثاء حسان للنبي (صلى الله عليه وسلم)، مما يؤكد استمرارية الحدث التاريخي وتواصله، وبأن ثمة ترابطاً بين صاحب الرسالة الأول وبين من جاء بعده حين أخذ على عاتقه مسؤولية المواصلة في تنفيذ مبادئ تلك الرسالة على وفق المعيار الذى جاءت به وأرادته.

كان الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٣م) عازماً على تثبيت دعائم الدولة وتعبئة الجيوش لتحرير الأقاليم المجاورة لدولته، فابتدأ مع إمبراطورية الفرس بمعارك متواصلة كانت محدودة فى بدايتها ثم صارت مشهودة فى وقائعها بعد ذلك. ففى معركة القادسية التى حدثت سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م)^(٣) أسهم الشعر فى توثيق الأحداث، وفى بيان طبيعة الالتحام القتالى العنيف الذى التحمه المسلمون مع أعدائهم الفرس، والذى آل إلى تقويض هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ودحرها وتحرير العراق وفتح

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٣٨٠.

(٢) ديوانه، ٢١١-٢١٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣/ ٤٨٠.

خراسان وغيرها من الأقاليم المنضوية تحتها، وفي هذا الشأن يقول^(١) طليحة بن خويلد:

طرفت سليمي أرحل الركبي	إنى اهتديت بسبب سهبي
إنى كفلت سلام بعدكم	بالغارة الشّعواء والحرب
لو كنت يوم القادسية إذ	نازلتم بمهند عَضْب
أبصرت شداتي ومنصرفي	واقامتى للطعن والضرب ^(٢)

فهذا طليحة بن خويلد يوثق الأحداث عندما يوضح في شعره ملامح المعركة ويرسم صورة للترابط بين مكان المعركة وما يجري فيها من فعاليات وأدوات قتالية.

وعن تحرير بيت المقدس في سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م)^(٣) يقول زياد بن حنظلة^(٤):

تذكرت حرب الروم لما تطاولت	وإذ نحن في عام كثير نزائله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا	مسيرة شهر يينهن بلايله
وإذ أرطبون الروم يحمى بلاده	يحاوله قرم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتجها	سما بجنود الله كيما يصابله
فلما أحسوه وخافوا صواله	أتوه قولوا أنت ممن نواصله
وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها	وعيشا خصيبا ما تعد ماكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب	مواريث أعقاب بنتها قرامله

(١) هو طليحة بن خويلد الأسدي شهد معركة القادسية. ترجمته: ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): الاستيعاب في أساء الأ أصحاب بهامش كتاب الإصابة، الجزء الثاني (مط السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ)، ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م)، ٢٦١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦١٢/٣.

(٤) زياد بن حنظلة التميمي. ترجمته: ابن حجر: الإصابة، ٥٥٧/١.

وَكَمْ مُثْقَلٍ لَمْ يَضْطَلِعْ بِاحْتِمَالِهِ تَحْمَلُ عَيْثًا حِينَ شَأَلَتْ شَوَائِلَهُ^(١)

يشير هذا الشعر إلى تحرير بيت المقدس، وبلاد الشام، ومسيرة الخليفة عمر إليها، كما يشير إلى المعركة بين المسلمين مع (أرطوبون) الروم، فأصبح الشعر وثيقة تسهم في حفظ الأحداث إلى جانب مصادرهما التاريخية.

كانت معارك التحرير تتواصل بقوة وتصميم ففي وقعة جلولاء^(٢) التي حدثت سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م)^(٣) فقال هاشم بن عتبة^(٤) الذي زحف عليها من المدائن في اثني عشر ألفاً:

يَوْمُ جُلُولَاءَ وَيَوْمُ رُسْتَمَ وَيَوْمُ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ
وَيَوْمُ عَرْضِ النَّهْرِ الْمُحَرَّمِ مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ خَلَوْنَ صُرْمِ
شَبِيْنٌ أَصْدَاغِي فَهَنْ هُرْمِ مِثْلُ ثَغَامِ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ^(٥)

يحفظ هذا الشعر مكان الواقعة وقائد جيش الفرس، فيتابع زحف الجيوش وهي تعبر النهر، وما لاقاه الجيش الإسلامي الزاحف في مسيرته خلال الأيام التي سبقت التماس بين الجيشين، وقد شهد القعقاع هذه الواقعة فقال:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا فِي جُلُولَا أَكَابِرًا وَمَهْرَانٍ إِذْ عَزَّتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٦١٢-٦١٣.

(٢) جلولاء: طسوج في طريق خراسان قرب خانقين، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ١٥٦ (جلولاء).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٠٨ وفيه حدثت سنة ١٧هـ؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٥.

(٤) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المعروف بالمرقال، قتل مع علي بن أبي طالب في صيف سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م. ترجمته: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (ت، ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): الثقات، إشراف شرف الدين أحمد، الجزء الثالث (مطبعة مجالس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدين - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٤٣٧؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ٢٨).

(٥) الطبري: تاريخ، ٤/ ٣٣-٣٤.

ويوم جلولاء الوقيلة أفنيت بنو فارس لما حوثها الكتائب^(١)

لقد أشرت أبيات هاشم بن عتبة والققعاق أسماء مدن وأشخاص ترتبط بوقعة جلولاء من أمثال (جلولاء، الكوفة، رستم، مهران...) وفي ذلك إضافة مهمة للمعرفة التاريخية حُفِظَتْ لنا من خلال الشعر.

وعن طعن عمر بن الخطاب واستشهاده بعد ذلك في سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م)^(٢) يقول حسان بن ثابت:

فَجَعَلْنَا فَيُورُوزَ لَا دَرَّ دُرَّهُ بِأَبِيضَ يَتَلَوُ الْمُحْكَمَاتِ مُنْسِيبِ
رَوُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا أَخَى ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبِ
مَتَى مَا يَقْلُ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلَ فَعْلُهُ سَرِيعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرَ قُطُوبِ
مُطِيعَ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٍ بَعِيدُ الْأَنَامِ عِنْدَهُ كَقَرِيبِ^(٣)

يحدد الشاعر في رثائه اسم قاتل الخليفة، ويحكي صفات هذا الخليفة وهي: أنه رؤوف على الأدنى، غليظ على الأعداء، أخو ثقة في النائبات، لا يكذب القول، سريع على الخيرات غير قطوب، مطيع لأمر الله، عارف بالحق، يتساوى عنده البعيد من الناس كالقريب. هذا فضلاً عن تلاوته لكتاب الله، ورأفته، ونجابهته... فاستطاع توثيق خصال الخليفة شرعاً، وهذا شيء مهم يمكن أن يعتمد المؤرخ في التدوين التاريخي.

وعندما فتحت طبرستان^(٤) سنة (٣٠هـ/ ٦٥م)^(٥) في خلافة عثمان بن عفان (٢٣هـ- ٣٥هـ/ ٦٤٣- ٦٥٥م) قال كعب بن جعيل^(٦) (ت، ٥٥هـ/ ٦٧٥م) مادحاً قائد الجيش الذي فتحها:

(١) شعره، ضمن كتاب: شعراء إسلاميون، ٢٩.

(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ١٢٦؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ١٩٣.

(٣) ديوانه، ٢١٢.

(٤) إقليم في بلاد (مازندران). كما في ياقوت: معجم البلدان، ١٣م ١٣ (طبرستان).

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٤٢-١٤١؛ الطبري: تاريخ، ٤م ٢٧٠.

(٦) هو كعب بن جُعيل بن قمبر، أحد بني تغلب (ت، ٥٥هـ/ ٦٧٥م). ترجمته: الجاحظ، البيان، ١/ ٦٣.

؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٥٤٣.

فَنِعِمَّ الْفَتَى إِذْ جَالَ جِيلَانُ دُونَهُ
تَعْلَمَ سَعِيدَ الْخَيْرِ إِنْ مَظِيَّتِي
كَأَنَّكَ يَوْمَ الشُّعْبِ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ
تَسُوسُ الَّذِي مَا سَاسَ قَبْلَكَ وَاحِدٌ
وَإِذْ هَبَطُوا مِنْ دَسْتَبَى ثُمَّ أَبْهَرَا
إِذَا هَبَطْتَ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعْقِرَا
تَحَرَّذْ مِنْ لَيْثِ الْعَرِينِ وَأَصْحَرَا
ثَمَانِينَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرًا^(١)

يبين الشاعر تعداد الجيش، وهم ثمانون ألفاً، وطبيعة استعدادهم للقتال، فهم دارعون وحسرا، أى بعضهم يرتدى الدروع وآخرون حسرا، أى غير دارعين، ولعلمهم فعلوا ذلك استماتة في قتال عدوهم.

أدت الفتنة التى ظهرت أيام الخليفة عثمان بن عفان إلى استشهاده فى سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٥ م)^(٢) فرثاه حسان بن ثابت بقوله:

إِنْ تُمَسِّرِ دَارَ بَنِي عُثْمَانَ خَاوِيَةً
فَقَدْ يُصَادَرُفُ بَاغَى الْخَيْرِ حَاجَتُهُ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبَدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ
أَلَا تَتَيْبُوا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعْتَرِفُوا
فِيهِمْ حَبِيبَ شُهَابِ الْحَرْبِ يَقْدَمُهُمْ
بَابٌ صَرِيعٌ وَبَابٌ مُحَرَّقٌ خَرِبُ
فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْعُرْفُ وَالْحَسَبُ
لَا يَسْتَوِي الصُّدُقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
كَتَائِبًا غُصْبًا مِنْ خَلْفِهَا غُصْبُ
مُسْتَلْتِمًا قَدْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ^(٣)

يوثق الشاعر ما حدث فى الفتنة من فتح باب دار الخليفة وحرق باب آخر، ويستنكر ذلك ويرى فيه تجاوزاً على إمام المسلمين، فيحاول الكشف عن جوانب الحدث الغامضة من خلال هذا الشعر.

ونتيجة لما حصل من فرقة بين المسلمين كان عهد الخليفة على بن أبى طالب (٣٥ هـ - ٤٠ هـ/ ٦٥٥ - ٦٦٠ م) مضطرباً بالصراعات والأحداث الجسيمة، فقد حذر أبو

(١) الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٧٠-٢٧١.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٥٤؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٤١٥.

(٣) ديوانه، ٢١٢-٢١٣.

الأسود الدؤلي^(١) (ت، ٦٧هـ/ ٨٦٨م) من الفتنة في وقعة الجمل سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)^(٢) فقال:

أتينا الزبيرَ فدانى الكلامَ	وطلحة كالنجم أو أبعُدْ
وأحسنَ قوليهما فإوحُ	يضيقُ به الخطبُ مستنكدُ
وقد أوعدونا بجهد الوعيدِ	فأهونَ علينا بما أوعدوا
فقلنا: ركضتم ولم ترمِلوا	وأصدرتم قبل أن توردوا
فإن تلقوا الحربَ بينَ الرجالِ	فملقحُها جدُّه الأنكدُ
وإنَّ عليًّا لكم مُصجِرٌ	ألا إلهُ الأسودِ الأسودُ
أما إلهُ ثالثِ العبادِ	من بمكةَ والله لا يعيدُ
فزخوا الخناقَ ولا تعجلوا	فإنَّ غداً لكم موعدُ ^(٣)

الملاحظ على شعر أبى الأسود أن معانيه جاهلية لها صلة بالبادية، فقد شبه الحرب بالناقة، وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) بالأسد، واستفاد من مفردات الصحراء التى لها علاقة بالماء وبالورد والتصدير، وهذا ما جعل الكثير من مفردات وصور الشعر العربى قبل الإسلام تنهض من جديد، لتعود معها أفكار العصبية القبلية مشفوعة بالصراعات نتيجة شيوع الفرقة. فهذا أحد المقاتلين فى وقعة الجمل يقلب سيفه ويرتجز:

نحنُ بنى ضَبَّةِ أصحابِ الجملِ ننازلُ الموتَ إذا الموتَ نزلُ

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، أحد الفقهاء والمحدثين وواضع علم النحو (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦ م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٦١٥؛ البغدادى، عبدالقادر بن عمر (ت، ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (دار الكتاب العربى والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ٢٨١.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٤/ ٥٠٦.

(٣) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): ديوانه، تحقيق محمد حسن آل ياسين (مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٤م)، ١٠٣-١٠٤.

والموتُ أَشْهَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ نَعْنَى أَيْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ^(١)

فهو يفتخر بقومه وقبيلته، ولم يفتخر بدينه وعقيدته أو صواب رأيه، مما يدل على عودة بعض المفاهيم القديمة نتيجة توثب نكرة الانتصار للأشخاص والقبائل، ثم نموها تدريجيًا لتمهد إلى ظهور الصراعات القبلية في وقت آخر أيام الأمويين.

وظل الصراع قائمًا بين الخليفة على بن أبي طالب (ت، ٤٠هـ / ٦٦٠م) وبين والي الشام معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م) بحجة المطالبة بدم الخليفة المقتول عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (ت، ٣٥هـ / ٦٥٥م) حتى حصل الجدل في الحرب والقتال في وقعة صفين^(٢) وذلك في سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م)^(٣) فقال كعب بن جعيل التغلبي يرتجز:

أَصْبَحَتِ الْأُمَةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا يُهْلِكُ أَعْلَامَ الْعَرَبِ
غَدًا تُلَاقِي رَبَّنَا فَتَحْتَسِبُ يَا رَبُّ لَا تَشْمِتْ بِنَا وَلَا تُصِيبْ
مَنْ خَلَعَ الْأَنْدَادَ كُلًّا وَالصُّلْبُ غَدًا يَكُونُونَ رَمَادًا قَدْ كُثِبَ
بَعْدَ الْجِمَالِ وَالْحَيَاءِ وَالْحَسَبِ^(٤)

يشير الشاعر على حصول الفرقة، ونصيحته على الطرفين بالالتزام بسبيل الصدق والابتعاد عن مغريات الدنيا، لأن نهاية الحياة هو الموت، فلا ينفع الإنسان

(١) الطبري: تاريخ، ٥١٨/٤.

(٢) صفين: موقع قرب الرقة على شاطئ الفرات الغربي. كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٤١٤ (صفين).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٧٣؛ الطبري: تاريخ، ١٧/٥ وما بعدها.

(٤) المقرئ، نصر بن مزاحم (ت، ٢١٢هـ / ٨٢٧م): وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م)، ٢٢٥-٢٢٦.

بعد ذلك سوى عمل الخير والاحتساب لله، وقد بدت معاني الشاعر الأخلاقية ذات أثر ديني يلتزم بأفق التوجيه الإسلامي في حين يصف شَبْتُ بن رِبعي^(١) (ت، نحو ٨٠هـ / ٦٩٩م) مجريات القتال في هذه الواقعة فيقول:

وَقَفْنَا لَدَيْهِمْ يَوْمَ صَفَيْنَ بِالْقَنَا	لَدُنْ غَدُوَّةٍ حَتَّى هَوَتْ لَغُرُوبِ
نُجَالِدُهُمْ طَوْرًا وَطَوْرًا نَصْدُهُمْ	وَقَدْ أَرْضَتْ الْأَسْيَافُ كُلَّ غَضُوبِ
وَوَلَّى ابْنُ حَرْبٍ وَالرَّمَا حُ تُنَوِّشُهُ	عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ شَبُوبِ
بِكُلِّ أَسِيلٍ كَالْقِرَاطِ، إِذْ بَدَتْ	لَوَائِحِهَا بَيْنَ الْكُمَاةِ، لَعُوبِ
نُجَالِدُ غَسَّانَ وَتَشْقَى بِحَرِينَا	جُذَامٌ وَوَتَرَ الْعَبْدُ غَيْرُ طُلُوبِ
فَلَمْ أَرُ فُرْسَانًا أَشَدَّ حَفِيزَةً	إِذَا غَشَى الْأَفَاقَ نَفْحُ جَنُوبِ
أَكْرَ وَأَحْمَى بِالْغَطَارِيفِ وَالْقَنَا	وَكُلُّ حَدِيدِ الشُّفَرَتَيْنِ قَضُوبِ ^(٢)

يصف هذا الشعر أصحاب معاوية في هذه الواقعة وكيف كانوا يجالدونهم، ويشير إلى القبائل التي ساندتهم من أمثال غسان وجذام، ثم يصف أصحاب علي وإقدامهم في القتال مما يجعل من هذه الأبيات توثيقاً واقعياً للحدث التاريخي. لأن ما يقال في أثناء الاشتباك ينبثق انبثاقاً مباشراً من ظروف الواقع، فهذا قيس بن سعد بن عبادة^(٣) (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م) يرتجز حين اشتد سعيه الحرب فيقول:

أَنَا ابْنُ سَعْدِ زَائِهِ عُبَادَةٌ	وَالْخَزَرَجِيُّونَ رَجَالٌ سَادَةٌ
لَيْسَ فِرَارِي فِي الْوَغَى بِعَادَةٍ	إِنَّ الْفِرَارَ لِلْفَتَى قِلَادَةٌ

(١) شَبْتُ بن رِبعي من بني العجفاء من بني رباح (ت، نحو ٨٠هـ / ٦٩٩م). ترجمته: ابن دريد، أبو بكر بن الحسن الأزدي (ت، ٣٢١هـ / ١٩٦٦م): الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول (مكتبة المثني، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ٢٢٣؛ ابن حبان: الثقات، ٣٧١ / ٤.

(٢) المنقري: وقعة صفين، ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي ولي مصر (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م). ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣ / ٢٢٤؛ ابن حجر، تهذيب، ٨ / ٣٥٣.

يَا رَبَّ أَنْتَ لَقَنْتَ الشَّهَادَةَ وَالْقَتْلُ خَيْرٌ مِنْ عِنَاقٍ غَادَةٍ
حَتَّى مَتَى تُثَنِّى لِي الْوَسَادَةَ^(١)

إنه يفخر بنسبه مما يشير إلى عودة الروح القبلية عند فرسان الطرفين، فقد كان
يناجر بُسْرَ بن أَرْطَاة^(٢) (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م) من أصحاب معاوية، فكان بسر
يناجزه ويرتجز:

أَنَا ابْنُ أَرْطَاةٍ عَظِيمِ الْقَدْرِ مُرَدَّدٌ فِي غَالِبٍ مِنْ فَهْرِ
لَيْسَ الْفِرَارُ مِنْ طِبَاعِ بُسْرِ أَنْ يَرْجِعَ الْيَوْمَ بِغَيْرِ وَثَرٍ
وَقَدْ قَضَيْتُ فِي عَدُوِّي نَذْرِي يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي^(٣)

إنه لا يختلف عن خصمه قيس بن سعد في تعداد المزايا حينما يبدأ مفتخرًا بنسبه،
بما يكشف عن كون هذا الرجز يعرض واقعًا ويوثق الحالة النفسية للمقاتلين، فيديم
الصلة بين الحدث التاريخي والشعور الذاتي وما يخفى وراءه من خلفية قبلية، وكأن
الحرب أصبحت صراع فرسان، وليست صراع مبادئ وحقوق وعقائد.

كان من نتائج وقعة صفين خروج بعض أصحاب الخليفة على بن أبي طالب
اعتراضًا على النتائج التي تمخض عنها قبول التحكيم، فسموا بالخوارج^(٤)
والذين خاضعوا وقعة النهروان^(٥) ضد جيش الخلافة في سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)^(٦)،

(١) المنقري: وقعة صفين، ٤٢٨.

(٢) هو بُسْر بن أَرْطَاة بن عويمر بن عمران من لؤي بن غالب. ترجمته: ابن سعد، محمد بن سعد (ت،
٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، الجزء السابع (دار صادر - دار بيروت، بيروت، ١٣٧٧هـ/
١٩٥٧م)، ٤٠٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٢١٣.

(٣) المنقري: وقعة صفين، ٤٢٩.

(٤) وهم الذين خالفوا عليًا وأدوا إلا خلعه وإكفاره بالتحكيم، وخرجوا عليه، فسموا الخوارج. ينظر:
الأشعري، علي بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/ ٩٤١م): مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد (دار الحديث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٦٤.

(٥) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي كما في ياقوت: معجم البلدان، ٥/
٣٢٥ (نهر وآن).

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٨٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٩٢.

فكان العيزار بن الأخنس الطائي^(١) أحد الخوارج يقف بين الصفين ويقول:

و غودرت فى القتلى بصفينَ ثاويا	ألا ليتنى فى يوم صفينَ لم أؤبَ
وأصبحتُ مُيتًا لا أُجيبُ المُناديا	وَقُطِّعْتَ أَرَابًا وَأَلْقَيْتَ جُثَّةً
أشَابَ غَدَاةَ البينِ منى التَّواصيا	وَلَمْ أَرِ قَتْلَى سِنَنِسٍ وَلَقَتْلُهُم
على النَّهْرِ كانوا يَخْضِبُونَ العَواليا	ثَمَانُونَ مِنْ حَيٍّ جَدِيلَةَ قُتِّلُوا
حَنَانِيكَ فاعْفِرْ حَوْنَنَا والمساويا	يَنَادُونَ لَا لَا حُكْمَ إِلَّا لِرَبِّنَا
وَكُلُّهُ عَنِ الرَّحْمَنِ أَصْبَحَ راضيا	هَمَّ فَارِقُوا فِي اللَّهِ مِنْ جَارِ حُكْمِهِ
على النَّهْرِ فِي اللَّهِ الْخُتُوفِ القَوَاضيا	فَلَا وَاللَّهِ النَّاسَ مَا هَابَ مَعَشْرٌ
إِذَا صَالِحُ الْأَقْوَامِ خَافُوا المَخَازيا	شَهِدَتْ لَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ بِفُلْجِهِم
فَلَا يَبْعِدُنَّ اللَّهُ مِنْ كَانَ شَاريا ^(٢)	وَأَلُّوا إِلَى التَّقْوَى وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْهَوَى

يبين هذا الشعر عدد الذين قتلوا من حىي جديلة، وهم ثمانون، ويكشف عن عقيدة الخوارج الذين يرون بأن لا حكم إلا لله، فضلاً عن إشارته إلى يوم النهر، وإلى الشراء^(٣) الذين شروا أنفسهم طالين الموت في سبيل الله^(٤) فكان شعرهم ينطق بما توليهم عليهم عقيدتهم.

(١) أحد شعراء الخوارج، وقيل: إن اسمه الأخنس بن العيزار. ينظر: ابن الأَعمش، أحمد بن أَعثم الكوفي (ت، نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح، إشراف محمد عبدالمعيد خان، الجزء الرابع (مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدرآباد الدين، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ١٢٩.

(٢) شعر الخوارج، جمع وتحقيق: إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م)، ٣٢-٣٣.

(٣) اختلف في أول من شرى فقيلاً: عروة بن مرداس أخو بلال بن مرداس الخارجي، وقيل يزيد بن عاصم. ينظر: البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت، ٤٢٩هـ/١٠٣٧م). الملل والنحل، تحقيق: البير نصري نادر (دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦م)، ٥٨.

(٤) ينظر: شعر الخوارج، ١٠.

أدى الصراع الدامى بين الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين معاوية إلى استشهاده سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) فقال أبو الأسود الدؤلى مخاطباً معاوية:

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فلا قرئت عيون الشامتين
أفى شهر الصيام فجعمتمونا	بخير الناس طراً أجمعين
قتلتم خير من ركب المطايا	وخيئسها ومن ركب السفين
ومن لیس النعال ومن حداها	ومن قرأ الثانى والمئين
إذا استقبلت وجه أبى حسين	رأيت البدر راق الناظرين
لقد علمت قریش حيث كانت	بأنك خيرهم حسباً وديناً ^(١)

يعد هذا الرثاء تعبيراً عن موقف يدعم موقفه ضد معاوية، لأن أبا الأسود من أصحاب على المخلصين الذين تحسسوا فضائله، وأدركوا مكانته الدينية والاجتماعية مما يكشف عن تلازم الشعر مع الحدث التاريخي، فقد كانت وفاة الخليفة على بن أبى طالب منعطفاً حرجاً فى تاريخ الدولة العربية الإسلامية، إذ بدأ بعدها اتجاه سياسى جديد وتراث شعري له خصائص التى عادت بالقصيدة إلى صراعات القبائل ومتغيرات القوى.

(١) ديوانه، ٧١-٧٢.

الفصل الثاني

العهد السفىانى

(٤٠-٦٤ هـ / ٦٦٠-٦٨٣ م)

معاوية بن أبي سفيان بن حرب^(١) (٦٠٤هـ/٦٦٠-٦٧٩م):

استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يؤسس دولة جديدة هي الدولة الأموية في أعقاب الدولة الراشدة، بعد أن خطط لهذا الأمر منذ أمد طويل، عندما كان والياً على بلاد الشام بما يقرب من عشرين عاماً ثبت فيها ركائز حكمه ونفوذه ونجح في كسب الأعوان والمناصرين له بطرق ووسائل متعددة بعد أن سخر إمكاناته وقدراته الذاتية والإدارية والمالية من أجل تحقيق هذه الغاية، فأظهرت هذه الإمكانيات نتائجها لصالحه عندما أعلن عن قيام خلافته، فمالت إليه موازين القوى في ذلك الوقت فزادت قوته وعلا بنيان دولته.

وفي باب الشعر كان لمعاوية اهتمامات واضحة به من خلال كثرة تداول الشعر في مجالسه ورعايته للشعراء وإغداقه الأموال عليهم وتسامحه معهم حتى وإن هجوه في شعرهم، ويعكس هذا التوجه حالة من النزوع العام عند الناس نحو الشعر وتأثيره الكبير في نفوسهم، فأراد أن يكسبهم إلى جانبه ويجعلهم أحد أدوات تثبيت أركان دولته، وكان "يحتفظ عنده بأشعار مكتوبة لبعض الشعراء ليعود إليها عندما يعجز جلساؤه، أن يأتوا بها من حفظهم"^(٢)، لذا كان يقول: "الشعر أعلى مراتب

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف، ولد بمكة ونشأ فيها. بويح بالخلافة سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) قبل أن يتم الصلح بينه وبين الحسن بن علي في سنة (٤١هـ/٦٦١م)، فلما تم له الأمر سُمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد. ترجمته ابن سعد: الطبقات، ٤٠٦/٧؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٣٣/٣.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، نشره ماكس شلو يسنجر، القسم الرابع - الجزء الأول (القدس، ١٩٧١م)، ١١٣.

الأدب.. اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم"^(١) وكان يعتقد أيضًا بأن الشعر هو ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها^(٢) لذا نال منه الشعر اهتمامًا خاصًا، فقد تسامح مع الشعراء وتغاضى عن زلاتهم لحاجته إلى شعرهم في دعم خلافته.

تحرك الخوارج سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م)^(٣) فحرضهم حيان بن طبيان^(٤) السلمى بقوله:

خليلى ما بى من عَزاء ولا صَبِر	ولا إرَبَة بعد المصابين بالنَّهَرِ
سوى نهنهنات فى كتائب جَمَة	إلى الله ما تدعونى الله ما تفرى
إذا جاوزت قسطانة الرُّى بغلتى	فلستُ بسارٍ نحوها آخرَ الدَّهْرِ
ولكننى سارٍ وإن قلَّ ناصرى	قريبًا فلا أخزيكُما، مَعَ مَنْ يَسرى ^(٥)

عندما ظهرت جماعات مناوئة للدولة الأموية تحت تسميات مختلفة، اعتمدت أيضًا على الشعر لتوصيل أفكارها وعقائدها وتوثيق مواقفها ووقائعها، فالشعر الذى جاء من هذا الاتجاه كان واحدًا من موارد المؤرخ عندما دون تاريخه لما يحويه من معلومات وفيرة، فالخوارج الذين ناصبوا الدولة الأموية العداء منذ أيامها الأولى كان لشعرهم فى مناسبات وأزمان عديدة أثره فى توثيق تاريخهم، وله مآرب وأهداف كثيرة منها تحريضهم على القتال.

وفى ولاية المغيرة بن شعبة^(٦) (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م) على الكوفة كان له دور فى مطاردة الخوارج وإضعاف حركتهم، فعندما حبس المغيرة بعضهم فى

(١) ابن رشيقي: العمدة، ٢٩/١.

(٢) الجرهمي: أخبار اليمن، ٣٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ١٧٣/٥.

(٤) كان ممن ارتد يوم النهروان وعزم على الخروج. ينظر: البلاذري: أنساب، تحقيق إحسان عباس (نشر فرانكس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) ٤-١/١٤٣؛ الطبري: تاريخ، ١٧٥/٥.

(٥) شعر الخوارج، ٤٤؛ الطبري: تاريخ، ١٧٤/٥.

(٦) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صاحبى وإداري داهية. (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/٢٤٧.

سنة (٤٣هـ/٦٦٣م)^(١) قال أحد شعرائهم، معاذ بن جوين بن حصين الطائي^(٢) يحرضهم على القتال والثورة:

ألا أيها الشارون قد حانَ لامرئٍ شَرَى نَفْسَهُ لَلَّهِ أَنْ يَتَرَجَّلَا
أَقِمْتُمْ بَدَارِ الْخَاطِئِينَ جَهَالَةً وَكُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يُصَادُ لِيُقْتَلَا
فَشُدُّوا عَلَى الْقَوْمِ الْعُدَاةَ فَإِنَّمَا أَقَامْتُمْ لِلذَّبْحِ رَايَا مُضَلَّلَا
أَلَا فَاقْصِدُوا يَا قَوْمَ لِلْغَايَةِ الَّتِي إِذَا ذُكِرَتْ كَانَتْ أَبْرَ وَأَعْدَلَا
فِيَالْيَتْنَى فَيْكُمْ عَلَى ظَهْرِ سَابِحٍ شَدِيدِ الْقُصِيرَى دَارِعَا غَيْرَ أَعَزَلَا
فِيَالْيَتْنَى فَيْكُمْ أَعَادَى عَدُوْكُمْ فَيَسْقِنِي كَأْسَ الْمَنِيَةِ أَوْلَا
يَعَزُّ عَلَى أَنْ تَخَافُوا وَتُطْرَدُوا وَلَمَّا أَجْرَدَ فِي الْمُحْلِينَ مُنْصَلَا
وَلَمَّا يَفْرَقُ جَمْعَهُمْ كُلُّ مَا جِدَ إِذَا قُلْتُ قَدْ وَلَّى وَأَدْبَرَ، أَقْبَلَا^(٣)

كان أعداء الخوارج يتوجسون منهم خيفة ويهابونهم لما كانوا عليه من صلابة واندفاع نحو القتال فلا يخافون الموت لأنهم اشتروا أنفسهم من الله تعالى، إذ تبدو عقيدة الخوارج الشراة واضحة في هذا الشعر، فهو يصفهم بالشارين ويصف أعداءهم بالخاطئين حين يحرضهم على القتال ويتمنى أن يكون معهم ليشارك في قتال عدوهم، وهذا ما يجعل الشعر مؤثراً في تدوين الأحداث.

واحتدم القتال بين الأمويين والخوارج في سنة (٤٣هـ/٦٦٣م)^(٤) من أصحاب المستورد بن عُلْفَةَ الخارجي^(٥) (ت، ٤٣هـ/٦٦٣م)، فكان عمير بن أبي شاة^(٦) يضاربهم قدماً بسيفه ويرتجز:

(١) الطبري: تاريخ، ١٨٧/٥.

(٢) معاذ بن جوين بن حصين الطائي السبسي، وهو ممن ارتد يوم النهر. ينظر: البلاذري: أنساب، ٤-١ / ١٤٦؛ الطبري: تاريخ، ١٨٧/٥ وفيه اسمه معاوية.

(٣) شعر الخوارج، ٤٥؛ الطبري: تاريخ، ١٨٧/٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ١٩/٥.

(٥) ينظر ترجمته، الطبري: تاريخ، ١٨١/٥؛ ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني (ت، نحو ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الرابع (دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ١٤٣.

(٦) أخباره في الطبري: تاريخ، ١٦٨/٥.

قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي إِذَا مَا أَقْشَعُوا عَنِّي وَالتَّائِثَ اللَّثَامُ الْوَضْعُ
أَحْسُوسُ عِنْدَ الرُّوعِ نَدْبٌ أَرْوَعُ^(١)

ودعا الشاعر عبدالله بن الزَّبير الأسدي^(٢) لأخذ العبرة من موت عمرو بن العاص^(٣) (ت، ٤٣هـ/ ٦٦٣م)^(٤) فقال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ أَخْنَتُ صُرُوفِهِ عَلَى عَمْرٍو السَّهْمِي تُجْبِي لَهُ مَصْرُ
فَلَمْ يَغْنِ عَنْهُ حَزْمُهُ وَاحْتِيَالُهُ وَلَا جَمْعُهُ لِمَا أُتِيحَ لَهُ الدَّهْرُ
وَأَمْسَى مُقِيمًا بِالْعَرَاءِ وَضَلَّتْ مَكَابِدُهُ عَنْهُ وَأَمْوَالُهُ الدُّثْرُ^(٥)

كأن الشاعر يشمت بعمر و فلم يغن عنه المال والسلطان، ويغمز السياسة الأموية بصورة غير مباشرة.

وعندما استلحق معاوية بن أبي سفيان نسب زياد^(٦) معه بأبيه في سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م)^(٧) كان له هدف سياسي واضح في ذلك فقال:

أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ نِدَاءً سَمِيعًا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا
لَقَدْ كِدْتُ، لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ تَبَارَكَ رِيبَى ذُو الْعِى، أَنَا أَصَمَّمَا

(١) نفسه، ١٩٨/٥.

(٢) شاعر كوفي (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٤م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٤/١٠٨؛ البغدادي: خزنة الأدب، ٢/٢٦٤.

(٣) عمرو بن العاص السهمي القرشي، صحابي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/٤٩٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٤/٢٤٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/١٩٠.

(٥) الأسدي، عبدالله بن الزَّبير (ت، نحو ٧٥هـ/ ٦٩٤م): ديوانه، تحقيق يحيى الجبوري (دار الحرية، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٧٩.

(٦) يعرف بزياد بن أبيه، استعمله علي ومعاوية فكان من الولاة الأشداء (ت، ٥٣هـ/ ٦٧٢م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/٩٩؛ الجهمياري، محمد بن عبدوس (ت، ٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وغبراهيم اليباري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة مصطفى البابي والحلي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ٢٥.

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١٩١م؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢١٤.

ولكننى رويت فى الجلم والنهى وقد قال فيه ذو الكمال، فأحكما^(١)

فكأنه يرد بذلك بدهاء على عبدالرحمن بن الحكم^(٢) الذى كان يخاطبه:

أترضى يا معاوية بن حربى بأن تحبو كرائعك العبيدا
كأنى والذى أصبح عبداً له بالقوم قد شاركوا يزيدا
فإن ترجع فمثلك زاد خيراً وإن تاب فلم تُطع شديدا^(٣)

وإلى عبدالرحمن بن الحكم نسبت أبيات رويت ليزيد بن مفرغ الحميرى^(٤) قال فيها:

ألا أبلغ معاوية بن حربى مُغلغلةً من الرجل الهجانِ
أتغضب أن يقال أبوك عفاً وترضى أن يقال أبوك زانِ
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتانِ
وأشهد أنها ولت زياداً وصخر من سمية غير دانى^(٥)

(١) معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٢٩م): ديوانه، تحقيق فاروق سليم بن أحمد (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م)، ١١٦.

(٢) هو عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي، شاعر إسلامي متوسط محسن (ت، ٧٠هـ/ ٦٨٩م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٠، الكتبي، محمد بن شاعر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني (دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ)، ٢٧٧.
(٣) ابن بكار، الزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكى العاني (رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م)، ١٧٧.

(٤) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى، شاعر معروف (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٨١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٦.

(٥) ابن مفرغ، يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م): ديوانه، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ٢٣٠-٢٣٢. ونسبت الأبيات لعبد الرحمن بن الحكم، ينظر: الجاحظ: الحيوان، ١/ ١٤٦، ٧/ ٧٣؛ ابن بكار: الموفقيات، ١٧٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٦.

يمثل هذا الشعر نقدًا لاذعًا يحاول أن ينتصر لمناوئى الخلافة الأموية، فقد كان ابن مفرغ غير ميال للأمويين، فاستغل إجراء معاوية هذا للنيل منه، وهذا ما يجعل الشعر صورة حية للصراعات السياسية.

واعتمد معاوية على زياد بن أبى سفيان اعتمادًا كبيرًا فى تثبيت أركان دولته فولاه البصرة وخراسان^(١) وسجستان^(٢) والهند والبحرين وعمان فى سنة (٤٥هـ/ ٦٦٠م)^(٣) فكان وفيا على ولايته وانقياده لخليفته وألزم الناس الطاعة للدولة وشد من أمر السلطان مخافة الناس وجمع إليه أعمدة القوم ليغدق عليهم الأموال، وفى ذلك يقول حارثة بن بدر الغداني^(٤):

ألا مَنْ مُبْلَغَ عَنِى زِيَادًا	فنعمَ أخو الخليفة والأمير!
فأنتَ إِمَامٌ مَعْدِلَةٌ وَقَصْدٌ	وحمزٍ حينَ تحضُّركَ الأمورُ
أخوكَ خليفة الله ابنَ حربٍ	وأنتَ وزيرُهُ، نعمَ الوزيرُ
تُصِيبُ عَلَى الهوى مِنْهُ وتَأْتِي	مُحِبُّكَ مَا يُجِنُّ لَنَا الضَّمِيرُ
بأمرِ الله منصورٌ لما أرادوا	إذا جَارَ الرعيَّةَ لا تَجُورُ
يَدْرُ عَلَى يَدِيكَ لما أرادوا	من الدنيا لهم حَلَبٌ غَزِيرُ
وتقسم بالسَّوءِ فلا غنىُّ	لضَّيْمٍ بِشَتْكِكَ ولا فقيرُ
وكنْتَ حَيًّا وجئتَ على زمانٍ	خَبِيثُ، ظَاهِرٌ فِيهِ شَرورُ
تَقاسَمَتِ الرِّجَالُ بِهِ هَوَاهَا	فَمَا تُخْفَى ضَغَائِنُهَا الصُّدُورُ

(١) خراسان: بلاد واسعة مما يلي العراق كما فى ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٣٥٠ (خراسان).

(٢) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة تليها خراسان. نفسه، ٣/ ٩٠ (سجستان).

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢١٧.

(٤) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة اليربوعي، شاعر أموي (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني ٢٣/ ٤٤٤؛ ابن عساكر، علي بن هبة الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، الجزء الثالث عشر (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ١٩٧.

وخافَ الحاضرون وكلُّ بادٍ يُقيمُ على المخافةِ أو يسيرُ
فلما قامَ سيفُ الله فيهم زيادٌ قامَ أبلجُ مُستنيرُ
قوى لا منَ الحدثانِ غرُّ ولا جَزَعٌ ولا فانٍ كَبِيرُ^(١)

لقد أرخ هذا الشعر لظهور منصب الوزارة في الدولة العربية الإسلامية في أيام معاوية بن أبي سفيان، وليس كما جرت العادة بأن الوزارة لم تظهر إلا أيام العباسيين، كما تضمن إشارات واضحة تكشف عن مظاهر سياسة زياد وأسلوب تعامله مع الرعية، حتى أن الشاعر وصفه بالوزير ونعم الوزير لأنه ضبط مساحة مهمة مضطربة من رقعة الدولة؛ فكان يبذل للقريبين منه ويلتزم جانب الشدة للبعيدون عنه، ولكن معاوية الذي تميز بالدهاء كان يرغب أن يعطى المال حتى من هم بعيدون عنه لأنه سيؤدي إلى تليين مواقفهم منه كقوله لزياد حين جفا الحسن بن علي:

تدارك ما ضيعتَ مِن بعدِ خِبرةٍ وأنتَ أريبٌ بالأُمور خبيرُ
أما حسنٌ فابنُ الذي كان قبله إذا سارَ سارَ الموتُ حيثُ يسيرُ
وهل يلدُ الرثبَالُ إلا نظيرُهُ فذا حَسَنٌ شِبةٌ لَهُ ونَظيرُ
ولكنه لا يُوزَنُ الحِلْمُ والحِجَا برأى، لقالوا، فاعلمن: ئسيرُ^(٢)

فدلل بذلك الحلم وتصريف الأمور بالشكل الحسن والطيب مع الخصوم وعدم الانجرار إلى المواجهات الساخنة مع معارضيه، فعبر عن سياسة حكيمة تعمل على ردم الفجوات.

وبقيت معارك خالد بن الوليد^(٣) (ت، نحو ٢٢هـ/ ٦٤٣م) في الشام واضحة في

(١) الغداني، حارثة بن بدر (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٤م): شعره، ضمن شعراء أمويون، دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي، القسم الثاني (دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ٣٤٤-٣٤٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) معاوية، ديوانه، ٧٢.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة لقرشي المخزومي: ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣٩٤، ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠٩.

تأثيراتها على الأحداث بالمنطقة، فهي التي هيأت الظروف المناسبة لمجيء معاوية واليًا على الشام، فلما تواصل بعده ابنه عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(١) (ت، ٤٦ هـ/٦٦٦م) خلال غزواته لبلاد الروم في خلافة معاوية أظهر حزمًا عسكريًا كإبيه، وحين شتى سنة (٤٦ هـ/٦٦٦م) قال مرتجزا:

أنا بن سيف الله فاعرفوني لم يبقَ إلا حسبي ودينى
وصارم صلِّ بومي يميني^(٢)

فمال إليه الناس والتفوا حوله، حتى ليقال بأن معاوية قد اغتاز منه واغتاله في حصص^(٣)، بسبب ميله إلى عبدالله بن عباس رضى الله عنه كما في قوله:

كنا نقول: ابن حرب أحلم الناس حتى تصلى ضحى نار ابن عباس
ماذا أراد إليه بعد تجربة منه وبعد جراح ماله آس
يرجو سقاط امرئ لم يرج سقطته عند الخطابو له راج من الناس
أنهى الشفار التي ما إن يقوم لها لحم وفي العظم منه ضربة الفاس
وقد قرئت العين والأقدار غالبه لما رأيت ابن هند ناكس الراس
لا يرفع الطرف ذلاً حين قرره بالحق هذا وما بالحق من باس^(٤)

يتضمن هذا الشعر تعريضاً بمعاوية زاده استياء استشارة معاوية لأهل الشام

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي.

ترجمته: الجهشيارى: الوزراء، ٢٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/٤٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/٢٢٧-٢٢٨.

(٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت، ٢٤٥ هـ/٨٥٩م): أسماء المغتالين من الأشراف في الداهلية والإسلام، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الثاني (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤م)، ١٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٦٦.

(٤) مؤلف مجهول (القرن الثالث الهجري/ التاسع العاشر الميلادي): أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلب (دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م)، ٥٢.

فيمن يولى أمره من بعده، فأشاروا عليه بعبدالرحمن بن خالد فأضمروها في نفسه^(١). فلما مات سأل معاوية كعب ابن جعيل التغلبي عما قاله فيه لأنه كان صديقاً لعبدالرحمن فقال:

أَلَا تَبْكِي وَمَا ظَلَمْتَ قَرِيشٌ يَاعَوَالِ الْبِكَاءِ عَلَى فَتَاهَا
وَلَوْ يُثَلَّتْ دِمَشْقُ وَأَهْلُ حِمص وَبُصْرَى مِنْ أَتَاحَ لَكُمْ قَرَاهَا
فَسَيْفُ اللَّهِ أَدْخَلَهَا الْمَسْنَايَا وَهَدَّمْ حَصْنَهَا وَحَمَى جِمَاهَا
وَأَسْكَنَهَا مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ وَكَانَتْ أَرْضُهُ أَرْضًا سِوَاهَا^(٢)

وكان معاوية يشمت بابن جعيل، فجاء شعره ردّاً غير مباشر عليه، وبأن فتح الشام وملك معاوية هي من ثمرات خالد بن الوليد، فكان رثاؤه لعبدالرحمن يتضمن استمرار فضل أبيه في فتوح الشام والعراق، ومنه قوله:

أَبُوكَ الَّذِي قَادَ الْجُنُودَ مَغْرِبًا إِلَى الرُّومِ مَا أَعْطَتِ الْخَرْجَ فَارِسٌ^(٣)

وعندما توجهت الجيوش الإسلامية نحو بلاد الروم في سنة (٤٩هـ/٦٦٩م)^(٤) كانت بقيادة يزيد بن معاوية حين قال:

وَمَا أَبَالِي إِذَا لَأَقَتَ جَمُوعُهُمْ بِالْحَذَقْدُونَةِ^(٥) مِنْ جَمِيٍّ وَمِنْ مِومٍ
إِذَا اتَّكَأْتُ عَلَى الْأَنْمَاطِ مُرْتَفِعًا بِدِيرِ مُرَّانَ^(٦) عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ^(٧)

(١) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ١٦٨/٢.

(٢) نفسه، ١٦٩/٢.

(٣) ابن بكار، الزبير (ت، ٢٥٦هـ/٨٦٩م): جمهرة نسب قريش وأخبارها، إشراف حمد الجاسر، الجزء الثاني (دار اليمامة، الرياض، طبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٧٣٦. ينظر: ٧٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢٣٢/٥.

(٥) الحاذقونة: الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وغيرها. ياقوت: معجم البلدان، ٣٤٩/٢ (حندقدونة).

(٦) مُرَّان: موضع بالشام قرب دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٥٩/٥ (مران).

(٧) يزيد بن معاوية (ت، ٦٤هـ/٦٨٣م): شعره، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد. (دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م)، ٣٠.

وعندما وصلت هذه الجيوش أسوار القسطنطينية^(١) قال يزيد وهو يصف ما أصاب المسلمين المقاتلين من أمراض:

تَجْنَى، لَا تَزَالُ تُعَدُّ دُنْبًا لَتَقَطَّعَ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حِبَالِي
فِيوْشُكَ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْ بَلَائِي لَنَزُولِي فِي الْمَهَالِكِ وَارْتِحَالِي^(٢)

وفي سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)^(٣) مات الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه^(٤) فقال الجرود^(٥) بن أبي سبرة:

إِذَا كَانَ شَرُّ سَارِيَوْمًا وَلَيْلَةً وَإِنْ خَيْرُ قَصْدِ السَّيْرِ أَرْبَعًا
إِذَا مَا يَرِيدُ الشَّرُّ أَقْبَلَ نَحْوَنَا لِإِحْدَى الدَّوَاهِي الرِّيدُ جَاءَ فَأَسْرَعَا^(٦)

وبذلك تلازم الشعر مع طبيعة الأحداث فعبر عن الواقع وحياة الناس وهو أجسهم الذاتية، فالشعر رافد من روافد توثيق الحدث ووصف الظروف المحيطة به وبالناس الذين يعيشونه.

وفي سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)^(٧) وقع الطاعون في الكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة فلما ارتفع رجع فمات، فمر أعرابي بقبره وهو يدفن فقال:

أَرْسَمَ دِيَارٍ لِلْمَغِيرَةِ تَعْرِفُ عَلَيْهَا دَوَى الْأَنْسِ وَالْجِنَّ تَعْرِفُ

(١) دار مملكة الروم وعاصمتها ملكها قسطنطين الكبير وسهاها بذلك. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٤٧ (قسطنطينية).

(٢) يزيد بن معاوية: شعره، ٢٩.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٤.

(٤) صحابي معروف. ترجمته: الزيري، المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت، ٣٢٦هـ/ ٨٥٠م): نسب قريش، نشر إ. ليفي بروفنسال (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م)، ١٩٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠.

(٥) أبو نوفل الهذلي البصري (ت، ١٢٠هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ٤/ ١١٤؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/ ٤٦.

(٦) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٦-١٧.

(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٢.

فإن كنت قد لاقيتَ هامانَ بعدنا وفرعونَ فاعلم أن ذا العرشِ مُنصفٌ^(١)

صار الشعر الذى يرد فيه ذكر الأشخاص يؤثر فى حفظ الحدث التاريخى، مما يجعل عامل النسيان أقل حضوراً، كما فى قول هذا الأعرابى فى موت المغيرة بن شعبة سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) بعد أن حاول الهرب من الطاعون الذى حل بالكوفة.

كان زياد بن أبى سفيان قد طلب أوفى بن حصن الطائى سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م)^(٢) فهرب منه، فلما ظفر به قال لزياد:

إن زياداً أباً المغيرة لا يعجلُ والناس فيهم عَجَلَةٌ
خِفْتُكَ والله فاعلمنْ حَلْفَى
جئتُ إذ ضاقتِ البلاد فلم يكن عليها الخائفُ وآلُه^(٣)

ولكن زياداً لم يسمع منه اعتذاره فقتله، فقال فى هذه الحادثة عبدالله بن هَمَّام السُّلولى^(٤):

خَيَّبَ الله سعى أوفى بن حصن حين أضحى فروجَةَ الرقاء
قاده الحَيْنُ والشِّقاءُ إلى لَيْثٍ عَرِينٍ وحيَّةٍ صَمَاءٍ^(٥)

وقد بدا تأثير بيئة الصحراء على الشعر واضحاً فى هذه الأبيات، وبدا أيضاً أن الشعر لا يزال يركز فى لغته على المفردات البدوية، لما له من أثر كبير فى النفوس؛ وذلك عندما شبه زياداً بالأسد والحية كناية عن الشدة والقوة فى العمل، والقدرة

(١) المسعودي: مروح، ٢٤ / ٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢٣٥ / ٥.

(٣) نفسه.

(٤) من بني حرة بن صعصعة، وسُلولى أم بني مرة. شاعر أموي وخطيب فصيح، (ت، ٩٥-١٠٠هـ /

٧١٣-٧١٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢ / ٢٤٥؛ البكري: سمط، ٢ / ٦٨٣.

(٥) السُّلولى، عبدالله بن هَمَّام (ت، ٩٥-١٠٠هـ / ٧١٣-٧١٨م): حياته وما تبقى من شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٧)، الجزء (الرابع)، (بغداد، ربيع الأول ١٤٠٧هـ / كانون الأول ١٩٨٦م)، ١٨٥؛ الطبري: تاريخ، ٢٣٦ / ٥.

على الوصول إلى الخصم ومطاردته، كما وثق شعر السلولى ذكر أولى وخيته فى اعتذار من زياد.

وعندما طلب زياد الفرزدق^(١) فى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م^(٢) هرب منه إلى الحجاز، ولقيه فى طريقه أسد فقال:

ما كنتُ أحسبني جبانًا بعدما	لاقيتُ ليلةً جانبَ الأنهارِ
ليثًا كأنَّ على يديه رِحالَةً	جَسَدَ الْبَرَّائِنِ مُوجَدَ الْأَظْفَارِ
لما سَمِعْتُ له زمازِمَ أَقْبَلْتُ	نَفْسِي إلى وقلتُ أينَ فرارى!
فَضَرْتُ جِرونها وقلتُ لها اصبرى	وَشَدَدْتُ فى ضَيْقِ الْمَقامِ إِزارى
فلأنتَ أهونُ من زيادٍ جائِبًا	فاذهبْ إليكْ مَحْرَمَ السَّفارِ ^(٣)

وعندما قيلت هذه الأبيات فى حضرة زياد قال: "لو أتانى لأمنته وأعطيته"^(٤)، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

تَذَكَّرْ هذا القلبُ من شوقِهِ ذِكْرًا	تَذَكَّرْ شَوْقًا ليس ناسِيَهُ عَصْرًا
تَذَكَّرْ ظَميَاءَ التى ليس ناسِيًا،	وإن كان أدنى عهدَهَا حِجَبًا عَشْرًا

إلى أن يقول:

دعانى زيادٌ للعطاءِ ولومِ أَكُنْ	لأقربَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وفَرَا
وعندَ زيادٍ لو يريدُ عطاءَهُم	رجالٌ كثيرٌ قد يَرى يَهُم فَقْرًا

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم التميمي (ت، ١١٥ هـ / ٧٣٣ م): ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١ / ٣٨١؛ المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م): معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م)، ٤٦٥.

(٢) أبو عبيدة: النقااض، ٢ / ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥ / ٢٤٦-٢٤١.

(٣) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت، ١١٥ هـ / ٧٣٣ م): ديوانه، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)، ٢٥٧؛ أبو عبيدة: النقااض، ٢ / ٦١٧؛ الطبري: تاريخ، ٥ / ٢٤٧.

(٤) أبو عبيدة: النقااض، ٢ / ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥ / ٢٤٧.

فَعُوذٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابُ حَاجَةٍ غَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٌ يَكْرَاهُ
فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمْرًا^(١)

لقد أصبح الشعر وسيلة مؤثرة في كسب ولاء القبائل وصار الشعراء أدوات إعلامية لنشر الأحداث فيما بين الأمصار، ولذلك توجه الأمويون ومنذ أيام معاوية إلى تقريب الشعراء ومنحهم الأعطيات، وكانت السياسة الأموية العامة متى ما صار تباعد بين الشاعر وأحد الولاة فإنه يصار إلى احتضان هذا الشاعر من قبل وإلى آخر ليبقى ضمن دائرة الولاء الأموي، فعندما وقع التباعد بين الفرزدق والوالى زياد بن أبى سفيان احتضنه والى المدينة سعيد بن العاص (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) فأنشد في حضرته^(٢):

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ، وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمَْا حَلَالًا
وَلَكِنِّي هَجَوْتُ، وَقَدْ هَجَتْنِي مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سَجَالًا
فَإِنْ يَكُنْ الْهَجَاءُ أَحْلَى قَتْلَى، فَقَدْ قُلْنَا لَشَاعِرِهِمْ، وَقَالَا
تَرَى الشُّمَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
بَنَى عَمَّ الرُّسُولِ وَرَهْطَ عَمْرٍو، وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ، كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا^(٣)

ومن المدينة بعث الفرزدق برسالة شعر إلى زياد قال فيها:

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِيَادًا بَأْنَى قَدْ لَجَأْتُ إِلَى سَعِيدٍ
وَلَأْنَى قَدْ فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ إِلَى ذِي الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ التَّلِيدِ
فِرَارًا مِنْ شَتِيمِ الْوَجْهِ وَرِدٍّ، يَفْزُ الْأَسَدَ خَوْفًا بِالْوَعِيدِ^(٤)

(١) الفرزدق، ديوانه، ١/ ١٨٧-١٨٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٣٣.

(٣) ديوانه، ٢/ ٧٠-٧١؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٣٤.

(٤) ديوانه، ١/ ١٤٦؛ أبو عبيدة: النفاضة، ٢/ ٦١٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٩.

يبدو أن فرار الشعراء من الولاة الأشداء إلى أحد الولاة من بنى أمية أو من وجهاء قريش يسهم في حماية الشاعر من البطش، ويعزز موقف الأسرة الأموية بين قبائل العرب، وهي سياسة استمرت طيلة العصر الأموي فكأنها وسيلة من وسائل مجابهة الخصم وكسب ولاء الشاعر لتثبيت أركان الدولة ودحر خصومها، فأصبح الشعراء ينعتونهم بأفضل النعوت منها الحسب التليد وعمومة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يمنح دولتهم نوعاً من الشرعية في نظر قاطنى الأمصار البعيدة عن مكة والمدينة.

ووفد الأحنف بن قيس^(١) ومعه جماعة، منهم الحنات بن يزيد^(٢) على معاوية بن أبى سفيان فأعطى كل رجلٍ منهم مئة ألفٍ وأعطى للحنات سبعين ألفاً في سنة (٥٠هـ / ٦٧٠ م)^(٣) فقال الفرزدق:

أَتَاكُلُ مِيرَاثَ الْحُنَاتِ ظَلَامَةً وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبَةٌ
أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مَعَاوِيَ أَوْرَثَا تُرَاثَا، فَيَحْتَازُ الثَّرَاثُ أَقَارِبُهُ
فَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، عَرَفْتُ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَايِبُهُ
وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لِأَبْدَيْتُهُ، أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ
وَكَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا مَعَاوِيَ لَمْ يَكُنْ أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُقَارِبُهُ^(٤)

فغضب عليه زياد، فلما استعدت عليه نهشل و فقيم ازداد غضباً، فشخص الفرزدق إلى الشام وقال:

حَبَانِي بِهَا الْبَهْزِي، نَفْسِي فِدَاؤُهُ وَمَنْ يَكُ مَوْلَاهُ، فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ

(١) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، زعيم بني غنيم (ت، نحو ٧٧هـ / ٦٩٦ م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٩٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٦٨.

(٢) أبو منازل، أحد بني حوي بن سفيان بن مجاشع. ينظر: أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧؛ ابن دريد: الاشتقاق: ١/ ٢٤١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) ديوانه، ١/ ٤٥؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧-٦٠٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٣.

فَنَعِمَ الْفَتَى عَيْسَى ، إِذَا الْبُزْلُ حَارَدَتْ وَجَاءَتْ بُصْرَادُ مَعَ اللَّيْلِ بَارِدُ
نَحْنُهُ النَّوَاصِي مِنْ سُلَيْمٍ إِلَى الْعُلَى وَأَعْرَاقُ صَدَقٍ نَصْرٍ وَخَالِدٍ^(١)

ثم طلبه زياد، فلم يقدر عليه، فقال الفرزدق:

أَنْبِئْتُ أَنَّ الْعَبْدَ ابْنَ زَهْدَمٍ يَطُوفُ وَلِلْغِنَى لَهُ كُلُّ تَتْبَالٍ
فَإِنْ بَغَائِي إِنْ أَرَدْتُ بُغَايَتِي عِرَاضُ الصَّحَارَى لَا اخْتِبَاءَ بِأَدْغَالٍ
أَتَيْتَ ابْنَةَ الْمُرَّارِ تَهْتِكُ سِتْرَهَا ، وَلَا يُتَغْنَى تَحْتَ الْحَوِيَّاتِ أَمْثَالِي
فَإِنَّكَ لَوْ لَا قَيْتِي ، يَا ابْنَ زَهْدَمٍ ، رَجَعْتَ شُعَاعِيًّا عَلَى شَرِّ تَمْثَالٍ^(٢)

وهو يشير إلى طلب زياد له، واضطراره إلى الاختفاء في بيت نصرانية، ثم انسلاله من بيتها، فلم يقدم عليه، ثم نزل في بكر بن وائل، فأمن^(٣)، فقال يمدحهم:

تَبَغْتُ جَوَارًا فِي مَعْدٍ فَلَمْ تَجِدْ لِحُرْمَتِهَا كَالْحَيِّ بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ
أَبْرٌ وَأَوْفَى ذِمَّةً يَعْقِدُونَهَا ، وَخَيْرًا إِذَا سَاوَى الذَّرَا بِالْكَوَاهِلِ^(٤)

استخدم الفرزدق الشعر مادة يوثق بها الأحداث التاريخية التي جابهته في صراعه مع زياد، وهي أحداث ذات صلة مباشرة بشخصه وبأسلوب معاوية في مواجهة خصومه، يكثر البذل والعطاء لهم، أما مؤيدوه فإنهم يحظون بأقل من ذلك، وقد وثق شعر الفرزدق هذه الخصلة في سياسة معاوية مثلما وثق أسماء بعض الشخصيات مثل عيسى البهزي على بن زهدم، أحد بنى جواله بن فقيم، وبن مرار من بنى قيس بن ثعلبة النصرانية^(٥)، فكان شاعرًا في يديه "نبعة الشعر قابضًا عليها"^(٦) يتعامل مع الموقف تعاملًا حيًا ينبع من قراءة واعية للواقع والتراث في آن

(١) ديوانه، ١/١٦٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/٦١٠ مع اختلاف الرواية؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٤٤ مع اختلاف الرواية.

(٢) ديوانه، ٢/٧٨؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٤٥.

(٣) أبو عبيدة: النقائض، ٢/٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٤٥.

(٤) ديوانه، ٢/٩٥؛ الطبري: تاريخ، ٢/٢٤٥.

(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٢/٦١٠-٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٤٤-٢٤٥.

(٦) أبو عبيدة: النقائض، ٢/١٠٤٨.

واحد لتوسعه في علم اللغة وبراعته في الإعراب، ومعرفته بأيام العرب وأنسابهم، ووقوفه على مذاهب العرب في تأسيس الشعر^(١) بوصف الشعر جزءاً متمماً لفنون المعرفة الإنسانية، ووسيلة محكمة لتوثيق الأخبار وحفظها من الضياع ولسرعة انتشارها.

وفي سنة (٥١١هـ/ ٦٧١م)^(٢) ولي زياد بن أبي سفيان الكوفة والبصرة، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة، وخطب الناس، ثم رجع إلى البصرة، فبلغه أن حجر بن عدى^(٣) (ت، ٥١١هـ/ ٦٧١م) يجتمع إليه أصحابه فيظهر لعن معاوية، فكتب إلى معاوية، بكتب معاوية أن شده في الحديد، ثم أحمله إلى، فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم أن يمنعه، فقال: لا، ولكن سمع وطاعة، فشد في الحديد وحدث بعض الاضطرابات لمكانته في الكوفة فانحاز أصحاب حجر إلى أبواب كندة^(٤)، حتى خرج قيس بن فهدان الكندي وهو يقول:

يَا قَوْمَ حُجْرٍ دَاغُوا وَصَاوَلُوا وَعَنْ أَخِيكُمْ سَاعَةً فَقَاتِلُوا
لَا يَلْقَيْنَ مِنْكُمْ لِحْجَرٍ خَاوِلُ أَلَيْسَ فَيْكُمْ سَاعَةً فَقَاتِلُوا
وَفَارِسٌ مَسْتَلْثَمٌ وَرَاجِلُ وَضَارِبٌ بِالسِّيفِ لَا يُوَاكِلُ^(٥)

وكان زياد أمر بحبسه وطلب أصحابه ليواجههم إلى معاوية^(٦) فشهد عليه الهيثم^(٧) بن الأسود النخعي، ثم قال يعتذر:

(١) ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت، ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م): عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٦م، ٤، ٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢٥٥-٢٥٧.

(٣) هو حجر بن عدى بن جبلة بن معاوية الكندي قلته معاوية سنة (٥١١هـ/ ٦٧١م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٢١٧/٦؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م)، ٣٣٤.

(٤) ينظر التفاصيل عند الطبري: تاريخ، ٢٥٥-٢٥٦.

(٥) البلاذري: انساب، ٤-١-٢٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٢٦٠/٥ مع اختلاف الرواية.

(٦) ينظر التفاصيل واختلاف الروايات: الدينوري: الأخبار، ٢٢٣؛ المسعودي: مروج، ٣/٣.

(٧) هو الهيثم بن الأسود بن قيس بن معاوية بن سفيان النخعي. ترجمته، ابن حبان: الثقات، ٥٠٧/٥؛ ابن حجر: الإصابة، ٦١٢/٣.

ألا من عَذِيرَى من عُمَيْرٍ من عمرو
وهل لى ذنبٌ أن زياداً أرادَه
وقد حدث الأقوامُ ميتاً بأننى
فهلا إذا إن كنتُ حُرّاً منعته
يلومانى إن مالَ دهرٌ على حُجْرِ
وأصحابه يوماً بقاصمةِ الظَّهِرِ
دلفتُ له عَمَّا بداهيّةِ هِترِ
وطاعتُ عنه بالمشقّةِ السُّمْرِ^(١)

وقالت هند بنت زيد بن مخرمة حين سُيرَ حُجْرٌ إلى معاوية:

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمَنِيرُ
يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ
تَجَبَّرَتْ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرِ
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولَا
أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرُ بَنَى عَدَى
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرَدَى عَدِيًّا
يَرَى الْقَتْلَ الْخِيَارَ عَلَيْهِ حَقًّا
أَلَا يَا لَيْتَ حُجْرًا مَاتَ مَوْتًا
فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ
تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
وَطَابَ لَهَا الْخُورِيقُ وَالسَّدِيرُ
كَأَن لَمْ يُحْيِهَا يَوْمًا مَطِيرُ
تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ
وَشَيْخًا فِى دِمَشْقَ لَهُ زُنَيْرُ
لَهُ مِنْ شَرِّ أُمَّتِهِ وَزَيْرُ
وَلَمْ يُنْحَرْ كَمَا نُحِرَ النَّبْعِيرُ!
مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلُكٍ يَصِيرُ^(٢)

وجد هذا الحدث التاريخي متنفساً له في الشعر وفي نفوس أهل الكوفة، فلبى ما كان يَمُور فيها من معانى السخط والحنق والتمرد، فاستعنت طاقات الشعر الفنية للتعبير عن كل ما يدور في نفس الشاعر من معاني مختلفة، وما يجيش في أعماقه من

(١) البلاذري: أنساب، ٤-١/٦٩.

(٢) الأبيات: ابن سعد، الطبقات، ٦/٢٢٠. ينظر مع اختلاف الروايات: الدينوري: الأخبار، ٢٢٣؛ البلاذري: أنساب، ٤-١/٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/٢٨٠ وهي الرواية المعتمدة؛ المسعودي: مروج، ٣/٤-٣.

مشاعر^(١) وأحاسيس، فلما قتل حُجر بن عدى في سنة (٥١هـ / ٦٧١م)^(٢) قال على بن الغدير^(٣):

لو كان حجرٌ من بحيلةٍ لم يَنَلْ هناك ولم يُقرَع بأبيض صارِمٍ
يزيدهم أنجى أساراه بعدما جرى قتلهم ذبحاً كذبح البهائم^(٤)

وجع مالك بن هبيرة السُّكوني^(٥) جوعاً وغضب لقتل حجر، فبعث إليه معاوية رضي الله عنه بائة ألف وداراه حتى رضى^(٦) فقال على بن الغدير:

تداركتُم أمرَ الهبيري بعدما سَمَا للنيا والتى كنتَ تحذُرُ
فأضحى الهمام عاقداً ثم رايةً بمحصي ثناجيه السُّكونُ وحميرُ
يدارسهم آى الكتابِ وقلبه شَج بمصابِ أهلِ عذراءٍ مُشعرُ^(٧)

يبدو أن مقتل حُجر بن عدى وبعض أصحابه لا يخلو من نعة قبلية قائمة على التقليل من قيمة القبائل اليمانية، على الرغم من أن زياداً كان حذراً في تعامله حتى لا يقع الشَّغب بين المضرية واليمانية^(٨)، وقد كان شعر هذا الحدث مرآة واضحة تعكس تفاصيل الصراع وتعمل على ثراء الحدث السياسي والتأثير في تصويره.

(١) خليف، يوسف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ٣٥٩ و ٣٦٣.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٧٧.

(٣) هو علي بن منصور بن قيس الغنوي: ترجمته: الآمدي: المؤلف، ٢٤٧؛ المرزباني: معجم الشعراء، ١٣١.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤- ١/ ٢٦٠.

(٥) مالك بن هبيرة ابن خالد بن مسلم الكندي أو السكوني له صحبة مات زمن مروان بن الحكم (ت، نحو ٦٥هـ / ٦٨٤م).

ترجمته: ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٥٧؛ تهيب، ١٠/ ٢٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٤- ١/ ٢٦١.

(٧) نفسه، ٤- ١/ ٢٦٢.

(٨) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٠.

وعندما عزل زياد أنس بن أبي أناس^(١) سنة (٥١هـ / ٦٧١م)^(٢) وولى مكانه
خليد بن عبد الله الحنطى^(٣) قال أنس:

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلفةً يخبُّ بها البريدُ
أتعزلى وتطمعها خليداً لقد لاقت حنيفةً ما تريدُ
عليكم باليمامة فاحرثوها فأولكم وآخركم عبيد^(٤)

فذاق هذا الشعر سريعاً بين الناس لأن فيه ذكراً لعيوب الولاة، والراجح أنه كان
واحداً من أسباب عزله بعد أن أمشى في ولايته شهراً من الزمان^(٥).

وعند موت زياد بن أبي سفيان سنة (٥٣هـ / ٦٧٢م)^(٦) اختلفت أحاسيس
الشعراء في النظر إليه، وفي تلقى هذا الحدث وتوثيقه، فرثاه مسكين الدارمي^(٧) (ت،
٨٩هـ / ٧٠٧م) بألم عميق وحزن شديد إذ قال:

صَلَّى الإله على قَبْرِ وساكنه دون الثَّوية تجرى فوقه المورُ
أبا المغيرة، والدُّنيا مغيرةٌ إن امرءاً غرت الدُّنيا لمغور^(٨)

ورثاه أيضاً حارثة بن بدر فقال:

(١) هو أنس بن زعيم أو أبي أناس أو إلياس. ترجمته: الجاحظ: الحيوان، ٣/ ١١٦؛ ابن حجر: الإصابة، ١/ ١٣٢/.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٣) أبو سليمان العصري. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ١٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٥) نفسه.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٠٦؛ الطبري: ٥/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أنيف. وقيل: عامر بن شريح شاعر أموي مجيد، لقب مسكيناً لبيت قاله، (ت،
٨٩هـ / ٧٠٧م).

ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥؛ الأصفهاني: الأغاني: ٢٠/ ١٦٧.

(٨) مسكين الدارمي، ربيعة بن عامل بن أنيف (ت، ٨٩هـ / ٧٠٧م): ديوانه، تحقيق خليل العتية
وعبدالله الجبوري (مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م)، ٣٩.

لهفى عليك للهفة من خائف
أما القبور فإنهن أوانس
عمت فواضله فعم مصابه
ردت صنائعه إليه حياته
يبغى جوارك حين ليس مجير
بجوار قبرك والديار قبور
فالناس فيه كلهم مأجور
فكأنه من نشرها منشور^(١)

ومع ذلك ظهر في الطرف الآخر فرح واستبشار عند بعض الشعراء على موت
زياد منهم الفرزدق الذي قال يجيب مسكيناً:

أمسكين أبكى الله عينيك، إنما
أتبكي امرأة من أهل ميسان كافرًا
أقول له لما أتانى نعيه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا^(٢)
جرى فى ضلال دمعها إذ تحدثا
ككسرى على عدائه أو كقيصرا

ثم أجابه مسكين بقصيدة يائية يفخر عليه بعمه وخاله، لكن الفرزدق لم يكن
معنيًا بمسكين ذاته، بقدر ما كان مستاءً من هروبه من زياد، فقال الفرزدق:

وقفت بأعلى ذى قسَاء مطيتى،
فقلت عبيد الله خيرهما أبا،
فتى السن كهل الحل قد عرفت له
قبائل ما بين الدنيا وإياد^(٣)
أمايل فى مروان وابن زياد
وأدناهما عرفاً لكل جواد

كما قال أيضاً:

أبلغ زياداً إذا لاقيت جيفته
طارت فما زال ينميها قوادمها
إن الحمامة قد طارت من الحرم
حتى استغاثت إلى الصحراء والأجم^(٤)

وبقيت المراثى ذات أثر كبير فى النفوس، وفى ولاية عبيد الله بن زياد^(٥) (ت، ٦٧

(١) شعره، شعراء أمويون، ٣٤٧/٢.

(٢) ديوانه، ٢٠١/١.

(٣) نفسه، ١٥٦/١.

(٤) نفسه، ٢٢٣/٢.

(٥) ترجمته: ابن الكلبي: جمهرة، ٥١؛ ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.

هـ/ ٦٨٦م) جاء إليه الجعد بن قيس^(١) في سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م)^(٢) فأنشده مرثية عن والده زياد فأبكاه بكاء شديداً "حتى سقطت عمامته"^(٣)، فدللت المراثي على قدرتها في الإبقاء على ذكر الميت حياً في وجدان الأحياء، فضلاً عن قوة تأثير الرجز في النفوس وبخاصة أثناء المسير لأن إيقاعه يتناغم مع موكب السائرين، كما في قول الجعد بن قيس:

ابقي على عاذلي من اللوم فيما أزيلت نعمتي قبل اليوم
قد ذهب الكريم والظل الدوم والنعم الموثل الدثر الحوم
والماشيات مشية بعد النوم لبيت الجياد كلها مع القوم
سقين سماً ساعة قبل اليوم لأربع ماضين من شهر الصوم^(٤)

فكان هذا الشعر له أثره في الانتشار والرسوخ في ذاكرة الزمن، وفي استمرار شيوع الحدث لما يمتلكه الشعر من جمالية مؤثرة في النفوس وفي إضفاء الحيوية والتذوق في ترتيب الأجواء المحيطة بالحدث.

وفي سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م)^(٥) دعا معاوية لأخذ البيعة إلى ابنه يزيد من بعده "فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً، وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً، وحضره وجوه بنى أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس، وابنه يزيد عن يمينه، وبنو أمية حواله، وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه"^(٦)، وفي ذلك يقول مسكين.

إن أدع مسكيناً فإني ابنُ معشرٍ من الناس أحمى عنهم وأذودُ

(١) هو صاحب طاق الجعد بالبصرة، كان على شرط عبيد الله بن زياد.

ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٩٥.

(٣) نفسه، ٥/ ٢٩٧.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه، ٢/ ٣٠١.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٢٠/ ١٧٥.

إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلَتْهَا
لَدَى كُلِّ قَرْمُوصٍ كَانَ فِرَاحُهُ
وَهَاجَرَةُ طَلَّتْ كَأَنَّ ظِبَاءَهَا
تَلَوْدُ لَشَوِيبٍ مِنَ الشَّمْسِ فَوْقَهَا
بَنَى خَلْفَاءَ اللَّهِ مَهَلًا فَإِنَّمَا
إِذَا الْمُنْبِرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاهُ رَبُّهُ
عَلَى الطَّائِرِ الْمِيمُونِ وَالْجَدِّ صَاعِدِ
فَلَا زِلْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا وَلَا تَزَلْ
وَلَا زَالَ بَيْتُ الْمَلِكِ فَوْقَكَ عَالِيًا
تَشِيدُ أَطْنَابَ لَهُ وَعَمُودُ^(١)
تَشِيرُ الْقَطَا لَيْلًا وَهَنَ هَجُودُ
كُلِّ عَنَبٍ إِنْ كَانَتْ لَهْنَ جُلُودُ
إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ سُجُودُ
وَمُرُوانَ، أَمَّ مَاذَا سَعِيدُ
يَبُوءُهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يُرِيدُ
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ
لِكُلِّ أَنْاسٍ طَائِرٍ وَجَدُودُ
وَفُودُ تَسَامِيهَا إِلَيْكَ وَفُودُ
تَشِيدُ أَطْنَابَ لَهُ وَعَمُودُ^(١)

لقد جعل مسكين نيل يزيد للخلافة قدرًا من الرحمن ليرد على ما أشيع في المدينة
من أن سعيد ابن عثمان بن عفان^(٢) هو المرشح للخلافة، وكان أهل المدينة في حينها
يقولون:

وَاللَّهِ لَا يَنْتَالُهَا يَزِيدُ حَتَّى يَنْتَالَ رَأْسَهُ الْحَدِيدُ
إِنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ سَعِيدُ^(٣)

ويقال: قام رجل من ذى الكلاع، فأشار إلى معاوية فقال: "هذا أمير المؤمنين،
فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبى هذا - وأشار إلى السيف - ثم قال:
معاوية، الخليفة لا ثماري فإن تهلك فسائسنا يزيد

(١) ديوانه، ٣١-٣٣؛ ينظر: الأصفهاني، ١٧٦/٢٠.

(٢) سعيد بن عثمان بن عفان ولي خراسان لمعاوية (ت، ٥٨هـ/٦٧٧م).

ترجمته: ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ/٥٨٩م): المحرر، تحقيق:
إيلزه ليختن شتير (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٢؛ ابن
قتيبة: المعارف، ٢٠٢.

(٣) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ١٦٦/٢-١٦٧؛ البلاذري: أنساب، ١١٨/٥.

فَمَنْ غَلَبَ الشَّقَاءَ عَلَيْهِ جَهْلًا تَحَكَّمْ فِي مَفَارِقِهِ الْحَدِيدُ^(١)

فكان معاوية أول من بايع لابنه يزيد بولاية العهد^(٢) في الإسلام وهو لما حيًا،
فعدت سابقة وخروجًا على نظام الشورى، وإنه نظام مستوحى من نظام الحكم
الساساني الكسروي كما أشار إلى ذلك عبدالله بن همام السلولي بقوله:

لَقَدْ ضَاقَتْ رِعِيَتُكُمْ عَلَيْكُمْ تَدْرُونَ الْأَرَانِبَ غَافِلِينَا
إِذَا مَا مَاتَ كَسْرَى قَامَ كَسْرَى نَعُدُّ ثَلَاثَةً مُتَابِعِينَا
وَكُلُّ النَّاسِ نَحْنُ مُبَايَعُوهُ وَإِنْ شِئْتُمْ فَعَمَّكُمْ السُّمُونُا
وَلِنْ جِئْتُمْ بِرَمْلَةٍ أَوْ يَهْنَدٍ نَبَايَعُهَا أُمِيرَةٌ مُؤْمِنِينَا
ثُبَّتْ مُلْكُكُمْ وَإِذَا أَرَدْتُمْ بِنَا الصَّلْعَاءُ ثَلَاثَةً مُخْبِتِينَا
فِيَا لَهْفَى لَوْ أَنَّ لَنَا أَثُوفًا وَلَكِنْ لَنْ نَعُودَ كَمَا غَيْنَا
إِذَا لَضَرَبْتُمْ حَتَّى تَعُودُوا بِمَكَّةَ تَلْحَسُونَ يَهْنَا السُّخْنَا
خَشِينَا الْغَيْظَ حَتَّى لَوْ شَرَبْنَا دُمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوَيْنَا
ضَعُوا كَلْبًا عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنَا وَسَرَحَكُمْ أَصَاغِرُ وَرَثُونَا^(٣)

فلما سمع معاوية ذلك قال: "ما ترك ابن همام شيئًا، غيرنا بالسَّخِينَة، وذَكَّرنا
أَمَهَاتَنَا وَتَهَدَّدَنَا وَذَكَرَ أَنَّهُ لَوْ شَرَبَ دُمَاءَنَا مَا اشْتَفَى، اللَّهُمَّ اكْفَاهُ"^(٤). فكان شعره
خيرَ وسيلة للاحتجاج ضد نظام الوراثة الذي كان شائعًا في النظام القبلي في عصر
ما قبل الإسلام، ونتيجة لظهور النظام الوراثي في الحكم أيام الأمويين حمل الشعر
ما يمكن أن يقال بأن ثمة اتجاهاتٍ معارضة له في المجتمع كقول عُقْبِيَّة الأَسَدِي^(٥):

(١) المسعودي: مروج، ٢٨/٣ مع شيء من الاختلاف؛ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي
(ت، ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأمالي، مراجعة محمد جواد الأصمعي، الجزء الأول (دار الكتب العلمية،
بيروت، دون تاريخ) ١٦١.

(٢) المسعودي: مروج، ٢٨/٣.

(٣) ما تبقى من شعره، ٢١٨-٢١٩.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤-١/٦٤.

(٥) هو عُقْبِيَّة أو عَقْبَة بن الحارث الأَسَدِي. ترجمته: البكري: سمط، ١/١٤٩؛ السيوطي: شرح، ٢/

معاوى إننا بشرٌ فاسجح
أكلتُم أرضنا فجردتموها
أنطمعُ فى الخلود إذ هلكنا
فهبها أمةٌ هلكت ضياعاً
دعوا حقَّ الإمارة واستقيموا
وأعطونا السَّوية لا تَزركُم
فلسنا بالجبّال ولا الحديد
فهل من قائم أو من حصيد
وليس لنا ولا لك من خلود
يزيدُ يسوسها وأبو يزيد
وتأمل الأراذل والعبيد
جنود مردفات بالجنود^(١)

وحين بلغ معاوية أرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه، فأنشأ يقول:

إذا المنبر الغربى حلّ مكانه فإن أمير المؤمنين يزيد^(٢)

فكان للشعر أثره في تدوين هذا الحدث وتقليل أصوات المعارضين ضده، بعد أن جعل معاوية المال وسيلة في كسب مؤيديه والرد على خصومه، فاتخذ الشعر أحد أسلحته المؤثرة في هذا الاتجاه مما يدل على دهائه في مواجهة خصومه.

وعندما ولى سعيد بن عثمان (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) خراسان في سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م) تواصلت الأخبار إليه بأنه كان هنالك قوماً يبطن فلج^(٣) "يقطعون على الحاج ويخيفون السبيل"^(٤) فأخرج معه قوماً، منهم مالك بن الرب^(٥)، فلما عبروا النهر خرج إليهم أهل السغد^(٦)، فقال مالك بن الرب يذم سعيداً:

ما زلت يوم الصغد ترعد واقفاً، من الجبن حتى خفت أن تنصراً

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٥-٢٢٦؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٢٧٠.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٦. والبيت في ديوان مسكين مع شيء من الاختلاف. ينظره ٣٣.

(٣) فلج: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٧١ (فلج).

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٥) مالك بن الرب المازني، شاعر إسلامي نشأ في بادية البصرة (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م).

ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٣٠٤.

(٦) كورة قصبها سمرقند، وهي من جنات الدنيا الأربع. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٤٠٩ (الصغد).

وما كَانَ فِي عِثْمَانَ شَيْءٌ عَلِمْتُهُ سَوَى بَسَلِهِ فِي رَهْطِهِ حِينَ أَدْبَرَا
وَلَوْ كَانَ بَنُو حَرْبٍ لَطَلَّتْ دِمَاؤُكُمْ بَطُونُ الْعِظَايَا مِنْ كُسِيرٍ وَأَعُورَا^(١)

وعندما قتل سعيد بن عثمان قال أبو قطيفة^(٢) يرثيه:

يَا عَيْنُ جُودِي بَدَمَعَ مِنْكَ تَهْتَانَا وَأَبْكَى سَعِيدَ بْنَ عِثْمَانَ بْنَ عَفَانَا
إِنْ ابْنُ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدُقْ مُودَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بْنَ سِيحَانَا^(٣)

وابن سيحان^(٤) هو الذي قال يعتذر:

يَقُولُ خَلِيلِي قَدْ دَعَاكَ فَلَمْ تَجِبْ وَذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ
فَإِنْ كَانَ نَادَى دَعْوَةً فَسَمِعْتَهَا فَشَلَّتْ يَدِي وَاسْتَكَمَنِي الْمَسَامِعُ
يَلُومُونَنِي إِنْ كُنْتُ فِي الدَّارِ حَاسِرًا وَقَدْ فَرَّ عَنْهُ خَالِدٌ وَهُوَ دَارِعُ^(٥)

فقال بعضهم يجيبه:

فَإِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَكِنْ رَأَيْتَهُ بَعِينُكَ إِذْ مَجْرَاكَ فِي الدَّارِ وَاسِعُ
فَأَسْلَمْتَهُ لِلْسُّغْدِ تَدْمِي كُلُّوْمُهُ وَفَارَقْتَهُ وَالصَّوْتُ فِي الدَّارِ شَائِعُ
وَمَا كَانَ فِيهَا خَالِدُ اللَّؤْمِ مُعْذِرًا سَوَاءً عَلَيْهِ صَمٌّ أَوْ هُوَ سَامِعُ

(١) مالك بن الريب (ت، ٦٠هـ / ٦٨٠م): شعره، شعراء أمويون، ١/ ٢٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٦.

(٢) هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، شاعر محسن (ت، ٧٠هـ / ٦٩٠م).

ترجمته: ابن بكار: نسب قريش، ١٤٦؛ ابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ / ٩٠٨م). من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام، تحقيق محسن غياض عجيب ومصطفى عبداللطيف جياووك (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ١٠٥.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١/ ٤٦. قيل إن الأبيات لخالد بن عقبة بن أبي معيط. ينظر: البلاذري: أنساب، ١١٨/٥.

(٤) هو عبدالرحمن بن أرتاة، وقيل: عبدالرحمن بن سيحان بن أرتاة بن سيحان من بني جسر بن محارب.

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨.

(٥) البلاذري: أنساب، ١١٨-١١٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨ برواية أخرى.

فلا زلثما فى حالِ سوءِ ذميمةٍ ودارت عليكم بالبلاء القوارعُ^(١)
وقال بعض ولد أبى مُعيط يرثيه:
يا نفسُ موتى حَسرةً وابكى هَبلت على سعيدٍ
وابكى لقرمٍ ماجِدٍ بين الخليفة والوليدِ
ولقد أصُبت بغدرةٍ وحملت حتفَكَ من بعيدٍ^(٢)

وكان مقتل سعيد المريب حافزاً لإثارة النفوس واستدرار العواطف، وهو الذى كان مثار اهتمام أهل المدينة "فبينما سعيد فى حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعلمون بالمسامى إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده وقتل السغد أنفسهم وتسورت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيداً"^(٣) فوصفته ابنته مردانة بالشهيد ابن الشهيد، وكأنها تستعيد مقتل أبيها وتتساءل عن هذا الحنف المثير:

يا عينُ أذرى دمعَةً وابكى الشهيد ابن الشهيد
فلقد قُتلت بغرّةٍ وجلبت حتفَكَ من بعيدٍ^(٤)

فقد كانت توليته على خراسان مثار إحساس بالخوف واعتقاد بقرب النهاية، وشهور بالغرابة، كما أظهر ذلك مالك بن الريب فى صحبته له وراثته لنفسه:

ألا ليت شعرى هل أبيتَ ليلةً بجَنبِ الغُضا أزجى القلاصِ النواصيا
فليت الغُضا لم يقطع الرُكبُ عرضَه وليت الغُضا ماشى الرُكابَ لياليا
لقد كان فى أهلِ الغُضا لو دنا الغُضا مزار لوكن الغُضا ليس دانيا
ألم ترنى يعتُ الضلالةَ بالهدى واصبحتُ فى جيشِ ابنِ عَفانَ غازيا

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٢/٢١٨-٢١٩.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/١١٩.

(٣) نفسه.

(٤) ابن بحيب: أسماء المغتالين، ٢/١٦٨.

وأصبحتُ فى أرضِ الأعادى بعدما أرانى عن أرضِ الأعادى قاصياً^(١)

فكأنَّ الشاعر رأى نهايتهما القريبة، ففضى كل منهما نحوه الواحد بعد الآخر بطريقة مثيرة وحزينة كانت ماثراً تساؤلات وهو اجس مستمرة.

وفى سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)^(٢) اشتدت ملاحقة عبيد الله بن زياد للخوارج، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفى الحرب جماعة أخرى، فاضطر أحدهم إلى ترك مجالسة أخوته فقال:

ما زالَ بى صَرفُ الزمانِ وريبُهُ حتى رَفَضْتُ مَجالِسَ الفَتِيانِ
وَأَلَفْتُ أَقْواماً لَغَيرِ مَوَدَّةٍ وَهَجَرْتُ غَيرَ مُفارقِ إِخواني
وأَفَضْتُ فى لَهوِ الحَدِيثِ وَهَجَرِهِ بَعْدَ عَتيادِ تَلاوَةِ القُرْآنِ^(٣)

ثم خرج أبو بلال مرداس بن أدية^(٤) فى أربعين رجلاً إلى الأحواز، فبعث إليهم ابن زياد جيشاً فهزمهم الخوارج^(٥)، فقال رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة:

أَلَفَّا مُؤمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ^(٦) أَرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذاكِ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الخَوارجَ مُؤمِنُونَ
هِيَ الفِئَةُ القَلِيلَةُ قَدْ عَلمْتُمْ عَلى الفِئَةِ الكَثِيرَةِ يُنصَرُونَ^(٧)

وصف الخوارج بالمؤمنين، وبالفئة القليلة التى انتصرت على الفئة الكثيرة، فكانوا يصفون أنفسهم بأهل الحق الذى ضيق عليهم الولاية المنافذ وطاردوهم حتى سئموا من هذه المطاردة فقال أبو بلال:

(١) شعره: شعراء أمويون، ١/ ٤١-٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٢.

(٣) شعر الخوارج، ٤٨؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/ ١٥٥.

(٤) هومراوس بن حدير بن عبيد بن كعب، وأدية أمه، وهو من بني ربيعة بن حنظلة.

ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٤/ ١٣٦.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥.

(٦) اسم موضع رب أريحان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٥٣ (أسك).

(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤.

إلهى هَب لى زلفَةً ووسيلةً
وقد أظهرَ الجورَ الولاةُ وأجمعوا
وفيكَ إلهى إن أردتُ مغيّرُ
فقد ضَيّقوا الدّنيا علينا برحّها
فيا رب لا تسلم ولا تَكُ للرّدى
إليكَ قد سئمتُ من الدّهرِ
على ظُلم الحقِّ والغدرِ والكُفرِ
لكلِّ الذى أتى إلينا بنو صخرِ
وقد تركونا لا نقرُّ من الدّعْرِ
وأيدّهم يا ربُّ بالنصرِ والصبرِ^(١)

يشير هذا الشعر إلى ثبات وقوة وإصرار الخوارج في التصدى لخصومهم أثناء اللقاء، ويكشف عن تجردهم عن مغريات الحياة، وادعائهم بأنهم يقاتلون لتطبيق مبدأ العدل والشورى في الحكم، فكان الشعر صورة صادقة لحياتهم.

وعندما عزل عبد الرحمن بن أم الحكم^(٢) عن الكوفة في سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)^(٣) وولى فيما بعد عبد الرحمن بن زياد^(٤) خراسان، قال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أبلغ عبيد الله عنى فإننى
وعلى قفرو إذ هابهُ الوفدُ كلّهم
وكان يُمارى من يزيد بوقعةٍ
فتقصيه من ميراثِ حرب ورهطه
وأصبح لما أسلمته حبالهم
رमितُ ابن عَوْذ إذ بدت لى مقاتلُهُ
ولم أكُ أشوي القرنِ حتى أناضلُهُ
فما زال حتى استدرجته حبالُهُ
وآلٌ إلى ما ورثته أوائله
ككَلْبِ القطارِ حلَّ عنه جلالُهُ^(٥)

وفي تعولية عبد الرحمن بن زياد قال زياد بن عمرو العتكي^(٦) أيضًا:

سألناه الجزيلَ فما تَلَكّا
وأعطى فوق مُنيتنا وزادا

(١) شعر الخوارج، ٥١؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/١٥٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي.

ترجمته: ابن حبيب: المحبّر، ١٠٥؛ بن حزم: جمهرة، ٢٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/٣١٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٢١١.

(٤) عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان، ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.

(٥) ديوانه، ١١٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٢١١.

(٦) كان في قمة الصراع القبلي بعد قتل مسعود بن عمرو. ينظر: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/٤٨٣.

وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُذْنَا وَأَحْسَنَ ثُمَّ عُذْتُ لَهُ فَعَادَا
مِرَارًا لَا أَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَتَنَى الْوَسَادَا^(١)

يعتبر الشعر أصدق تعبير عن الأحداث السياسية والجوانب الإنسانية التي يعيشها الأفراد لارتباطه بالوعى واتصاله المباشر بالواقع.

وكان عبا بن زياد بن أبى سفيان يحارب الترك بجبهة سجستان فشحت إعلان دوابهم فتمنى يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى أن تكون لحية عباد حشيشًا لتكون علفًا لخيول المسلمين فقال:

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى عَادَتْ حَشِيشًا فَتَعْلِفُهَا خَيُْولُ الْمُسْلِمِينَا^(٢)

فكان ذلك بداية لنشوب الهجاء بين ابن المفرغ وبنى زياد فى سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)^(٣) فقد كان عباد عظيم اللحية، فلما سمع عباد الشعر طلبه فهرب منه، وأوغل فى الهجاء، فكان مما هجاه به قوله:

إِنْ زِيَادًا وَنَافِعًا وَأَبَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
إِنْ رَجَالًا ثَلَاثَةَ خُلُقُوا مِنْ رَجِمِ أَنْثَى مُخَالَفَى النَّسَبِ
ذَا قَرَشَى، كَمَا يَقُولُ، وَذَا مَوْلَى، وَهَذَا بَزَعُوهُ عَرَبَى^(٤)

ومن هجائه أيضًا:

أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانَى^(٥)

وقد رأى ابن مفرغ فى الطعن بنسب آل زياد وسيلة للهجاء والنيل منهم، فكان هذا ينتشر انتشارًا سريعًا، حتى أن ابن مفرغ ادعى أمام معاوية بأنه لم يقل الأبيات

(١) الجهشيارى: الوزراء، ٢٩.

(٢) ديوانه، ٢٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٣١٧/٥.

(٣) نفسه، ٣١٧/٥.

(٤) ديوانه، ٧٩-٨٠.

(٥) ينظر: ديوانه، ٢٣٠-٢٣٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/٧٨-٧٩؛ الطبري: تاريخ، ٣١٨/٥.

السابقة^(١). مما يعنى أنه ربما مُحل عليه في هذا الهجاء الشيء الكثير وأن معارضى الأمويين ساهموا في صعيد الصراع بين الجانبين، فكان ابن المفرغ يعرض بنسب آل زياد ويقول:

فَأَقْسِمُ مَا زِيَادٌ مِنْ قَرِيْشٍ وَلَا كَانَتْ سُمِّيَّةٌ مِنْ تَمِيمٍ
وَلَكِنْ نَسْلُ عَبْدِ مَنْ بَغَى عَرِيقِ الْأَصْلِ فِي النَسَبِ اللَّثِيمِ^(٢)

واتسع الهجاء حتى حملت إليه بعض الأبيات باللغة الفارسية^(٣)، فهرب ابن مفرغ على البصرة فأجاره المنذر بن الجارود^(٤) فلما أمسك به عبيد الله بن زياد^(٥) فهجا المنذر فقال:

تَرَكْتُ قَرِيْشًا أَنْ أَجَاوَرَ فِيهِمْ وَجَاوَرْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمَشْقَرِ
أَنْأَسُ جَاوَرُونَا فَكَأَنَّ جَوَارَهُمْ أَعَاصِيرَ مَنْ فَسَوِ الْعِرَاقِ الْمُنْذِرِ
فَأَصْبَحَ جَارِي مِنْ جُذَيْمَةٍ نَائِمًا وَلَا يَمْنَعُ الْجَيْرَانَ غَيْرَ الْمَشْمُرِ
فَهَلَا بَنَى اللَّفَاءُ كُنْتُمْ بَنَى اسْتَهَا فَعَلْتُمْ فَعَالَ الْعَامِرَى بَنَ جَعْفَرِ
حَمَى جَارَهُ بَشْرَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ بِأَلْفٍ كَمْى فِي الْحَدِيدِ مَكْفَرِ^(٦)

ولذلك تحمّل ابن المفرغ عذابًا قاسيًا رسمه في هذه الأبيات فقال:

أَصَابَتْ عَذَابِي اللَّوْنُ فَالْلَوْنُ شَاجِبُ كَمَا الرَّأْسُ مِنْ هَوْلِ الْمَنِيَّةِ أَشِيبُ
قُرْنَتْ بِخَنْزِيرٍ وَهَرٌّ وَكَلْبِيَّةُ زَمَانًا وَشَانَ الْجِلْدَ ضَرْبٌ مَشْدَبُ
وَجَرَعْتُهَا صَهْبَاءَ مَنْ غَيْرِ لَذْوِ تَصَعَّدَ فِي الْجُثْمَانِ ثُمَّ تَصُوبُ

(١) الطبري: تاريخ، ٣١٨/٥.

(٢) ديوانه، ٢٠٦. ينظر: بائيته، ٧٩-٨٠.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ، ٣١٩/٥.

(٤) هو المنذر بن بشر بن عمرو بن حنش بن الملى من بعد القيس. ابن قتيبة: المعارف، ٣٣٨-٣٣٩؛ ابن

عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٣/٦٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ٣١٨-٣١٩.

(٦) ديوانه، ١٣٥-١٣٦؛ الطبري: تاريخ، ٣١٩/٥.

وَأَطْعِمْتُ مَا إِنْ لَا يَحْمِلُ لِأَكْلِ وَصَلَيْتُ شَرْقًا، بَيْتُ مَكَّةَ مَغْرِبٌ^(١)

فأشار إلى أنه قرن مع خنزير وهرة، وتعرض للضرب وأجبر على شرب المسهل، وأكل ما لا يحمل أن يؤكل، واضطراره إلى الصلاة وهو مشدود إلى جهة غير القبلة، كما وصف حالته في السجن فأشار إلى حياة قعود حارسه وإلى قيوده فقال:

حَيَّ ذَا الزُّورِ وَانْهَ أَنْ يَعُودَا إِنَّ بِالْبَابِ حَارَسِينَ قَعُودَا
مَنْ أَسَاوِيرَ لَا يَنْوِنُ قِيَامًا وَخَلَاخِيلُ تُسَهِّرُ الْمُؤَلُودَا
وَطَمَاطِيمَ مَنْ سَبَابِيحُ غُتِمَ يَلْبَسُونِي مَعَ الصَّبَاحِ الْقَيُودَا^(٢)

فكان شعر ابن المفرغ خلال مدة مكوثه في السّجن وثيقة مهمة تشير إلى أوضاع السجناء وطريقة معاملتهم، وأساليب التعذيب الجسدى والنفسى، كما وصف حالته في السجن وهو مقيد بالأغلال وعلى بابه حارسان فصور ذلك تصويرًا وثائقيًا حيًا يكشف عن طريقة السجن ودرجات المسجونين، فكان كالأسير الذى يتحسر على أيامه الخالية أيام العزّ واللّهو والصيد حيث يقول:

دَارَ سَلَمَى بِالْخَبْتِ ذَى الْأَطْلَالِ كَيْفَ نَوْمُ السَّيْرِ فِى الْأَغْلَالِ
أَيْنَ مَتَى السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي فَارْجَعْنِي لِي تَحْتَى وَسْؤَالِي
أَيْنَ مَنَى نَجَائِي وَجِيَادِي وَغَزَالِي، سَقَى إِلَهُ غَزَالِي
أَيْنَ لَا أَيْنَ جُتْنِي وَسَلَامِي وَمَطَايَا سَيَّرْتُهَا لَارْتَحَالِي^(٣)

وهذا ما ولد في نفسه شعورًا بالندم على مفارقتِهِ لسعيد بن عثمان فقال:

إِنْ تَرَكْنِي سَعِيدَ بْنَ عَثْمَا نَفْسِي الْجُودِ نَاصِرِي وَعَدِيدِي
وَاتَّبَاعِي أَخَا الصَّرَاعَةِ وَاللَّوْ مَ لِنَقْصٍ وَفُوتِ شَأْوِ بَعِيدِي

(١) ديوانه، ٥٥-٥٦.

(٢) نفسه، ١٠٠.

(٣) نفسه، ١٨٥.

قلت، والليل مطبقٌ بعراه ليتنى مُتٌ قبلَ تركِ سعيد^(١)

ثم عرض ابن المفرغ للمحاكمة أمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان ادعى أن بعض ما نسب إليه قاله عبدالرحمن بن أم الحكم، فقال عبدالرحمن حين غضب عليه معاوية^(٢) وحرمه عطاءه:

لأنت زيادةٌ فى آل حرب أحبُّ إلى من إحدى بنائى
أراك أخًا وعمًّا وابن عمًّا ولا أدرى بغيبٍ ما ترانى^(٣)

وحين أطلق معاوية سراح ابن المفرغ قال:

عَدَسٌ مَا لِعَبَادَ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجُوتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ^(٤)

تبدو الصلة بين الشعر والسلطة السياسية وثيقة وقوية، لأن الشاعر يستخدم الشعر وسيلة إعلامية مؤثرة فى نفوس الناس فتنتقل قصائده بسرعة من مكان إلى آخر، وحين يحصل الاصطدام بين طرفين أو أكثر بسبب تباين الأهداف والاتجاهات فإن مظاهر هذا الاصطدام ستتحول إلى مادة تاريخية واضحة المعالم، فكان معاوية واعيًا لأثر الشعر فى النفوس حين عفا عن ابن مفرغ واستماله إلى جانبه حفاظًا على ولاء قبائل اليمن لدولته؛ وبهذا سجل الشاعر فى شعره وثائقه التاريخية التى تحمل بعض اللّمحات الاجتماعية، كظروف السجناء وأساليب التعذيب وصراع القبائل وحمايتها لشعرائها، وميل الشعراء نحو الطعن بالأنساب واستغلالها هذا الطعن وسيلة للنيل من الخصوم.

وأثناء علة معاوية التى مات بها سنة (٦٠هـ / ٦٧٩م)^(٥) قال:

لَعَمْرِي، لَقَدْ عُمِّرْتُ فى الدَّهْرِ بِرَهَةٍ ودأنت لى الدنيا بوقع البواترِ

(١) نفسه، ١٠٩-١١٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٠.

(٣) نفسه.

(٤) ديوانه، ١٧٠.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢١٥ وفيه سنة ٥٩؛ الطبري تاريخ، ٣٢٦.

وَأَعْطِيتُ حُمْرَ الْمَالِ وَالْحُكْمَ وَالنُّهَى
فَأَضْحَى الَّذِي كَانَ مِمَّا يَسْرَنِي
فِيَالْيَتْنَى لَمْ أَعْنِ فِي الْمَلِكِ بَبْلَغَةً

ثم قال يصف نحوه:

لَقَدْ جَمَعْتُ لَكُمْ مِنْ جَمْعِ ذِي حَسَبٍ
وَنَاجَى رَبِّهِ قَائِلًا:

وَلِي سَلَّمْتُ كُلُّ الْمَلُوكِ الْجَبَابِرِ
كَحُكْمِ مَضَى فِي الْمَزْمِنَاتِ الْغَوَابِرِ
فَلَمْ يَكْ حَتَّى زَارَ ضَيْقَ الْمَقَابِرِ^(١)

وقد كفيتمكم الترحال والنصب^(٢)

إِنْ تَنَاقَشَ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَ
أَوْ تَجَاوِزْ، فَأَنْتَ رَبُّ رَحِيمٍ
بِوَ عَذَابًا، لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
عَنْ مُسِيءِ ذَنْبِهِ كَالثَّرَابِ^(٣)

وتمثل بعض الأبيات في حضرة إحدى بناته^(٤) وفي شعر يزيد بن معاوية (ت، ٦٤ هـ/ ٦٨٢ م) أبيات قيلت في احتضار معاوية، منها:

لَوْ فَاتَ شَيْءٌ يَرَى لَفَاتَ أَبُو
الْحَوْلُ الْقَلْبُ الْأَرِيبُ وَكُنْ
حَيَّانَ، لَا عَاجِزٌ وَلَا وَكَلُ
يَدْفَعُ زَوْءَ الْمَنِيَةِ الْحَلِيلُ^(٥)

ويقال أن الضحاك^(٦) بن قيس (ت، ٦٤ هـ/ ٦٨٢ م) كتب إلى يزيد حين مات معاوية رضي الله عنه رسالة واثبت في أسفل كتابه هذين البيتين:

مَضَى ابْنُ سَفِيَّانٍ فَرُدُّ لَشَأْنِهِ
وَحُلِّفَتْ فَانْظُرْ هَذِهِ كَيْفَ تَصْنَعُ

(١) ديوانه، ٧٣.

(٢) نفسه، ٥٢؛ وفي الطبري: برواية أخرى. ينظر. تاريخه، ٥/ ٣٢٦.

(٣) ديوانه، ٥٣.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٧.

(٥) شعره، ٢٥.

(٦) هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب، كان على شرطة الكوفة لمعاوية قتل في مرج راهط سنة (٦٤ هـ/ ٦٨٢ م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٤٩.

أقمنا على المنهاج وراكب محجة سداذاً فأنت المرتجى كيف تفرغ^(١)

فأتى البريد إلى يزيد بن معاوية في الصائفة فقال:

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخبُ به فأوجسَ القلبُ من قرطاسِهِ فزَعَا
قلنا: لكَ الويلُ، ماذا في صحيفتكم قالوا: الخليفةُ أُمسى مُثنيًا وجعا
مادت بنا الأرضُ أو كادت تُميدُ بنا كأنَّ ما عَزَّ مِنْ أركانِها انقلعَا
مَنْ لِمَ تَزَلْ نفسُهُ توفى على شرفِهِ توشِكُ مقاديرُ تلكَ النفسِ أنْ تَقْعَا
لما وَرَدَتْ وبابَ القصرِ منطبقٌ لصوتِ رملةٍ هدَّ القلبُ فانصدعا^(٢)

تشير هذه الأبيات إلى أن يزيدًا كان غائبًا فحضر، كما أشارت إلى ذلك كتب التاريخ^(٣) وبهذا أكد الشعر حقائق التاريخ ونفى أن يكون يزيد حضر احتضار معاوية وساعاته الأخيرة، فكان الشعر مصاحبًا لحياة معاوية وموته وهو الذي كان يتمثل به ويقول، ويستند على ما يوفره من حكمة ودلالة يكتف الموقف الإنساني ويشريه ويعمق الفكرة الواقعية السائدة فيمدها باستمرارية الزمن وقدرته على النفاذ إلى مسارب المستقبل، ومع ذلك لم يكن معاوية شاعرًا وفق مقاييس عصره، ولكنه كان ممن يؤثر الحكمة والروية ويميل إلى حسم المواقف الحرجة في اللحظات المناسبة، وقد كان عهده عهد استقرار نسبي استطاع خلاله بناء دولة على أركان قوية هابها أعداء الإسلام في الخارج، وتوجس منها خصوم الأمويين في الداخل، وقد كانت ثمرةً يانعةً سلمها معاوية إلى يزيد بعد أن سنَّ سُنَّةً جديدةً في الاستخلاف وهي النظام الوراثي في الحكم، والتي ستكون ماثراً متاعب وقلق ليزيد خلال مدة حكمه وتؤدي بالتالي إلى انتقالها على الفرع المرواني من الأسرة الأموية.

كان معاوية رجل دولة متميز يتسم بالحنكة والدهاء وسعة الأفق يستميل

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٢١/٥-٢٢.

(٢) شعره، ٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٣٢٨/٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣٢٨/٥.

خصوصاً ويغدق عليهم العطايا ويتعامل مع مؤيديه ورعيته مثل أى رئيس قبيلة حصيف قادر على إحداث التوازن بين كفتى الميزان يتأمل من هو حوله ويرنو إلى من هم أبعد منه يستعين بثقافته وصلاته بالآخرين ويستفيد من أفق مكة التجارى التى نشأ فيها فى قراءة المواقف وحسم الأمور الطارئة بذكاء وحذر وقدرة على الحسم تقلب ميزان القوى لصالحه فجنب دولته هزات عنيفة كالتى حدثت فى زمن ابنه يزيد.

يزيد بن معاوية بن أبى سفيان^(١) (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)

بعد وفاة معاوية انتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد على وفق النظام الوراثى الذى اعتمده معاوية عندما أعلن البيعة ليزيد فى حياته، فكان الأمر مهيناً بوضوح ليزيد دون عقبات ظاهرة، ولكن الحياة السياسية كانت تخفى وراءها صراعات كثيرة منها مواقف بعض أبناء الصحابة وبعض فقهاء المدينة ممن يرون أنهم أحق بالخلافة من يزيد، فكان ذلك مدعاة لنشوب اضطرابات أوصلت الحكم السفينانى إلى نهايته.

حين ولى يزيد الخلافة ظهر معه اتجاه شعري يجمع بين التعزية والتهنئة، التعزية بوفاة الخليفة السابق والتهنئة بتولى الخليفة الجديد، فقد دخل عطاء بن أبى سفيان على يزيد بعد موت معاوية، فقال: "أصبحت يا أمير المؤمنين فارقت الخليفة وأعطيت الخلافة فأجرك على عظيم الرزية ورزقك الشكر على حسن العطية"^(٢)، فاحتذى به عبدالله بن همام السلولى فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقت ذا مِقَّة	واشكر عطاءَ الذى بالمُلك حاباكَا
لا رُزءَ أعظم فى الأَموام تعلمه	كما رُزئت، ولا عُقبى كعُقباكَا
أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم	فأنت ترعاهم والله يرعاكَا
وفى معاوية الباقي لنا خَلَفٌ	إذا نُعيت، ولا نَسَمع بمنعاكَا ^(٣)

(١) ترجمته، ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٠٥؛ الزبيرى: نسب قريش، ١٢٧.

(٢) هو عطاء بن ابى صيفى بن قائف الثقفى. ينظر: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.

(٣) ما تبقى من شعره، ٢٠٣-٢٠٤؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.

يجمع شعر ابن همام بين التعزية والتهنئة، ويشير إلى من يلي الخلافة بعد يزيد، وهو ابنه معاوية في إشارة إلى استمرار نظام الخلافة الوراثي، ثم أخذ هذا النمط الشعري طريقه بعد ذلك وشاع من عهد يزيد واستمر تحت ظلّ شيوع النظام الوراثي في الحكم. وفي هذا الاتجاه وقف أيمن بن خريم الأسدي^(١) بين يزيد وهو يقول:

تلقاها يزيدُ عن أبيه فدونها معاوية عن يزيدا
أديروها بنى حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا
فإنّ دنياكم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلُقاً سديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها عصافاً تستقيم لكم شديدا^(٢)

إنه يؤشر لبدء مرحلة الحكم الوراثي تمتد من يزيد إلى ابنه معاوية، ويدعو آل أبي سفيان إلى حسن السياسة وقوة التمسك بالحكم.

بعد تولى يزيد الخلافة كتب إلى عبدالله بن الزبير^(٣) (ت، ٧٣هـ / ٦٦٢م) يدعوه على بيعته، فكتب إليه ابن الزبير يدعوه إلى الشورى، وكان فيما كتب به يزيد:

لو يغير الماء حلقى شرق كنت كالغصّانِ بالماء اعتصاري^(٤)

فلما قدم عمرو بن سعيد^(٥) (ت، ٧٠هـ / ٦٨٩م) والياً على المدينة قال: "قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليبر يمين أمير

(١) أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب، أحد بني أسد.

ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٦٩.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٣/ ٥. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.

(٣) صحابي يبيع له بمكة سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م وقتل سنة ٧٣هـ / ٩٦٢.

ترجمته: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢/ ٣٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٣٠٩.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٦.

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق قتله عبدالملك سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م.

ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٧٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٣/ ١٧٥.

المؤمنين، فإننى أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنسًا، ولا ترى إلا من يسمع صوتها"^(١) وقال:

خذاها فليست للعزیز بخطه وفيها مال لامرئ متذلل
أعامر إن القوم ساموك خطه ومالك فى الجيران عذل معذل^(٢)

فكان ذلك بداية الصراع على منصب الخلافة والذي صار حالة مشهودة فى الدولة الأموية، فقد كان يزيد يخشى رفض كبار أبناء الصحابة، فأرسل على الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنه^(٣) (ت، ٦٠هـ / ٦٨٠م) ليأخذ بيعته، فأثر التريث حين خرج إلى مكة^(٤) وقال:

لا ذعرت السَّوَامُ فى فلقِ الصُّبِّ حـ مغيراً ولا دعيت يزيدا
يومَ أعطى مخافة الموتِ ضيماً والمنايا ترصُدننى أن أحيدا^(٥)

فأنته رسلُ أهل الكوفة فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن^(٦) أبى طالب (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م) فنزل بالكوفة عند هانئ بن عروة^(٧) (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م) فأخذهما عبيدالله بين زياد فقتلها وصلبها^(٨)، وقال شاعرهم:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ فى السُّوق وابن عقيل
ترى جسداً قد غير الموتُ لونه ونضح دم قد سال كلَّ مسيل^(٩)

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٦.

(٢) نفسه.

(٣) صحابي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فى وقعة الطَّف سنة (٦١هـ / ٦٨م).

ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/ ٦٨؛ ابن جر: الإصابة، ١/ ٣٣٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧.

(٥) المسعودي: مروج، ٣/ ٥٤.

(٦) ترجمته: الزبيرى: نسب قريش، ٨٤؛ ابن حبان: الثقات، ٥/ ٣٩١.

(٧) هانئ بن عروة المرادي (ت، ٦٠هـ / ٦٧٩م). ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧؛ ابن حبان: الثقات، ٥/ ٥١٠.

(٨) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٥٠-٣٥١.

(٩) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥٠-٣٥١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٠.

وقاتل مسلم بن عقيل رجال عبيد الله بن زياد وهو يَرْجُزُ:

أَفْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرًّا وإن رأيتُ الموتَ شَيْئًا نُكْرًا
كُلُّ امرئٍ يَوْمًا مُلاقٍ شَرًّا وَيَخْلُطُ الْبَارِدَ سُخْنًا مُرًّا
رُدُّ شِعَاعِ الشَّمْسِ فَاسْتَقْرَا أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أُغْرَا^(١)

وَلَقَدْ قَدَّمَ الْأَخْطَلُ^(٢) (ت، نحو ٩٢هـ / ٧١٠م) النصيحة لابن زياد في مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فقال:

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً جزاء بُعِمَى، قَبْلَهَا، وَوَسِيلَ
بِأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ سَيْفَكَ، فَيَكُنْ أَخَا، وَخَلِيلًا، دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ
بِهِ رَحِمَ اللَّهِ الْجُنُودَ، فَأَقْبَلَتْ وَقَدْ مَالَتْ الْأَهْوَاءُ، كُلِّ مَمِيلٍ
وَلَمْ يَكْ عَنْ يَوْمِ ابْنِ عُرْوَةَ غَائِبًا كَمَا يَغِيبُ عَنْ لَيْلَةٍ ابْنِ عَقِيلٍ^(٣)

وَأَرْسَلَ يَزِيدُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفِيهِ:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لَطِيبَتِهِ عَلَى عَذَابِيهِ فِي سِيرَةِ قَحْمٍ
أَبْلِغْ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِ الْمَزَارِ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُسَيْنِ وَاللَّهِ وَالرَّحْمِ
وَمَوْقِفَ بَفْنَاءِ الْبَيْتِ يَنْشُدُهُ عَهْدَ الْإِلَهِ وَمَا تَوْفَى بِهِ الذَّمُّ
غَنَيْتُمْ قَوْمَكُمْ فَخِرًا بِأَمْكُم أُمُّ الْعَمْرِى حِصَانُ بَرَةٍ كَرَمٍ
هِيَ الَّتِي لَا يَدَانِي فَضْلُهَا أَحَدٌ بَنَتْهُ الرُّسُولُ وَخَيْرُ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا

(١) الطبري: تاريخ، ٣٧٤/٥. وللرجز روايات أخرى ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٩٤/٥؛ المسعودي:

مروج، ٥٨-٥٩/٣؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/٩٦٦م): مقاتل
الطبايين، تحقيق: السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ)، ١٠٤.

(٢) اسمه غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، شاعر أموي مشهور (ت، نحو ٩٢هـ/٧١٠م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢٩٨/١؛ الآمدي: المؤلف، ٢١.

(٣) الأخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت، نحو ٩٢هـ/٧١٠م). شعره: تحقيق فخري قبادة، الجزء الثاني

(دار الأصمعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ٥٣٩.

وفضلها لكم فضلٌ وغيركم من يومكم لهم فى فضلها قسَمُ
 إنى لأعلم حَقًّا غيرَ ما كذب والطرف يصدق أحيانًا ويقتضم
 أن سوف يدرككم ما تدرون بها قتلى تهاداكم العقبان والرخم
 يا قومًا لا تشبهوا الحرب إذا سكنت تمسكوا بحبال الخير واعتصموا^(١)

وحين عزم الحسين رضى الله عنه على الخروج دخل الحارث بن خالد
 المخزومي^(٢) وإلى مكة^(٣)، فقال:

رُبَّ مستنصح يَغشُ ويُردى وظنين بالغيبر يُلفى نُصيحا^(٤)

فلما خرج الحسين رضى الله عنه دخل عبد الله بن عباس رضى الله عنه المسجد
 فإذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش فقال ابن عباس:

يا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بمعمرٍ خلا لَكَ الجَوْ فيضى واصغرى
 ونَقَرى ما شئتُ أن تُنقَرى

هذا حسين يخرج إلى العراق، وعليك بالحجاز^(٥).

ودعا ابن زياد عمر بن سعد بن أبى وقاص^(٦) أن يحول بين الحسين ﷺ والفرات
 فقال عمر:

(١) ابن أعثم: الفتوح، ١١٨/٥-١١٩.

(٢) الحارث بن خالد بن العاصي بن هاشم بن المغيرة المخزومي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢١٨/٩؛ البكري: سمط، ٦٤٥/٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣٨٢/٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ١١٤/٥؛ المسعودي: مروج، ٥٥/٣.

(٤) المخزومي، الحارث بن خالد (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري، (منشورات مكتبة
 الأندلس، بغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٤٩؛
 الطبري: تاريخ، ٣٨٢/٥.

(٥) الطبري: تاريخ، ٣٨٤/٥.

(٦) عمر بن سعد بن أبى وقاص، قائد جيش ابن زياد لقتال الحسين، قتل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م).

ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢٤٣؛ ابن جر: تهذيب، ٣٩٦/٧.

دعانى عبيدالله من دون قويمه
فوالله لا أدرى وغنى لواقف
أتترك مُلك الرّى رغبة
فى قتله النار التى ليس دوّنها
إلى خطّة فيها خرجت لحينى
على خطرٍ يعظم على سوينى
أم أرجعُ مذموماً بثأر الحسين
حجابٌ وملك الرّى قرّة عين^(١)

وحين نزل الحسين رضى الله عنه كربلاء قال:

يا دهرُ أف لك من خليل
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل
وإنما الأمرُ إلى الجليل
كم لك بالإشراق والأصيل
والدَّهرُ لا يقنعُ بالبديل
وكُلُّ حَى سالك السَّيل^(٢)

وفى سنة (٦١١هـ/ ٦٨٠م)^(٣) سار الحسين رضى الله عنه فجاءه الحر بن يزيد
التميمي^(٤) حتى وقف هو وخيله مقابله، وبقي يسايره حتى قاله له: يا حسين، إني
أذكرك الله فى نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى،
فقال الحسين رضى الله عنه: أقبالوت تخوفنى! ثم تمثل قائلاً:

سأمضى وما بالموت عارٌ على الفتى
وأسى الرُّجال الصالحين بنفسه
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وفارق مثبوراً يَغشُ ويُرغمًا^(٥)

كان هذا الشعر متمماً للحدث التاريخى لأنه ينبثق من خلاله ليرسم صورة حية
للقائع خلال هذه المرحلة المضطربة بالصراعات.

(١) ابن أعثم: الفتوح، ١٧٢/٥ - ١٧٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤٢٠/٥. ولها رواية أخرى عند ابن أعثم: الفتوح، ١٤٩/٥؛ الأصفهانى: مقاتل: ١١٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٤٠٤/٥.

(٤) هو الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنّب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح بن يربوع التميمي.

ترجمته: ابن الكلبي، جهرة، ٢١٦؛ ابن حزم، جهرة، ٢٢٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ٤٠٤/٥.

وأقبل عمير بن عبدالله الكلبي^(١) ليقاتل عن الحسين فارتجز:

إن تنكروني فأنا ابن كلب حسبي بيتي في عليم حسبي
إنني امرؤ ذو مرة وعَصَبٍ ولست بالخوار عند النكب
إنني زعيم لك أم وهب بالطعن فيهم مقدماً والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرَّب^(٢)

أصبح الشعور بضرورة نصره الحسين رضى الله عنه موقفاً لدى بعض جند العراق، فهذا الحر بن يزيد يترك جند العراق ويلتحق بالحسين وأصحابه، فكان أول من تقدم للقتال فقال:

إنني أنا الحرُّ وماوى الضيف أضربُ في أعراضكم بالسيف
عن خير من حلَّ بلادَ الحنفِ أضربكم ولا أرى من حَيف^(٣)

وحين طعن قال أحد أصحاب الحسين رضى الله عنه:

لنعم الحرُّ حرُّ بنى رياح ونعم عند مختلف الرِّماح
ونعم الحرُّ إذ نادى حسين فجادَ بنفسه عند الصباح^(٤)

وحمل كعب بن جابر على برير بن خضير الهمداني فقتله، فأنبته امرأته أو أخته لقتله سيد القراء^(٥) فكان كعب يمثل وجهة نظر جيش الأمويين حين يقول:

سَلَى تُخْبِرَى عَنى وَأَنْتِ دَمِيمَةٌ غداة حُسَيْنَ والرِّمَاحُ شَوَارِعُ

(١) أحد بني عليم بن جناب بن هبل، وهو عند ابن أعثم وهب بن عبدالله. ينظر: الفتق، ٥ / ١٩٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٣ / ١٩٠؛ الطبري: تاريخ، ٣٢٩ / ٥.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥ / ١٨٥.

(٤) نفسه، ٥ / ١٨٦.

(٥) كعب بن جابر بن عمرو الأزدي. ويزيد بن خضير أحد قراء مسجد الكوفة. ينظر: الطبري: تاريخ، ٤٣٢ / ٥.

ألم آتِ أَقْصَى مَا كَرِهَتْ وَلَمْ يُخْلُ
مَعَى يَزْنَى لَمْ تَخُنْهُ كَعَوْبُهُ
فَجَرَدَتْهُ فِي عَصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ
أَشَدُّ قِرَاعًا بِالسَّيْفِ لَدَى الْوَعَى
وَقَدْ صَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ حُسْرًا
فَأَبْلَغَ عَبِيدَ اللَّهِ إِمَّا لَقِيَتْهُ
قَتَلْتُ بُرَيْرًا ثُمَّ حَمَلْتُ نِعْمَةً

على غداة الرُّوع ما أنا صانعُ
وأبيضَ مخشوبَ الغرارين قاطعُ
بدينى وإئى بابنِ حربٍ لقانعُ
ولا قبلَهُم في الناس إذا أنا يافعُ
ألا كلُّ من يحمى للذمار مُقارعُ
وقد نازلوا لو أن ذلك نافعُ
بأئى مطيعٌ للخليفة سامعُ
أبا مُنْقِذٍ لما دعا: مَنْ يَمَاصِعُ؟^(١)

يشير إلى قتله بريرا وطاعته للخليفة وقتاله مع جيش ابن زياد، فرد عليه رضى بن منقذ العبدى فقال:

لو شاء ربي ما شهدت قتالهم
لقد كان ذاك اليوم عارا وسُبةً
فيا ليت أنى كنت من قبل قتله

ولا جعل النعماء عند ابن جابرٍ
يُعيّره الأبناء بعد المعاشرِ
ويوم حسين كنت في رمسٍ قايرٍ^(٢)

وخرج عمرو بن قرظة الأنصارى يُقاتل دون الحسين وهو يقول:

قد علمت كتيبة الأنصارِ
ضربَ غلامٍ غيرِ نكسٍ شارِى

أئى سَأَحْمَى حوزةَ الذمارِ
دونَ حُسينٍ مُهْجَتى ودارِى^(٣)

كما تقدم مسلم بن عوسجة الأسدى^(٤) وهو يرتجز:

إن تسألوا عنى فإنى ذو لبٍ
من فروع قوم من ذُرأ بنى أسدٍ

(١) نفسه، ٤٣٣/٥.

(٢) نفسه.

(٣) هو عمرو بن قرظة بن كعب الأنصارى. نفسه، ٤٣٤/٥.

(٤) قتله مسلم بن عبدالله الضبابى وعبدالرحمن بن أبي خُشْكَارة البجلي. نفسه، ٤٣٦/٥.

فَمَنْ تَعَامَى حَائِذُ الرَّشْدِ وَكَافِرٌ بِدِينِ جَبَّارٍ صَمَدٍ^(١)

وقد قاتل جمهرة من الفرسان^(٢) مع الحسين قتالاً مستميتاً كانوا فيه يرتجزون شعراً مشيرين على أنسابهم وأفعالهم، فكان رجزهم سهلاً الحفظ كثير التداول فأصبح بمرور الأيام وثيقة تاريخية لها أثرها في تدوين الأحداث، ومن هؤلاء الفرسان حبيب بن مظاهر^(٣) الذي قال رجزاً ذكر فيه اسمه واسم أبيه:

أنا حبيبٌ وأبى مظاهر فارسُ الهيجاء وحرب تَسْعَرُ
أنتم أعداءُ عداةٍ وأكثرُ ونحنُ أوفى منكم وأصبرُ
ونحنُ أعلى حُجَّةً وأظهرُ حقاً وأتقى منكم وأعدرُ^(٤)

فلما قُتل حبيب بن مظاهر أخذ الحرث بن يزيد يرتجز:

أَلَيْتُ لَا أَقْتُلُ حَتَّى أَقْتُلَا وَلَنْ أَصَابَ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
أَضْرِبُهُمُ السِّيفَ ضَرْبًا مِقْصَلَا لَا نَاكِلَا عَنْهُمْ وَلَا مَهْلَلَا^(٥)

ثم قاتل زهير بن لاقين وهو يرتجز:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القَيْنِ أَدُوْدُهُمُ بِالسِّيفِ عَنْ حُسَيْنٍ^(٦)

وقاتل عبدالله وعبدالرحمن بن عزرة الغفاريان^(٧)، فقال أحدهما:

قَدْ عَلِمْتَ حَقًّا بَنُو غِفَارٍ وَجِنْدُوفٌ بَعْدَ بَنِي نِزَارٍ

(١) ابن أعثم: الفتوح، ١٩٤/٥.

(٢) من هؤلاء الفرسان: بشر بن عبدالله الأسدي وعمرو بن جنادة بن الحارث الأنصاري وعمرو بن عبدالله المذحجي وشعبة بن حنظلة التميمي وكثير بن عبدالله الشعبي. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/٥.

٤٣٦ وما بعدها؛ ابن أعثم: الفتوح، ١٦١/٥ وما بعدها.

(٣) أخباره: الطبري: تاريخ، ٤٣٩/٥.

(٤) البلاذري: أنساب، ٣/١٩٥ مع اختلاف الألفاظ؛ الطبري: تاريخ، ٤٣٩/٥.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/٤٤٠-٤٤١.

(٦) نفسه.

(٧) ذكرها الطبري في تاريخه، ٥/٤٤٢.

لنَضْرِبَنَّ مَعْشَرَ الْفَجَّارِ بَكْلٌ عَضْبٍ صَارِمٌ بَثَّارِ
يَا قَوْمُ ذُودُوا عَنِ ابْنِ الْأَحْرَارِ بِالْمَشْرِفَى وَالْقَنَا الْخَطَّارِ^(١)

وخرج عمرو بن خالد الأزدي يرتجز:

الْيَوْمُ يَا نَفْسِي إِلَى الرَّحْمَنِ تَمْضِينَ بِالرُّوحِ وَبِالرَّيْحَانِ
الْيَوْمُ تُجْزِينَ عَلَى الْإِحْسَانِ قَدْ كَانَ مِنْكَ غَابِرُ الْأَزْمَانِ
مَا خَطَّ فِي اللَّوْحِ لَدَى الدِّيَانِ لَا تَجْزَعِي فَكُلُّ حَى فَإِنْ
وَالصَّبْرُ أَحْظَى لَكَ بِالْأَمَانِ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ بَنَى قَحْطَانِ
كُونُوا لَدَى الْحَرْبِ كَأَسَدٍ حَفَانِ^(٢)

ثم تقدم ابنه خالد، وهو يشير مثل أبيه إلى نسبه القحطاني ويرتجز:

صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ بَنَى قَحْطَانِ كَيْفَ تَكُونُوا فِي رَضَى الرَّحْمَنِ
ذِي الْمَجْدِ وَالْعِزَّةِ وَالسُّبْرَهَانِ وَذِي الْعُلَى وَالطُّوْلِ وَالْإِحْسَانِ
بَأَنَّا قَدْ صَرْنَا فِي الْجَنَانِ وَفِي قُصُورِ حَسَنِ الْبَنِيَانِ^(٣)

وحمل شمر بن ذي الجوشن^(٤) عليهم وهو يقول:

خَلَّوْا عُدَاةَ اللَّهِ خَلَّوْا عَنْ شِمْرِ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفِرُّ
وَهُوَ لَكُمْ صَابٌ وَسَمٌّ وَمَقْرٌ^(٥)

بعد أن تضاعل أصحاب الحسين رضي الله عنه حثا بين يديه يزيد بن زياد^(٦)،

(١) نفسه.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ١٩٢/٥.

(٣) نفسه، ١٩٣/٥.

(٤) شمر بن ذي الجوشن، وهو الجوشن شرحبيل - بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب. ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٢٨٧؛ الذهبي: ميزان، ٢/ ٢٨٠.

(٥) الطبري: تاريخ، ٤٤٢/٥.

(٦) هو يزيد بن زياد بن المهاجر، أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة. نفسه، ٤٤٥/٥.

فوثق الحدث مقرونًا باسمه، لأن يزيدًا كان أولًا مع جيش عمر بن سعد ثم تركه والتحق مع الحسين وقال:

أنا يزيد وأبى مهاجر أشجع من ليث بغيل خادِرُ
ياربّ إنى لحسين ناصرُ ولا بن سعد تاركٌ وهاجرٌ^(١)

ثم بدأ أهل بيته يخرجون تباغًا للقتال ويرتجزون، فكان أول من خرج^(٢) عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب وهو يرتجز:

اليوم ألقى مُسلمًا وهو أبى وقتية ماتوا على دينِ النبى
ليسَ كقوم عرفوا بالكذبِ لكن خيار وكرام النسبِ^(٣)

وكذلك فعل جعفر بن عقيل وعبدالرحمن بن عقيل^(٤) في توثيق النسب والإشارة إلى الحدث، فكان على الأكبر بن الحسين بن علي رضى الله عنه^(٥) (ت، ٦١ هـ/ ٦٨٠ م) أول قتيل من بنى طالب، فكان يشد على الناس ويرتجز:

أنا على بن الحسين بن على نحنُ وبیت الله أولى بالنبى
من شبت ذاك ومن شمر الدنى أضربكم بالسيف حتى يلتوى
ضربَ غلام هاشمى علوى ولا أزال اليوم أحمى عن أبى
والله لا يحكم فينا ابن الدعى^(٦)

وخرج عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه^(٧) وهو يرتجز:

(١) نفسه.

(٢) قتل سنة (٦١ هـ/ ٦٨٠ م). ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٢٠٤؛ الذهبي: العبر، ٤٨/١.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٢٠٣/٥.

(٤) وكذلك خرج محمد بن عبدالله بن جعفر وأخوه عون. ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٢٠٣/٥-٢٠٤.

(٥) نسبه في: ابن حبيب: المحبر، ٤٣٨؛ الزبيرى: نسب قریش، ٥٧.

(٦) الأصفهاني: مقاتل، ١١٤. مع اختلاف الروايات في: الزبيرى: نسب قریش، ٥٧؛ الطبري: تاريخ،

٤٤٦/٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ٢٠٨/٥-٢٠٩؛ المسعودي: مروج، ٦١/٣.

(٧) ينظر: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٢٠٦/٥.

إِنْ تَنْكَرُونِي فَأَنَا فَرْعُ الْحَسَنِ سَبَطَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَالْمُؤْتَمَنُ
هَذَا حَسِينٌ كَأَسِيرٍ مُرْتَهَنٍ بَيْنَ أَنَاسٍ لَا سُقُوا صَوْتَ الْمُرْنِ^(١)

ما يلاحظ على معظم هذا الرجز الذي قيل أن قائله ليسوا بشعراء؛ وإنما كانوا يفعلون في الموقف فيعبرون عن خلجات أنفسهم ومواقفهم، وهو ما يمنح النص أهمية خاصة تنبع من توثيقه للحدث وإبرازه لقيم البطولة؛ لذا حرص هؤلاء الفرسان على ذكر أسمائهم وقبائلهم مشفوعة بالإشارة على الحدث، فمن مظاهر الإصرار والإحساس بضرورة التوضيح قول العباس^(٢) بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (ت، ٦١هـ / ٦٨٠م):

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ الْأَعَزِّ الْأَعْظَمِ وَبِالْحُجُورِ صَادِقًا وَزَمَزَمِ
وَذِي الْخَطِيمِ وَالْفَنَاءِ وَالْمَحْرَمِ لِيخْضِبَنَّ الْيَوْمَ جِسْمِي بِالدَّمِ
أَمَّا ذِي الْفَضْلِ وَذِي التَّكْرَمِ ذَاكَ حَسِينٌ ذُو الْفَخَارِ الْأَكْرَمِ^(٣)

يعد الشعر الذي قاله الحسين رضى الله عنه حين بادر القوم بالقتال وثيقة تكشف عن سلسلة تدرج الصراع منذ عهد أبيه مروراً بأخيه الحسن ثم التحامه بهم، فكتب التاريخ بالشعر وجعله أكثر تأثيراً في النفوس مع سهولة حفظه واتساع مساحة انتشاره، فقال:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقَدْ مَأْ رَغَبُوا عَنْ ثَوَابِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
قَاتِلُوا قَدْ مَأْ عَلِيًّا وَابْنَهُ حَسَنَ الْخَيْرِ كَرِيمِ الْأَبْوَيْنِ
حَسَدًا مِنْهُمْ وَقَالُوا أَجْمَعُوا نَقْتُلُ الْآنَ جَمِيعًا لِلْحُسَيْنِ
يَا لِقَوْمٍ مِنْ أَنَاسٍ رُدُلٍ جَمِعُوا الْجَمْعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ
ثُمَّ سَارُوا وَتَوَاصَلُوا كَهْلِهِمْ بِاحْتِيَاجِي لِرِضَاءِ الْمَلْحَدَيْنِ

(١) ابن أعثم: الفتوح: ٣٠٥/٥.

(٢) ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢١٧؛ الأصفهاني: مقاتل، ٨٤.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٢٠٧/٥.

لم يخالفنا الله فى سفك دمي لعبيد الله نسل الكافرين
وابن سعد قد رمانى عنوة بجود كوكود الهاطلين
لا شيء كان منى قبل ذا يعلى الخير من بعد النبى^(١)

وقال قاتل الحسين رضى الله عنه وهو سنان^(٢) بن أنس النخعى:

أوقر ركابى فضةً وذهباً أنا قتلت المالك المحجبا
أنا قتلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً^(٣)

وأسهم الشعر فى توثيق عدد من قتل مع الحسين رضى الله عنه من أهل بيته
وأنصاره من آل أبى طالب، فهذا مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم يقول:

عَيْنُ جودى بعبرةٍ وعويلٍ واندبى إن ندبت آل الرسولِ
واندبى تسعةً لصلبِ على قد أصيوا، وخمسةً لعقيلِ
وابن عمّ النبى عوناً أخاهم ليس فيما ينوب بالمخذولِ
وسمى النبى غودرَ فيهم قد علوه بصارم مصقولِ
واندبى كهلهُم إذا ما عُدد فى الخير كهلهم كالكهولِ
لعن الله حيث كان زياداً وابنه والعجوز ذات البُعولِ^(٤)

إنه يشير إلى تسعة قتلوا من صلب على، وخمسة من صلب عقيل بن أبى طالب،
وإلى عون ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأخيه محمد^(٥).

ورثى على بن الحسين رضى الله عنه^(٦) والده أُمّام يزيد فقال:

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢١٠-٢١١، هـ/ ٢١٣-٢١٤ نصوص أخرى.

(٢) ترجمته: الزبيرى: نسب قريش، ٤٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦١؛ الأصفهاني: مقاتل، ١١٩.

(٤) المسعودي: مروج، ٣/ ٦٢. وتروى متفرقة بروايات أخرى لسليمان قته فى الأصفهاني: مقاتل، ٩١-١٠٢.

(٥) ينظر: الأصفهاني: مقاتل، ٧٨-١٢٤.

(٦) هو على الأوسط المعروف بزين العابدين (ت، ٩٢ هـ/ ٧١٠ م). ترجمته: ابن خلكان: وفيات، ٣/ ٢٦٦؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) سير أعلام النبلاء، تحقيق مأمون هو غاجري، الجزء الرابع (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)، ٣٨٦.

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
بعترتي وبأهلي بعد منقلبى
ما كان هذا جزائى إذ نصحتكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدم!
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رَجِئى^(١)

ورثى الحسين رضى الله عنه كثير من الشعراء، منهم أبو الأسود الدؤلى فقال:

يا ناعى الدين الذى يبغي الثقى
ابنى على آل بيت محمد
سبحان ذى العرش العلى مكانه
قم وانعه والبیت ذا الأستار
بالطفء تقتلهم جفأة نزار
أنى يكابرُهُ ذو الأوزار^(٢)

فأشار على قاتليهم من جفأة قبائل نزار، كما رثاه سليمان بن قتة^(٣) فقال:

مررتُ على أبيات آل محمد
فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها
ولأن قَتِيلَ الطَّفءِ من آل هاشم
فلم أراها كعهدِها يومَ حُلَّتِ
وإن أصبَحْتُ مِن أهلِها قد تَحَلَّتِ
أذلَّ رِقَابَ المُسلمينَ فذَلَّتِ^(٤)

كما رثاه الشاعر أبو دهل الجمحي^(٥) فقال:

إليك أخا الصَّبِّ الشَّجى صِباةً
عجبتُ وإيام الزَّمانِ عجائب
تُذِيبُ الصُّخُورَ الجامِدةَ همومُها
ويظهر بين المعجبات عظيمُها

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٦٧؛ البتآن الأول والثاني.

(٢) ديوانه، ٧٦. ينظر: قصائد أخر: ٧٥-٧٦.

(٣) قتة امه، وهو من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٤٨٧؛ المبرد، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، الجزء الأول (مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ)، ١٣١.

(٤) المبرد: الكامل، ١/ ١٣١. ولها روايات أخرى. ينظر: الزبير: نسب قريش، ٤١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٤؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٢١.

(٥) هو وهب بن زمعة بن أسيل، من بني جمح شاعر محسن مداح (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: الأمدي: المؤلف، ١٦٨.

تَبَيْتُ النِّشَاوَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نَوْمًا وَيَالِطَفَرٍ قَتَلَى مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا^(١)

وثق رثاء أبى الأسود وسليمان قُتَّةَ وأبى دهبيل مكان الحدث وهو الطَّفُ^(٢)، مثلما وثق بعض تفاصيل الواقعة؛ لذا لم يكن هذا الرثاء من شعر البكائيات التى هتتم بميزات المرثى، وإنما كان رديفًا مؤثرًا للوثيقة التاريخية، وأظهر بعض هذا الشعر حالة الندم لعدم الوقوف إلى جانب الحسين رضى الله عنه فى محنته، والذى تمثل بشعر عبيدالله بن الحر الجعفى^(٣) إذ قال:

يَا لَكَ حَسْرَةً مَا دَمْتُ حَيًّا تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلَقَى وَالتَّرَاقَى
حُسَيْنًا حِينَ يَطْلُبُ بِذَلِكَ نَصْرَى عَلَى أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَالشَّقَاقِ
وَلَوْ أَنَّى أُوَاسِيهِ بِنَفْسَى لَنَلْتُ كَرَامَةً يَوْمَ التَّلَاقَى
مَعَ ابْنِ الْمُصْطَفَى نَفْسَى فِدَاءً فَيَا لَهِ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ
غَدَاةً يَقُولُ لِي بِالْقَصْرِ قَوْلًا أَتَرَكْنَا وَتَزَمَعُ بَانْطِلَاقِ^(٤)

وكان عبيدالله بن الحر نظر إلى مصارع الحسين وصحبه ثم مضى حتى نزل المدائن^(٥) وقال فى ذلك معلنًا عن ندمه لعدم نصره:

يَقُولُ أَمِيرٌ غَادِرٌ حَقٌّ غَادِرٍ أَلَا كُنْتُ قَاتِلَتَ الشَّهِيدِ ابْنَ فَاطِمَةَ
وَنَفْسَى عَلَى خِذْلَانِهِ وَاعْتِزَالِهِ وَبِيعَةَ هَذَا السَّكَائِثِ الْعَهْدِ لَائِمَةَ
فَيَا نَدْمَى أَلَا أَكُونُ نَصْرَتُهُ أَلَا كُلُّ نَفْسٍ لَا تُسَدِّدُ نَادِمَةَ

(١) أبو دهبيل، وهب بن زمة الجمحي (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م): ديوانه، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن (مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٨٧-٩٠. والبيت الثالث منسوب لعبيدالله بن الحر الجعفى، شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥.

(٢) الطَّفُ: ضاحية الكوفة على البرية. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٦ (الطَّف).

(٣) عبيدالله بن الحر بن عمرو الجعفى (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م). ترجمته: ابن حبيب: المحير، ٢٣٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤١.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١٠٩؛ البيت الأول: البلاذري، أنساب، ٥/ ٩٢.

(٥) المدائن: جمع مدينة عاصمة الساسانيين قرب بغداد. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٧٤ (المدائن).

وانى لائى لم أكن من حُمائِهِ لذو حسرة ما إن تفارقُ لازمَهُ^(١)

وأظهر الشعر أيضًا حالة الاستياء عند بعض الأسر كآل الحكم مثلًا الذين استاءوا مما فعله عبيد الله بن زياد، فقال شاعرهم يحيى بن الحكم^(٢):

لهاَمْ بِجَنْبِ الطَّفِ أدنى قَرَابَةٍ من ابن زياد العبد ذى الحسبِ الوغلِ
سُئِيَّةٌ أَمْسى نَسْلُها عددَ الحَصَى وينتُ رسول الله ليس لها نَسْلُ^(٣)

كان الشعر ملازمًا للأحداث الساخنة التي واكبت تولى يزيد للخلافة وبالذات مصرع الحسين رضى الله عنه ومسيره من مكة إلى الطَّف، وبقيت هذه القضية تتفاعل وتتسع بسبب سوء سياسة مواجهة الموقف المتفجر نتيجة تغير نظام الحكم إلى نظام وراثي وإهمال تولى أبناء كبار الصحابة الذين كان لأبائهم دور في نصره الإسلام في أيامه المبكرة، لما يتمتعون به من سداد الرأي وعلم مخزون في تفسير القرآن الكريم وحفظ وشرح الحديث النبوى الشريف.

وفي سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م)^(٤) بايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة^(٥) (ت، ٦٣هـ / ٦٨٢م) وخلعوا بيعة يزيد وطرّدوا عامله عليها، فانتدب يزيد جيشًا كبيرًا لقتالهم ولى قيادته مسلم بن عقبة المري^(٦)، فأقبل يزيد يتصفح الخيل ويقول:

أبلغ أبا بكرٍ إذا الليل سَرَى وهبطَ القومُ على وادى القرى
عشرون ألفًا بين كَهَلٍ وفنى أجمع سَكْرانَ من القوم تَرى!

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٧٠.

(٢) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. ابن حزم: جمهرة، ٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٦٠؛ وعند الأصفهاني: لعبد الرحمن بن الحكم في الأغاني، ٣/ ٢٦٤.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٨٢-٢٨٤.

(٥) هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب المعروف بابن الفسيل قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ /

٦٨٢م. ترجمته: الذهبي: العبر، ١/ ٥٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٢٩٩.

(٦) أحد بني مرة بن عوف بن ذبيان هلك أو سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م). ترجمته: الزبيدي: نسب قريش،

١٢٧؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥١.

أَمْ جَمَعَ يَقْظَانُ نَفْسِي عَنْهُ الْكَرَى يَا عَجَبًا مِنْ مُلْجِدِي يَا عَجَبًا!
مُخَادِعٌ فِي الدِّينِ يَقْفُو بِالْعُرَى^(١)

ويقال: أن يزيدًا لما عرض بجنده كتب إلى عبدالله بن الزبير (ت، ٧٣هـ / ٦٦٢م) رقعة يقول فيها:

استعد ربُّكَ فِي السَّمَاءِ فَإِنِّي أَدْعُو إِلَيْكَ رِجَالٌ عَكَ وَأَشْعِيرُ
وَرِجَالٌ كَلْبِي وَالسُّكُونُ وَلَحْمُهَا وَجُذَامُ تَقْمُهَا كِتَائِبُ حِمِيرُ
كَيْفَ النِّجَاءُ أَبَا حُبَيْبٍ مِنْهُمْ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَتَى الْعَسْكَرِ^(٢)

وثق ما قاله يزيد في الأبيات الأولى عدد الجيش، وهو عشرون ألفًا، ووثق هذا الشعر أسماء القبائل التي قادها مسلم بن عقبة المري وسار بها نحو المدينة، فلما اقترب جيشه تأهب عبد الله بن حنظلة للقتال وقال:

بَعْدًا لِمَنْ رَامَ الْفَسَادَ وَطَفَى وَجَانِبَ الْحَقِّ وَأَيَاتِ الْهُدَى
لَا يُبْعَدُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ عَصَى^(٣)

كان مسلم بن عقبة يجلس على كرسي ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يومَ الحَرَّةِ^(٤) ويقول:

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ يَوْمَ الْهَبَاتَيْنِ وَيَوْمَ السَّيْعَمَلَةِ
كُلُّ الْمُلُوكِ عِنْدَهُ مَغْرِبَلَةٌ وَرُمُحُهُ لِلْوَالِدَاتِ مَشْكَلَةٌ
لَا يُلِمُّ الْقَتِيلَ حَتَّى يَجِدْلَهُ يَقْتُلُ ذَا الدَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٥)

ومن قتل يومَ الحَرَّةِ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ^(٦) وفيه قال الشاعر:

(١) شعره، ٣٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٨٤.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٣٤.

(٣) نفسه، ٢-٤/٣٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٩٠ وأثرت رواية الطبري.

(٤) هي حرة وأقام أحد حرق المدينة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٢٤٩ (حرة وأقم).

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/٤٩١.

(٦) معقل بن سنان الأشجعي (ت، ٦٣هـ / ٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/٣٩٣؛ الذهبي:

العبر، ١/٥٠.

فأصبحت الأنصار تنعى سراتها وأشجع تبكى معقل بن سنان^(١)

وقتل أيضًا في يوم الحرة يعقوب بن طلحة بن عبيد الله^(٢) فقال فيه عبدالله بن الزبير الأسدي:

لعمرك ما هذا بعيش فيتنعى هنىء ولا موت يُريح سريعُ
لعمري لقد جاء الكَرُّسُ^(٣) كاظمًا على أمرٍ سوءٍ حينَ شاعَ فظيغُ
نعى أسرة يعقوبُ منهم فأقفرْتُ منازلهم من رومةٍ فبقيعُ
كلهم غيثٌ إذا قحط الوري ويعقوبُ منهم للأنام ربيعُ^(٤)

أما علي بن عبدالله بن عباس^(٥) (ت، ١١٨هـ/٧٣٦م) فإن أخواله من كندة وأناس من ربيعة منعوه من بطش مسلم بن عقبة فقال:

أبى العباسُ قَرم بنى لوى وأخوالى الملوك بنو وَلَيعَة
هُم منعوا ذِمَارِي يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُ مُسْرِفٍ^(٦) وبنى اللَّكِيعةِ
أَرَادَنِي التى لَا عِزَّ فِيهَا فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدِي رِبيعةِ^(٧)

وقد بين هذا الشعر العباء الذى تحمله أهل المدينة من جراء عسف مسلم بن عقبة المرى فلقبوه بـ (مسرف)، حتى وثق العديد من الشعراء إسرافه وعسفه فى قتال أهل المدينة كما قال أحد شعرائها:

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٣٩؛ ابن الكلبي: جمهرة، ٤٥٣.

(٢) يعقوب بن طلحة بن عبيدالله التيمي القرشي (ت، ٦٣هـ/٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/٥٥٣؛ الذهبي: العبر، ١/٥٠.

(٣) الكروّس: هو يعقوب بن طلحة. ينظر: الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٤) ديوانه، ٩٦-٩٧؛ الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٥) علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي (ت، ١١٨هـ/٧٣٦م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ١٦٠م، ٥/٢٥٢؛ الذهبي: سير، ٥/٢٥٢.

(٦) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المرى سموه به أهل الحجاز لأنه أراد أهل المدينة جميعاً أن يبايعوا ليزيد على أن كل واحد عبد قن له. ينظر: المبرد: الكامل، ١/١٥٢.

(٧) البلاذري: نساب، ٢-٤٠٤٠؛ المبرد: الكامل، ١/١٥٢؛ المسعودي: مروج، ٣/٧١.

رمانا يزيدُ بابنِ عقبة مسلم فلا سَلِمَتْ حَدَثًا مِنَ الْحَدَثَانِ
يقود إلى أهلِ المدينة جَحْفَلًا له لَجِبٌ كَالْبَحْرِ فِي الْجُرَيَانِ
يُقْتَلُ سُكَّانَ الْمَدِينَةِ عِنْوَةً وقد أَصْبَحُوا صَرَعى بِكُلِّ مَكَانٍ^(١)

يمثل هذا الشعر موقف أهل المدينة الذين وثقوا الحدث وتعسف عقبة، في حين بقي الطرف الآخر قلقًا غير قادر على بيان المظاهر الإيجابية في هذه الشخصية فانساق وراء وصفه بـ (مسرف) كما في قول أُرطاة^(٢) بن سهية:

لحَا الله فُودى مُسْرِفٍ وَابْنَ عَمِّهِ وآثَارُ نَعْلَى مُسْرِفٍ حَيْثُ آثَرَا
مَرَرْتُ عَلَى رِيعِيهِمَا فَكَأَنَّنِي مَرَرْتُ بِجُبَّارَيْنِ مِنْ سُرُوحِ حَمِيرَا
عَلَى أَنْ ذَا الْعَلِيَا عُمَارَةٌ لَمْ أَجِدْ عَلَى الْبُعْدِ حَسَنَ الْعَهْدِ مِنْهُ تَغْيِيرَا
حَبَانِي بِبَرْدِيهِ وَعَنْسٍ كَأَنَّمَا بَنَى فَوْقَ مَتْنِيهَا الْوَلِيدَانِ قَهْقَرَا^(٣)

بينما بدا موسى شهوات^(٤) مولى آل الزبير ساخرًا من سياسة الحرب ضد أهل المدينة حين يقول:

إِنْ فِي الْخَنْدَقِ الْمَكْلَلِ بِالْمَجْ لِدِ لَضْرِبًا بِسُوءِ ذَا النِّشَوَاتِ
لَسْتُ مَنَّا وَلَيْسَ خَالِكَ مِنَّا يَا مَضِيعَ الصَّلَاةِ لِلشَّهَوَاتِ
يَرْفَعُ الدُّبُّ وَاحْمِلَ الْقِرْدَ وَانْزَلْ فِي بِلَادِ الْوَحُوشِ بِالْفَلَوَاتِ
فَإِذَا مَا غَلَبَتْنَا فَتَنَّا صَرُّ وَاتْرَكْنَا الصَّلَاةَ وَالْجُمُعَاتِ^(٥)

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٢٩٨/٥.

(٢) هو أُرطاة بن زفر بن عقفان من بني مرة بن عوف بن سعد، وسيهية أمه (ت، ٨٦هـ/٧٠٥م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/٤٢٧؛ البكري: سمط، ١/٢٩٩.

(٣) أُرطاة بن سهية (ت، ٨٦هـ/٥٠٧م): شعره، تحقيق صالح محمد ناف، مجلة لامورد المجلد (٧)، العدد الأول، (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٧٨.

(٤) هو موسى بن يسار المدني (ت، نحو ١١٠هـ/٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/٤٨١؛ البكري: سمط، ٢/٨٠٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٣٥؛ الدينوري: الأخبار، ٢٦٥ غير معزوة لأحد.

وبعد المدينة توجه مسلم المرى نحو مكة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) ^(١) التي أعلن
عبدالله بن الزبير عدم اعترافه بخلافة يزيد وأنه أولى بها منه وأنه لا يريد جمع
الأموال وكنزها، وغنما يريد الإصلاح وتطبيق العدالة، وفي ذلك يقول عبدالرحمن
بن الحكم:

ثكلتك أمك من إمام جماعة
أبضل رأيك في الأمور ويعزب
متوسد إذ فالتة جبال
هلباء أو ضيغان سوء أهرب
أهالك برقعة الضياع عن العمى
حتى أتاك وأنت لا وتلعب ^(٢)

ويخاطب الضحاك بن فيروز الديلمي ^(٣) ابن الزبير فيقول:

تقول لنا أن سوف يكفيك قبضة
ويطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئاً قبضة
كما قضمت نار الغضا حطب السدر
لكم سنة الفاروق لا شيء غيرها
وسنة صديق النبي أبى بكر
فلوما أتقيت الله لا شيء غيره
إذا عطفتك العاطفات على عمرو ^(٤)

وفي الطريق إلى مكة مات مسلم المرى فتولى قيادة الجيش الأموى حصين بن نمير
السكوني ^(٥) الذي حاصر مكة وقذف البيت بالمجانيق ^(٦)، فكان جنده
يرتجزون:

خطارة مثل الفنيق المزيو
ترمى بها أعواد هذا المسجل ^(٧)

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٢٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٩٦-٤٩٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٢٩٧، ١٠/٢٠٤.

(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/٣٨٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٤/٣٩٤.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٢٧.

(٥) حصين بن نمير السكوني، أحد أمراء يزيد بن معاوية. ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/٣٣٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ٥/٤٩٦-٤٩٨.

(٧) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٩٨.

وعندما احترقت مكة قيلت الأشعار حول هذا الحدث، منها قول عبيد الله بن قيس الرقيات^(١)، وكان زبيرى الهوى:

ليس لله حُرمة مثل بيتٍ نَحْنُ حُجَّابُه عليه الملاء
خَصَّهُ الله بالكرامة خالِيَا دون والعاكفون فيه سَواء
حَرَّقَه رجالُ لحمٍ وعَدَدُ وجُذامٍ وجميرٍ وصُداء^(٢)

يشير الشاعر إلى مجموعة من قبائل اليمن التى شاركت فى حصار ابن الزبير، ورميها البيت بالحجارة، ويبدو أن نوازع الصراع القبلى بين قبائل اليمن والقبائل القسية بدأ يأخذ صورة واضحة، لأن الشاعر قرشى النسب يرى أن قبائل قيس تهاب الإقدام على هذا الفعل نتيجة قربها من مكة وأواصر النسب بينها وبين أهل الحجاز.

وحمل بعض أصحاب ابن الزبير نارًا فأطارتها الريح فاحترق ما حول الكعبة واحترقت أستارها وتصدعت فبناها بعد ذلك، فقال بعضهم:

ابن الزبير رئيس ما تَوَلَّى إذا حَرَّقَ المَقَامَ والمُصَلَّى
قَبيلة من حَجٍّ مَعًا وَلَبَّى^(٣)

وقال أبو قطيفة، عمرو بن الوليد بن أبى معيط:

جَلَبْنَا لَكُمْ مِنْ غَوَاطِ الشَّامِ خَيْلَنَا إِلَى أَرْضِ بَيْتِ اللَّهِ بُعْدَ مَجْلَبِ
تَلَوْدُ قَرِيشٍ كُلُّهَا يَلَوَائِهِ لِأَمْحَضَ مِنْهَا فِي قَرِيشٍ وَأَطِيبِ^(٤)

(١) أحد بني عامر بن لؤي، سمي بالرقيات لانه شبب بنسوة يقال لكل منهم رقية، (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٠.

(٢) الرقيات، عبيد الله بن قيس (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م): ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم (دار صادر - دار بيروت، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ٩٥.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣٠٢.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣.

وكان ابن الزبير يقاوم جيش يزيد ويقول:

أَنَا إِذَا عَضَّ الثَّقَا فُ بِرَأْسِ صَعْدَتْنَا أَبِيْنَا^(١)

وبين الشعر ظهور اتجاه بين الموالي يستند إلى تدميرهم من سوء الأوضاع التي هم فيها، فهم يقاتلون من دون أن تكون لهم مسؤولية القيادة أو يكسبوا شيئاً، فهذا مولى خزاعة يقول:

أَبْلِغْ أُمِيَّةَ عَنَى إِنْ عَرْضَتْ لَهَا وَابْنُ الزَّبِيرِ وَابْلَغْ ذَلِكَ الْعَرَبَا
إِنَّ الْمَوَالِي أَضْحَتْ وَهِيَ عَاتِبَةٌ عَلَى الْخَلِيفَةِ تَشْكُو الْجُوعَ وَالْحَرْبَا
إِخْوَانَكُمْ أَنْ الْبَلَاءُ حَلَّ سَاحَتِكُمْ وَلَا تَرُونَ لَنَا فِي غَيْرِهِ سَيِّبَا
نُعَاهِدُ اللَّهَ عَهْدًا لَا نَخِيسُ بِهِ لَنْ يُقْبَلَ الدَّهْرُ شُورَى بَعْدَ مَنْ ذَهَبَا^(٢)

وعندما وصل خبر وفاة يزيد على سلم بن زياد^(٣) في سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) لم يصدقه أولاً وأغلق الباب عليه فقال فيه شاعره حنظلة بن قيس بن عروة^(٤) التميمي بعض الأبيات، منها قوله:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَلَقُ بَابَهُ حَدَّثَتْ أُمُورٌ شَأْنَهُنَّ عَظِيمُ
حَدَّثَتْ أُمُورٌ فِي أُمِيَّةٍ جَمَّةٍ وَيَزِيدُ أَعْلَنَ شَأْنَهُ الْمَكْتُومُ
طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وَسَادَتِهِ عُودٌ وَزِقٌّ رَاعِفٌ مَرْتُومُ^(٥)

وقال فضالة بن شريك^(٦) لما مات يزيد:

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِفَقْدَانِ سَمْدَانِ لَهُ سُمُودَا

(١) نفسه، ٢-٤/ ٤٩.

(٢) نفسه، ٢-٤/ ٥٩.

(٣) هو أخو عبيد الله بن زياد. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٨؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٤٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٩.

(٥) لعله هو حنظلة بن عرادة، لأن الشعر منسوب أيضاً له. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٤٧.

(٦) ابن أعمش: الفتوح، ٥/ ٣١٠. وفي رواية أخرى لابن عرادة: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦١.

فردٌ شعورهن السُّودُ ييضاً وردٌ وجوههن البيضُ سُوداً^(١)

وكتب الحارث بن عباد بن زياد^(٢) إلى عبيد الله بن زياد بالبصرة بعد موت يزيد بهذه الأبيات:

ألا يا عُبيد الله قد ماتَ من به ملكتَ رقاب العالمينَ يزيدُ
أثبتُ للقوم الذين وترتهم؟ وذلكَ من الرأى الزُّنيقِ بعيدُ
ومالك غير الأزدي جار فإئثمُ أجاروا أباك، والبلاذُ تُميدُ^(٣)

يشير هذا الشعر على خشية مؤيدى يزيد ودولة الأمويين من خصومهم، واحتمال أن تنتفض عليهم القبائل التى تعرضت لضغطهم، لذا فإن اللجوء إلى الإجارة من القبائل القوية المتنفذة التى لها كيان وهيبة بين القبائل الأخرى يقى الولاة من أساليب الانتقام التى قد تحصل، فقد أوصى الحارث بن عباد عمه باللجوء إلى حى من الأزدي، لأنهم إذا أجاروه منعه^(٤) مما يعنى أن القبائل كانت تعتمد فى ترتيب أوضاعها الأمنية على قدراتها الذاتية فى حالة غياب السلطة المركزية.

لقد وثق شعر رثاء يزيد مكان وفاته فى حوَّارين^(٥) فقال رجل من عنزة:

يا أيها القبر بحواريـنا ضمنت حيرَ الناس أجمعينا^(٦)

ووصف شعر الأخطل جنازة يزيد وما كان يجرى حولها من بكاء الموالى والنساء فى رثائه له فقال:

لعمري، لقد دلى إلى اللحد خالدُ جنازةَ لا كابى الزناد، ولا غُمري

(١) شاعر كوفي حجة. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ١٧٦-١٧٧.

(٢) نفسه، ١٧٧.

(٣) هو ابن أخي عبيد بن زياد. ينظر: الديبوري: الأخبار، ٢٨١.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) البلاذري: أنساب، ٦١/٢٠٤. وفي رواية شر الناس. ينظر: المسعودي: مروج، ٥٣/٣.

مقيم، يحوَّارين، ليس يرميها
تصبح الموالي، إن رأوا أمَّ خالدٍ
سقتُهُ الغوادي، من ثوى ومن قبرٍ
مُسَلَّبةً، تبكى على الماجدِ، العَمرِ
إذا جاء سربٌ، من نساءٍ يُعدُّنها
تَجَرَّدنَ، إلا من جلايب، أو خُمرٍ^(١)

يبدو أن الأخطل كان قريباً من الحدث ومكانه لأنه استطاع أن يعرض الموقف بوضوح وبالذات وصف المظاهر الخارجية، ولم يول المشاعر الإنسانية التي اختزنتها نفوس أهله اهتماماً خاصاً، فقد كانت وفاة يزيد المفاجئة في ظل ظروف استثنائية تسودها الصراعات بسبب تغير نظام الحكم من الشورى إلى الوراثة والذي أحدث رفضاً من لدن كبار أبناء الصحابة الذين رفضوا مبايعة يزيد على وفق الأسلوب الذي قام عليه تولى يزيد للخلافة إذ كان خروج الحسين رضى الله عنه أول الأمر رفضاً واضحاً لسياسة العسف، كما كانت وقعة الحرَّة في المدينة دليلاً ثانياً، ثم كان لجوء ابن الزبير إلى مكة ورفضه مبايعة يزيد دليلاً ثالثاً على أن الحجاز ما يزال يحتفظ بروحية الرسالة وسنن الخلفاء الراشدين. هذا فضلاً عن اعتقاد كبار أبناء الصحابة بأنهم أولى من يزيد بالخلافة وأنه لم ينل إجماع المسلمين بالشورى.

معاوية بن يزيد بن معاوية^(٢) (٦٤هـ/٦٨٢م)

أخذ يزيد بن معاوية البيعة من الناس لابنه معاوية قبل موته حتى تبقى الخلافة محصورة ضمن البيت الأموي السفيناني، وتولى معاوية الخلافة على هذا الأساس، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولكنه لم يستمر سوى أربعين يوماً، لكثرة الاضطرابات والنزاعات فيما بين الأشخاص الطامعين بالخلافة، وعكس ابن همام السلولى حالة الاضطراب هذه بقوله:

إنسى أرى فتنة تغلى مراجلها والمُلكُ بعد أبى ليلى لِمَن غلبا^(٣)

(١) ديوانه، ٢/٥٣٣؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/٦١.

(٢) ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٢/٢٠٥؛ الذهبي: سير، ٤/١٣٩.

(٣) ما تبقى من شعره، ٨٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/٦٢ وفيه لبعض بني فزارة، الطبري: تاريخ، ٥/٥٠٠.

ومع ذلك فإن السلوى قد طلب الالتزام بما تعاهدوا عليه وهو الولاء للخليفة معاوية الثاني فقال:

خلافَةُ رِيكُم خَافُوا عَلَيْهَا	إِذَا عُمِرْتُ، خَنَابَسَةُ أُسُودَا
تُعَلِّمُهَا الْكُهُولَ الْمَرْدَ حَتَّى	تَذِلَّ بِهَا الْأَكْفُ وَتَسْتَفِيدَا
إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ تَلَقَّتْ أَخَا	ثِقَةٍ بِهَا صَنَعًا مُجِيدَا
تَلَقَّفَهَا يَزِيدٌ عَنْ أَبِيهِ	وَحُذَّهَا يَا مَعَاوَى عَنْ يَزِيدَا
أَدِيرُوهَا بَنَى حَرْبٍ عَلَيْكُم	وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْغَرَ الْبَعِيدَا
فَإِنَّ دَنِيَاكُم يَكُم أَطْمَأْنَنْتْ	فَأُولُوا أَهْلَهَا خُلْفًا شَدِيدَا ^(١)

وظهرت في بعض الأمصار حالات تمرد على سلطة الخلافة، ففي البصرة دعا أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يصطليح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل رسولاً إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل أهل البصرة، فأبوا عليه، فخالفه أهل البصرة، قالوا: أئخذ الكوفة ونبايعه نحن هذا ما لا يكون؟ فوثب الناس به، فاستجار عبيد الله بالأزد^(٢)، وقيل لحق بالشام^(٣)، فقال واقد بن خليفة السعدي^(٤):

يَا رَبُّ جَبَّارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهُ	قَدْ صَارَ فِينَا تَاجُهُ وَسَلْبُهُ
مِنْهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ حِينَ نَسْلَبُهُ	جِيَادُهُ وَبِرْزُهُ وَنَهْبُهُ
يَوْمَ التَّقَى مُقْبِنُنَا وَمِقْزَبُهُ	لَوْ لَمْ يُنْجُ ابْنُ زِيَادٍ هَرَبُهُ ^(٥)

(١) ما تبقى من شعره، ١٨٩.

(٢) البلاذري: أنساب، ٩٨-٩٧/٤-٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥٠٣/٥.

(٤) أحد بني صخر بن منقر من كعب بن سعد. أبو عبيدة: النقائض، ٧٣٥/٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١.

(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٧٣٥/٢؛ البلاذري: أنساب، ١١/٤-٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١ وأثرت روايته.

وهجا يزيد بن المفرغ الحميري عبدالله بن زياد وعيره بفرار من دار الإمارة:

أَقْرَبَ بَعِينِي أَنَّهُ عَقٌّ أُمِّهِ دَعَتْهُ فَوَلَاهَا اسْتَهُ وَهُوَ يَهْرُبُ
وَقَالَ: عَلَيْكَ النَّاسُ كَوْنِي سَيِّئَةً كَمَا كُنْتُ أَوْ مَوْتِي، فَالْمَوْتُ أَقْرَبُ
وَقَدْ هَتَفْتُ هِنْدَ بِهِ مَا أَمَرْتَنِي ابْنِ لِي وَخَبِّرْنِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟
فَقَالَ: أَقْصِدِي الْأَزْدَ فِي عَرَصَاتِهَا وَيَكْرَاهُ فَمَا أَنْ عَنْهُمْ مُتَجَنِّبُ
بِمَا قَدَّمْتُ كِفَاكَ مَالِكَ مَهْرَبٌ مِنَ الْقَوْمِ يَوْمًا وَالْدَّمَاءُ تُصِيبُ
لَوْ كُنْتُ صُلْبَ الْعُودِ أَوْ ذَا حَفِيزَةٍ كَرَّرْتُ عَلَى هِنْدٍ وَهِنْدٌ تُسْحَبُ
وَعَادَرْتُ مَسْعُودًا رَهِينَةً حَتْفِهِ يَمْجُجُ بِخَيْعِ الْجَوْفِ وَهُوَ مُلْحَبٌ^(١)

وقال أيضًا:

أَعْبَيْدُ هَلَّا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ يَوْمَ الْهَيَاجِ دَعَا لِحَيْنِكَ دَاعٍ
أَسْلَمْتَ أُمِّكَ وَالرِّمَاحُ شَوَارِعُ يَا لَيْتَنِي لَكَ لَلَّيْلَةَ الْأَفْزَاعِ
لَا بَنَ الزُّبَيْرِ غَدَاةٌ يَجْمَعُ أَمْرَهُ أُولَى بَغَايَةِ كُلِّ يَوْمٍ وَقَاعٍ^(٢)

ونتيجة لحصول الفراغ السياسي بايعت تميم عبدالله بن الحارث الهاشمي^(٣) فقال حارثة بن بدر الغداني:

نَزَعْنَا وَأَمَرْنَا بِكَرْبِ بْنِ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَايَاهَا تَبْتَغِي مِنْ تُحَالِفٍ
وَلَمَّا بَاتَ بِكَرَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً فَيُصْبِحُ إِلَّا وَهُوَ لِلذَّلِّ عَارِفٌ^(٤)

وبايعت الأزد زعيمها مسعود بن عمرو العتكي^(٥) فقال رجل من أصحابه:

(١) ديوانه، ٦٤-٦٧.

(٢) ديوانه، ١٥٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٠٠.

(٣) يسمى بَيْتَةً. ترجمته: أبو عبيدة: النقائض، ١/١١٢؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٠.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ٢/٣٥٤؛ أبو عبيدة: النقائض، ١/١١٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٠٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥١٦.

(٥) مسعود بن عمرو بن عدي، يقال له: قمر العراق، كان سيد الأزد. ترجمته: ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/١٧١؛ ابن دريد: الاشتقاق، ٢/٥٠٢.

لَا نَكْحَنُ بَبَّةَ جَارِيَةَ فِى قُبَّةِ
ثُمَّ شَطُّ رَأْسِ لَعْبَةٍ^(١)

فلما دخلت الخوارج وقتلت مسعودًا قال سوار بن حيّان المنقرى^(٢):

أَلَمْ تَكُنْ فِى قَتْلِ مَسْعُودٍ عَيْرُ جَاءَ يُرِيدُ إِمْرَةً فَمَا أَمَرُ
حَتَّى ضَرَبْنَا رَأْسَ مَسْعُودٍ فَخَرُ وَلَمْ يُوسِدْ خَدَّهُ حَيْثُ انْعَفَرَ^(٣)

وقال غطفان بن أنيف الكعبي^(٤) أيضًا:

كَيْفَ تَرَانَا وَتَرَى الْأَمِيرَا بِصَرَخَةِ الْمُرِيدِ إِذْ أَبِيرَا
نَقُودُ فِيهِ جَحْفَلًا جُرُورَا أَكْثَرَ جَمْعًا حَلَقًا مَسْمُورَا
وَصَارِمًا ذَا هَيْبَةٍ مَائُورَا فَقَدْ قَدْ الْجَازِرِ الْجُزُورَا
لَمَّا رَجَا مَسْعُودَ التَّامِيرَا وَأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصُورَا
وَقَدْ شَبِينَا حَوْلَهُ السَّعِيرَا^(٥)

وقال جرهم بن عبدالله بن قيس^(٦) قال قتل مسعود:

وَمَسْعُودَ بَنِ عَمْرٍو إِذْ أَتَانَا صَبَحْنَا حَدَّ مَطْرُورٍ سَنِينَا
رَجَا التَّامِيرَ مَسْعُودَ فَاضْحَى صَرِيحًا قَدْ أَزْرَنَاهُ الْمُنُونَا^(٧)

وقال عبيد الله بن الحر الجعفى:

وَمَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتَهَا تُقَصِّرُ عَنْ بَنِيانِهَا الْمَتَطَاوِلُ

(١) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥١٧.

(٢) ترجمته: أبو عبيدة: النقائص، ١/١١٧؛ ابن حبيب: أساء المغتالين، ٢/١٧٢.

(٣) أبو عبيدة: النقائص، ١/١١٧؛ ابن حبيب: أساء المغتالين، ٢/١٧٢.

(٤) ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/١١٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/١١٠-١١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١ ينظر ما قاله سود الذئب.

(٦) أحد بني العدوية. الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١.

(٧) الطبري: تاريخ، ٥/٥٢١.

وَمَقْتَلُ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَثَارُوا بِهِ وَصَارَتْ سَيْفُ الْأَزْدِ مِثْلَ الْمَنَاجِلِ^(١)

يبدو أن سن مسعود بن عمرو العتكي عند قتله كانت في الثمانين من عمره لقول الهيثم بن الأسود النخعي:

عَلَا النَعْيَ لِمَسْعُودٍ فَقُلْتُ لَهُمْ نِعَمَ الْيَمَانِي تَنْعَى أَيُّهَا النَّاعِي
وَفِي ثَمَانِينَ لَا يَسْطِيعُهُ أَحَدٌ حَتَّى دَعَاهُ لِرَأْسِ الْعِدَّةِ الدَّاعِي
أَوَى ابْنُ حَرْبٍ وَقَدْ سُلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَأَوْسَعَ السَّرْبَ مِنْهُ أَى إِسَاعٍ^(٢)

وَوَلَّى أَهْلَ الْكُوفَةِ أَمْرَهُمْ عَامِرُ بْنُ مَسْعُودٍ^(٣)، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَحْرُوجَةُ الْجُعَلِ
لِقَصْرِهِ، فَقَالَ السَّلُولِي:

أَشَدُّ يَدِيكَ يَزِيدُ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ وَاشْفِ الْأَرَامِلَ مِنْ دَحْرُوجَةِ الْجُعَلِ^(٤)

يتبين مما سبق ذكره بأن أمصار الدولة الأموية شهدت فرقة وصراعات عديدة ولم تعد تخضع لمركز الخلافة، وأن العراق وما يتبعه قد انشق إلى شطرين، فاستطاع ابن الزبير أن يستحوذ على بعض الأمصار ويوسع دائرة نفوذه على حساب وحدة السلطة المركزية، وبهذا كان العهد السفيناني يشهد نهايته وانحلال قوة الدولة وتفكك عراها، وأصبح من الضروري ظهور رجل قوى يستطيع أن يعيد لهذه الدولة هيبتها وقدرتها على الاستمرار، رجل قوى يجمع بين صرامة الموقف وبين حسن السياسة وهيبة السؤدد مع القدرة على المطاولة وكسب المؤيدين والأنصار.

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٦ في رواية أخرى.

(٣) عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي القرشي. ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٩.

(٤) ما تبقى من شعره، ٢-٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري:

الفصل الثالث

المروانيون المتقدمون

(٦٤-٨٦هـ / ٦٨٣-٧٠٥م).

مروان بن الحكم بن أبي العاص^(١) (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م)

كان عهد يزيد بن معاوية مشحونًا بالصراعات والفتن التي فتت عضد الدولة الأموية، ثم تسلم ابنه معاوية بن يزيد الخلافة فلم يستطع أن يعي الأمور إلى سابق عهدها، فأثر التخلي عنها، فعاشت دمشق عاصمة الدولة فراغًا سياسيًا عملت القبائل اليمانية على حسمه لصالح الأمويين لأنها وجدت من مصلحتها استمرار توليهم الحكم خشية من انتقام القبائل القيسية التي بدأت ترى أن من مصلحتها مساندة دعوة ابن الزبير، فعمل هذا التنافس القبلي على تهيئة الأجواء لانتخاب خليفة يتصف بالحنكة والدهاء والتدبير في ظل ظروف صعبة تحتاج إلى قيادة عملية لا إلى قيادة شكلية مترفة تستند على حق وراثي يقودها إلى ميادين القتال بغير خبرة، لذا وقع الاختيار على مروان بن الحكم كبير بنى أمية وأكثرهم استعدادًا لمجابهة الخصوم.

وكان مروان والى المدينة ليزيد بن معاوية فطرده ابن الزبير فقال راجزه:

حَرَّمْ مروان عليهن النّومُ إلّا قليلاً وتلاهن القومُ
حتى يقلنَ أيبتنَ بالدومِ^(٢)

وحين مات معاوية بن يزيد سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) قام مروان على قبره "فقال: أتدرون من دفنتم قالوا نعم معاوية بن يزيد قال بل أبا ليلى يستطيعه وكانوا يكونون كل ضعيف أبا ليلى"^(٣) فقال بعض بنى فزارة:

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، صحابي، (ت، ٦٥هـ/٦٨٤م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/١٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/٢٧. والدومُ على مسيرة ليلتين من المدينة.

(٣) نفسه، ٢-٤/٦٢.

لا تخدعن فإن الأمر مختلف والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا^(١)

وأخذ مروان يتشوف إلى الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية^(٢) الذى اتفقت فيه القبائل اليمانية على مبايعته^(٣) فقال مروان حين بويع له ودعا لنفسه:

لما رأيتُ الأمرُ أمراً نهباً يَسْرَتُ غَسَّانَ لَهُم وَكَلْباً
والسُّكَّسَكِّينَ رَجَالاً غُلْباً وَطَيْئًا تَأْبَاهُ إِلَّا ضَرْباً
والْقَيْنَ تَمْشَى فِي الْحَدِيدِ نُكْباً وَمَنْ تَنْوُخُ مُشْمَخَرّاً صَعْباً
لا يأخذونَ المُلُوكَ إِلَّا غَصْباً وَإِنْ دَنَّتْ قَيْسٌ فَقُلْ لَا قُرْباً^(٤)

يشير هذا النص إلى القبائل التى ساندت مروان بن الحكم فى صراعه مع ابن الزبير، ويكشف عن تدمره من قبائل قيس التى ساندت ابن الزبير وثارَت ضد حكم الأمويين فى الشام.

كان مروان يلقب بخيط باطل لدقته، فلما بويع بالخلافة قال عبدالرحمن بن الحكم أخوه:

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحى الله قومًا أمروا خيط باطل على الناس يعطى ما يشاء ويمنع^(٥)
وقال أبو دهبيل الجمحى يعرض به:

يدعون مروان كيما يستجيبَ لهم وعند مروانَ خَارَ القومِ أَوْ رَفَدُوا

(١) نفسه.

(٢) الجابية: الحوض الذى يجبى فيه الماء للإبل، وهى قرية من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٩١-٩٢ (الجابية).

(٣) البلاذرى: أنساب، ١٣٩/٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥٣٥/٥.

(٤) البلاذرى: أنساب، ١٣٨/٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥٣٨/٥ وأثبت روايته؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٨٧؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٩٤م): التنبيه على أوهام أبي علي فى أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ١٢٩/٥؛ البيت الثانى عند المسعودى: مروج، ٣/ ٨٦.

قد كان في قوم موسى قبلهم جسد عجل إذا خار فيهم خورة سجّدوا^(١)

كشفت معركة مرج راهط^(٢) في سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)^(٣) عن حالة التصدع في وحدة الدولة الأموية من خلال ظهور الأهواء الفردية والطموحات السياسية فزادت الصراعات القبلية من حدة التنافس للوصول إلى السلطة، ثم استقر بعد ذلك الأمر للأمويين في الشام، فكان الناس فريقين بحدلي^(٤) وزُبيري كما قال عبدالرحمن بن الحكم:

وما الناس إلّا بحدلي عن الهوى ولا زُبيري عصى فتزئرا^(٥)

مما يكشف عن حالة التمزق القائم الذي يستهدف القضاء على حكم الأمويين في الشام وإسناد الخلافة لابن الزبير الذي أصبح يعتمد على ولاء القبائل القيسية، وإلى هذا يشير زفر بن الحارث الكلابي^(٦) (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م) زعيم قبائل قيس بقوله:

أفى الله إمّا بحدلٍ وابنُ بحدلٍ فيحيا وإمّا ابن الزبير فيقتل^(٧)

لهذا قال حسان بن مالك بن بحدل زعيم قبيلة كلبس حين سلّم الأمر إلى مروان:

(١) ديوانه، ٨٠.

(٢) موضع في الغوطة من دمشق في شرقية. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٢١ (راهط).

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٣٥.

(٤) نسبة على حسان بن بحدل بن أنف بن دلجة الكلبي زعيم قبائل اليمن ابن أخي ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية. ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ١٣٢؛ التبريزي، يحيى بن علي (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، الجزء الثاني (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).

(٦) أبو الهذيل، زفر بن الحارث بن عمرو الكلابي، شاعر وزعيم قبلي. رجسته: الآمدى: المؤلف، ١٩٨؛ التبريزي: شرح، ١/ ٧٩.

(٧) زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م): شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥٠)، الجزء (الأول)، (بغداد، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤م)، ١٦٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

فَبِإِلَّا يَكُنْ مِنَّا الْخَلِيفَةُ نَفْسُهُ فَمَا نَالَهَا إِلَّا وَنَحْنُ شُهُودٌ^(١)
وَقَالَ بَعْضُ الْكَلْبِيِّينَ:

نَزَلْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِيرِ الْمَلِكِ بَعْدَمَا ظَلَلْتُمْ وَمَا أَنْ تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا^(٢)

ودعا مروان أيمن بن خريم الأسدي للقتال معه، فقال أيمن:

وَلَسْتُ مُقَاتِلًا رَجُلًا يَصْلَى عَلَى سُلْطَانٍ آخِرٍ مِنْ قَرِيشٍ
لِسِهِ سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِمَامِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْهِ وَطَيْشٍ
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ؟ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا غُشْتُ عَيْشِي^(٣)

وحين احتدم القتال بين الفريقين على مقربة من دمشق قال بشر بن مروان بن الحكم^(٤) (ت، ٧٥هـ/ ٦٩٥م):

إِنَّ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا أَنْ يُخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا^(٥)

وكانت قبائل قيس قد اجتمعت إلى زفر بن الحارث فقال:

لِعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ لِحَسَانٍ صَدْعًا بَيْنَنَا مُتَنَاقِيَا
فَقَدْ يَنْبِتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا
أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لَمْ تَنْلُهَا رَمَاحُنَا وَتَتْرَكَ قَتْلَى رَاهِطٍ هِيََا مَا هِيََا^(٦)

وفر من مرجع راهطٍ إلى قرقيساء^(٧)، فراح يتذكر من قتل من أصحابه:

(١) البلاذري: أنساب، ١٣٥/٥.

(٢) نفسه.

(٣) أيمن بن خريم الأسدي: ديوانه، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٩؛ البلاذري: أنساب، ١٣٥/٥.

(٤) ترجمته: ابن حزم: جهرة، ١٠٦؛ الذهبي: سير، ١٤٥/٤.

(٥) البلاذري: أنساب؛ أنساب، ١٤١-١٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٤١-٥٤٢.

(٦) شعره، ١٧١؛ البلاذري: أنساب، ١٤١-١٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٤١-٥٤٢.

(٧) معرب كركيساء بلد على نهر الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٣٢٨/٤ (قرقيساء).

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أساته بصلح إيامى وحسن بلائيا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ومقتل همام أمنى الأمانيا^(١)

وأذكت هذه الواقعة نار الصراعات القبلية فاعتمد الأمويون على خوولتهم من
كلب إحدى قبائل قضاة في صراعهم مع مناوئهم؛ لذا رد رجالات كلب على
زفر، فهذا جواس بن القعطل الكلبي^(٢) يقول:

لعمري لقد أبقت وقيةً راهط على زُفرٍ داءٍ من الداء باقيا
يُيكى على قتلى سُليم وعامرٍ وذبيانَ معذورا ويكى البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى سيوفَ جنابٍ والطوال المذاكيا^(٣)

وأجاب عمرو بن مخلاة الكلبي^(٤) زفر بن الحارث فقال:

بكى زُفر القيسى من هُلك قومو بعبرة عين ما يجفُ سجومها
يُيكى على قتلى أُصبيت براهط تجاؤبه هائم القِفار وبومها
أبحنا حمى للحى قيسٍ براهط وولت شلالا واستُبيح حرمها^(٥)

كان عمرو بن مخلاة أحد فرسان معركة مرج راهط فذكر أشهر من قتل فيها حين
قال:

(١) شعره، ١٧٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢.

(٢) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي،
والقعطل أبوه واسمه ثابت. شاعر فارس أحد مناصري الأمويين (ت، نحو ٧٠هـ/ ٦٨٩م).
ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٩٩؛ ابن حزم: جمهرة، ٥٤٦.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٤٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٢؛ الأمدى: المؤلف، ٩٩؛ البكرى: التنبيه،
٢٦٨.

(٤) هو عمرو بن مخلاة أو مخلي أحد بني عدي بن جناب الكلبيين، شاعر فارس عاش في عهد الملك بن
مروان (ت، نحو ٨٦هـ/ ٧٦٠م). ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٣؛ المرزباني، معجم
الشعراء، ٦٨.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٣.

أصابت رماحُ القومِ بشراً وثابتاً
وَحَزْناً وَكُلٌّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعُ
طَعَنًا زِيَادًا فِي أَسْتِهِ وَهُوَ مَدِيرٌ
وَأَدْرَكَ هَمَامًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ
وَقَدْ شَهِدَ الصَّفِينِ عَمْرُو بْنُ مُحَرِّزٍ
فَتَى مِنْ بَنَى عَمْرٍو طُوالَ مَشَايِعِ
فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعٌ^(١)

فهو يشير على ثور بن معن السلمى وهمام بن قبيصة النميرى، وكان الوازع بن ذؤالة الكلبي قتل هماماً بعد أن أبى الفرار^(٢)، وهو يقول:

ألا يا ابن ذاتِ النوقِ أجهزْ على امرئٍ
ولا تتركْنى بِالْحَشَاشَةِ لِأَنْسَى
يرى الموتَ خَيْرًا مِنْ فِرَارٍ وَأَكْرَمًا
أَكْرُ إذا ما الناسُ مِثْلَكَ أَحْجَمًا^(٣)
فقال الوازع^(٤):

تنسى الذى أسديته يومَ راهطٍ
وأقبلَ حادى الموتِ يحدو مُشَمَّرًا
عليها قرومٌ من قضاةِ سادةٍ
إذا لَقِحتْ حربَ مرثها سيوفُهم
يَروْنَ وَرُودَ الموتِ حَقًّا عَلَيْهِمْ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ تَرَكَنا مَلْحَمِيًّا
وقد ضاقَ عنكَ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ
بفرسانِ حَرْبٍ لَمْ تَرْعُها الرِّوائعُ
لهم شَيْمٌ مَحْمُودَةٌ وَدَسَائِعُ
وَأَيْدِسُ طُوالَ لَمْ تَخْنُها الْأَشْاجِعُ
إذا حادَ عَنْ وَرْدِ المَنايا المَخادِعُ
وَأَخْرَقَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ المَطامِعُ^(٥)

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ / ٨٤٥م: ديوان الحماسة، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م)، ١٨٢؛ البلاذرى: أنساب، ١٤٨/٥؛ التبريزى: شرح، ٢ / ٩٨؛ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ / ١١٤٧م): الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسَاء الحمصي، الجزء الثاني وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م)، ١٧٢. ولزفر أجوبة عليه في شعره، ١٦٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ١٣٦/٥. وهمام سيد قومه. ينظر: ابن الكلبي: جهرة، ٣٧٥.

(٣) البلاذرى: أنساب، ١٣٧/٥.

(٤) أحد بني كلب. البلاذرى: أنساب، ١٣٧/٥ و ١٤٦.

(٥) البلاذرى: أنساب، ١٤٦/٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤١. وحول ما قال عمرو بن مخلد ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ٤٥.

ووثق ابن طُرَّامة الكلبي عدد من قتل بثلاثة آلاف فقال:

وباديَّة الجواعرِ مِنْ ثُميرِ تُنادى وهى حاسرةُ السقَابِ
قَتَلْنَا مِنْكُمْ أَلْفَيْنِ صَبْرًا وَأَلْفًا بِالسَّلَاعِ وبالرَّوَابِي^(١)

كما أشار زفر بن الحارث لبعض من قتل في المرج فقال:

ابعد ابن عمرو وابن مَعَن تَتَابَعًا وَمِنْ بَعْدِ هَمَّامٍ أَمْنَى الْأَمَانِيَا^(٢)

وحين قتل هَمَّام بن قبيصة في وقعة مَرْجِ رَاهِطٍ رثته عُميرة بنت عامر الجعونية
فقالَت:

لَقَدْ فَجَعْتُنى الحَادِثَاتُ بِسَيِّدِ كَرِيمٍ نَشَأَ مِنْ ثُميرِ بْنِ عَامِرِ
أَعَزُّ إِذَا مَاشَى الرِّجَالَ عَلاهُمُ بِآبَاءِ صَدَقِ جَدُّهُمْ غَيْرِ عَائِرِ
هُم يَرُدُّونَ الْمَوْتَ إِذَا طَابَ وَرَدُهُ بِيَضٍ خَفَافٍ فِي الْأَكْفِ مُوَاتِرِ
فَإِنْ كَانَ هَمَّامٌ أَتَتْهُ مَنِيَّةٌ فَمَا كَانَ وَقَافًا غَدَاةَ التَّغَاوِرِ
وَلَا حَائِذَا عَنِ قَرْنِهِ إِذْ تَبَادَرَتْ فَوَارِسُ قَيْسٍ بِالرُّمَاحِ الشَّوَاجِرِ
لَقَدْ كَرَّرْتُ حَتَّى نَالَهُ الْمَوْتُ مُقَدِّمًا وَحَامِي بِمَسْنُونِ الْغَرَارَيْنِ بَاتِرِ
فَإِنْ تَكَ كَلْبٌ أَقْصَدَتْهُ فُرُتًا رَمَى حَتَّى كَلَبَ بِالدَّوَاهِي الْفَوَاتِرِ
وَعَادَرَهُمْ شَتَّى عَزِينَ فَلَوْلَهُمْ عَلَى كُلِّ عِدٍّ مِنْ مِيَاهِ قَرَاقِرِ^(٣)

وحِينَ قَتَلَ زَحْنَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيَّ^(٤) الصَّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيَّ^(٥) قَالَ رُوَيْفَعُ
الْبَلُؤِيُّ^(٦):

(١) البلاذري: أنساب، ١٤٨/٥ وطرامه أمه.

(٢) شعره، ٧٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٢/٥.

(٣) البلاذري: أنساب، ١٤٣/٥.

(٤) أحد بني تيم بن رفيدة بن ثور بن كلب. نفسه، ١٣٩/٥.

(٥) قتل في مرج رَاهِط سنة (٦٤هـ/٦٨٣م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٤١/٧؛ ابن كثير: أسد الغابة، ١٤٩/٣.

(٦) ينظر: البلاذري: أنساب، ١٣٩/٥.

وَيَوْمَ نَدَا الضُّحَاكَ حِينَ تَأَلَّبْتَ عَلَيْنَا الْعِدَى مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
حَاشَاهُ ابْنُ تَيْمِ اللّاتِ زَحْنَةً ثَعْلَبًا طَرِيرًا كَقَبَسِ الْقَاسِسِ الْمُسْتَلْهَبِ^(١)

وحفظ هذا الشعر أسماء المقتولين ومن قتلهم وأسماء قبائلهم، فكان شعر الرثاء وثيقة يتناقلها الرواة ويحفظها شعراء القبائل الذين يتفاخرون في حفظ وقائع قبائلهم، ومن ذلك ما وثقه الشعر عن مقتل خالد بن حصين الكلابي من قبائل قيس وعلاقة ذلك بشخصيتي بشر بن مروان وعمرو بن سعيد كما في قول الشاعر:

ثَوَى خَالِدٌ بِالْمَرْجِ غَيْرَ مُلَوِّمٍ وَلَا بَرِمَ عَامَ الرِّيَّاحِ الصَّوَارِدِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَرَادَهُ بِشَرٍّ لَّحِينِهِ وَعَمَرَوْ فَقَدْ نَالَا كَرِيمَ الْمَشَاهِدِ
فَهَلَا بَنَى الْعَاصِي ذَكَرْتُمْ بِلَاءَهُ وَمَا شَاكِرِ الْمَعْرُوفِ يَوْمًا كَجَاكِدِ
يَرَاهُطُ إِذْ عَبْدُ الْعَزِيزِ مَعْفَرٌ لَدَى مُسْنَدٍ مِنْكُمْ وَآخِرَ سَاجِدِ
فَلَا صَلَحَ أَوْ تَزَقُّوا لِمُرْوَانَ هَامَةً عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا بَوَاءَ لَخَالِدِ^(٢)

يلوم الشاعر بنى أمية لأنهم لم يشفعوا لخالد حتى يتحول لومه إلى تهديد واضح لشخص مروان فيجعله بواء لخالد، أى عدلاً يثار به، بينما يضع الضحاك بن فيروز الديلمى تبعة مقتل النعمان بن بشير الأنصارى^(٣) على قبائل حمير التى قتلتها حين كان والى بن الزبير على حمص^(٤) فيقول:

زَعَمُوا بَأْنَ أَخَا التَّفْضَلِ وَالنَّدَى قَتَلْتُهُ غَدْرًا إِذْ تَعَاوَرَتْ جَمِيرُ
غَدَرُوا بِنُعْمَانَ بْنِ سَعْدٍ غَدْرَةً وَلِرَأْسِ جَمِيرٍ مِثْلُهَا أَوْ أَكْثَرُ^(٥)

(١) البلاذرى: أنساب، ١٣٩/٥.

(٢) نفسه، ١٦٦-١٦٧.

(٣) هو النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي كان عثمانياً ثم مال مع ابن الزبير (ت، ٦٤هـ/٦٨٣م).

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/٥٢٢ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/٣٢٦.

(٤) حمص: قلعة بين دمشق وحلب، ياقوت: معجم البلدان، ٢/٣٠٢ (حمص).

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/١٤٧. ينظر: أيضاً ما قاله عبد الرحمن بن الحكم في هذا الموضع.

ويشير عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان إلى أثر قبيلة كلب في معركة مرج راهط وهي تصارع قبيلة قيس عيلان فيقول:

أَنزَهَبُ كَلْبٌ قَد حَمَتَهَا رَمَاحُهَا وَتَرُكُ قَتَلَى رَاهِطٍ مَا أَجْنَتْ!
لَحَا اللَّهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنِّهَا أَضَاعَتْ تُغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ
فَبَاوِ بِقَيْسٍ فِي الرِّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفِيُّ سُلَّتْ^(١)

وحين عاد مروان بن الحكم إلى دمشق بعد انتصاره في معركة مرج راهط قال بعض أنصاره بعد أن علموا قوة شوكة القبائل التي تحيط به وتدافع عن دولة الأمويين:

اللَّهُ أَعْطَاكَ التِّي لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمَلْحَدُونَ عَوْقَهَا
عَنكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْقَهَا^(٢)

فلما اجتمع أمر الخلافة لمروان، وفرغ من الحروب التي تشغله دخل عليه أُرطاة بن سهية فهنأه وكان خاصًا به^(٣) فقال:

وَسَادَتْ مَعْدًا عَلَى رَغْمِهَا قَرِيشٌ وَسُدَّتْ قَرِيشًا غُلَامَا
جُعِلَتْ عَلَى الْأَمْرِ فِيهِ صَغَا فَمَا زَالَ عَمَزُكَ حَتَّى اسْتَقَامَا^(٤)

هذه إشارة على صراعات القبائل، وطموح قريش في السيادة على معد، فقد شاع في هذا الوقت الشعر الذي يعبر عن وجهة نظر الأطراف المتصارعة حول السلطة، ويؤشر الوقائع الحربية التي درات بين هذه الأطراف وما جرى فيها من خسائر في الأموال والرجال فقدم هذا الشعر مادة تاريخية للباحث في فهم طبيعة الصراعات والأحداث.

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٤٤. ينظر: أيضًا ما قاله عويج الطائي عن كلب في هذا الموضع.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ١٣١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

(٤) شعره، ١٨٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٠.

وفى سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م)^(١) بعد موت معاوية بن يزيد وخشية الفتنة عهد سلم بن زياد ولاية خراسان إلى عبدالله بن خازم السلمي^(٢) فنشب الصراع بينه وبين سليمان بن مرثد، فأدى ذلك إلى مقتل أخيه عمرو بن مرثد^(٣) وهزيمة جيشه، فقال الشاعر:

أذهب أيام الحروب ولم تُبئْ زهير بن حَيَّان بعمرو بن مَرثِدٍ^(٤)

وفى ذلك يقول^(٥) المغيرة بن حنناء:

وفى الحرب كنتم فى خُراسان كُلِّها قَتِيلًا وَمَسْجُونًا بِهَا وَمَسِيرًا
ويوم احتواكم فى الحَفِيرِ ابْنُ خازمٍ فلم تجدوا إلا الخَنَادِقَ مَقْبَرًا
ويوم تركتكم فى أَلْغَبَارِ ابْنِ مِرثَدٍ وأوسًا تركتم حيثُ ساروا عَسْكَرًا^(٦)

واغتنم الترك فرصة الصراع بين الأطراف العربية المتنازعة فأغاروا عليهم، فلما هزم زهير ابن حَيَّان التُّركَ^(٧) قال كعب بن معدان الأشقرى^(٨) (ت، ٩٥هـ / ٧١٣م) وهو من الشعراء الفرسان:

أَتَاكَ أَتَاكَ الْغَوْثُ فى بَرْقٍ عَارِضٍ دُرُوعٌ وَبَيْضٌ حَشَوْنُ تَمِيمٍ
أَبُوا أَنْ يَضْمُوا حَشَوًا مَا تَجْمَعُ الْقُرَى فَضْمَهُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ صَمِيمٍ

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٥-٢٤٧.

(٢) توفى سنة (٧٢هـ / ٦٩١م). ترجمته: الذهبى: العبر، ١/ ٢٥؛ ابن حجر. تهذيب، ٥/ ١٧٠.

(٣) سليمان بن مرثد وعمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة. الطبرى: تاريخ، ٥/ ٤٥٦.

(٤) نفسه، ٥/ ٥٤٧.

(٥) من ربيعة بن حنظلة التميمي، وحنناء لقب غلب على أبيه لحين أصابه، وهو ورم البطن، شاعر أموي (ت، ٩١هـ / ٧١٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣١٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ٨٦/ ١٣.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٥١. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.

(٧) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٤٩.

(٨) شاعر فارس من الأزد، من أصحاب المهلب بن أبي صفرة. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٦٦؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.

ورزقهُمُ من رائجاتِ تَزِينِها ضرورٌ عَرِيضاتِ الخواصرِ كَوْمُ^(١)

وهو يمدح زهير بن حيان وبنى تميم لقتالهم الترك، وإلى هذا أشار أحد فرسان الأزد ثابت قطنة^(٢) فقال:

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ من تَمِيم	غَدَاةَ الرُوعِ فِي ضَنْكِ المَقَامِ
فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسًا اِكْتَفُونِي	عَلَى الأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ القَتَامِ
بِقَصْرِ البَاهِلَى وَقَدْ رَأَوْنِي	أَحَامِي حَيْثُ ظَنَّ بِهِ المَحَامِي
بَسِيفِي بَعْدَ حَطَمِ الرِمَحِ قَدَحًا	أُذودَهُم بِذِي شَطْبِ حَسَامِ
أَكْرُ عَلَيْهِمُ اليَحْمَوْمَ كَرًّا	كَكَّرَ الشَّرْبِ أَنْيَةَ المُدَامِ

حتى يقول:

إِذْ لَسَعَتْ نِسَاءَ بَنِي دُثَارٍ أَمَامَ الثُّرَكِ بِادِيَةِ الخِدامِ^(٣)

يبدو هذا الشعر صورة حية للأحداث والوقائع، فهو أشبه بالوثيقة التي تحفظ الأسماء والأحداث، وتكشف عن كيفية مجابهة الحرب بإقامة الخنادق، وهؤلاء الشعراء هو من فرسان الحروب المجريين الذين يرون في الخندق هروباً من مواجهة العدو، فضلاً عن كون هذه النصوص توثق الأمكنة التي حصلت فيها الوقائع، فكانت صورة نابضة بالحقيقة التاريخية.

بعد أن استقر مروان بن الحكم في الشام سار إلى مصر فدخلها سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)^(٤) فأشير عليه بحفر الخندق حول القسطنطينية^(٥)، فوافقهم وحفره في شهر واحد وفي ذلك قال شاعرهم:

(١) الأشقري، كعب بن معدان (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣): شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٩/٥.

(٢) ثابت بن كعب، من فرسان الأزد سمي قطنة لوضعه قطنة في عينه التي أصيبت بسهم (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٢٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٤٧.

(٣) ثابت قطنة العتكي (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م): شعره، تحقيق ماجد أحمد السامرائي (مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ٥٥-٥٦؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٩/٥.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٥٧.

(٥) القسطنطينية: ضرب من الأبنية وبه سميت القسطنطينية. ياقوت: مع البلدان، ٤/ ٢٦٣ (القسطنطينية).

وما الجدُّ الأملُ جدُّ ابنِ جَحدَمَ وما العَزمُ إلا عزمُهُ يومَ خَندَقِ
ثلاثون ألفاً هم أثاروا ترابَهُ وخذوه في شهرٍ، حَدِيثُ مُصَدِّقِ^(١)

فوثق هذان البيتان عدد من عمل في الخندق، وهم ثلاثون ألفاً، ومدة حفره وهي شهر واحد، وأشار عبدالرحمن بن الحكم إلى القبائل التي عملت في هذا الخندق، فذكر أحياء مذحج والأشعرين وحمير وغافق.. وغيرها، فقال:

بلغنا بفيلق يَغشى الظَّرابَ بعيدَ السَّمَوِ لِمَن يَرتقى
وجاشت لنا الأرضُ من نحوهم بجيِّى نَجِيبَ وَمَن غافقِ
وأحياء مذحج والأشعرين وحمير كاللَّهَبِ المحرَّقِ
وسدت معافراً أفق البلادِ بمِرْعَلِ جِيشٍ لَهَا مُبرِقِ^(٢)

واكب هذا الشعر الأحداث فعبّر عن تفاصيلها وحفظ أسماء القبائل التي ساهمت في هذه الواقعة، فكان الشعر سجلاً للوقائع حتى أن بعض الشعراء كان يصاحب الولاة ويوثق أعمالهم، فقد كان نصيب^(٣) منقطعاً إلى عبدالعزيز بن مروان^(٤)، فلما استطاع إعادة بُساق^(٥) قال يوثق الحدث:

حلت بُساقاً والبطاحَ فلم يُرمَ بطاحَكَ لما أنت حميتَ ذماركا
فَسَرَتِ الألى وَلَوِا عن الأمرِ بعدما أرادوا عليه، فاعلمن اقتسارها^(٦)

(١) الكندي، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/٩٦١م): ولاية مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ٦٥).

(٢) نفسه، ٦٦-٦٧.

(٣) نصيب بن رباح مولى عبدالعزيز بن مروان، شاعر أموي (ت، ١٠٨هـ/٧٢٦م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/٣٢٢.

(٤) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي (ت، ٨٥هـ/٧٠٤م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٧٦؛ الذهبي: سير، ٤/٢٤٩.

(٥) عقبة بن التيه وأيلّه. ياقوت: معجم البلدان، ١/٤١٣ (بُساق).

(٦) نصيب بن رباح: شعره، تحقيق: داود سلوم (مط الرشاد، بغداد، ١٩٦٨)، ١١٣.

كانت مدة حكم مروان بن الحكم على قصرها حافلة بالأحداث والصراعات التي كانت تتصاعد بقوة، فكان ذلك مدعاة لازدهار الشعر نتيجة تأجيج الصراعات القبلية والسياسية، لأن الشعر وسيلة من وسائل التعبير عن المواقف، والصوت الإعلامي الذي يسهم في انتشار الخبر وشيوعه فيبعث في الحياة روح التنافس ويؤدي على رسوخ التناقضات السياسية ووضوحها بجلاء ويمنح الشعراء المحفز القادر على إثارة العواطف وتأليب الخصوم.

عبد الملك بن مروان بن الحكم^(١) (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

تسلم عبد الملك الخلافة وما زال ابن الزبير يستحوذ على مساحة واسعة من رقعة الدولة الأموية، وكان وضع الدولة في هذه الأثناء هشاً والظروف المحيطة بها مرتبطة، فقد كانت أيام مروان القليلة غير كافية لتثبيت أركان دولته التي تكاد أن تكون أسست تأسيساً جديداً، لذا بدت المهام أمام عبد الملك لتثبيت أركان الدولة جسيمة تحتاج إلى القوة والحكمة السياسية والأفق الواسع لمجابهة قوة عبدالله بن الزبير، وفرقة القبائل العربية، فضلاً عن الحاجة إلى المال والرجال، وقد بدأ أبوه خطواته الأولى بقوة قبيلة كلب ومن والى بنى أمية، ثم أخذ يوسع نفوذه في الشام ومصر، والخطوة القادمة تحتاج من عبد الملك التوسع في العراق وخراسان والحجاز والبحرين واليمن وباقي أمصار الدولة العربية الإسلامية.

كان عبد الملك إدارياً حازماً، وأديباً ذواقاً، فكان يحفظ الشعر ويتمثل به ويحفظ بنصوص منه مكتوباً، فقد كان ((يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً ويرويه إياه ويرده))^(٢) وقد جمع بعض بنيه فاستقرأهم "فقرؤوا، واستشهدهم فأنشدوا لكل شاعر غير الأعشى، فقال لهم: قرأتم فأحسنتم، وأنشدتم فأحسنتم لكل شاعر غير الأعشى، فما بالكم تهجرونه، فقد أخذ في كل فن فأحسن، وما امتدح رجلاً قط

(١) ولد سنة (٢٦هـ/٦٤٦م) وتولى سنة (٦٥هـ/٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣١٦/٢؛ الذهبي: سير، ٢٤٦/٤.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/٩.

إلا جعله مذكوراً^(١). يعنى بالذكر الأثر والانتشار بوصف الشعر سجلاً للوقائع ووثيقة يدون بها الحدث. فلا غرو أن ينال الشعراء عنده حظوة خاصة وأن يستخدم الشعر سلاحاً فاعلاً ضد خصومه، ووسيلة لذبوع صيته فهابه أعداؤه وتحاشوه؛ وهو ما أثبتته الوقائع وكشفت عنه الأحداث، فكان طوال مدة حكمه سبباً إضافياً لاستقرار الدولة في عهده وازدهار متطلبات الحضارة فيها، كما أنه يرى في الشعر مادة أخلاقية تهذب الذوق وتسمو بالأفكار والمعاني إلى مواطن الرفعة.

تصاعد أمر التوايين^(٢) في سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م)^(٣) الذين بدأت حركتهم في سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣)^(٤) في عهد مروان بن الحكم طلباً بثأر الحسين رضى الله عنه، إذ بعث سليمان بن صرد^(٥) (ت، ٦٥ هـ / ٦٨٤ م) إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخصوص، فأتوه وتلاقوا بالتلاوم والتنادم فعمسكوا بالنخيلة^(٦) إلى الكوفة ففرعوا إلى خمسة نفر من زعمائهم بينهم المسيب بن نجبة الفزارى^(٧) (ت، ٦٥ هـ / ٦٨٤ م) فولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعى، فحرضهم على الخروج عبيدالله ابن عوف بن الأحمر^(٨)، فقال:

صحوتُ وودعت الصُّبَا والغوانيا وقلتُ لأصحابي: أجيئوا المناديا
وقولوا له إذ قامَ يدعو إلى الهدى وقبل الدعا: لبيكَ لبيكَ داعياً^(٩)

(١) ابن بكار: الموفقيات، ٤٩.

(٢) هم الذين تابوا وندموا لتخاذلهم عن نصره الحسين حين خرج على يزيد بن معاوية. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥ / ٢٨٥؛ المسعودى: مروج، ٣ / ٩٣.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٨٣.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٥١ و ٥٨٢.

(٥) سليمان بن صُرج بن الجون بن أبي الجون الخزاعى قتل في عين وردة.

ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٢٦؛ ابن حجر، تهذيب، ٤ / ١٧٥.

(٦) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٥ / ٢٧٨ (النخيلة).

(٧) المسيب بن نجبة بن ربيعة الفزارى. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٢١٦؛ ابن حيان: الثقات، ٥ / ٤٣٧.

(٨) ينظر أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥ / ٥٩٧.

(٩) ابن أعثم: الفتوح، ٦ / ١٦ وهي طويلة عنده؛ المسعودى: مروج، ٣ / ٩٣.

وهو يذكر أنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه من الكبائر التي ارتكبوها حين لم ينصروه؛ لذا كان شعرهم صحوة نفسية غايتها التكفير والتطهير، وهى التوبة إلى الله عما فرط منهم من الذنوب والآثام^(١). إذ كان ابن الأحمر سبقهم إلى قبر الحسين وهو يرتجز:

خَرَجْنَ يَلْمَعْنَ بَنَا أَرْسَالَا عَوَابِسًا يَحْمَلْنَنا أَبْطَالَا
تُرِيدُ أَنْ تَلْقَى بِهِ الْأَقْتَالَا الْقَاسِطِينَ الْغُدْرَ وَالضُّلَالَا
وَقَدْ رَفَضْنَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَا وَالْخَفَرَاتِ الْبَيْضَ وَالْحِجَالَا
تُرْضَى بِهِ النُّعْمُ الْمَفْضَالَا^(٢)

يفصح هذا الشعر عن عقيدة التوابين في رفض الأهل والأموال والنساء للتفرغ لقتال خصومهم من قتلة الحسين رضى الله عنه، فخرجوا يريدون الشام، فلما كانوا بعين وردة^(٣) لقيتهم خيل أهل الشام^(٤) فالتحموا معهم بحماس شديد واستماتة كبيرة، وكأنهم يكفرون عن ذنبهم بالموت الذى بات مطالباً نفسياً ووجودياً؛ وتعبيراً عن الإحساس بالإحباط والانكسار، ففقدوا حساسية الشعور بالصدمة أمام الموت، فهذا سليمان بن صرد يكسر جفن سيفه ويتقدم نحو أهل الشام^(٥) وهو يرتجز ويقول:

إِلَيْكَ رَبِّى تُبْتُ مِنْ ذُنُوبِى وَقَدْ عَلَانِى فِي الْوَرَى مَشِيبِى
فَارْحَمْ عَبْدًا غَيْرَ مَا تَكْذِيبِى وَاغْفِرْ ذُنُوبِى سِيدِى وَحَوِيبِى^(٦)

(١) خليف: حياة الشعر في الكوفة، ٣٨١/٣٨٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥/٥٩١.

(٣) عين وردة: على مقربة من الكوفة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/١٨٠ (عين وردة).

(٤) الطبرى: تاريخ، ٥/٥٩٦.

(٥) ابن أعثم: الفتوح، ٦/٨٢.

(٦) نفسه.

ثم أخذ الراية المسيب بن نجبة وهو يقول ((فقد صدقت ووفيت بها عليك))^(١). فكان يقاتل ويرتجز:

قد علمت مِيلة الدَّوابِ واضحة اللَّبَّاتِ والتَّرائبِ
أنى غداةَ الرُّوعِ والتَّغَالِبِ أشجعُ من ذى لبِّدٍ مُواثِبِ
قَطَّاعُ أَقرانٍ مُخوفُ الجانِبِ^(٢)

وكان يطعن في أهل الشام ويقول:

لقد منيتم يا أخى جلادى بيت المقام مقصص الأعادى
ليس بفرارٍ ولا حياى أشجعُ من ليث عرين عادى^(٣)

وتقدم عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي^(٤) (ت، ٦٥هـ / ٦٨٤م) فأخذ الراية فرفعها لأهل الكوفة وهو يقول:

ارحم إلهى عبدك التَّوايا ولا تؤاخذهُ فقد أنابا
لا كُفَّةَ يبقى ولا عِراقا لا بل يريد الموت والعتابا^(٥)

هنا يبدو مطلب الموت ذاتياً للمجموعة وكأنهم يدفعون بأنفسهم إلى الموت تكفيراً عن جريمة كبيرة، وإثم عظيم، وهم البقية الباقية من أصحاب على بن أبى طالب فى الكوفة، وكان التعبير عن التوبة لديهم بغير الموت لا قيمة له، مما جعلهم يطلبون اللقاء بربهم ومن قتل من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٩٩.

(٢) نفسه، ٥/ ٦٠٠؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٩٤؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/

١٣٧٢م): البداية والنهاية، الجزء الثامن (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٢٥٤.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٤) أخباره: الطبرى: تاريخ، ٥/ ٦٠٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٥) ابن عثم: الفتوح، ٦/ ٨٣.

(٦) ينظر شعر: رفاعه بن شداد البجلي، وسخر بن حذيفة عند ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٨٤-٨٥. وكذلك يمكن ملاحظة الإحساس بالندم عند عبید الله الجعفي في رثائه للحسين وتقريره لنفسه لعدم نصرته: شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦.

بعد مقتل التوابين في عين الوردة شعر أصحابهم ومؤيدوهم بالحزن والأسى لما حصل فرووا شعراً سمعوه في مسيرهم ورجوعهم يعد من الشعر الذي يوثق الحدث ومن شارك فيه، وهو كما يبدو شعرٌ صَنعَ بعدَ تفاعلِ الأحداث وكثرة الثورات، وهو قولهم:

يا عينُ بُكى ابن الصردُ بُكى إذا الليلَ حَمَدُ
كان إذا البأس نَكَدُ تخالعه فيه أَسَدُ
مضى حَميداً قد رَشَدُ فى طاعةِ الأعلى أَلْصَدُ^(١)

كان لرتاء من قتلوا في عين الوردة اثره الواضح في فحظ أحداثها واستمرار روايتها من قبل التوابين، مع التكتم عليها لحساسيتها لتعبيرها عن هواجسهم، فهذا أعشى همدان^(٢) يرثيهم بقصيدة بائية تعد ((إحدى المكتّمات، كن يكتمن في ذلك الزمان))^(٣)، ومطلعها:

ألم خيال منك يا أمّ غالب فحييت عنا من حبيب مجانب^(٤)

تعد هذه القصيدة لطولها وتسلسل حوادثها من القصائد المهمة في توثيق الأحداث التاريخية، لوضوحها ومباشرتها، وتتبعها تحرك التوابين؛ فضلاً عن تعبیرها عن أفكارهم وعقيدتهم في التوبة. فهو يوثق حركتهم، ويكشف عن تعاطفه معهم، وعن روح القناعة بعقيدتهم، فقد كان أعشى همدان أحد الفقهاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر^(٥)، فعد من الفحول^(٦). فمن ذلك قوله:

(١) المسعودي: مروج، ٩٥/٣.

(٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحراث، أبو المصباح، شاعر فصيح كوفي أحد القراء الفقهاء (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م). ترجمته: الأمدى: المؤلف، ١٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ٣٤/٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦٠٧/٥.

(٤) أعشى همدان، عبدالرحمن بن عبدالله (ت، ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م): الديوان: ملحق بديوان الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين (مطبعة آذلف هُـلر هوسن، بيانة، ١٩٢٧ م)، ٣١٥؛ الطبري: تاريخ، ٦٠٨/٥.

(٥) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧ هـ/ ١١٩٩ م): المنتظم في تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر، بيروت، ١٤٥١ هـ/ ١٩٩٥ م)، ٣٩١.

(٦) هذا رأي الأصمعي فيه ينظر: المرزبانى: الموشح، ٣٠١.

فَوَجَّهَهُ نَحْوَ الثَّوْبَةِ سَائِرًا
 بِقَوْمٍ هُمْ أَهْلُ التَّقْيَةِ وَالتَّهْيِ
 مَضَوْا تَارِكِي رَأَى ابْنَ طَلْحَةَ حَسْبَةً
 فَسَارُوا وَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْتَمِسِ التَّقَى
 فَلَاقُوا بَعِينَ الْوَرْدَةِ الْجَيْشِ فَاصِلًا
 يَمَانِيَّةً تَذَرِي الْأَكْفُ وَتَارَةً
 فَمَا بَرَحُوا حَتَّى أُبِيدَتْ سَرَاتُهُمْ
 وَغُودِرَ أَهْلُ الصَّبْرِ صَرَعَى فَاصْبَحُوا
 وَأَضْحَى الْخَزَاعِي الرَّئِيسُ مُجْدَلًا
 وَرَأْسُ بَنَى شَمَخٍ وَفَارِسُ قَوْمِهِ
 وَعَمَرُوا بَنُ يَشْرِ وَالْوَلِيدُ وَخَالِدٌ
 وَضَارَبُ مِنْ هُمْدَانَ كُلُّ مَشِيعٍ

إلى ابن زياد فى الجموع الكبار
 مَصَالِيْتُ أَنْجَادِ سَرَاةٍ مَنَاجِبِ
 وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْأَمِيرِ الْمُخَاطَبِ
 وَآخَرُ مَا جَرَّ بِالْأَمْسِ تَائِبِ
 إِلَيْهِمْ فَحَسُّوهُمْ يَبِيضُ قَوَاضِبِ
 بِخَيْلٍ عِتَاقٍ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ ثُمَّ غَيْرُ عَصَائِبِ
 تَعَاوَزَهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
 كَأَنَّ لَمْ يُقَاتِلَ مَرَّةً وَيُحَارِبِ
 شَنْوَةَ وَالتَّيْمَى هَادَى الْكَتَائِبِ
 وَزَيْدُ بْنُ بَكْرٍ وَالْحَلِيسُ بْنُ غَالِبِ
 إِذَا شُدَّ يَنْكُلُ كَرِيمُ الْمَكَاسِبِ^(١)

تسرد هذه الأبيات مجموعة ممن شارك فى الواقعة، إذ يشير إلى سليمان بن صرد الخزاعى أحد رجالاتها وصحبه، عبدالله بن سعد بن نفيلى الأزدي، وعبدالله بن والى التيمى من تيم اللات، والوليد بن عصير الكنانى، وخالد بن سعد بن نفيلى... وغيرهم^(٢)؛ مما يكشف عن أثر الشعر فى توثيق هذا الحدث وما تبعه من متغيرات وظروف كانت سبباً فى اتخاذ عبدالمملك بن مروان أسلوب الحزم والقوة لمجابهة هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة.

(١) ديوانه، ٣١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦٠٨/٥-٦٠٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن الأثير، عز الدين على بن محمد الشيبانى (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل فى التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ١٨٩.

وكان مروان بن الحكم قد أنفذ جيش بن دلجة القيني^(١) إلى أهل المدينة، فوجه إليه عبدالله بن الزبير جيشاً من البصرة بقيادة واليها من قبله الحارث بن عبدالله أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقباع^(٢) (ت، ٨٠هـ / ٧٠٠م)، ف وقعت موقعة الرّيدة^(٣) في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(٤)، والتي قال فيها عمرو بن حنظلة التميمي^(٥):

فِدَى لَامِرِي سَوَى حُبَيْشًا عَلَى الْعَصَا قُدَامَةَ قَبْلِ النَّاسِ مِنْ آلِ أَجْدَرَا
أَنَاخَ لَهُ شَرُّ الْمَطَايَا مَطِيَّةً وَكَانَ حُبَيْشٌ قَدْ طَغَى وَتَجَبَّرَا
وَقَالَ حُبَيْشٌ لِلْجُنُودِ تَقْدِمُوا وَظَنَّ قِتَالَ الْقَوْمِ قَنْدًا وَسُكْرَا
وَلَمَّا التَّقُوا وَلَّى الشَّامُونَ هُرْبًا عَزِينَ وَأَجْلَوْا عَنْ حُبَيْشٍ مُقْطَرَا
وَأَفْلَتْنَا الْحَجَّاجُ رَكْضًا وَلَوْ بِهِ لَحَقْنَا لِفَاغْدَرْنَا الْجُرَى مُغْفَرَا^(٦)

فانهزم جيش مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي وأبوه منهم فهربا على بعير يعتقبانه، وقُتِلَ عمرو وَصُلِبَ حُبَيْش، ففيل أنّه أولُ مصلوبٍ في الإسلام^(٧).

واشتدت شوكة الخوارج بالبصرة، في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(٨) من أصحاب نافع بن الأزرق^(٩)، فبعث إليهم أهل البصرة جيشاً عليه حارثة بن بدر فلقبهم، فقال لأصحابه:

(١) أحد بني وائل بن جشم. البلاذري: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٢) لقب مكيال وصفه. ترجمته: ابن حبان الثقات، ٤/ ١٢٩؛ الذهبي: سير، ٤/ ١٨١.

(٣) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤ (الرّيدة).

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/ ١٥٠-١٥١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٥) عمرو بن حنظلة التميمي البصري. ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٤٧.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) الطبري: تاريخ، ح ٥/ ٦١٣.

(٩) نافع بن الأزرق الحنفي، أحد قادة الخوارج قتل سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥.

/ ٤٦٩؛ الذهبي: ميزان، ٤/ ٢٤١.

كـرـنـبـوا و دـولـبـوا و حـيـث شـيـتـم فـا ذـهـبـوا^(١)

وسبب ذلك اشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزدي وربيعة وتميم، بسبب مسعود بن عمرو، وكثرة جموع الخوارج^(٢)، فاجتمعوا في دولاب^(٣)، فقال قطري بن الفجاءة^(٤):

ولو شهدتني يومَ دولاب أبصرت
غداة طعت غَ الماءِ بكر بن وائلٍ
ومالَ الحجازيون نحوَ بلادهم
وكانَ لعبدِ القيسِ أوَّلَ جدِّها
على نائبات الدهر جدُّ لثيم
والأفهام من جَميرٍ وسُليم
وعُجنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميم
وولتَ شيوخُ الأزديِّ فهيَ تعومُ^(٥)

وبعد أن كتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يطلبون منه إمامًا عليهم وجه إليهم الحارث بن عبدالله المخزومي، وفي هذا الوقت كان ضغط الخوارج^(٦) شديدًا على أهل البصرة فأشاروا عليه أن يولي المهلب بن أبي صفرة^(٧) (ت، ٨٢هـ / ٧٠١م) على قتال الخوارج، فقام رجل من أهل البصرة^(٨) منشدًا:

مضى ابن عُبَيْسٍ مُسلمٌ لسبيله فقام لها الشيخ الحجازي عُثْمَانُ
فأرعد من قَبْلِ اللقَاءِ ابنَ مَعْمَرٍ وأبرقَ، والبرقُ الحجازي خَوَانُ
ولم يُنكِرْ عُثْمَانُ جناحَ بعوضةٍ وأضحى عدُو الدينِ مثل الذي كانوا

(١) الطبري: تاريخ، ٦١٣/٥؛ ابن الكلبي، جمهورية، ٢٢٢. والبيت غير مذكور في جموع شعره.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦١٣/٥.

(٣) بينه وبين الحواز فرسخان. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٤٨٥ (دولاب).

(٤) اسمه جعونة بن مازن، أبو نعام، قتل نحو سنة (٧٨هـ/٦٩٧م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ٣/٢٦٤، البكري: سمط، ١/٥٩٠.

(٥) شعر الخوارج، ١/١٠٦-١٠٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ٥/٦١٥.

(٧) المهلب بن ظالم بن سارق بن صبح الأزدي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/١٢٩؛ الذهبي: سير، ٤/٣٨٣.

(٨) الدينوري: الأخبار، ٢٧٠-٢٧١.

وليس لها إلا المهلب إئنه
إذا قيل من يحمى العراقيين أومات
فذاك أمرؤ إن يلقهم يطف نارهم
مليء بأمر الحرب، شيخ له شأن
إليه معد بالأكف، وقحطان
وليس لها إلا المهلب إنسان^(١)

وهذا الشعر يوثق أحداث الخوارج مع أهل البصرة، ويشير إلى قاعدة جيوشهم في المحاربة، ويرى في شخصية المهلب القيادية أهلاً لمناجزتهم القتال، فهزمهم المهلب في (سلى وسلبرى)^(٢)، وأقام بالأحواز، فقال الصلتان العبدى^(٣):

يسلى وسلبرى مصارع فتية
كرام وقتلى لم توسد خدودها^(٤)

وقال شاعر من المسلمين يوثق هذا الحدث:

يوم سلى وسلبرى أحاط بهم
منا صواعق ما تبقى وما تذر
حتى تركنا عبيد الله منجدلا
كما تجدل جدع مال منقعر^(٥)

وقال أحد شعراء الخوارج:

لعمري لقد بعنا الحياة وعيشها
برضوان رب الخلائق عالم
غداة نكر المشرفية فيهم
بسولاف يوم المأزق المتلاحم

(١) نفسه، ٢٧١. ينسب هذا الشعر لابن غرادة وفيه إشارة إلى عثمان بن عبدالله في قتاله للخوارج، وإلى مقتل مسلم بن عبيس القرشي في دولاب كم وثق ذلك أحد الأزد. ينظر أيضًا: البلاذري: أنساب، ٢ - ١١٥/٤.

(٢) سلى وسلبرى: منزل من منازل الأحواز نزل به المهلب. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣٢ (سلى وسلبرى).

(٣) هو قثم بن خبية من عبد القيس، شاعر حكيم (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٤٠٨؛ المرزباني، معجم الشعراء، ٤٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٦١٩.

(٥) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ٧٤٨. ينظر ما قاله كعب الأشقر، ابن أعثم: الفتوح، ٦/ ٢٦.

فإن تك قتلى يوم سلى تتباعت فكم غادرت أسيفنا من قماقم^(١)

وعن وقعة سولاف^(٢) يقول عبدالله بن قيس الرقيات:

تسدت وعين السوس بينى وبينها ورزادق سولاف حمته الأزارقة^(٣)

ورثى أحد الخوارج نافع بن الأزرق فأشار إلى مقتله على يد المهلب فوصفه بأمر المؤمنين، وقد اتصف شعر الخوارج بالصدق والواقعية وكأنه قيل ليوثق الأحداث، فهو بعيد عن الصنعة والمحابة والتكلف فهو يشير إلى أهدافه بصورة مباشرة، لذلك يلتقى مع شعر الفرسان في خضوعه للسليقة واستجابته المباشرة للحدث، ومن ذلك قول أحدهم:

شمت المهلب والحوادئمة والشامتون بنافع بن الأزرق
أن مات غير مُداهن فى دينه ومتى يمرُّ بذكر نارٍ يصعق
والموت أمرٌ لا محالة واقِعُ من لا يصبّحه نهارةً يطرقُ
ورمى المهلب جمعنا بجموعه لما أصبنا بالصُّبور المتقي
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريبُ المنون فمن يُصبه يغلق^(٤)

يتصف شعر الرثاء عند الخوارج بالاستهانة بالموت، وعدم المداهنة أو المراعاة، لأن شعرهم يهتم بإبراز ملامح الإقدام والجرأة، والقدرة على تحدى الخصم من أجل الأهداف التى يؤمنون بها، وهذا ما أبعده عن البكائيات وجعله توكيداً حياً للعقيدة عندهم، كما تعكس ذلك المراثي^(٥) التى قيلت فيمن قتل مع نافع بن الأزرق.

(١) الأبيات من شعر بعيدة بن هلال الشكري، شعر الخوارج: ص ٩٢. ينظر روايتها عند ابن أعثم: الفتوح، ١٩/٦.

(٢) قرية غربي دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٨٥ (سولاف).

(٣) ديوانه، ١٦٢.

(٤) شعر الخوارج، ٧٢؛ الدينورى: الأخبار، ٢٧٤.

(٥) ينظر حول: رثاء عمرة لابنها عمران بن الحارث الراسبي، ورثاء الحارث بن كعب الشني لعون بن أحمد الضبعي. شعر الخوارج، ٧٣-٧٤.

وفي سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(١) خالف من كان بخراسان من بني تميم عبدالله بن حازم (ت، ٧٢هـ / ٦٩١م) حتى وقعت الحرب بينهم، فقاتله الحريش بن هلال القريعي^(٢) سنتين. فقال بعض شعراء تميم:

فلو كنتم مثل الحريش صبرتم وكنتم بقصر الملح خير فوارس
إذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم سجال دوم يورثن طوال وساوس^(٣)

فوثق الشعر شخصيتي المتحاربين، كما أشار فخر الحريش إلى هياته الخارجية وإلى مدة الحرب بين الطرفين التي هي حولان، إذ يقول حريش:

أزالَ عظم يميني عن مركبه حمل الرديني في الأدلاج والسحر
حولين ما اغتمضت عيني بمنزلة إلا وكفى وصاد لي على حجر
بزى الحديد وسريالي إذا هجعت عني العيون محال القارح الذكر^(٤)

وحاصر عبدالله بن خازم رجال بني تميم بخراسان بسبب مقتل ابنه محمد سنة (٦٦هـ / ٦٨٥م)^(٥) فقال الحريش بن هلال:

أعاذلَ إنني لم أَلِم في قتالهم وقد عضَّ سيفي كبشهم ثم صمما
أعاذلَ ما ولّيتُ حتى تَبَدَّدت رجالاً وحتى لم أجد متقدما
أعاذلَ أفناني السلاح ومن يُطِل مقارعة الأبطال ترجع مكلما
أعيني إن أدرفت ما الدَّمع فاسكنبا دما لازما لي دون أن تسكبا الدما
أبعدَ زهير وابن بشر تتابعا وورد أرجى في خراسان مغنما

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٦٢٤.

(٢) حريش بن هلال بن قدامة، من فرسان بني تميم. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٥٧؛ ابن خلكان: وفيات، ٦/ ٢٨٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٦٢٦.

(٤) نفسه، ٥/ ٦٢٦.

(٥) نفسه، ٦/ ٧٦.

أعاذل كم من يوم حرب شهدته أكر إذا ما فارس السوء أحجما^(١)

وفي سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)^(٢) أعلن المختار بن أبي^(٣) عبيد (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) خروجه في الكوفة مطالبًا بالثأر لدم الحسين بن علي فأخرج عامل ابن الزبير منها، وكان المختار بايع الحسين فيمن بايعه من أهل الكوفة^(٤). فأصبح خروجه لخروج التوابين، ورافدًا من روافد التمرد على الدولة الأموية بعد نشوب الاضطرابات والفتن التي فجرها تحول نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة. ولأن الكوفة كانت مركزًا مهمًا من مراكز الدولة العربية الإسلامية، وصارت عاصمة لها في عصر الخليفة الراشدي الرابع على بن أبي طالب فقد كانت مهية للوثوب على ابن الزبير والأمويين فقد كان المختار يلبس سلاحه ويرتجز:

قد علمت يضاء حسناً الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفل
إنى غداة الرّوع مقدام بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل^(٥)

مهما يعبر عن حماسه واندفاعه من أجل تحقيق أهدافه؛ لأن ثورته تُعدّ من أكثر أحداث القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أهمية^(٦)، فكان خروج المختار بعد أن

(١) نفسه، ٨٠/٦، ومعني بـ (زهير، ابن بشر، ورد): زهير بن ذؤيب، وعثمان بن بشر المازني، وورد بن الفلق العنبري.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/٦.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٠٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٢٢/٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥٦٩/٥.

(٥) المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م): شعره، شعراء ثقيف في العصر الأموي، تحقيق عيضة ابن عبدالعزيز الصّواط (نادي الطائف، طبع بمطابع شركة دار العلم، جدة، دون تاريخ)، ٢٧٢؛ البلاذري: أنساب، ٥/٢٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢٠؛ ابن أعثم: الفتوح: ١٠٣/٧٦.

(٦) دكسن، عبد الأمير عبدحسين: الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م)، ٥٥.

دعا عبدالله بن مطيع ابن الأسود^(١) لابن الزبير في الكوفة ولم يسمه. وقال بايعوا
لأمير المؤمنين فقال عبدالله بن همام السلولى:

دعا ابن مطيع للبياع فجئتُهُ إلى بيعة قلبى لها غيرُ عارفٍ
فأخرج لى خشناء حيث لمستها من الخشن ليست من أكف الخلائفِ
معاودةً ضربَ الهراوى لقومها فرودًا إذا ما كان يومُ التسايفِ
ولم يُسم إذ بايعته من خليفتي ولم يشتَرِ إلّا اشتراطَ المجازِفِ^(٢)

ولما بلغ ابن مطيع عزم المختار بالخروج بعث راشد بن إياس بن مضارب مكان
أبيه إياس ابن مضارب الذى كان فى شُرطه فقتله أصحاب المختار^(٣)، فقالت أخته
ترثيه:

لحى الله قومًا أسلموا أمسٍ راشدًا بحبّانة الدارين عند مُرادٍ
فلا وَلَدَت عِجْلِيَّةً بعد راشدٍ غلامًا ولا حَلَّت بِصَوْتِ رِعادٍ^(٤)

فلما صار القتال فى سكك الكوفة وأحيائها، حُصر عبدالله بن هَمّام السلولى فى
قَصْرِ الإمارة فتدلى منه^(٥)، فقال:

لما رأيتُ القصرَ أغلق بابُه وتوكلتُ هَمَدانُ بالأسبابِ
ورأيتُ أصحابَ الدقيقِ كأنهم حولَ البيوتِ ثعالِبُ الأسرابِ
ورأيتُ أفواءَ الأزقةِ حولنا ملئتُ بكلِّ هَراوَةٍ ودُبابِ
أيقنتُ أن إمارةَ ابنِ مُضاربٍ لم يبقَ منها فيشُ أيرِ دُبابٍ^(٦)

(١) عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي (ت، ٧٣هـ / ٦٩٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

(٣) نفسه: ٥/ ٢٢٤-٢٢٥. ينظر أيضًا أخبار إياس بن مضارب وابنه راشد.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٦. وجبانة الدارين أحد أحياء الكوفة.

(٥) نفسه، ٥/ ٢٢٠.

(٦) ما تبقى من شعره، ١٨٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٢٠.

يشير هذا الشعر إلى الأحداث التي عاشتها الكوفة، ومثلما أشرنا في موضع آخر إلى اشتداد قوة المختار وكثرة أنصاره، فقد كان السلولى معتزلاً فاستأمن له^(١)، فجاء إليه ذات يوم ومدحه:

وفى لسلوة المختار ما يذهل الفتى	ويلهيه عن رُود الشَّبَابِ شُموعُ
دعا يا لثارات الحسين فأقبلت	كتائبُ من همدان بعد هُزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك	يقود جُموعاً عبئت لجموع
ومن أسدٍ وافى يزيدٌ لنصرو	بكل فتى ماضى الجنان منيع
وجاء نعيم شيبان كلُّها	بأمر لدى الهيجاء جدُّ جميع
وما ابن شُميط إذ يحرضُ قومه	هناك بمخذول ولا بمُضيع ^(٢)

يوثق هذا الشعر القبائل والأشخاص ممن ساند المختار، فقد وقفت القبائل اليمانية ضده بسبب دعوة المختار للمساواة بين الموالي والأشراف، كما أشار إلى عقيدته الكيسانية^(٣) بوصف المختار وزير الوصى والمعبر عن فكرة بقاء الخلافة في بنى هاشم:

فمن وزير ابن الوصى عليهم	وكان لهم فى الناس خيرَ شفيع
وآب الهدى حقاً إلى مستقره	بخير إيابٍ أبه ورجوع
إلى الهاشمى المهتدى المهتدى به	فنحن له من سام ومطيع ^(٤)

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥.

(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٣) هم الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، وإن الوصاية انتقلت إليه من أخيه الحسين قبل خروجه إلى الكوفة. ينظر: البغدادى، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ)، ٤٣.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٦؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥-٣٦.

فلما أنشدتها المختار، قال المختار لأصحابه: ((قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثناء عليكم، فأحسنوا له الجزاء))^(١). فقد كان المختار يحاول أن يكسب ودَّ الشعراء والفقراء من الناس لكي يمنح إجراءاته طابعًا شعبيًا تستجيب لمطامح السواد الأعظم من الناس، فأخذ الشعراء يصرحون بظلم القباع، وهو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وإلى ابن الزبير على البصرة، فهذا الأقيشر الأسدي^(٢) (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م) يقول:

إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهاً سفاهاً بلا سيف حديد ولا نبل
ولكن بترس ليس فيها حمالة ورمح ضعيف الزج منصنع النصل
حبانى بها ظلم القباع ولم أجد وسلمت تسليم الغزاة على أهلي^(٣)
وقال شبت بن ربيع أيضاً:

أبعد القباع آمن الدهر صاحباً على سوءة وإنى إذا لغبين
وأملك سوداء الجواهر جعدةً لها شبهة فى منخريك مubin^(٤)

فلما سار إبراهيم بن الأشتر^(٥) (ت، ٧٢هـ/ ٦٩١م) يريد الموصل تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار، وقالوا: إنما هذا كاهن، وبلغ من فى جبانة السبيع^(٦) أن المختار قد عزم على معالجتهم فأقسموا على من فى النواحي من الأشراف البيانية أن

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٦.

(٢) هو المغيرة بن عبدالله بن معرض، وقيل: المغيرة بن أسود بن مطيع الأسدي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٦٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١١/ ٣٢٥.

(٣) الأقيشر الأسدي، المغيرة بن عبدالله (ت، ٨٠هـ/ ٦٩٩م): أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العشاش، مجلة جولييات الجامعة التونسية، العدد (٨)، (تونس، ١٩٧١م)، ٨٢.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٧٥.

(٥) إبراهيم بن مالك بن الأشتر، قتل مع مصعب بن الزبير. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٥؛ الذهبي: سير، ٤/ ٣٥.

(٦) محلة فى الكوفة مسماة بقبيلة السبيع رهط أبي إسحق السبيعي. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٨٧ (السبيع).

يصيرون بأصحابهم إليهم فتوافق اليمانية في جبانة السبيع^(١) وكان رفاعه بن شداد
الجلجلى^(٢) مع المختار يرتجز في جبانة السبيع مشيراً إلى عقيدته:

أنا ابن شدّاد على دين على لست لعثمان بن أروى بولى
لأصلين اليوم فيمن يصطلى بحر نار الحرب غير ملتوى^(٣)

وحين هزم أهل جبانة السبيع استخرج من دور الوادعين من همدان خمس مائة
أسير فأتى بهم المختار فقتل منهم من كان شهد مقتل الحسين، وكان سراقه بن
مرداس البارقي^(٤) (ت، ٢٧٩هـ / ٦٩٨م) صنع لسان^(٥)، فجعل يقول:

أمنن على يا خير معد وخير من لبي وحيًا وسجد^(٦)

فأمر به فحبس ليلاً ثم خلاه، فقال شعراً ذكر فيه أنه رأى الملائكة تقاتل مع
المختار على خيل بلق، فأمر أن يصعد المنبر فيعلم الناس ما رأى^(٧)، فقال:

ألا أخبر أبا إسحاق أنا نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خوجنا بطراً وحيناً
نراهم فى مصافهم قليلاً وهم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلمّا رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضرباً وطحنًا وطعنًا صائبًا حتى انشينا^(٨)

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣١-٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦٥/ ٢٨-٢٩.

(٢) رفاعه بن رافع بن عبدالله بن قيس. ينظر: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ٢٤٢.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٥٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠.

(٤) شاعر من العصر الأموي مشهور. ترجمته: الأمدى: المؤلف، ١٩٧؛ السيوطى: شرح، ١/ ١٠٤.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤.

(٦) البارقي، سراقه بن مرداس (ت، ٧٩هـ / ٦٨٩م). ديوانه، تحقيق حسين نصار (مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)، ٧٤؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛
الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥.

(٨) البارقي: ديوانه، ٧٦؛ ينظر تمام القصيدة: ٧٧. وأبو إسحق كنية المختار؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤.

فأطلق سراحه، فخرج من الكوفة هاربًا إلى البصرة، وفيها يؤيدو ابن الزبير، وهو يقول:

أبلغ أبا إسحق أنى رأيتُ البلق دهمًا مصمتات
كفرتُ بوحيكُم وجعلتُ نذرًا على قتالِكُم حتى الممات
أرى عينى ما لم تُرِياه كلانا عالمٌ بالترهات
إذا قالوا: أقول كم كذبتُم وإن خُرجوا ليست لهم أداتى^(١)

ويبدو أن راقا ابتدع حديث الخيل البلق من عنده، لذا عَرَّضَ بالمختار حين هرب، ولكن الحادثة شاعت مع شعره، فكانت أحد أسباب اتهام المختار بالكذب، وادعائه بأن الشام ستفتح له ويهدم مدينة دمشق حجرًا حجرًا^(٢)، وهذا ما يجعل شعر سراقا البارقي جزءًا متممًا، ووثيقة مهمة في تدوين الأحداث. لكن الاختلاف في موقف المختار نفسه منها يثير الشكوك، فبعضهم يروى أن المختار قال: "من يخرج سرى إلى الناس"^(٣) أو قال: "أما أن الرجل قد عاين الملائكة! خلوا سبيله"^(٤).

ثم تجرد المختار لملاحقة قتلة الحسين^(٥) فأصبح يتابعهم، فقتل بعضهم كما ذكر سراقا بقوله:

لم أر مثل الخيل خيل ابن محنفر غداة انتدى بالشاكرى ابن كامل^(٦)

(١) البارقي، ديوانه: ص ٧٦٨؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٣٤؛ الطبرى: تاريخ، ٥٥/ ٦.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، الجزء الأول (نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م)، ٢٠٣؛ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق (ت، ٣٤٥هـ/ ٩٥١م): أمالي الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ)، ٨٧.

(٣) الزجاجي: الأمالي، ٨٧.

(٤) النورى: الأخبار، ٣٠٣؛ الأصفهاني: الأغاني: ١٣/ ٩.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٥٧/ ٦.

(٦) ديوانه: ٨٠ وينظر تمام القصيدة، والشاكرين: هو عبدالله بن كامل، البلاذري، أنساب، ٥/ ٢٤٠.

وقال أعشى همدان:

يا عين بكى فتى الفتيان عثماناً لا يبعدنُ الفتى من آلِ دُهمانا
واذكر فتى ماجداً حُلوا شمائلُهُ ما مثله فارسٌ فى آلِ همدانا^(١)

وحين قتل عمر بن سعد بكته ابنته حميدة^(٢) فقالت:

لو كان غير أخى قسى غرهُ أو غيرُ يَمَنٍ وغيرُ الأعجم
سَخى بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثلُ الألام
أعطى ابن سعد فى الصحيفة وابنه عهداً يلينُ له جناحُ الأرقم^(٣)

وفى الشعر إشارة إلى المختار وقومه بنى ثقيف، وغلى فكرة الوحى المستوحاة من المسيحية، من خلال ذكر الشعراء للبطريق والأخبار، كما قال المتوكل الليثي^(٤) (ت، نحو ٨٥هـ / ٧٠٤م):

قتلوا حسيناً ثم هموينعوه إن الزمان بأهلِهِ أطوارُ
لا تبعدن بالطِّفِّ قتلَى ضُيِّعت وسقى الله مساكنَ هامِها الأمطارُ
ما شروطة الدجال تحت لوائِهِ بأضلَّ ممن غرهُ المختارُ
ابنى قسى أو ثقوا رجالكم يُجلّ الغبارُ وأنتم أحرارُ
لو كان علّم الغيب عند أخيكُم لتواطأت لكم به الأخبارُ
ولو كان أمراً بيننا فيما مضى تأتى به الأنباء والأخبارُ
إنى لأرجو أن يكذبَ وحيكُم طعنَ يَشقُ عصاكُم وحِصارُ^(٥)

(١) ديوانه: ٣٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ٥٩/٦.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥٩/٦.

(٣) نفسه.

(٤) المتوكل بن عبدالله الليثي من شعراء الإسلام. ترجمته: ابن سلام: الطبقات، ٢/٢٨١؛ الأمدى: المؤلف، ٢٧٢.

(٥) المتوكل بن عبدالله الليثي (ت، نحو ٨٥هـ / ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري (مطابع التعاونية للبنانية، دار عون - حريصا، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م)، ٢٥٤-٢٥٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧١-٧٠/٦.

مما يعبر عن توجس الناس من مصداقية المختار وأفكاره؛ وبخاصة وإنه بدأ مهادئاً لابن الزبير، ثم راح يدعو لنفسه، فقد أخذت البيعة له في البصرة^(١)، ثم دعوته للموالى حتى قال الأحنف بن قيس لبعض أهل الكوفة: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار^(٢). فكانت دعوته رد فعل ضد التمييز الطبقي، لذا لقيت استجابة من الموالى الذين يشعرون بالغبن حتى أن أعشى همدان خاطب السادة ومن شايعهم من أمثال الأحنف بن قيس زعيم بنى تميم، فقال:

أفخرتم أن قتلتم أعبدًا وهزمتم مرةً آلَ عَزَلٍ^(٣)

ثم بعث المختار جيشاً للمكر بابن الزبير، وهو مظهر أنه وجههم معونة له لمقاتلة الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه^(٤). وحينها أعظمت ربيعة قتل إياس وابنه، وقالوا يقتل بهما إبراهيم بن الأشتر^(٥)، فقال سراقه البارقي:

أتوعدنا ربيعة فى إياسٍ	وأى الدهرِ أوعدنا قبيلُ
حرورى تكئنفه الموالى	وعضُّ براسه سيفٌ ثقیلُ
وإبراهيم معتزُ هزبرُ	له فئة تقولُ كما تقولُ
يَمانيةٌ تذود الناسِ عنه	وتخطرُ فى جوانبها الفحولُ ^(٦)

فهو يذكر ربيعة مطالبتها بدم إياس^(٧)، وصلة المختار بالحرورية؛ لأنه نادى بالموالى كما نادى الخوارج وأشار إلى إبراهيم بن الأشتر، نصره قبائل اليمن له؛ هذا يعبر أن بعض الفئات الاجتماعية التى كانت تشعر بالحرمان وابتهاها الإحساس

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٦.

(٢) نفسه، ٦/ ٦٩.

(٣) أعشى همدان: ديوانه، ٣٣٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٧١.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.

(٦) ديوانه: ص ٨٣؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٧.

(٧) هو أبو راشد بن إياس بن مضارب. ينظر رثاء أخته له: نفسه. ٥/ ٢٢٦.

بالظلم وجدت في ثورة المختار متنفسًا، فكانت نصرته للموالى محاولة لكسب تأييدهم، لكنها أزعجت بعض العرب وزعماء القبائل الذين يرون في المساواة بين الموالى وغيرهم إساءة لهم، وثورة على المقاييس، فضلًا عن كونها فجرت روح التمرد؛ ولأجل أن يمنح نفسه شرعية وقداسة، ومع ذلك فثمة تناقض واضح في محاولته التوفيق بين الأشراف والموالى^(١)، لذا اتخذ من نصرته لآل على وسيلة لتمرير هذا التناقض ومنحه الشرعية من خلال الدعوة لمحمد بن الحنفية (ت، نحو ٨١ هـ/ ٧٠٠م)، وإظهار أمر الكرسي في حربه مع أهل الشام^(٢)، فكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون هو بمنزلة تابوت موسى فيه السكينة ويستسقون به ويستنصرون ويقدمونه أمامهم إذا أرادوا أمرًا^(٣)، فقال أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية وإئى بكم يا شرطة الكفر عارفُ
وأقسم ما كرسيكم بسيكنة وإن كان قد لُفَّت عليه اللُفائفُ
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سَعَتْ سنّامٌ حوالية وفيهم زخارفُ^(٤)

ثم يشير إلى ولائه لآل الزبير، وحبّه لآل محمد، ويبدو أن الحرب الإعلامية التي قادها شعراء الزبيريين ضد المختار وجدت أسلوب الطعن في عقيدة المختار وانحيازه إلى الموالى متنفسًا قويًا لتأليب الناس عليه؛ فضلًا عن شكوكها بمصداقية ما طرحه على الصعيدين السياسى والدينى، وقد وجد في الدعوة لآل على فرصة لتثبيت وجوده، ونسبة الكرسي، فقال المتوكل الليثى بمثل ما قال به أعشى همدان:

أبلغ أبا إسحق إن جئته أنسى بكرسيكم كافرُ

(١) دكسن: الخلافة الأموية، ٨٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٨٣/٦.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢٤٢/٥.

(٤) ديوانه: ص ٣٣٤. وفي بعض الروايات سبئية أو خشبية بدل سلبية، وهي الأصح، وشبام بدل سنّام ينظر: البلاذرى: أنساب، ٢٤٢/٥؛ الطبرى: تاريخ، ٨٣/٦.

تنزو وشبام حول أعواده وتحمل الوحى له شاكر^(١)

بعد فراغ المختار من حربه فى جبانة السبيع والكناسة^(٢)، وما تلاها من أحداث خلال هذه السنة (٦٦هـ / ٦٨٥م)^(٣) شخص إبراهيم بن الأشتر متوجهاً إلى عبيد الله بن زياد لحربه، فقال المختار:

أما وربُّ المرسلات عُرفاً لنقتلنَّ بعد صدِّ صفّا
وبعد ألفٍ قاسطين ألفاً^(٤)

ففى سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م)^(٥) كان مقتل عبيدالله بن زياد فى معركة على شاطئ خازر^(٦)، فأكد ابن الزبير الأسدى على هذه الواقعة فى مدحه لابن الأشتر فقال:

وأقرَّ عينك يوم وقعتْ خازِرٍ والخيْلُ تعثرُ بالقنا المتكسِرِ^(٧)
ووثق ابن مفرغ مقتله بالزاب فقال:

إن الذى عاش ختاراً بذمتِهِ ومات عبداً قتلُ الله بالزابِ
العبدُ للعبدِ لا أصلٌ ولا طرفٌ ألوَت به ذات أظفارٍ وأنيابِ^(٨)

وقال سراقه البارقي:

(١) ديوانه، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) محلة بالكوفة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٤ / ٤٨١ (كناسة).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ٨١.

(٤) تمامها عند ابن أعثم، وروايتها مختلفة بين المختار وإبراهيم الأشتر وبعض الشعراء. ينظر: البلاذرى:

أنساب، ٥ / ٢٤٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦ / ٨١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦ / ١٥٩-١٦٠.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦ / ٨٦.

(٦) خازر: نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢ /

٣٣٧ (خازر).

(٧) ديوانه، ٩١. ووصف عمير بن الحباب هذه الواقعة بأنها انتصاف من قبائل اليمن عن يوم مُرج

راهط. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٦٨.

(٨) ديوانه، ٨١؛ البلاذرى: أنساب، ٥ / ٢٥١. وينظر فيه ما قاله عقيبة الأسدى: ٢-٤ / ٨٧.

فيا ابنَ زيادِ بُوَ بأعظمِ مالِكٍ ودُقَ حَدٌّ ماضى الشُّفرتين صَقيل
 ضربناكَ بالعَضْبِ الحُسامِ فلمْ نَضجِرْ إذا ما أبانا قاتِلًا بقتيل
 جزى الله خيرًا شُرطة الله إنهم شفوا من عبيد الله أمسٍ غليلي^(١)

يوثق هذا حادثة مقتل عبيد الله بن زياد (ت، ٦٧هـ / ٦٨٦م) بوضوح ويشير إليه باسمه، وهو أنه مولى أو عبد، كما أرّخ الشعر لمقتل آخرين، أو اشتراكهم فيها مثل مقتل شمر بن ذى الجوشن، وعثمان بن خالد الجنى، واشتراك داود بن عروة الدمشقى من أنصار ابن زياد، والأحوص بن شداد الهمداني من أنصار المختار^(٢)، كما أشار هذا الشعر إلى قوة شوكة القبائل القحطانية ومحاولتها الحد من سلطان القبائل العدنانية، كما فى قول ابن الزبير الأسدى:

تركتم أبا إحسان تُهدم داره منبذة أبواؤها وحديدُها
 فلو كان من قحطان أسماء شمّرت كتائبُ من قحطان صُعُرَ خدودُها^(٣)

كما حاول أيمن بن خريم أن يسرد بلاء قبيلته بنى أسد من الأحداث فتتبعها فى قصيدة له:

غارات أشرت فى الخيول يريدكم بمعرة ومضرة وفساد^(٤)

جاء الخطر هذه المرة من البصرة حيث مصعب بن الزبير^(٥) (ت، ٧٢هـ / ٦٩١م)

(١) ديوانه، ٨١-٨٢؛ الطبرى: تاريخ، ٩٢/٦.

(٢) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/٢٣٨-٢٤١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/١٧٧-١٧٨؛ ابن كثير: البداية، ٨/٢٧٠-٢٧٣. ولعل رثاء أعشى همدان أوضح من أرّخ لمقتل عثمان بن خالد الجهني، ينظر: جيوانه، ٢٤٢.

(٣) ديوانه، ٧٧-٧٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٤١. ويمكن ملاحظة إجابة أيوب بن سعة النجمي له فى هذا المكان والشعر يشير إلى هروب سماء بن خارجة وهدم داره.

(٤) شعره، ٢٥. وينظر: تمام القصيدة، وذكره للمواقع التي كان يجوبها.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوام قائد وفارس مشهور. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/٤١٠؛ الذهبي: سير، ١٤٠/٢.

الذى أخذ على عاتقه مقاتلة المختار واتباعه لضبط العراق لأخيه فاستطاع احتلال قصر الإمارة، والمباشرة بملاحقة أصحاب المختار، فقال رجل:

ما كنت أخشى أن أرى أسيراً ولا أرى مدمراً تدميراً
إن الذين خالفوا الأميرا قد رغموا وتبروا تبيراً^(١)

وزعم بعضهم أن شبت بن ربعى قتل فى جبانة السبيع، واحتج بشعر أعشى همدان^(٢)، حين يقول:

وأضحى ابن ربعى قتيلاً مجداً كأن لم يقاتل مرة ومحارب^(٣)

ومن نفى قتل شبت يومئذ روى البيت:

فأضحى ابن صهبان قتيلاً مجداً^(٤)

ولكن شبت بن ربعى يستنجد بمصعب سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م)^(٥) وذلك فى وقعة المذار^(٦) فى حربه مع المختار حيث يقتل أحمد بن شميظ كما فى قول بعض الشعراء:

ونحن قتلنا أحمرَ وجموعه وقد كان قتال الكماة مظفراً^(٧)

ويقول أعشى همدان:

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى بما لآقت بجيلةً بالمذار^(٨)

(١) ابن أعثم: الفتوح، ١٩٨/٦. وقيل إن الشعر لعبد الرحمن بن الشعث. ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/

٢٢؛ الطبرى: تاريخ، ١٠٨/٦.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٣٤.

(٣) ديوانه، ٣١٦؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٣٥.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٣٥.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ٥١/٢٦٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/٢٥٢؛ الطبرى: تاريخ، ٩٤/٦.

(٦) فى ميسان بين واسط والبصرة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/٨٨ (المذار).

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/٢٥٥. ينظر حول أحمد بن شميظ الأحسي، ٥/٢٥٣.

(٨) ديوانه: ٣٣٠؛ البلاذرى: ٥/٢٥٤؛ الدينورى: الأخبار، ٣٠٦؛ الطبرى: تاريخ، ٩٧/٦.

ومر المخترأ فى أصحابه على محمد بن الأشعث^(١) ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م) فقال لهم:
((يا شرطة الله كروا على الثعالب الرواغة فحملوا))^(٢) فقتل محمد بن الأشعث،
فقال أعشى همدان:

وقام نعاءً أبى قاسم فأسبل بالدمع تحداها
فحق العيون على ابن الأشج أن لا يُفتر تقطارها^(٣)

تعد هذه القصيدة من شعر الوثائق التاريخية المهمة التى تشرح هذه الواقعة
فتكشف عن فكر المخترأ السياسى الذى استجمع الموالى وحاول أن يستفيد من
الظروف الاقتصادية للفئات الفقيرة من الناس، وحاول أن يستخدم الكرسى
وسيلة لبث دعواه، حتى سُمى بالسَّحار والكذاب؛ لذا اشتد أصحاب مصعب بن
الزبير فى طلبه، فكان يقاتل ابن الأشعث ويرتجز مفتخرًا:

إن يقتلونى تجدوا لى جزورا محمداً قتلته وعمرا
والأبرص الجاهل لما أدبرا^(٤)

فقتل المخترأ فى هذه السنة رجلين من بين حنيفة^(٥). فقال سويد بن أبى كاهل^(٦)
ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) يذكر ذلك:

يا ليت شعرى متى تغدو مخيصةً منا فتبلغ أهلَ الموسم الخيرا
أنا جزرنا على الكذاب هامته من بعد طعنٍ وضربٍ يكشفُ الخمرا^(٧)

(١) محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث الكندي. ترجمته: ابن الكلبي، جهرة، ٢٥٦؛ ابن حجر: تهذيب، ٩/ ٢٥٩.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠.

(٣) ديوانه، ٣٣١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٠. وابن الأشج هو ابن الأشعث.

(٤) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٢.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٦٢؛ البدينى: الأخبار، ٣٠٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٠٨.

(٦) سويد بن غطيف من يشكر شاعر. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٣٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ١٠٠.

(٧) الدينى: الأخبار، ٣٠٨.

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير:

والذى نغصُ ابنَ دَوَمَة كما تو حى الشياطين والسيوف ظمَاءُ
فأباحَ العراقَ يضرهم بالسـ ف صُلَّتْنا فوى الضُّرابِ غِلاءُ^(١)

وقال العجاج^(٢) يهجو المختار ويمدح مصعباً:

لَقَدْ وَجَدْتُم مُصْعَبًا مُسْتَصْعَبًا حين رَمى الأحزابَ والمُحزَّبَا
وخشبي الأعجمُ المخشَّبَا والدُّرابَ ذا البُنَيانِ والمُدْرَبَا
وابن أبى عبيد المكذبا والسبئي والمراش المذنبَا^(٣)

وقال مسكين الدارمي، وكن قد هرب من المختار:

لهف نفسي على شبابِ قريشٍ حينُ يأتى برأسه المختارُ^(٤)

وعندما أمر مصعب بن الزبير بضرب عنقِ عُمرة بنت النعمان بن بشير سنة (٦٧ هـ/ ٦٨٦ م)^(٥) امرأة المختار قال عمر بن أبى ربيعة^(٦):

إن من أكبر الكبائرِ عندي قتل يِضَاءَ حُرْضَة عَطْبُولُ
قُتلت باطلًا على غير ذنبٍ إن لله دُرْها من قَتيلٍ
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ^(٧)

(١) ديوانه، ٩٠ وقد شبه مصعباً بالشهاب؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٧٠ وابن دومة هو المختار.

(٢) هو عبدالله بن رؤبة من بني مالك من تميم. شاعر أموي سمي لبيت قاله (ت، نحو ٩٠ هـ/ ٨٠٨ م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٧٣٨؛ الأصفهاني: الغاني، ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) العجاج، عبدالله بن رؤبة (ت، نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م): ديوانه، تحقيق عزة حسن (كتبة دار الشرق، بيروت، ١٩٧١ م)، ٩٤٠٩٥.

(٤) ديوانه، ٤٣؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٩.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الدنيوري. الأخبار، ٣١٩؛ اليعقوبي: تاريخ، ١١٣ م؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١١٢.

(٦) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله ربيعة المخزومي، شاعر غزلي أموي مشهور. (ت، ٩٣ هـ/ ٧١١ م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ١/ ٧١.

(٧) ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي (ت، ٩٣ هـ/ ٧١١ م): ديوانه، (دار صادر، بيروت، دون تاريخ)، ٣٣٨٩؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٤؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١١٢.

وقال الأحوص^(١)، وهو الآخر من شعراء الغزل، وهو الأنصاري منتصرًا لها:

الم تعجبُ الأقوام من قتلِ حُرَّةٍ من الجامعاتِ العقلِ والدينِ والحسبِ
من العاقلاتِ المؤمناتِ برئةٍ من الشُّكِّ والبهتانِ والإثمِ والريبِ
كأنهم إذ برزوها فقطعت بأسيا فإفهم فازوا بمملكةِ العربِ^(٢)

وقال سعيد بن حسان بن ثابت (ت، ١١٥ هـ / ٧٤٣ م) وهو من شعراء الأنصار محتجًا على قتلها:

أتى راكب بالأمر ذى النبأ العجب بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبِ^(٣)
فكان هذا الشعر ردة فعل واضحة ضد قتل المرأة، فوثق الحدث واثّر فيه تأثيرًا واضحًا. لأن الشعر أصبح وسيلة لتدوينه ونقده.

بعد مقتل المختار ضعف أمر الكيسانية التي كان يدعو إليها، والتي كان محمد بن الحنفية يتوجس منها لعدم وثوقه من نوايا المختار الذي رأى فيه أنه المهدي، وأن في المهدي علامة وهي أن يضربه رجل بالسيف ضربة فلا تضر به فبلغ ذلك ابن الحنفية^(٤)، فقال نصر بن عاصم الليثي^(٥):

فارقْتُ نَجدة والذين تزرُقوا وابن الزبير وشيعة الكذبِ
والصُّفر الآذان الذين تحيُّروا دنيا بلا فقهٍ، ولا بكتابٍ^(٦)

(١) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠ هـ / ٨٢٨ م). ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ الأمدي: المؤلف، ٥٩.

(٢) الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠ هـ / ٨٢٨ م): شعره، تحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)، ٢١١؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٤.

(٣) سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت النصاري. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٨/ ٢٦٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ١١٣.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٦) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٤٧٥؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/ ٣٨١.

وكان ابن الزبير حبس ابن الحنفية في سجن عارم^(١)، فقال كثير^(٢) مظهرًا عقيدته الكيسانية:

نخبر من لا قيت أنك عائدٌ بل العائدُ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
وصى النبي المصطفى وابن عمه وفكّك أغلال وقاضى مغارم^(٣)
وإلى ذلك أشار السيد الحميري^(٤) بقوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وينا إليك من الصبابة أولق
حتى متى وإلى متى وكم المدى يا ابن الوصى وأنت حى ترزق^(٥)
وهو يشير إلى اختفاء محمد بن الحنفية في جبل رضوى^(٦)، وأن المهدي سيبعث منه.

كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)^(٧) حتى صاروا على قرب الكوفة ودخلوا المدائن. فسرخوا جماعة فقتل أبو بكر بن مخنف^(٨) (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م)، فقال سراقة بن مرداس البارقي يذكر مقتله:

-
- (١) يعتقد أنّ موضعه الطائف: ياقوت، معجم البلدان، ٦٦/٤ (عارم).
(٢) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي، شاعر أموي غزلي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م). رجته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٢.
(٣) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (ت، ١٠٥هـ/ ٧٣٤م): ديوانه، تحقيق إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٢٢٤-٢٢٥؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٧٦.
(٤) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م). ترجمته: ابن المعتز، عبدالله بن المعتز العباسي (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ٣٢؛ الأصفاني: الأغاني، ٧/ ٢٢٤.
(٥) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣هـ/ ٧٨٩م): ديوانه، تحقيق شارك هادي شكر، (دار مكتبة الحياة، مكتبة سميا، بيروت، دون تاريخ)، ٢٩٢. ينظر: ١٣٥ و ١٧٣.
(٦) جبل بالمدينة، ياقوت: معجم البلدان، ٥١/٣ (رضوى).
(٧) الطبري: تاريخ، ٦/ ١١٩. والمدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين.
(٨) نفسه، ٦/ ١٢٢.

ألا يا لقومى للهوم الطوارقِ وللحدث الجائى بإحدى الصفائقِ
ومقتلُ غطريفٍ كريمٍ نجاره من المقدمين الذائدين الأصادقِ
أتانى دوين الخيف قتل ابن مخنفٍ وقد غورت أولى النجوم الخوافقِ
فقلت ، تلقاك الإله برحمة وصلى عليك الله رب المشارق^(١)

فلما رأى الناس بطاء سير الحارث بن أبى ربيعة الملقب بالقباع والى ابن الزبير على الكوفة رجزوا به فقالوا:

سار بنا القباع سيرا نكرا يسير يوما ويقيم شهرا^(٢)

فلما اتتهم العيون بأنه قد أتاهاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس، وأخذ الناس يرتجزون:

إن القباع سار سيرا ملسا بين ديري ودبها خمسا^(٣)

حتى إذا بلغ الخوارج أصبهان كان يخرج إليهم رجل يقال له أبو هريرة بن شريح^(٤)، وكان شجاعا، فكان يحمل عليهم ويرتجز:

كيف ترون يا كلاب النار شد أبى هريرة المرار
يهركم بالليل والنهار يا ابن أبى الماحوز والأشرار
كيف ترى جى على المضمار!^(٥)

وفى سنة (٦٨ هـ/ ٦٨٧ م)^(٦) كان مقتل عبيد الله بن الحر الجعفى، فقد نشب الصراع بينه وبين مصعب بن الزبير، وقد أتاها سبعمائة من خلعاء القبائل فى عهد

(١) ديوانه، ٥٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٢.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٣.

(٣) نفسه.

(٤) عند المبرد اسمه: شريح. ينظر: المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٥.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٥؛ المبرد: الكامل، ٢/ ٢٤٩ وفيها خلاف عما ذكره الطبرى.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٨-١٢٩.

معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، كما رفض مبايعة المختار فبعث إليه من يقاتله، فكان يبعث بالنواحي فحبس المختار امرأته، ولكنه استطاع إخراجها من السجن، وكانت له غارات في أرض السواد كثيرة مع مجموعة من فتاك القبائل وخلعائها^(١)، وله في ذلك أشعار كثيرة، منها قوله:

أنا الحرُّ وابنُ الحرِّ يحملُ شُكَّتِي طِوالُ المرادى مشرفاتُ الحِوانِكِ
فَمَنْ يَكُ أُمسَى الزعفرانُ خُلُوفُهُ فإنْ خلُوفى مُستثارُ السَنايِكِ
إذا ما غنمنا مَغْنَمًا كانَ قِسْمُهُ ولم نَتَّبِعْ رَأى الشَّحِيحِ المُتارِكِ^(٢)

يشير إلى طريقة قسمتهم للمغانم، فهم يتصرفون كما كان يتصرف صعاليك العرب قبل الإسلام، لذا وصفهم بـ ((فتيان الصعاليك))^(٣)، ويصف المختار بالكذاب ويكثر من الفخر بنفسه^(٤) فكانت حياته ثورة دائمة وغارة مستمرة، وطمعًا في الجاه والسلطان؛.. لذلك بايع المختار فلما خيب أمله وعاداه كما عاده الأمويون انحاز إلى جانب ابن الزبير^(٥).

وحين قاتل ابن الحر المختار مع مصعب قيل له: إن مصعبًا يعطيك خراجًا بادوريا^(٦) على أن تباع وتدخل في طاعته؛ قال: أو ليس لى خراج بادوريا وغيرها، ولا آمنهم على شيء^(٧).

ولعل سبب ذلك إحساسه بالذنب لأنه لم ينصر الحسين، كما في قوله:

أيرجو ابن الزبير اليوم نصرى لعاقبةٍ ولم أنصر حسينا^(٨)

(١) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣-٢٩٨؛ الدينورى: الأخبار، ٢٩٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٢٩.

(٢) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٠؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٣.

(٣) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٢.

(٤) نفسه، ١/ ١٠٢.

(٥) عطوان، حسين: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م)، ١٨٦.

(٦) طوج بالجانب الغربي من بغداد آنذاك. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٧ (بادوريا).

(٧) الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٣٢.

(٨) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٧.

مما ولد لديه شعورًا قويًا بسوء النية من المتصارعين على السلطة، فقد وصفهم بالغش وكان حذرًا من قبائل قيس عيلان^(١)، فكان بذلك الإحساس لا يجد أمامه سوى طريق واحد هو الحرب والصعلكة، فلم يَهَبْ الموت وأمن بالقدر المحتوم والكتاب المؤجل، فكان إقدامه القوى وإيمانه بتفرده وخصوصية أفكاره دليل تدمير من الخضوع للقوى الطامعة بالسلطان:

تخوفنى بالقتل قومى وإنما أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجلُ^(٢)

فرفض تهديدات ابن الزبير؛ لذا احتال عليه مصعب وأودعه السجن؛ ولكنه حين خرج منه يعود إلى غاراته في أرض السواد متمسكًا بوجهة نظره^(٣)، فكان كما قال عنه ابن همام السلولى:

ترنمت يا ابنَ الحرِّ وحدك خاليًا بقول امرئٍ نشوانٍ أو قولٍ ساقطٍ^(٤)

وهذا وصف لحالته وطبيعة نظرتة للحياة مع أنه كان يرثيه؛ ولكن فروسية ابن الحر لا شائبة عليها، اصطدمت بفروسية مصعب فظل يتعقبه حتى شعر ابن الحر بقلّة حيلته، فبايع عبد الملك مراوغة لمصعب واجتمع إليه بشر من أهل الموصل، فبدأ يضايقه، ولكن عبد الملك كان يتوجس منه فتركه وحده، كما ساءت صلته بقبائل قيس عيلان لأنه هجاها. فكان يعبر عن ذلك بقوله:

يا لك يومٌ فات فيه نهى وغاب عني ثقتى وصحبي^(٥)

وكذلك كان يقول:

(١) نفسه، ١/٩٥، ١١٢.

(٢) شعره، ١/١١٠؛ البلاذري: أنساب، ٥/٢٩٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٣٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/٢٩٥-٢٩٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٣٢-١٣٨.

ينظره: شعره، شعراء أمويون، ١/٩٥ و ٩٨ و ١٠٧ و ١١٦ و ١٣٥.

(٤) السلولى: ما تبقى من شعره، ١٩٣.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/٢٩٦-٢٩٧؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٣٧.

لو أن لى من شيعتى رجالا مساعراً أعرفهم أبطالا
لأحسنوا من دونى القتالاً ولم يهابوا فى أوغى الآجالا^(١)

فتألبت عليه قبائل قيس فجلعوا يرمونه ويقولون: أمغازلاً تجاهدا؟! حتى
قتلوه^(٢). إشارة على قوله عنهم:

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل^(٣)

يعد شعر ابن الحر صورة حية، ووثيقة بالغة الوضوح فى عرض حالة التمزق
التي انتابت جسد الدولة العربية الإسلامية، فكان أثره فى تدوين الأحداث مهماً
لأنه يكشف الكثير عن جوانبها الخفية، وجوانب التفرد فى النفس البشرية، بما يعبر
عن صراعات القوى والحوادث واختلاف المصالح، ويشير إلى أن الخليفة الأموى
كان ينتظر انجلاء الموقف وتحل محل قوة ابن الزبير والخارجين عنه؛ لذا كان شعر هذه
المعارك الصغيرة وسيلة إعلامية فعالة.

خرج عبد الملك إلى عين الوردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص المعروف
بـ (الأشديق) على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبد الملك فرجع على دمشق
فحاصره فى سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)^(٤) وكان عمرو يطمع بالخلافة لو عد سابق
فيقول:

يريد ابن مروان أموراً أظنُّها ستحملة منى على مركبٍ صعبٍ
وإن ينفذ الأمر الذى كان بيننا نخلٌ جميعاً فى السهولة والرحبِ
وإن تعطها عبدالعزيز ظلامه فأولى بها منا ومنكم بنو حربٍ^(٥)

(١) ابن أعثم الفتوح ٦/ ٢٣٣-٢٣٤. واستدركه القيسي، نوري حمودي وهلال ناجي: المستدرك على
صُنَاع الدواوين، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م)، ٣١١.

(٢) ابن حبيب: أسماء المغتالي، ٢/ ٢٦٨؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٩٧.

(٣) شعره، شعراء أمويو، ١/ ١٢٢؛ ينظر: رد زفر عليه فى مجموع شعره، ١٦٨.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٣؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٤٠. وعند ابن خياط سنة سبعين.

(٥) المرزبانى: معجم الشعراء، ٥١.

وحين ظفر به عبدالعزيز بن مروان أنبه عبد الملك قائلاً: ((ما منعك من أن تقتله))^(١)، فأدخل على عبد الملك، وقد استعد للغدر به^(٢)، فلم يدع مكاناً للطامعين بالخلافة من البيت الأموي في هذا الظرف^(٣) الدقيق؛ لذا قال أحد أصحابه:

غدرتم بعمرؤ يال مروان ضلّةً ومثلكم بينى البيوت على الغدر^(٤)

وقال عبد الملك حين قتله:

يا عمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقوتى^(٥)

وعندما فرغ منه تمثل فقال:

أدنيته منى لأمن مكره فأصول صولة حازم مُستمكن

غضباً ومحميه لدينى إنّه ليس السيء سبيله كالمحسن^(٦)

وكان عبيد الله بن أبى رافع شامتاً، لأنّ الأشدق ضربه السياط، فقال:

صحت ولا شلت وضرتْ عدوّها يمين هراقت مهجة ابن سعيد

وجدتُ ابن مروان الرشيد فعاليه أبيعاً حديد العزم غير بليد^(٧)

وقال يحيى بن الحكم، ويقال بشر بن مروان، والأول أقرب:

أعينى جوداً بالدموع على عمرو عشية شدّنا الخلافة بالغدر

كان بنى مروان إذ يقتلون بغاث من الطير اجتمعن على صقر^(٨)

(١) الطبرى: تاريخ، ١٤٤/٦.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٢٨٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ٢٠٤.

(٤) الدينورى: الأخبار، ٢٨٧. ينظر: تمام الأبيات.

(٥) ينظر: البلاذرى: أنساب، ١٤٣/٢٠٤؛ الطبرى: تاريخ، ١٤٥/٦.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ٢٦٣/١؛ البلاذرى: أنساب، ١٤٢/٤-٢؛ الطبرى: تاريخ، ١٤٨/٦؛

المسعودى: مروج، ١٠٣/٣؛ ابن كثير: البداية، ٣١٠/٦.

(٧) البلاذرى: أنساب، ١٤٩/٤-٢.

(٨) نفسه، ١٤٤/٤-٢.

وقال يحيى بن سعيد اخو عمرو:

غدرتم بعمرؤ يا بنى خيط باطلٍ ومثلكم بينى البيوت على الغدر^(١)

خلال هذه المرحلة، وبالذات منذ سنة (٧٠هـ / ٦٨٩م)^(٢) بدأت الصراعات القبلية في بلاد الشام والجزيرة بين قيس وكنب أولاً ثم بين قيس وتغلب؛ لأن معظم العرب المستقرين في بلاد الشام كانوا من أهل اليمن مما ساعد على استمرار نفوذهم^(٣). وكانت قيس زبيرية وكنب مروانية^(٤) حيث استعر الصراع مجدداً بسبب ما لقيته قيس في مرج راهط. ففي ذلك يقول زفر ابن الحارث الكلابي زعيم قيس:

يا كَلْبُ قد كَلَبَ الزمانُ عليكم وأصابكم منى عذابُ تنزُلٍ
إن السَّماوةَ لا سَماوةَ فالحقوا بمنابتِ الزيتون وابنى بمحدِلٍ^(٥)

فأجابه جواس بن القعطل:

دُسنا ولم نَفشَلْ هوازنَ دوسةً تركتَ هوازنَ كالْفَريدِ الأعزلِ
من بعلِ ما دُسنا تراثِقُ هامِها بالْمَشْرِقيَّةِ والوشيجِ الدُّبَلِ^(٦)

كان عمير بن الحُبَاب السُّلَمي^(٧) (ت، ٧٠هـ / ٧٩٠م) يغير مع زفر بينى تغلب؛ وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب. فلما رأت كلب المدر ما لقيته كلب البوادي من زفر بن الحارث

(١) البلاذري أنساب، ٢-٤/١٤٤.

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤٢، ٢٣/٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣٠٦.

(٣) دكسن: الخلافة الأموية، ١٣٩-١٤٠.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٥) زفر، شعره، ١٦٩؛ البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨.

(٧) شاعر أموي وزعيم قبلي من قبائل قيس. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٢٤٥؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٤.

وعمير بن الحباب أمروا عليهم حميد ابن حريث بن بحدل الكلبي^(١) فحصل
الصدام بين كلب وقيس^(٢). فقال بعض جهينة:

ألا هل أتى الأنصار إن ابن بحدلٍ حميداً شفا كلباً فقرت عيونها
وأنزل قيساً بالهوان ولم تكن لتقلع إلا عند أمر يهينها^(٣)

فعادت كلب تذكر عبد الملك بلاءها في مرج راهط؛ لأن هذه الواقعة كانت
بسبب ثارات القبائل فيها^(٤). وقد تفاقم هذا الصراع أيضاً نتيجة انحياز رجالات
الأمويين إلى أخوالهم، فقد كان خالد ابن يزيد يتعصب لأخواله بنى كلب ويعينهم
على قيس فقال شاعر قيس:

أأنت تأمر كلباً أن يقتلنا جهلاً وتمنعهم منا إذا قتلوا^(٥)

حتى أن بشر بن مروان قال لقبائل قيس: أقتلوا أنفسكم مع رجل ليس منكم،
إنما هو من كندة، فبلغ ذلك زفر بن الحارث^(٦)، فقال:

أجعل أجلاًفاً عليها عباؤها ككندة تمشى في المطارف والعصب^(٧)

ويذكر عمرو بن مخلاة الكلبي صراع قيس مع كلب في وقعة مرج راهط، وبلاء
كلب من أجل مروان بن الحكم وابنه عبد الملك فيقول:

فكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الكرب عنه فأبصرنا

(١) شاعر من كلب، ينظر: البغدادى: خزانة، ٢٤٣/٥.

(٢) البلاذري، أنساب، ح ٣١٠-٣١١.

(٣) أبو تمام: ديوان الحماسة، ١٤٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤٥، ٢٣/١٨٩؛ التبريزي: شرح، ٢/٤١.

(٤) ينظر ما قاله جواس بن القعطل وبشر بن صفوان من كلب: أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٩؛
البحرئى: عبادة بن الوليد (ت، ٢٨٤هـ/٨٩٧م): الحماسة، تحقيق لويس شيخو اليسوعي (دار
الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ٨٠.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/٦٨؛ التبريزي: شرح، ٤/٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٣.

(٧) شعره، ١٦٠؛ البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٣.

ومستسلمٌ نفْسَنَ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ حَتَّى أَهْلٌ وَكَبُرَا
إِذَا افْتَخَرَ الْقَيْسِيُّ فَاذْكُرْ بِلَاءَهُ بِزَرَاعَةِ الضُّحَاكِ شَرْقَى حَوْبَرَا^(١)

كان هذا الصراع نتيجة غياب السلطة القوية على التأثير السريع لاحتواء النزاعات الجانبية والمنافسات القبلية.

وعرض عويف القوافي^(٢) من قيس بحُميد بن بحدل فقال:

مَنَا اللَّهُ أَنْ الْقَيْ حَثْمِيدَ بْنَ بَحْدَلٍ بِمَنْزِلَةٍ فِيهَا عَلَى النِّصْفِ مُعَلِّمًا^(٣)

كما قال في غارة قومه على بنى فزارة من بنى عبد ود، وبنى عليم من كلب^(٤):

فَسَائِلُ جَحْجَبَى وَبَنَى عَدَى وَتَيْمَ اللَّاتِ مِنْ عَقْدِ الْحِزَامَا^(٥)

كما قال حَلْحَلَةَ بن قيس الفزاري^(٦):

وَمِنْ عَبْدِ وَدٍّ قَدْ أَبْرَتْ قَبَائِلًا فغَادَرْتُهُمْ كُلَّا يُطِيفُ بِهِ كُلُّ^(٧)

وقال على بن الغدير الغنوي^(٨) في قتل حَلْحَلَةَ:

وَحَلْحَلَةُ الْقَتِيلُ مَعَ ابْنِ بَدْرِ وَأَهْلُ دِمَشْقٍ أَنْجِيَّةٌ عَزِينٌ^(٩)

(١) أبو تمام: ديوان الحماسة، ٤٧٨؛ التبريزي: شرح، ٣٢-٣٣/٤. وينظر ما قاله عمر بن مخلاة عن بني ذبيان: البلاذري: أنساب، ٥/٣١٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٤٨.

(٢) عويف بن معاوية بن ذبيان (ت، نحو ١٠٠هـ/٧١٨م)، شاعر فحل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٢٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ١٢٧.

(٣) شعره، شعراء أمويون، ٣/١٥٢؛ البلاذري: أنساب، ٥/٣٠٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٩٣.

(٤) البلاذري: أنساب، ٥/٣١٠.

(٥) عويف القوافي، شعراء أمويون، ٣/١٥٣. ينظر مدحه لعبد الملك، ٣/١٤٣-١٤٤.

(٦) حلحلة بن قيس بن الشيم بن سيار الفزاري. ينظر: البلاذري، أنساب، ٥/٣١٠.

(٧) نفسه، ٥/٣١١.

(٨) ترجمته: البلاذري: أنساب، ٥/٣١٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٥١.

(٩) البلاذري: أنساب، ٥/٢١٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/١٥١. ينظر أيضًا: رثاء أرطاة بن سهية المري في شعره، ١٨٣.

يشكل شعر هذه الصراعات القبلية وثائق لها أثرها في تدوين تلك الأحداث ودراستها.

فلما انقضى أمر مرج راهط وصار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء ومعه عمير بن الحباب السلمي، جعلاً يطلبان كلباً واليمانية يقتل المرج ومعها قوم من بنى تغلب، وكان عمير يغير بالقيسية على كلب واليمانية، وكان من معه من القيسية يسيئون جوار بنى تغلب ويسخرون من مشايخهم النصارى فأهاج ذلك بينهم شراً لم يبلغ الحرب، وكانت قيس زبيرية وكتب أموية فتطور بينهما فيما بعد صراع محتدم في وقائع من سنة (٧٠هـ / ٧٩٠م)^(١) قيلت فيها أشعار كثيرة، وفي ذلك قال عمرو بن الأيهم التغلبي:

ألم تر أن تغلب أهل عز، جبال معاقل ما يرتقينا؟
شربنا من دماء بنى سليم بأطراف القنا، حتى رويننا^(٣)

وقال زفر بن الحارث الكلابي من قيس يرد على تغلب:

ولما لقينا غصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرًا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً^(٤)

وقال القطامي^(٥) (ت، ١٠١هـ / ٧١٩م) يشير إلى هذه الصراعات:

قَادَ الخيولَ ابنَ ليلَى وهى سَاهِمَةٌ حتى اغرَنَ مع الظَّلَمَاءِ إذ ظَلَمْنَا

(١) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٣-٣١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣٠٦ وما بعده.

(٢) وقيل هو عمرو بن الأهم. ترجمته: البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٥؛ المرزباني: الموشح، ٧.

(٣) المرزباني: الموشح، ٧. ابن منظور: لسان، ٢/ ٣١٦ (سند). وللشاعر وهو يشير إلى شعيب بن مليل

وقد رد على نفي بن صفار المحاربى: البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٥ وله مساجلات أخرى: الجاحظ:

الحيوان، ١/ ٢٢٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) زفر: شعره، ١٦٤. ينظر أيضًا تعريضه بابتين يحدل حين رمى قرقيسياء بالمنجنيق: ١٦٣.

(٥) هو عمير بن شبيب التغلبي لقب بذلك لبيت قاله كان نصرانياً فأسلم.

ترجمته: ابن سلام، طبقات، ٢/ ٥٣٤؛ ابن قتيبة: الشعراء، ٢٠/ ٦٠٩؛ الأمدى: المؤلف، ٥٥١.

أولى آل سُليم أو أبى عُمير من ضربة ثورث الأضعان والغمما^(١)

وقد ذمَّ زفر عمير بن الحباب السلمي لأنه ترك كلبًا وأغار على قبائل نزار حين حصل القتال بين تغلب وقيس:

ألا من مبلغ عنى عُميرًا مقالة عاتِبٍ وعليك زاري
أتتركُ حَى ذى طَلَعٍ وكلِّبٍ وتكسرُ حدًّا نابك فى نزارِ
كمجتنح على إحدى يديه خانثُه بـوهنٍ وانكسارِ
بتغلبَ تبتغى الأرياحَ جهلا وقبلك أفسدوا ريحَ التجارِ^(٢)

فى هذه الوقائع أخبار متداخلة ومختلفة الروايات كان الشعر على صحة الخبر أدل^(٣) وأوضح، لأنه أسهم فى كشف الصراعات وتفصيلها، وهو شعر كثير منتشر فى كتب التاريخ ودواوين الشعراء.

فى يوم ماكسين^(٤) سنة (٧٠هـ / ٧٩٠م)^(٥) استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عُمير ابن الحباب السلمي وعلى تغلب شعيث بن مليل^(٦) فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقال نُفيع بن صفار المحاربى:

تركنا الباكيات على شعيث سَواجِمَ عَبرةً ما ينقُضينا^(٧)

فأشار إلى مقتل شعيث فى هذا اليوم، وكان زفر بن الحارث، قال حين أغارت تغلب على بنى الحريش ومن معهم من قُشير: شغلت قيس بغزلِ نساِئِها عن هؤلاء النصارى. فقال عمير بن الحباب موثقًا ذلك:

(١) القطامي، عمير بن شبيب (ت، ١٠١هـ / ٧١٩م): ديوانه، تحقيق د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م)، ١٢٠.

(٢) زفر: شعره، ١٦٥. قيل هذا الشعر فى يوم الثرثار الثانى.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٣١٦/٥.

(٤) بلد الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤٣/٥ (ماكسين).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ٣١٠/٤.

(٦) ينظر حوله: البلاذرى: أنساب، ٣١٥-٣١٧.

(٧) نفسه، ٣١٧/٥.

ما همُّنا يومَ شُعيثَ بالغَزَلِ يوم انتضينا هُنَّ أمثالَ الشُّعْلِ^(١)

وقال الراعي النميري^(٢) (ت، نحو ٩٧هـ / ٧١٥م):

أبا مالِكٍ لا تنطق الشعر بعدها وأعطِ القِيادَ القائدين على كَسْرِ
نحن تركنا تغلبَ ابنةِ وإِلي كمكشِرِ الأنيابِ مُنقطعِ الظَّهِرِ^(٣)

واقترنت قيس وتغلب في يوم الثرثار^(٤)، فانهزمت قيس، فقالت ليلي بنت
الحمارس التغلبية:

خَلَوْا لَنَا الثَّرثارَ والمزارِعَا وَحِنطَةَ طَيْسًا وَكَرَمًا يانِعَا^(٥)

ثم التقوا في الثرثار ثانية فأهزمت تغلب فقال عُمير بن الحُبَاب:

فِدْيَ لفوارسِ الثرثارِ نفسِي وما جَمَعْتُ مِن أَهْلٍ وَمالٍ
وَوَلَّتْ عامِرٌ عَنَّا فَأَجَلَّتْ وَحَوَّلِي مِن رِبيعةٍ كالجَبالِ
أَكَاوِحُهُم يَدَهُم مِن سُلَيمٍ وَأَعِشْرُ كالمِصاعِبِ الزَّهالِ^(٦)

ووثق ذلك الأخطل فقال:

وأما عُميرُ بنِ الحُبَابِ فَلَمْ يَكُنْ له النصف في يوم الهياج، ولا العُشْرِ
فإن تذكروها في معدٍّ فَأَنما أصابَكَ بالثرثارِ راغيةُ الهِكرِ^(٧)

(١) نفسه.

(٢) عبيد بن حصين النميري، سمي بذلك لكثرة وصفه الإبل. شاعر مشهور. ترجمته: ابن سلام، طبقات، ١/ ٧٩٩؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٥.

(٣) الراعي النميري، عبيد بن حسين (ت، نحو ٩٧هـ / ٧١٥م): شعره، تحقيق نوري القيسي وهلال ناجي (مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ١٧٧-١٧٨.

(٤) واد عظيم بالجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٧٥ (الثرثار).

(٥) ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤٥/ ٣١٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢٠. ينظر في هذا المكان ما قاله زفر بن الحارث.

(٧) ديوانه، ٢/ ٤٥٧.

وأغارَ عُمير على الفُدين^(١) فاكْتسَح ما فيها وقتل عامة أهلها، ويقال: قاتل فيها جميع بنى تغلب فهزمهم^(٢)؛ فقال ابن الصفار موثقًا الحدث والمكان والقبائل:

لو تسأل الأرضَ الفضاءَ بأمرِكُم شَهِدَ الفُدينُ بهلكِكُم والصُّورُ
كذبتك شَيانُ الأخوةِ وأنفقتُ أسيافكُم يَكُم سُدوسُ ويشكُرُ^(٣)

ثم لقي عمير بن الحُباب بنى تغلب والنَّيرَ وعليهم يزيد بن هوبر التغلبي^(٤) بالسُّكير^(٥)، فاقتتلوا قتالًا انهزمت به تغلب والنَّيرُ وهرب عُمير بن جندل^(٦)، فقال عُمير بن الحُباب:

وأفلتنا يوم السُّكير ابن جندلٍ على سايح غُوج اللبانِ مُثايرٍ^(٧)
وقال ابن صفار:

صبحناكم بهنَّ على سُكيرٍ فلاقيتم هُناك الأقورينا^(٨)
والتقت تغلب وقيس في المعارك^(٩)، فانهزمت تغلب فقال ابن الصفار:

ولقد تركنا بالمعارِكِ منكمُ والحَضِرِ والثَّرثارِ أجسادًا جُثًا^(١٠)
ثم التقوا بالشرَّعيةِ^(١١)، فقال الأخطل يهجو ابن الصفار:

(١) تصغير الفُدن، قرية على شاطئ الخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٤٠ (الفُدين).

(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٤) ينظر نسبه: البلاذري: أنساب، ٥/ ٣١٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٥) هي سُكير العباس بالتصغير، بليدة صغيرة بالخابور. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٣١ (سُكير العباس).

(٦) من فرسان تغلب. البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١.

(٧) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٨) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٣.

(٩) نفسه، ٥/ ٣٢١-٣٢٢.

(١٠) موضع بالجزيرة كما في ياقوت، معظم البلدان، ٣/ ٣٣٦ (الشرَّعية).

(١١) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٤.

تَظَلَّ سِبَاعُ الشَّرْعِيَّةِ حَوْلَهُ رُبُوضًا، وَمَا كَانُوا أَجْنُوهُ فِي قَبْرِ^(١)

وَقَالَ جَرِيرٌ^(٢) (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨) يَهْجُو الْأَخْطَلُ:

أَلَمْ تَرِ قَيْسًا قَيْسَ عِيلَانَ دَمَرُوا خَنَازِيرَ بَيْنِ الشَّرْعِيَّةِ وَالدَّرْبِ^(٣)

كَمَا التَّقْوَا فِي الْبَلِيخِ^(٤) فَانْهَزَمَتْ تَغْلِبُ، فَقَالَ ابْنُ الصَّفَارِ:

زُرُقِ الرُّمَاحِ وَوَقِعْ كُلُّ مَهْنَدٍ زَلَزَلَتْ قَلْبَكَ بِالْبَلِيخِ فَزَالَا^(٥)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

تَسَامَتْ جُمُوعُ بَنِي تَغْلِبِ أَلَيْنَا فَكُنَّا عَلَيْهِمْ وَيَالَا

بَقَرْنَا النِّسَاءَ غَدَاةَ الْبَلِيخِ إِذَا جِئْنَا وَقَتْلَنَا الرُّجَالَا^(٦)

ووثقت هذه الأيام عودة القبائل إلى الصرع، وهى أحداث أسهم الشعر القبلى فى توثيقها، ومعظمها حصل فى سنة (٧٠هـ/ ٧٩٠م). فكانت أحد أسباب تراث عبد الملك بن مروان فى القضاء على ابن الزبير لقربها منه ولاشتراك بعض القبائل الموالية لابن الزبير فى حرب القبائل الموالية للأمويين، وفى هذا استنزاف لطاقت الطرفين القتالية؛ فضلاً عن كون بعض هذه الأيام جاءت ردَّ فعل على نتائج معركة مرج راهط، فكان لزفر بن الحارث غارات أخرى على كلب وتغلب حتى قالت امرأة من بنى كلب تراثى قتلى قبيلتها:

(١) البلاذرى: أنساب، ٣٢٢/٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٣١٤/٤.

(٢) جرير بن عطية الخطفي من كليب بن يربوع من تميم، شاعر فحل من العصر الأموي. ترجمته، ابن سلام، طبقات، ٩٢٧/١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢٧٤/١.

(٣) جرير بن عطية الخطفي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ديوانه، تحقيق نعمان طه، الجزء الثاني (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م)، ٦٢٢.

(٤) اسم نهر بالرقعة. ياقوت: معجم البلدان، ٤٩٣/١ (البليخ).

(٥) البلاذرى: أنساب، ٣٢٢-٣٢٣/٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٣١٥/٤.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٢٣٢/٥.

أبعدَ من دَلَيْتٍ من كوكبٍ يا نفسُ ترجين ثَوَاءَ الرُّجَالِ؟^(١)
فلما أغار عُمير بن الحُبَابِ السُّلَمي على كَلْبٍ وأتبع مُحمَّد بن حُرَيْث بن بحدل
كان يقول لفرسه:

أقدمُ صُدَامُ إنه ابنُ بجدلٍ لا تُدرك الخيلَ وأنتِ تَدَأْنِ
ألا تمرَّ مثلَ مرِّ الأجدلِ^(٢)

وحين التقت قيس مع كلب في وقعة الغوير^(٣)، قال عُمير بن الحُبَابِ:
تُسَاءَل من حَيٍّ رفيدة بعدما قَضَتْ وطراً من عَبدٍ ودٍّ وعامِرٍ^(٤)
وأشار شبل بن الخيتار إلى يوم الإكليل^(٥)، بعد أن ولي مُحمَّد بن حُرَيْث بن بحدل،
فقال:

يخرجن من برضِ الإكليل طالعةٌ كأنهن جرادُ الحرَّةِ الزُّورِ^(٦)
وكان عُمير بن الحُبَابِ أغار على كلب فلقى جمعا لهم بالأكليل فقتل منهم فأكثر،
فقالت هند الجلاحية^(٧) تحرض كلباً:

ألا هل نائِرٌ بدماءِ قومٍ أصابُهُم عُمير بن الحُبَابِ؟
وهل في عامِرٍ يوماً نكيرٌ وحَيٍّ عَبدٍ ودٍّ أو جَنَابٍ؟
فإن لم يثأروا من قدم أصابوا فكانوا أعْبُدُا لبنى كلابٍ
أبعدَ بنى الجُلاح ومن تركتم بجانبِ كوكبٍ تحتَ الثُّرابِ^(٨)

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣ / ١٨٤.

(٢) نفسه، ٢٣ / ١٨٤ - ١٨٥ وصام اسم فرسه.

(٣) ماء لكلب بأرض السماوة. ياقوت: معجم البلدان: معجم البلدان، ٤ / ٢٢٠ (الغوير).

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣ / ١٨٦. ينظر إشارته إلى الغوير، ٢٣ / ١٩٣.

(٥) اسم موضع ذكره عدي بن نوفل. ياقوت: معجم البلدان، ١ / ٢٤٠ (الإكليل).

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣ / ١٨٦.

(٧) ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ٢٣ / ١٨٧.

(٨) نفسه.

فرد عليها عُمير بن الحُبَاب قائلاً:

ألا يا هندُ هندُ بنى جُلاح سُقَيْتِ الغَيْثَ من قُلُوبِ السَّحَابِ
أَلَمْ أَتُخْبِرِي عَنَّا بِأَنَّا نَرُدُّ الكِبْشَ أَعْضَبَ فِى تَبَابٍ^(١)

ثم استمرت الحرب سجّالاً بين الطرفين كما وثق ذلك الشعر الذى اختص بوقائع القبائل^(٢).

لما رأت تغلب إلحاح عمير عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا على الحشّاك^(٣)؛ وذلك فى سنة (٧٠هـ / ٧٩٠م)^(٤)، فدلف إليهم عُمير فى قيس ومعه زُفر بن الحارث وابنه الهذيل، وعلى تغلب يزيد بن هوبر فاقتتلوا عند تل الحشّاك أشد قتال وأبرحه، فنزل عمير يقاتل راجلاً وهو يقول:

أنا عُمير وأبو المغلّس قد أحبسُ القومَ بضنكِ المحبسِ^(٥)

وشدّ على عُمير جَمِيل بن قيس الزهيرى فقتله، فقال الشاعر يشير إلى مقتله على يد ابن هوبر:

أرقتُ بأثْناءِ الفُراتِ وشفْنى نوائِحُ أبكاها قَتِيلَ ابنِ هَوَبر
ولم تظلمى إن نُحِتَ أُمٌّ مغلّسٍ قَتِيلَ النصارى فى نوائِحِ حُسْرِ^(٦)

فقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عُميراً:

وإن عُميراً يومَ لا قَتته تَغْلِبُ قَتِيلُ جَمِيلٍ لا قَتِيلَ ابنِ هَوَبر^(٧)

(١) نفسه وينظر تمام القصيدة، ١٨٨/٢٣.

(٢) ينظر: ما قاله عمرو بن خلاة ومنذر بن حسان والمجبر بن اسلم وزُفر بن الحارث وعُمير بن الحُبَاب وجَهم القشيري ونُفيع بن الصفار والراعي النميري وعقيل بن علفة: البلاذرى: أنساب، ١٤٨/٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٨٩/٢٣-١٩٨.

(٣) واد بأرض الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٢٦٢ (الحشّاك).

(٤) ينظر: البلاذرى: أنساب، ٥/٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٥.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/٣٢٣.

(٦) جميل بن قيس من بني كعب بن زهير. نفسه، ٥/٣٢٤.

(٧) نفسه.

وهذا يؤكد اثر الشعر فى تدوين الحدث فهذا البيت يصحح مقتل
عُمير على يد جَمِيل الزهيرى. وقال الأخطل مشيرًا إلى مقتل ابن الحباب فى
الحشاك:

فلاقى عُمير حتفَه، فى رماحنا وما أنتَ، يا جحاف، عنها بهارب^(١)

لما قتل عُمير بن الحُباب حاولت قيس الأخذ بثأره من تغلب وحين أحست
تغلب ذلك ارتحلت تريد عبورَ نهر دجلة، فلما صارت بالكُحَيْل^(٢)، لحقهم زُفر بن
الحارث فى القيسية فاقتتلوا قتلاً شديداً، واسر منهم مائتين فقتلهم صبراً^(٣). فقال
زُفر:

ألا يا عَيْنُ جودى بانسكابو ويكى عاصما وابن الحُباب
فإن تكُ تغلب قُتلت عُميراً ورهطاً من غنى فى الحراب
قتلنا منهم مائتين صبراً وما عدلوا عُمير بن الحُباب^(٤)

وأسر زُفر بن الحارث شاعراً تغلب القطامى فقام بأمره حتى رد عليه ماله وجميع
ما أخذ منه ووصله^(٥). فقال القطامى فيه شعراً كثيراً منه قوله:

وعارضى الليل إذا ما اخضرَّ أخبرك البارحُ حين مُرّاً
إذا سوفَ تلقينَ جواداً حُرّاً ذسيّد قيس زُفر الأغر^(٦)

فلما وفد الأخطل على عبد الملك بن مروان فدخل عليه الجحاف بن حكيم

(١) شعره، ٢/ ٢٩٠. ينظر حول عمير بن الحباب: ١/ ٦٦-٦٩، ٨٠-٨١، ٢/ ٤٢٣-٤٢١٠؛ البلاذرى:

أنساب، ٥/ ٣٢٥-٣٢٦؛ ينظر: ما قاله زيد بن بشر التغلبى: الجاحظ: الحيوان، ٦/ ٣٣١.

(٢) تصغير الكحل، موضع بالجزيرة، ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٣٩ (الكُحَيْل).

(٣) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٨.

(٤) شعره، ١٦١؛ البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٣٢٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه، ١٢٠. ينظر أيضاً، ١١٦، ١٢١، ١٣١، ١٥٠، ١٥١.

السُّلَمي^(١) (ت، ٩٠هـ / ٧٠٩م)؛ فقال له عبد الملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: نعم هذا الذي أقول فيه:

ألا سائل الجَحَاف هل هو نائِرٌ بقتلى أُصَيِّت من سُلَيم وعامِر^(٢)

وأنشد القصيدة حتى فرغَ منها فتغالظا في الكلام فنهض الجحاف فافتعل عهدًا على صدقات بكر وتغلب بالجزيرة، فشد على بنى تغلب بالبشر^(٣) ليلاً فقتل منهم مقتلة كثيرة^(٤). فقال الأخطل:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى، والمُعول^(٥)
فردَّ عليه جرير قائلاً:

فإنك والجحاف يوم تحضُّه أردت بذاك لنكتُ والودُ أعجل^(٦)

ويقال أن تغلب أحرقت قتلاها حتى لا يتبين الناس كثرتها^(٧)، فقال ابن الصفر:
لقد رفعت نار الشمرذى لقومِهِ شنارًا وخزياً وطار كل مطار^(٨)
وقال الجحاف مشيراً إلى عمير بن الحُبَاب:

نعم سوف نبكيهم بكل مُهَنِدٍ وننعى عُميراً بالرماح الشَّوْاجِرِ^(٩)

(١) ينظر نسبه: الأصفهاني: الأغاني، ١٢/١٩٥؛ ابن حزم: جهرة، ٢٦٤.

(٢) الأخطل، شعره، ٢/٥٢٨.

(٣) بالكسر، اسم جبل يمتد من عُرْض إلى الفرات من أرض الشام من جهة الباية. ياقوت: معجم البلدان، ١٠/٤٢٦ (البشر).

(٤) ينظر: الأخطل: شعره، ٢/٥٢٨. والخبر مذكور عند: أبو عبيدة: النقائص، ١/٤٠١؛ البلاذري:

أنساب، ٥/٣٢٨-٣٣٩. ينظر أيضاً: الأصفهاني: الأغاني، ١٢/١٩٧-١٩٩؛ المرزباني: الموشح،



٢١٨-٢١٩؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٣١٩-٣٢٠. (٥) شعره، ١/٣٢؛ البلاذري: أنساب، ٥/٢٣١.

(٦) جرير: ديوانه، ١/١٤١.

(٧) البلاذري: أنساب، ٥/٣٢٩.

(٨) نفسه، ٥/٣٣٠.

(٩) المرزباني: الموشح، ٢١٩.

وقال يخاطب الأخطل بأبى مالك:

أبا مالك هل لمتنى إذ حضضتنى على القتل أم هل لامنى لك لائى^(١)

كما أشار جرير إلى يوم البشر في خطابه لأبى مالك:

أبا مالك: مالت برأسك نشوة وبالبشر قتلى لم تطهر ثيابها^(٢)

ويبدو أن ثمة هدفاً خفياً كامناً وراء تحريض عبد الملك للصراع بين تغلب وقيس مما أدى إلى إراقة الكثير من الدماء؛ ولعله يبغي من ذلك إبعاد القبائل عن دائرة الصراع السياسى وإدخالها في دائرة الصراع القبلى لإضعافها وسهولة السيطرة عليها.

وفي سنة (٧١هـ / ٦٩٠م)^(٣) كان مسير عبد الملك بن مروان على العراق لحرب مصعب ابن الزبير حتى يبلغ مصعبَ بالجُميرى^(٤)، فقال الشاعر:

أبيتَ يا مصعب إلا سَيرا فى كُلِّ يومٍ لك باجُميرا^(٥)

وكان مصعب لما سار إلى الكوفة أخذ معه مالك بن مسمع وزيد بن عمرو^(٦) فاستأذناه في الرجوع فأذن لهما. وقال: إنها لا يريدان خيراً^(٧)، فقال الشاعر:

إلحق أُميةً بالحجازِ خالدًا واضرب علاوة مالك يا مصعبُ

فلئن فعلت لتحرمَّن بقتله وليصون لك بالعراقِ المشرب^(٨)

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٢/ ١٩٩.

(٢) ديوانه، ٢/ ٢٦٤. ينظر القصائد الأخرى في الديوان، ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، ١/ ٥٦-٥٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٦٤-٢٦٥ وفيه مقتله سنة (٧٠هـ / ٦٨٩م)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٥١ وفيه مقتل مصعب سنة (٧١هـ / ٦٩٠م).

(٤) موضع دون تكريت. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٣١٤ (باجُميرى).

(٥) المسعودى: مروج، ٣/ ١٠٥.

(٦) زيد بن عمرو بن الأشرف من الأزد. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ٣٧٠.

(٧) البلاذرى: أنساب، ٥/ ٢٨٢.

(٨) نفسه.

وقال آخر:

أخاف عليك زيادَ العراقِ وأخشى عليك بنى مسمع^(١)

وحين تأخر لقاء جيش الزبيرين بالأمويين لحلول الشتاء^(٢)، قال عدي بن الرقاع العاملي^(٣) (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م):

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب
إذا شئت نازلت مستقدماً إلى الموت كالجمل الأجرى
فمن يك منا يكون آمناً ومن يك من غيرنا يهرب^(٤)

وأقبل عبد الملك من الشام يريد مصعباً ومعه خالد بن عبد الله بن أسيد^(٥)، فقال خالد لعبد الملك: "إن وجهتي على البصرة وأتبعني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها"^(٦). فوجهه عبد الملك، فقدمها مع مواليه متسخفياً في مواليه وخاصته، فالتقى الأموية والزبيرية بالبصرة، ففقت عين مالك بن مسمع^(٧). فقال وهب بن أبجر العجلي:

فلا ترج عند باب ابن مسمع إذا كنت من حبي حنيفة أو عجل^(٨)

(١) نفسه.

(٢) الطبري: تاريخ، ١٥١/٦.

(٣) عدي بن زيد بن مالك بن الرقاع بن عاملة، شاعر أموي معروف. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٤٧٨/٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ٣٦٢/١.

(٤) العاملي، عدي بن الرقاع (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م): ديوانه، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ٢٤٨-٢٤٩؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ٢٨٢؛ الطبري: تاريخ، ١٥١/٦.

(٥) خالد بن عبد الله بن السيد بن أبي العيص بن أمية. ترجمته: الزبير: نسب قريش، ١٨٩؛ ابن حبان: الثقات، ٢٠٦/٤.

(٦) الطبري: تاريخ، ١٥٢/٦.

(٧) البلاذري: أنساب، ١٥٩/٤-٢.

(٨) نفسه، ١٥٨/٤-٢.

وقال الفرزدق:

لَحْنُ نَفِينَا مَا لَيْكََا عَنْ بِلَادِنَا وَنَحْنُ فَقَانَا عَيْنُهُ بِالنِّيَازِ لُ^(١)

وقال غطفان بن أثيف^(٢):

كَيْفَ رَأَيْتَ نَصْرَ الْأَمِيرَا بِصَرْحَةِ الْمَرِيدِ إِذَا أَبِيرَا^(٣)

وأدرك مصعب مُرَّةَ بنِ مُحْكَان^(٤) فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ مرة:

بَنَى أَسَدٌ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَتْ^(٥)

فأقام مصعب بالبصرة ثم شخص إلى الكوفة لحرب عبد الملك، فنزل عبد الملك مَسْكَن^(٦). وكتب إلى مروانية من أهل العراق، فأجابه كلهم، فسار إلى مصعب وقد خذله أهل الكوفة فسأل مصعب عن صنيع الحسين بن علي بإبائه النزول على حُكَم ابن زياد وعزمه على الحرب^(٧).

فخرج على القتال متمثلاً:

وإن الألى بالطُفْرِ من آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَتُّوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا^(٨)

(١) ديوانه، ٥٧/٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦١.

(٢) أحد بني كعب بن عمرو بن تميم. البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٣.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/١٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/٣٥٣.

(٤) أحد بني سعد بن زيد مناة من تميم شاعر إسلامي (ت، ٧١هـ/٦٩٠م). ترجمته: الأصفهاني:

الأغاني، ٢٢/٣٤٨؛ المزياني: معجم الشعراء، ٣٩٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٣؛ المبرد: الكامل، ١/١٦٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ٦/٢٥٧.

(٦) موضع على نهر دجيل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/١٢٧ (مسكن).

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١/٢٦٤-٢٦٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٥٦-١٥٧.

(٨) الشعر لسليمان قته. ينظر: البلاذري: أنساب (مطبعة يونس آبل، غريفرز ولد؛ ١٩٨٣م)، ١١/١٤؛

الدينوري: الأخبار، ٣١١؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/٢٩٨.

وَحَذَّرَ سُويِدُ بْنُ مَنجُوفٍ السَّدُوسِيَّ^(١) مُصْعَبًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَدَرِهِمْ،
فَقَالَ:

فَأَبْلَغَ مُصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وَلَا تَلْقَى النَّصِيحَ بِكُلِّ وَادٍ
تَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تَنَاجَى وَإِنْ أَدْنَيْتَهُمْ فَهُمْ الْأَعَادِي^(٢)

وَقَالَ الْحَارِثُ الْمَخْزُومِيُّ يَهْجُو خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسِيدٍ وَيَمْدَحُ آلَ الزَّبِيرِ:
حَامَتَ بَنُو أَسِيدٍ عَنْ مَجْدِ أَوَّلِهَا وَأَنْتُمْ كَنْعَامِ الْقَاعَةِ الشُّرُودِ^(٣)
وَيَعْدُ أَنْ عَزَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ^(٤) عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَاهُ
الْأَحْوَازَ لِحَقِّ بَعْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمُصْعَبٍ
عَاجِلِ ابْنِ ظَبْيَانَ مُصْعَبًا بِضَرْبَةٍ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٥)، وَهُوَ
يَقُولُ:

تُعَاطَى الْمُلُوكَ الْحَقُّ مَا قَسَطُوا لَنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ^(٦)
فَأَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ:

لَقَدْ أَرْدَى الْفَوَارِسُ يَوْمَ حَسَى غُلَامًا غَيْرَ مَنَّاغِ الْمَتَاعِ
وَلَا فَرَحَ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ وَلَا هَلَعَ مِنَ الْحَدَثَانِ لَاعٍ
وَلَا قَافَةً وَالْخَيْلُ تُرْدَى وَلَا خَالَ كَأَنْبُوبِ الْيَرَاعِ^(٧)

(١) أَوْ سُويِدُ بْنُ مَنجُوفٍ السَّدُوسِيَّ، أَبُو الْمُنْهَالِ. تَرْجَمَتْهُ: ابْنُ حَيَّانٍ: الثَّقَاتُ، ٢٣٢/٤.

(٢) ابْنُ بَكَارٍ: الْمَوْفِقِيَّاتُ، ٥٣٤؛ الْبَلَاذِرِيُّ: أَنْسَابُ، ٣٤٣/٥.

(٣) دِيوَانُهُ، ٥٥؛ الْبَلَاذِرِيُّ: أَنْسَابُ، ٣٤٣/٥. يَنْظُرُ مَا قَالَهُ ابْنُ ظَبْيَانَ فِي الْغَدْرِ بِمُصْعَبٍ: ابْنُ بَكَارٍ:
الْمَوْفِقِيَّاتُ، ٥٥٦-٥٥٧. وَمَا قَالَهُ الْبَيْهَقِيُّ الشُّكْرِيُّ: الْبَلَاذِرِيُّ؛ أَنْسَابُ، ٢٨٤/٥؛ فَتُوحُ الْبُلْدَانِ،
٢٧٦؛ الطَّبْرِيُّ: تَارِيخُ، ١٦٠/٦.

(٤) شَاعِرٌ فَاتَكَ. تَرْجَمَتْهُ: ابْنُ الْكَلْبِيِّ: جُمُهَا، ٥٢٣؛ يَاقُوتُ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ١٧٢/٥ (مُسَكَّنٌ).

(٥) الْبَلَاذِرِيُّ: أَنْسَابُ، ٣٣٣/٥؛ الطَّبْرِيُّ: تَارِيخُ، ١٦٠/٦.

(٦) الْبَلَاذِرِيُّ: أَنْسَابُ، ٣٣٣/٥.

(٧) ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: شَرْحُ، ٢٩٧/٣، ابْنُ كَثِيرٍ: الْبَدَايَةُ، ٣٢١/٨.

وقال عدى بن الرقاع العاملي:

نحن قتلنا ابن الحواري مصعباً أخا أسدٍ والمذحجي اليماني^(١)

ورثاه غبيد الله بن قيس الرقيات، فقال:

لقد أورثَ المصرين خزيًا وذلةً قتلٌ بدارِ الجائلقِ مُقيمٌ
تولَّى قتالَ المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعّدٌ وحميمٌ
فما نصحت لله بكر بن وائلٍ ولا صبرت عند اللقاء تميمٌ
ولو كان بكرًا تعطفَ حوله كتائبُ على حميها ويدومٌ
ولكنه ضاع الدمام ولم يكن بها مضرى يومَ ذاكَ كريمٌ^(٢)

ورثي شعراء كثير مصعباً منهم أعشى همدان الذي قال:

وأضحى بدير الجائلقِ ملجباً فلا يبعدن من قتلٍ ملحب^(٣)

تمتلك قصيدة أعشى همدان هذه خصوصيتها في أنها وثقت هذا الحدث بوضوح وكأنها سجل تاريخي أغنى عن الكثير من القصائد التي قيلت في رثاء مصعب^(٤)، حينما أشار إلى الغادرين به، من أهل العراق الذين وصفهم بأنهم شر قوم؛ لأنهم مكروا بابن الحواري، ثم أخذ يسرد من وقف معه وأزره، فقال:

(١) ديوانه، ٢٧٨. ويسب الشعر إلى البعيث الشكري. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٤٤؛ البلاذري: أنساب، ٣٤٢/٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٦٠.

(٢) ديوانه، ١٩٦؛ الطبري: تاريخ، ٦/١٦١.

(٣) ولم أقف على البيت في ديوانه. ينظر: ابن بكار: الموفقيات، ٥٥٥.

(٤) ممن رثاه عبدالله بن الزبير الأسدي في ديوانه، ٥٨، ٧٩. والرقيات في ديوانه، ٤، ١٣٣، ١٨٤، ١٩٦.

وأبو دهيل في ديوانه، ٧٩. ووثق العيد من الشعراء مقتله منهم: أبو العباس الأعمى، وسالم بن

وابصة، وأبو السفاح اليربوعي، وعرفجة بن شريك، وموسى شهوات والعديل بن الفرخ، والأقشر

الأسدي. ينظر: الزبير بن بكار، الموفقيات، ٤٤٢، ٥٣٨، ٥٣٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/١٦٥؛

٣٧٧-٣٤٤، ١١/١١-١٢؛ الدينوري: الأخبار، ٣١٣؛ المبرد الكامل، ١/٢٣؛ المسعودي:

مروج، ٣/١٠٨.

جَزَى اللهُ حَجَّارًا هُنَاكَ مَلَامَةً وَفَرَحَ عُمَيْرٍ مِنْ مَنَاجٍ مُؤَلَّبٍ
وَمَا كَانَ عَتَابٌ لَهُ بِمَنَاصِحٍ وَلَا كَانَ عَنْ سَعَى عَلَيْهِ بِمُغْرِبٍ
وَلَا قَطَنٌ وَلَا بَائِسٌ لَمْ يُنَاصِحَا فَتَبَا لِسَعَى الْحَارِثَى الْمُتَسَبِّبِ
وَلَا الْعَتَكَى إِذَا مَالَ لِوَاءُهُ فَوَلَّى بِهِ عَنْهُ إِلَى شَرِّشٍ مَوْكِبِ
وَلَا ابْنُ رُوَيْمٍ لَا سَقَى اللهُ قَبْرَهُ فَبَاءَ بِمَجْدَعٍ آخِرَ الدَّهْرِ مُوَعِبِ^(١)

ومن الراجح أن يكون الشعر الذى قيل فى آيل الزبير قد أسقطه الشعراء من شعرهم خوفاً من بنى أمية، أو أسقطه الأمويون أنفسهم^(٢).

وفى سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)^(٣) وجه خالد بن عبدالله أخاه عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد^(٤) إلى قتال الأزارقة بفارس فهزموه. فقال الرقيات:

عبدالعزیز فضحت جيشك كلهم وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذى عطشٍ يحد بنفسه ومُلْحَبٍ بين الرجال قتيل^(٥)

وقال أحد الخوارج:

إن عبد العزيز يوم حرورٍ كان يرجو رجاء المهلب فينا^(٦)

(١) ديوانه، ٣١٣. ويصف الشاعر مقتل إبراهيم بن الأشتر وإخلاصه لمصعب، وكيف قتل بطريقة تؤكد عمق أثر الشعر فى توثيق الأحداث. ينظر: ٣١٤-٣١٥. ومن الممكن ملاحظة ما قاله العجاج فى ديوانه، ١١٤-١١٧.

(٢) قاسم، عون الشريف: شعر البصرة فى العصر الأموي (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٥٤.

(٣) البلاذرى: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ١٦٨-١٦٩.

(٤) توفى فى خلافة هشام بن عبد الملك. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٢٣؛ ابن حجر: تهذيب، ٦/ ٣٠٦.

(٥) ديوانه، ١٩٠. وفى ديوان الخوارج، تحقيق نايف محمود معروف (دار الميسرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، لأبي حديد وللييت رواية أخرى فى المكان نفسه.

(٦) البيت للحصين بن مالك فى شعر الخوارج، ١٠٢.

وَيُرَوَّى أَنَّهُمْ قَتَلُوا أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ فَمَرَّ بِالْمَهْلَبِ فَكَسَاهُ وَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ،
وَكَانَ يَقُودُهُمْ قَطْرَى بْنُ الْفَجَاءَةِ^(١)، فَقَالَ الْحَارِثُ الْمَخْزُومِيُّ:

فَرَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا رَأَى الْأَبَّ طَالَ بِالسَّفْحِ نَازِلُوا قَطْرِيًّا^(٢)

وطلبه خالد القسري فلحق ببشر بن مروان وقال:

وَمَا كَفَّ عَنِّي خَالِدٌ عَنْ تَقِيَّةٍ وَلَكِنْ بَدَتْ دُونِي اللَّيْثُ الْهَوَاصِرُ^(٣)

وفي هذه السنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)^(٤) وجّهَ عبد الملك الحجاج بن يوسف (ت، ٩٥هـ/ ٧١٣م) إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وكان جَوَاسُ بْنُ الْقَعَطْلِ يَحُثُّ
عبد الملك في ذلك:

سَيِّرُوا إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَشَمِّرُوا لَا تُصَلِّحُوا وَسِوَاكُمْ مَوَلَاهَا^(٥)

وقال أعشى بنى ربيعة^(٦) (ت، ١٠٠هـ/ ٧١٨م) يحثه أيضًا:

قَوْمُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ كَمْ لِلْغَوَاةِ أَطْلُتُمْ لِمَهَالِهَا^(٧)

ثم كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)^(٨)
فرمى الحجاج الكعبة بالمنجنيق، فقال الأقيشر الأسدي:

وَلَمْ أَرْ جَيْشًا بِالْحَجِّ مِثْلَنَا وَلَمْ أَرْ جَيْشًا مِثْلَنَا غَيْرَ مَا طُرِسَ

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٦٨.

(٢) ديوانه، ١٠٩.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٦٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٧٦.

(٦) اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب من شيبان من بكر بن وائل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٨/ ٧٠.

(٧) نفسه، ١٨/ ٧٢.

(٨) البلاذري: أنساب، ٥/ ٣٥٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ١٨٧.

دلفنا لبيت الله نمرى سؤورة بأحجارنا زمن الولاؤل فى العرس^(١)

وقال عبدالله بن مطيع بن الأسود:

أنا الذى فررت يوم الحرة والشيخ لا يفر إلا مرة
لأجزيين كـرة يـفرة^(٢)

ووزع عبدالله بن الزبير فرسانه على أحياء ومداخل مكة، فوثق بعض أصحابه ذلك بقوله:

وجعلنا سداد المأزمين محمداً وحمزة للمسعى، وللردم هاشم^(٣)

فوثق هذا البيت الأماكن وأسماء المحاربين فحفظ الخبر التاريخى وأغناه وكشف عن أثر الشعر فى حفظ الصراعات، فأشار إلى محمد بن المنذر بن الزبير، وحمزة بن عبدالله وهاشم بن عبد الله^(٤) والمواضع التى قاتلوا فيها.

وكان يقاتل قتالاً شديداً وهو يقول:

صبراً عفاق إنه شرُّ باقٍ قبلك سنَّ الناس ضربَ الأعناق
قد قامت الحرب بنا على ساق^(٥)

وعندما بدأ بعض أصحابه يلحق بجيش الحجاج، قال:

(١) الأبيات للأقشیر الأسدي فى المستدرک على شعره: نوري حمودي القيسي، مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)، السنة (٦)، (بغداد، شعبان، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٦٣. ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٤. ومنسوبة أيضاً للأقيل بن شهاب الكلبي. لالبلاذرى: أنساب، ٣٥٨-٣٥٩، ٣٩/١١-٤٠، الأمدى: المؤتلف، ٢٥.

(٢) الزبيرى: نسب قريش، ٣٨٤؛ البلاذرى: أنساب، ٣٧٦/٥؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت، ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد. العريان، الجزء الأول (المكتبة لانتجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ١٠٤-١٠٥.

(٣) ابن بكار، جمهرة، ٤٨/١.

(٤) من آل الزبير بن العوام. ينظر: الزبيرى: نسب قريش، ٢٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٤٠٥/٧.

(٥) البلاذرى: أنساب، ٣٦٤/٥.

فرت سلامان وفرت النمر وقد تلاقى معهم فلا نفر^(١)

رمى الحجاج البيت بالمنجنيق فسقطت على المنجنيق عاصفة في يوم مطير،
فقال: لا يروعنكم فإنها صواعق ثُمامة، وجعل أهل الشام يقولون وهم يرمون:

يا ابن الزبير طال ما عصيكا وطال ما عثينا إليكا
لتجزيّن بالذى أتىكا لنضربن بسيفنا قفيكا^(٢)

فكان حجر المنجنيق يميء عبدالله بن الزبير فيقال له تنح فيقول:

سهل عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها
فليس بأتىك منهئها ولا قاصر عنك مأمورها^(٣)

وكان يقاتل في الرعيل الأول ويتمثل:

فلست بمستطاع الحياة بسبب ولا مرتق من خشبة الموت سلماً^(٤)

وحين قتل رثاه عمرو بن معمر الهذلي فقال:

فإن يك هذا الدهر أودى بمصعبر وأصبح عبدالله شلواً ملحباً^(٥)

ودخل عبدالله بن الزبير الأسدي على عبدالملك بعد مقتل ابن الزبير فقال:

مشى ابن الزبير القهقري فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصابات
وجئت المجلى يا ابن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العذرات^(٦)

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت، ٩٧هـ / ١١٩م): صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الجزء الأول (مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، ٧٧١.

(٢) البلاذري: أنساب، ٣٦٣/٥.

(٣) نفسه، ٣٦٢/٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ١٩١/٦؛ ابن الجوزي: صفة، ٧٧٠.

(٥) المرزباني: معجم الشعراء، ٤٤. ولجعفر بن الزبير في قتاله مع أخيه. الأصفهاني: الأغاني، ٧/١٥.

(٦) ديوانه، ٦٤. ينظر ما قاله أبو دهل في ديوانه، ٧٥ وما قاله سليمان بن سلام الجمحي في البلاذري: أنساب، ٣٧٨/٥.

وفي سنة (٧٤هـ/٦٩٣م)^(١) ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة^(٢) من قبل عبد الملك. فقال رجل من الخوارج يرتجز:

قل للمحليين أتاكم صالحُ

وصالح في الحرب كبش ناصح^(٣)

وناهضهم المهلب فأجلاهم عن رامهرمز^(٤) من غير قتال شديد حتى نزلوا كازرون^(٥) وذلك في السنة التالية^(٦) (٧٥هـ/٦٩٤م) فزحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيتوه، فوجوده قد أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف^(٧) (ت، ٧٥هـ/٦٩٤م) فوجوده لم يخذل فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل، وقتلوا حوله، فقال شاعرهم:

لمن العسكر المكل بالصر عى فهم بين ميّت وقليل^(٨)

وقال سراقه بن مرداس يرثيه ويوثق مكان مقتله:

ثوى للأزد ين أزد شنوءة وأزد عُمان رهن رمس بكازر^(٩)

وفي هذه السنة (٧٥هـ/٦٩٤م)^(١٠) ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي

(١) الطبري: تاريخ، ٦/١٩٥.

(٢) وهم أصحاب نافع بن الأزرق. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت، ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تعليق أحمد فهمي محمد، الجزء الأول (مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، ١٧٩.

(٣) الرجز لصالح بن مخراق العبدي. ينظر: شعر الخوارج، ١٢٤.

(٤) مدينة بنواحي خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ٣/١٧ (رامهرمز).

(٥) مدينة بفارس بين البحر وشيراز. ياقوت: معجم البلدان، ٤/٢٤٩ (كازرون).

(٦) الطبري: تاريخ، ٦/٢١١-٢١٢.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: ديوان الخوارج، ٢٣٥؛ الطبري: تاريخ، ٦/٢١٢.

(٩) ديوانه، ٤٣. ينظر، ٤٤-٤٥.

(١٠) الطبري: تاريخ، ٦/٢٠٢-٢٠٣.

(ت، ٩٥هـ/٧١٣م) العراق دون خراسان وسجستان، فقدم الكوفة وخطب في مسجدها، فقال متمثلاً:

أنا ابنُ جَلَا وطَدَاعِ الثُّنَايا متى أضَعُ العِمَامَةَ تعرفونى^(١)
وأمر الناس بالالتحاق واشهر السيف على من يتخلف، وقتل فعلاً عُمير بن ضابى^(٢)، فقال عبدالله بن الزبير الأسدى:
تخير فإما أن تزور ابن ضابئ عُميراً وإما أن تزور المهلبا^(٣)

ثم بعث المدد على المهلب لقتال الخوارج فقال الشاعر:
قل للمهلب قد أتتك معاشرًا حُشروا إليك كحشرِ أهل البرزخ^(٤)
وقال سَوَّار بن المضرب^(٥)، وكان عاصياً:

أقاتلى الحجاج إن لم أدر له درت وأترك عند هندِ فؤاديا^(٦)
فقال العديل بن الفرخ^(٧) (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م):
لقد جردَ الحجاجَ للحقِّ سيفه ألا فاستقيموا لا يميلنَّ مائل^(٨)

وفي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م)^(٩) دخل شبيب^(١٠) (ت، ٧٧هـ/٦٩٦م) الكوفة

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي: ينظر: الجاحظ: البيان، ٣٠٨/٢؛ المبرد: لاكامل، ١٣٢/١؛ الطبرى: تاريخ، ٢٠٢/٦؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/٧.

(٢) عمير بن ضابئ بن الحارث اليربجي قتل سنة ٧٥هـ. ينظر: المرزباني. معجم الشعراء، ٧٣.

(٣) ديوانه، ٥٤. ينظر تمام القصيدة.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢٧٧/١١؛ الطبرى: تاريخ، ٢١١/٦.

(٥) أحد بني ربيعة بن كعب بن سعد. ينظر: البلاذري، أنساب، ٢٧٨/١١.

(٦) نفسه.

(٧) من بني عجل من بكر بن وائل (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م). ينظر ترجمته: الجاحظ: البيان، ٣٩١/١؛

الأصفهاني: الأغاني، ٢٧٥/١٣.

(٨) شعره، شعراء أمويون، ٣٠٥/١.

(٩) بن خياط: تاريخ، ١/٢٧٢-٢٧٣؛ الطبرى: تاريخ، ٢٢٤/٦.

(١٠) شبيب بن يزيد بن نعيم الشباني أحد زعماء الخوارج. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن

خلكان: وفيات، ٤٥٤/٢.

ومعه زوجته غزالة^(١)، فقال عمران بن حطان^(٢) مخاطبًا الحجاج حين لج في طلبه:

أَسْدُ عَلَىٰ وَفَى الْحُرُوبِ نِعَامَةً رِداءُ تُجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَىٰ غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ
صَدَعْتَ غَزَالََةَ قَلْبِهِ بِفَوَارِسِ تَرَكْتَ مَنَابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ^(٣)

وقد وظف عمران بن حطان ((مواهبه الشعرية في خدمة مذهبه، فلا عجب أن يبدى الحجاج قلقه وخوفه من انتشار أفكاره))^(٤) خشية إفساد الناس عليه.

وضرب شبيب باب القصر في الكوفة، ثم قال:

وَكأن حَافِرَها بِكُلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَحِيحٌ مَعْلُومٌ
عَبْدٌ دَعَىٰ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلَهُ لَا بَلْ يُقالُ أَبُو أَسْبِهِمْ يَقدُمُ^(٥)

يشير إلى نسب الحجاج، ونسب ثقيف فيطعن فيهم.

وفي سنة (٧٧هـ/٦٩٦م)^(٦) دخل شبيب الكوفة ثانية، فقتل عتاب بن ورقاء^(٧) الرياحي (ت، ٧٧هـ/٦٩٦م)، فقال يزيد بن حبناء^(٨):

(١) هي زوجة شبيب. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٤١٠؛ ابن خلكان، وفيات، ٢/٤٥٤.

(٢) عمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج (ت، ٨٤هـ/٧٣٠م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/٤٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٨/٥٠.

(٣) شعر الخوارج، ١٦٦. ينظر: ما قاله عتاب أصيلة الشيباني، ١٨٢-١٨٣.

وحول غزالة ينظر: ابن خياط: تاريخ، ١/٢٧٤؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/٤٥٤.

وحول ما قاله مصقلة بن عتبان الشيباني ينظر: المسعودي: مروج، ٣/١٩٣.

وما قاله ايمن بن خريم: ديوانه، ٤٣.

(٤) خليقات، عوض محمد: نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عمّان، ١٩٧٨م)، ٧٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ٦/٢٤١.

(٦) الطبري: تاريخ، ٦/٢٥٧-٢٦٧.

(٧) نسيه عند ابن الكلبي: مهرة، ٢١٧.

(٨) يزيد بن حبناء بن عمرو. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/٢٢٠.

ونجى ابن ورقاء الرياحى سابحاً شديداً مناط القصرين عثم^(١)

فقال أحد الخوارج:

ألوت بعتاب شوارد خيلنا ثم أنثنت لكنايب الحجاج^(٢)

ووقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة، فخالفه بعضهم واعتزله، وبايع عبدربه الكبير^(٣)، وأقام بعضهم على بيعة قطرى. فنهض إليهم المهلب، فقاتلوه قتالاً شديداً، فلما اشتد الحصار على قطرى حاول الهرب^(٤)، فقال له أحد أصحابه:

فمت قطرى إن فى الموت راحةً وأنت لديه لا محالة صائر^(٥)

وقال كعب بن معدان الأشقرى مشيراً إلى أيام المهلب:

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد شُبت لنا ولهم نارٌ لها شرر^(٦)

وعن أيام المهلب فى قتاله الخوارج فى سابور^(٧)، قال مجاهد بن عظيم التميمي:

إنما تطمع الأزارق فى الحر
فإذا ولى القتال حبيب
بوا إذا لم يكن قتال حبيب
فلهم عند ذاك كنهه نخب

(١) شعر الخوارج، ٨٤. ينظر: ما قاله عبدالواحد الأزدي فى هزيمة سبب فى السبخة، ١٨٤.

(٢) الأبيات لحبيب بن خدره الهلالي مولاهم ينظر تمامها. شعر الخوارج، ٢١٠-٢١١؛ ديوان الخوارج: ٤١.

(٣) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/٣٠١.

(٤) نفسه، ٦/٣٠٠-٣٠٤.

(٥) هو حصين بن حفصة السعدي، شعر الخوارج، ١٠٤. ينظر: تمام القصيدة وينظر: قول عبيدة بن هلال اليشكري فى عبدربه الكبير، ٩٨ وأحد الأزارقة، ١٣٤.

(٦) شعره، شعراء أمويون، ٢/٣٩٨. للمزيد، ٣٩٦، ٤١٣.

(٧) شاه بور، قرب شيرا. ياقوت: معجم البلدان، ٣/١٦٧ (سابور).

سَلْ لعمورِ القنا غداةَ كنا الـ مهرة والسَّنان منه خضيب^(١)

وفى ذلك يقول المغيرة بن حبياء:

إن المهلب فى الأيام فضله على منازل أقوام إذا ذكروا^(٢)

وكان المهلب يعلم جُنْدَه تَعْلِيمًا حَرْفِيًّا صَارِمًا، حتى أن المغيرة بن حبياء حاوره بعد أن انتهى من إحدى خطبه شعرًا، فقال:

يعلمنا المهلبُ كلَّ يومٍ قِتالَ القومِ تَعْلِيمَ الكِتَابِ

ويلبسنا السِّلَاحَ إذا أمَّنَّا لنحدقَ لبسَهُ والنَّعْجَ كَابِ

وعابَ حياتنا بالجن حتى كأن حياتنا دين المعابِ

ويجزي المحسنين بما أتوه ويعفى المذنبين مع العتابِ

ويضرب دوننا بالسيف صَلَّتْنا ويضرب كلَّ مطرِدٍ الكعابِ^(٣)

وحاصر سفيان بن الأبرد الكلبى^(٤) فى سنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)^(٥) الخوارج من أصحاب عبدة بن هلال، فأمر سفيان مناديه فنادى فيهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبدة:

لعمري لقد قام الأصمُ بخطبةٍ لذى الشك منها فى الصدورِ غليلُ

لعمري لئن أعطيت سفيانَ بيعتى وفارقت دينى لئننى لجهولُ^(٦)

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٣٧/٦. ينظر: ما قاله عمرو لاقتنا فى شعر الخوارج، ٨٨، ١٣٥.

(٢) شعره، شعراء أمويون، ٧٨/٣.

(٣) شعراء أمويون، ٨٠-٨١/٣.

(٤) من بني حارثة بن جناب من كلب. ينظر: ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٣١١/٦.

(٦) شعر الخوارج، ١٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ٣١١/٦. ينظر الأبيات (١-٨).

وفيهما تقاعس أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد^(١) (ت، ٨٧هـ/ ٧٠٥م) عن
الجهاد فكتب أهل خراسان إلى الحجاج:

أحجاج بن يوسف أنت راعٍ وراعى القوم يحفظ ما أضاعوا
ولنا معشر من جَذَم قَيْسٍ لنا فى الناسِ مكرمة وباع^(٢)
ولما أحرق أمية السفن قال أحد أصحابه:

تركت أمرك من جبنٍ ومن خَوَرٍ وجئنا حُمُقًا يا ألامَ العربِ
لما رأيتَ جبالَ السَّعْدِ مُعْرَضَةً وَلَيْتَ موسى ونوحًا عكوة الذَّنْبِ^(٣)
وعبر أمية نهر بلخ^(٤). فقال عبدالرحمن بن خالد المخزومي^(٥):

ألا أبلغ أمية أن سَيُجْزَى ثوابَ الشَّرِّ إن له ثوابا^(٦)

وفى سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م)^(٧) كان هلاك شبيب وقطرى وعبيدة بن هلال وعبد
ربه الكبير من زعماء الخوارج، وكان قطرى يرتجز يوم قتل شبيب ويقول:

أنا أبو نعامَ الشيخِ المَبَلِّ أنا الذى وُلدت فى أُخرى الإبل^(٨)

وهو حين يوثق الحدث فى شعره يكشف عن صورة واضحة لحقيقة قلبه وعقله،
فهو صدى لعقيدة الخوارج، فى مجابهة الموت ومقارعة الخصوم، فرثاهم الأصم
الضُّبى^(٩) فقال:

(١) أموي النسب. ترجمته: ابن حيان: الثقات، ٤/ ٤٠؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٣٢٥.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ١٦.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٣.

(٤) مدينة مشهورة بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بلخ).

(٥) عبدالرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣١٧.

(٦) نفسه.

(٧) الطبرى: تاريخ، ح ٦/ ٣١٨.

(٨) شعر الخوارج. ص ١٢١.

(٩) هو قيس بن عبدالله، أحد بني عبدمناة بن بكر بن سعد بن ضبة، شاعر كان حروريًا.

ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٥٢.

ذكرتُ الشَّراةَ الصَّالحينَ وَقَدْ فنوا وذكرْنِي أهلَ القُرآنِ السِّدورُ
 بقومِمْسَ فارفضتُ من العينِ عِبْرَةً يَجودُ بِهَا رِيعانُهَا المُتحدِرُ
 فقلتُ لأصحابي قفوا حينَ أشرفوا قليلاً لِكِي بَقى وَقوفاً ونَظَرُ
 إلى بلدِ الشارينِ أضحت عظامُهُم تَضُمُّنَا من أرضِ قومِمْسَ أَقْصُرُ^(١)

وغزا شريح بن هاني الحارثي^(٢) (ت، ٧٩هـ/٦٩٨م) سجستان في سنة (٧٩هـ/٦٩٨م)^(٣) فكان يرتجز ويقول:

أصبحتُ ذا بثٍ أَقاسى الكِبَرَا قَدْ عِشتُ بينَ المُشركينَ أَعْصَرَا
 ثُمَّتَ أدركتُ النَبىَ المُنذِرَا وبعْدُهُ صَدِيقُهُ وَعُمَرَا
 ويومَ مهرانَ ويَمَّ تُسْتَرَا والجَمْعَ فى صَفينَهم والنَهْرَا
 وباجُمَراتٍ مَعَ المُشَقْرَا هِيَهَاتَ ما أَطولَ هَذَا عُمَرَا^(٤)

ذهب سيل الجحاف بالحُجَّاجِ بمكةَ سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)^(٥) في يوم الاثنين، فقال الراجز:

لَم تَرَ عيني مِثْلَ يومِ الاثنينِ أَكْثَرَ عَجزوْنَا وأَبكى للعَينِ
 وَخَرَجَ المُحَبَّاتِ يَسْعِينِ ظَوَاهِرَا فى جَبَلينِ يَرْقِينِ
 وَذهب السيلُ بأهلِ المَصرينِ^(٦)

(١) شعر الخوارج، ١٢٧؛ ينظر حول أحداث الجوع في هذه السنة ما قاله أعشى همدان في ديوانه، ٣١٧.

(٢) شريح بن هاني بن فريد الحارثي، أبو المقدام. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/٣٥٣؛ ابن جر: تهذيب، ٤/٢٩٠.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/٣٢٢.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/٢٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٤٥١.

(٥) سُمى بذلك لأنه ذهب بكثير من الحاج وأمتعتهم ورحالهم. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٣٥٧.

(٦) نفسه، ٣٥٧.

وفي سنة (٨١هـ / ٧٠٠م)^(١) قتل بحير بن ورقاء الصُّرَيْمِي بخراسان، وكان
الأبناء توعوده، فقال:

تَوَعَّدْنِي الأبناء جهلاً كَأَئِمَّا يرون فَنائِي مُقَفِّراً من بنى كعب^(٢)

فَحَضَّ عليه عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد، أحد بنى عوف بن سعد من
الأبناء رجلاً من آل بكير، فقال:

فلو كنتَ من عوفٍ بن سعد دُؤَابَةً تركتَ بَحِيْرًا فى دَمٍ مُتَرَقِّقٍ
فقل لبَحِيرٍ نَمٍ ولا تَحْشَ ثَائِرًا بعوفٍ فعوفٌ أهلُ شَاؤٍ حَبْلَقِ

فلو كان بكر بارزاً فى أدَاتِهِ وذى العرش لم يُقدِّم عليه بحير^(٣)

وفي سنة (٨١هـ / ٧٠٠م)^(٤) خالف عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث^(٥) (ت،
٨٤هـ / ٧٠٣م) الحجاج ومن معه من جند العراق، فتمثل حين سار:

خلعَ الملوكَ وسارَ تحتَ لَوَائِهِ شَجَرُ العُراءِ عِراعرِ الأَقْوامِ
وأغرُّ من وَلَدِ الأرقامِ ماجدٍ صلتُ الجبين مُعوذُ الإقدامِ^(٦)

فأخذ يستميل عُبَادَ أهلِ الكوفةِ وقُرَّائِهِمْ حتى خرجوا معه وآتَيْهِمُ الناسَ، ثم
انقاد إلى طاعته أهلُ البصرة فبايعوه على حرب الحجاج وخلع عبدالملك^(٧). فلما بلغ
الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، متمثلاً بقوله:

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١.

(٢) نفسه، ٦/ ٣٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٤٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣١. ينظر ما قاله أحد الأبناء: ٦/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٤.

(٥) من كندة خالف الحجاج فقتل. ترجمته: الذهبي، العبر: ١/ ٧٤؛ ابن حجر: تهذيب: ٦/ ٢٣.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ الدينورى: الخبار، ٣١٧؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١.

(٧) ينظر: الدينورى: الأخبار، ٣١٧؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٤١؛ المسعودى: مروج، ٣/ ١٣١؛
الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ٤٦.

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم
وهل سموت بجرار له لجب
وهل تركت نساء الحى ضاحية
حرباً تفرق بين الحيرة والخلط
جم الصواهل بين الجم والفرط
فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط^(١)

فكتب إليه عبد الملك كتاباً وجعل فى طيه جواباً لابن الأشعث:

ما بلل من أسعى لأجبر عظمه
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم
ولئى وإياهم كمن نبة القطا
أناة وحلماً وانتظاراً بهم غدا
حفاظاً وينوى من سفاهة كسرى
ستحملهم منى على مركب وعري
ولو لم تنب باتت الطير تسرى
فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر^(٢)

وخرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق كان بين يديه أعشى همدان^(٣)
يرتجز:

شطت نوى من داره بالإيوان
فالبند ينجين إلى طرداسستان
من عاشق أضحى بزابلستان
كذابها الماضى وكذاب ثان
إيوان كسرى ذى القرى والرئحان
فالجسر فالكوفة فالغريان
إن ثقيفاً منهم الكذابان
أمكن رى من ثقيف همدان^(٤)

إذ يوثق هذا الرجزك الغطريف (عبدالرحمن) وقبائل قحطان وبنى معد بن
عدنان ومذحج وهمدان، ويهدد الحجاج وابن مروان. ويدعو الأخنس بن غياث^(٥)
بن الأشعث بالأزهر حينما يخاطب الحجاج بقوله:

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٧٩؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٨.

(٢) المبرد: الكامل، ١/ ١٦١.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧.

(٤) ديوانه، ٣٤١-٣٤٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٣٧. وينظر: رجز ابنة سهم بن غالب الهجيمي حيث وصف عبدالرحمن بالمنصور. البلاذرى: أنساب، ١١/ ٣٣٤.

(٥) أحد بني صعب بن وهب من نزار، شاعر فارس. ترجمته: الأمدى، المؤلف، ٣٠.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَزْهَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَاقَ مِنَ الْمُحْلَيْنِ مَا نَعُ
رَأَاهُمْ أَنَا سَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْهَوَى بَدِيعًا وَمَا فِي الْحُكْمَاتِ بَدَائِعُ^(١)

وفي سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م)^(٢) كانت وقعة الزاوية^(٣) بين الحجاج وابن
الأشعث، وفيه قتل الطفيل بن عامر بن واثله^(٤)، ت، ٨٢هـ/ ٧٠١م، وقد كان وهو
بفارس يقبل مع عبدالرحمن من كerman^(٥) الحجاج:

أَلَا أَبْلَغُ الْحَجَّاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَمَهُ عَذَابٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبٌ
مَتَى نَهْطَ الْمَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ يُنْجِي ابْنَ اللَّعِينِ مُصِيبٌ^(٦)

وأصيب الحريش بن هلال السَّعْدِي، وكان يقاتل قتالاً شديداً ويرتجز:
أَنَا الْحَرِيشُ وَأَبُو قُدَّامَةَ أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ مَقِيلَ الْهَامَةِ
أَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبْدٍ ضَرْغَامَةٍ^(٧)

وخرج أبو جلدة اليشكري^(٨) بين الصَّفِين وهو يقول:
تَرْكَنَاهُمْ صَحْنُ الْعِرَاقِ وَنَاقَلْتُ نَبَأَ الْأَعْوجِيَّاتِ الطُّوَالِ الشَّرَامِخُ
فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكُنْ غَيْرِنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ^(٩)

(١) نفسه.

(٢) ابن خياط، تاريخ، ١/ ٢٨٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٤٢.

(٣) موضع قرب البصرة كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢١٨ (الزاوية).

(٤) أحد بني كنانة بن خزيمة بن مدركة. ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٢١٨؛ ابن الكلبي: جهرة، ١٤٦.

(٥) ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤٥٤ (مكران).

(٦) الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٤٣. ينظر ما قاله أبو حراية عن ابن الأشعث. البلاذري: أنساب، ١١/ ٣٣٥.

(٧) البلاذري: أنساب، ١١/ ٣٥٠-٣٥١. وينظر: رثاء حميدة بنت زياد لأبيها، الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٤٤.

(٨) أبو جلدة بن عبيدة بن منقذ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية خرج مع ابن الأشعث فقتله
الحجاج. ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ١١/ ٢٩١.

(٩) شعره، شعراء أمويون، ٤/ ٣٣٧.

وقال أبو الطفيل^(١) (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م) يرثى ابنه وقد قتل مع ابن الأشعث:

وسار من أرض خاقان التي غلبت أبناء فارس في أرجائها غلبا
حتى وردت حياض الموت فأنكشت عنك الكتائب لا تخفى لها عقبا
ومن سجان أسباب تزيئها لك المنية حيناً كان مُجتنباً^(٢)

كان البراء بن قبيصة بن ابي عقيل مع الحجاج فانهزم، فقال الحجاج لا آمنته إلا
أن أضربه ضربة بالسيف، فقال:

أخوف بالحجاج يوماً ومن يكن طريدة ليث العراقين يفرق^(٣)
وصبر آل سعيد بن العاصي مع الحجاج فقال عبيد بن موقف كاتب الحجاج
ومولاه:

لعمري لقد فرّ البراء وابن عمه وفرت قریش غير آل سعيد^(٤)

وقال العجاج يمدح الحجاج ويعرض بأصحاب ابن الأشعث:

فوجدوا الحجاج يأبى الهضاً

لا فانيًا ولا حديثًا غَضًا

ومن صريح الأكرمين محضاً^(٥)

(١) عامر بن وثالة بن عبدالله الكناني شاعر أموي مقل. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ح ١١٤/١٥؛
البغدادى: خزائن، ٤١/٣.

(٢) أبو الطفيل، عامل بن وثالة الكناني (ت، ١٠٠هـ/٧١٨م): ديوانه، تحقيق. الطيب العشاش
(مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٢٧.

(٣) البلاذري: أنساب، ٣٤٧/١١، ٣٥٠، ٣٥٧.

(٤) يعني مصعب بن عبدالله بن عقيل. نفسه، ٣٤٧/١١.

(٥) ديوانه، ٩١. ينظر: أيضًا رائيته، ٣٩٢ وما بعد. ونونية الفرزدق في ديوانه، ٣٢٨/٢.

وفى سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)^(١) كانت وقعة دير الجماجم^(٢)، فقاتله فيها سفيان بن الأبرد الكلبى، فقال أعشى همدان وكان مع ابن الأشعث:

وكرت لعينا خيل سُفيان كَرَّةً بفرسانها والسُّمهرى مَقْصداً
وسُفيان يهديها كأنَّ لواءه من الطَّعنِ سنْدُباتَ بالصَّبغِ مُجسداً^(٣)

توثق هذه القصيدة سير المعركة بوضوح تام فتعبر عن أثر الشعر في طبيعة الحدث التاريخي، فالشاعر يصف طبيعة هزيمة العراقيين وتشتت جموعهم، وكيف كان الحجاج يكافحهم حيث يقول:

فمالبت الحجاج أن سلَّ سيفه علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيتُه مُعائلاً مُلقى مُعوذاً^(٤)

ويبدو أن الأعشى قالها بعد هزيمة ابن الأشعث وانتصار جيش الحجاج؛ لأن فيها إطراء لشجاعة الحجاج كمحاولة لكسب وده وتخليص رقبتة من سيفه، ولكنه لم يفلح.

وقال أحد الشعراء:

إن يهلك الحجاج فالمرُ مصرُنا ولأفمثنونا بدير الجماجم^(٥)

وقال آخر:

ضرباً يُزيل الهامَ عن مقلِهِ ويذهلُ الخليلَ عن خليلِهِ^(٦)

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٤ وفيه (سنة ٨٢)؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٥٧.

(٢) بظاهر الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب، وسمي بذلك لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٥٠٣-٥٠٤ (دير الجماجم).

(٣) ديوانه، ٣٢١.

(٤) ديوانه، ٣٢٠.

(٥) البكرى: معجم ما استعجم، ٢/ ٥٧٤. والأبيات للضحك اليربوعي.

(٦) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٣. ينظر في هذا المكان ما قاله النابغة الجعدي.

وحذرت ليلي الأخيلية^(١) (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م) عبد الرحمن بن الأشعث من محاربة الحجاج فقالت:

فدونكها فذُق كَأَسَا قَتُولًا عَلَى طَعْمَيْنِ: مَحْمُورٍ وَسُومٍ^(٢)

وأخفق ابن الأشعث في ثورته بعد أن انتبعت الترك ما كان بيد العرب الذين معه، فَضَّلَ نفسه في الطريق^(٣). فَكَانَتْ هزيمته القاتلة في مسكن سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)^(٤) تمهيدًا لمقتله في سنة (٨٥هـ/ ٤٠٧م) حين جرى برأسه إلى الحجاج فقال:

أَبَى حِينَهُ وَالْمَوْتَ إِلَّا تَهَوَّرًا فَصَادَفَهُ عِبَلُ الذَّرَاعِ شَتِيمُ
كَرِيهُهُ الْمُحْيَا بِأَسْلٍ ذُو عَزِيمَةٍ فَرُوسٌ لِأَعْنَاقِ الْكُمَاةِ أَزِيمُ^(٥)

وحين أُرسل رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك، قال متمثلًا:

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرَدِّد لَعَمْرِي عِرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ^(٦)

أتى الحجاج بأعشى همدان، فقال: إيه يا عدو الله! أنشدني قولك: "بين الأشج و بين قيس"^(٧)، أنفذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك؛ قال: بل أنشدني هذه؛ فأنشده داليتها التي يقول في مطلعها:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ وَيُطْفِئَ نَوْرَ الْفَاسِقِينَ فَيَخْضُمُوا^(٨)

(١) ليلي بنت الأخيل من عقيل بن كعب، شاعرة إسلامية أموية صاحبة توبة الحميم.

ترجمتها: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٦٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ١١/ ١٩٤.

(٢) ليلي الأخيلية (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م): ديوانها، تحقيق خليل العطية وإبراهيم العطية (دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ١٦٦.

(٣) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٤١٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٦٦، ٣٨٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٨٩.

(٦) المبرد: الكامل، ١/ ١٦٠.

(٧) الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٨) ديوانه: ٣٢٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٧٦.

حتى أكملها، فقال: أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف إلا يكون ظهر وظفر، وتحريضاً علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيس باذوخ

فأنفذها، فلما قال:

بَخْ بَخْ لوالدوه وللمولود

قال الحجاج: لا والله لا تبخبن بعدها لأحد أبداً، فقدمه فضرب عنقه^(١).

وكان الأعشى هجا الحجاج في عدة قصائد، منها قوله:

مَنْ مُبْلَغِ الْحِجَاجِ أَنَّى قَدْ نَدَبْتَ إِلَيْهِ حَرْبًا

حَرْبًا مَذْكُورَةً عَوَانَا تَتْرُكُ الشُّبَانَ شُهْبًا

وَصَفَقْتُ فِي كَفٍّ أَمْرِي جُلْدًا إِذَا مَا الْأَمْرُ عَبَا

لَابْنِ الْأَشَجِّ قَرِيعَ كَنْدَةٍ لَا أَبِينُ فِيهِ عَتَبَا

أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيسِ وَأَنْتَ عَلَى الْقَوْمِ لَعْبَا

نَبِثْتَ حِجَاجًا بَنَ يَوْسُفَ خَرًّا مِنْ زَلَقٍ فَتَبَا^(٢)

مما يجعل هذه الثورة ذات نزوع طبقي وديني نتيجة شدة وطأة الحجاج على أشراف أهل الكوفة، إذ أنف أشراف القبائل من معاملة

(١) الطبري: تاريخ، ٣٧٨/٦. والشعر للأعشى، ديوانه، ٢٣٢. ينظر موقف آخر للأعشى عند

الأصفهاني: الأغاني، ٥٨/٦ وديوانه، ٣٤٢.

(٢) ديوانه، ٣١١-٣١٢.

الحجاج الجارحة، وهو ممثل سلطان الدولة، وهو ما يعكسه شعر أعشى همدان^(١).

وحين رأى عبدالمملك من الحجاج إسرًا في قتل الأسرى كتب إليه في أسفل كتابه:

إذا أنتَ لم تترك أمورًا كرهتها وتطلب رضائي بالذى أنا طالِبُه

في سبعة أبيات، فأجابه الحجاج في أسفل كتابه في سبعة أبيات أيضًا:

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى إذاكَ فيومى لا تزولُ كواكبُه^(٢)

وغزا المفضل^(٣) بن المهلب بن أبى صفرة (ت، ١٠٢هـ / ٧٢٠م) سنة (٨٥هـ / ٧٠٤م)^(٤) خراسان فقال كعب بن معدان الأشقرى:

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشرٍ عصائبَ شتى ينتوون المفضلًا^(٥)

وفي سنة (٨٥هـ / ٧٠٤م)^(٦) أراد عبدالمملك خلع أخيه عبدالعزيز، فنهى عن ذلك، فلما توفى بمصر في جمادى الأولى من هذه السنة، وكان الحجاج زين لعبد الملك بيعة الوليد فأوفد وفدًا عليهم عمران^(٧) بن عصام العنزى، فقال:

أميرَ المؤمنين إليك تُهدى على النأى التحية والسَّلامَا

(١) فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبدالمهدي أبو زيد، مراجعة حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) المسعودى: مروج، ٣/ ١٣٤-١٣٥ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٣٥-٣٦.

(٣) الأزدي، أبو غسان، اشترك مع أخيه يزيد في ثورته. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٩٦؛ ابن حجر: تهذيب، ١٠/ ٢٤٦.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٣٩٧.

(٥) شعراء أمويون، ٢/ ٤١٤. ينظر إشاداته بيزيد بن المهلب في غزو قلعة (بادغيس): ٢/ ٤١٦.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٢-٤١٣.

(٧) القاص الشاعر. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٨/ ١١٩.

أجبنى فى بنيك يَكُن جوابى لهم عاديةً ولنا قواما
فلو ان الوليدَ أطاعُ فيه جعلتَ له الخلافَةَ والدُّماما^(١)

وبعد أن فرغ الشاعر من إنشاد قصيدته، قال له عبد الملك: يا عمران، إنه
عبد العزيز، قال: احتل له يا أمير المؤمنين^(٢). وهذا ما يشكك بنوايا عبد الملك نحو
أخيه حين تمثل فقال:

يا أيها المتمنى أن تكون فتىً مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا
إن ترحل العيس كى تسعى مساعيه يشفقُ عليكَ وتعمل دون ما عملا^(٣)

وكان نابغة^(٤) بنى شيبان (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م) منقطعاً على عبد الملك مداحاً له،
فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فأنشده:

لابنك أولى بملكك والودو ونجمٌ من قد عصاك مُطرحُ
داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابنُ حربٍ فإلهم نصحوا^(٥)

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أن رأيه خلع
عبد العزيز^(٦).

ولعل ذلك حصل بتوجيه من عبد الملك كما فعل مسكين الدارمي حينما أشار إلى
تولية يزيد بن معاوية، ثم أضاف إليها سيرة داود بتأثير نصارنيته، وما يؤكد قول

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٣؛ ابن كثير: البداية؛ ٩/ ٥٩.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤١٤.

(٣) الخارجى، محمد بن بشر: شعره، تح: محمد خير البقاعي (درا قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،
دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ١٠٣.

(٤) عبدالله بن المخارق بن سليم الشيباني. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ١٠٤؛ الأمدي: المؤلف،
٢٩٤.

(٥) النابغة الشيباني، عبدالله بن المخارق (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م): ديوانه: تحقيق عبد الكريم إبراهيم
يعقوب (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م)، ٢٢٣-٢٢٤ مع اختلاف الترتيب.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ١٠٦.

عبد العزيز: لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلاً ضيقاً فأوردها موردًا خطرًا^(١). وهو ما يعكس طبيعة التأسي عليه عند الفرزدق في قوله:

إن ابن ليلى بأرض النيل أدركه وهم سراع إلى معروفه، القدر^(٢)

كما يشير إلى أثر عبد العزيز في نشاط الشعر بمصر، فبمجرد أن مات خمد هذا النشاط الطارئ^(٣).

وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليمان، وجعلهما وليي عهد المسلمين، وكتب بيعته لهما إلى البلدان^(٤). وقال حين كتب إلى الوليد بوصيته، منها قوله:

أنفوا الضغائن عنكم وعليكم	عند المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم	إن مد في عمري وإن لم يمدو
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم	بتواصل وتراحم وتودو
حتى تلين جلودكم وقلوبكم	بمسود منكم وغير مسود
إن القдах إذا اجتمعن فرامها	بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر، وإن هي بددت	والوهن والتكسير للمبدد ^(٥)

وفي سنة (٦٨هـ/ ٧٠٥م)^(٦) كان هلاك عبد الملك بن مروان، إذ دخل عليه الوليد فجعل يبكي عليه. وقال: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبد الملك:

ومشتغل عنا يريد بنا الردى ومستعبرات والعيون سواجم

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ١/ ١٨٦.

(٣) ضيف، العصر الإسلامي: ص ١٦٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤١٦.

(٥) المسعودي: مروج، ٣/ ١٦٦.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٩٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٤١٨.

أشار بالمصراع الأول إلى الوليد، وأشار بالمصراع الثانى إلى نسائه، وهن المستعبرات، وقيل إنه قال:

كم عائدٌ رجلاً وليس يعودُه إلا لينظرَ هل يراه يموت^(١)
ورثاه أحد الشعراء فقال:

سقاك ابن مروان من الغيث مُسبِلُ أجشٌ سَمَاحى يَجوذُ ويَهْطِلُ
فما فى حَيَاةٍ بعد موتِكَ رَغْبَةٌ لحرٍّ وإن كُنَّا الوليدَ نُؤْمِلُ^(٢)

لقد كان عهد عبدالملك بن مروان من العهود التى شهدت أحداثاً سياسية مهمة أثبت من خلالها على حنكة سياسية ومقدرة ناجحة فاستطاع تثبيت أركان دولته، وتلازم ذلك مع طول مدة حكمه، فاهتم الشعر والشعراء وتفاعل معهم، فكان يرى فى مدح كعب بن معدان الأشقرى للمهلب بن أبى صفرة^(٣) وولده أنموذجاً من تلاحم الشعر مع الأحداث والشخصيات.

(١) المسعودى: مروج، ١٦٠/٣.

(٢) البلاذرى: أنساب، ٢٦٥/١١.

(٣) الرزبانى: معجم الشعراء، ٢٣٦.

الفصل الرابع

المروانيون المتوسطون

(٨٦-١٠٥ هـ / ٧٠٥-٧٢٣ م)

الوليد بن عبد الملك بن مروان^(١) (٨٦-٩٦هـ / ٧١٤م)

استقرت أركان الدولة في أواخر أيام عبد الملك بن مروان لما حققه من نجاح في القضاء على الحركات المناوئة للسلطة الأموية لنجاحه أيضًا في اختيار ولاية اثبتوا كفاءة عالية في إدارة الأمصار بما يخدم التوجهات المركزية للخليفة. ولقد أثمرت هذه الجهود عن ظهور حالة من الاستقرار والهدوء النسبيين أيام الوليد بن عبد الملك فكان أول من بايعه بالخلافة هو عبدالله بن همام السلولى فقال:

الله أعطاك التلى لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك وبأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها^(٢)

فكان لهذا أثره في تثبيت الموقف السياسى، ومنه قول السلولى الذى كان توطئة لحدث تاريخى مهم غدا بمرور الزمن جزءًا من مسيرة الدولة وتقاليدها السياسية، فلا غرو أن يسهم الشعر في نشر الأحداث وترسيخها في أذهان الناس، انتقلها بين الأمصار.

ودخل على الوليد لما بويع بالخلافة يحيى بن أبى حفصة^(٣) فهناه وعزاه وأنشده:

إن المنايا لا تغادر واحدًا يمشى بيزتو ولا ذا جنة
لو كان خلق للمنايا مقلتا كان الخليفة مقلتا منهنة
بكت المنايا يوم مات وإثما بكت المنابر فقد فارسنة

(١) ترجمته: الذهبى: سير، ٣٤٧/٤؛ الكتبى: فوات، ٢٤٥/٤.

(٢) ما تبقى من شعره، ١٩٩؛ الطبرى: تاريخ، ٤٢٣/٦.

(٣) من موالى يل مروان جد الشاعر مروان بن أبى حفصة. ترجمته الأصفهاني: الأغاني، ٧٤/١٠.

لما علاه من الوليد خليفة قلن ابنة ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده لنكرته فطرحته عنهنه^(١)

يبدو أنَّ الشعراء العرب قد أَلِفُوا شعر التعزية المشفوعة بالتهنئة الذي بدا مع
تولى يزيد بن معاوية نتيجة رسوخ نظام الحكم الوراثي فضلاً عن كونه يجمع بين
الحزن والفرح فيشير إلى غروب مرحلة وبدء مرحلة جديدة من خلال تولى الخليفة
الجديد، وهو ما يبدو أيضاً على قصيدة عدى بن الرقاع العاملي:

وقضى لك الله الخلافة بعده وقضاء ربك نافذ مفعول
فإذا لبيتك حين غد عماده عرض يزيد على البيوت وطول
بمجامع المصريين حيث تلاقيا فرع مجامع شعبيه أصيل
إن الخلافة لم يكن ليطيعها إلا امرؤ للمعضلات حمول^(٢)

فأشار إلى حقه الديني في تولى الخلافة وكفاءته في إدارتها، فجمع بين الحق الإلهي
وبين أهليته لها.

في سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)^(٣) تولى قتيبة بن مسلم الباهلي^(٤) إقليم خراسان من قبل
الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن عزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة^(٥)، فظهرت
تأثيرات هذا الإجراء عند الشعراء، فقال الفرزدق:

بكت جزعاً مرواً خراسان إذ رأت بها باهلياً بعد آل المهلب
تبدلت الظربى القصائد أثوفها بكل فنيق يرتدى السيف مصعب^(٦)

(١) نفسه، ٧٨/١٠.

(٢) شعره، ٢٠٨-٢٠٩، ينظر، ٢٢٠-٢٢١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢٤٢-٢٤٦.

(٤) ولي خراسان وأقام بها ١٣ سنة حتى قتل سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م). ترجمته. ابن خلكان: وفيات، ٤/

٨٦، الذهبي: سير، ٤/ ٤١٠.

(٥) توفي سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م). ترجمته: ابن خلكان: وفيات، ٦/ ٢٨٧؛ الذهبي: سير، ٤/ ٥٠٣.

(٦) ديوانه، ١/ ٤٢.

ثم إن السلولى ذهب أكثر من ذلك عندما فاضل بين يزيد وقتيبة فى قوله:

أَقْتِيبُ قَدْ قَلْنَا غَدَاةً أَتَيْتَنَا	بَدَلٌ لِعَمْرِكَ مِنْ يَزِيدٍ أَعُورُ
إِنَّ الْمَهْلَبَ لَمْ يَكُنْ كَأَبِيكُمْ	هِيَهَاتَ شَأْنَكُمْ أَرْقُ وَأَحْقَرُ
شَتَّانِ مِنَ الصَّنَجِ أَدْرَكَ وَالَّذِى	بِالسَّيْفِ ضَمَّرَ وَالْحَرْوبِ تَسْعَرُ
حَوْلَانِ بَاهِلَةٌ الْأُلَى فِى مَلِكِهِمْ	مَاتَ النَّدى فِيهِمْ وَعَاشَ الْمُنْكَرُ ^(١)

يبدو أنَّ الحجاج شعر بوجود خطر عليه من ولاية يزيد من المهلب بن أبى صفرة بعد أن اشتدت شوكته وعلت مكانته ومال الناس إليه ومنهم الشعراء ولذلك أقدم على عزله، بعد أن تفاقم أمر قبيلته الأزد، وهو ما ولد ردة فعل واضحة من إجراء الحجاج هذا حتى أن السلولى تعرض لباهلة وقتيبة وكأنه يستجيب لنوازع الحجاج العميقة فى داخل نفسه.

وفى سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)^(٢) غزا قتيبة بيكند^(٣)، فقال الكميت بن زيد الأسدى^(٤):

وَيَوْمَ يَبْكُنْدُ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ	وَمَا بُخَارَاءُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدَدُ
سُئِلْتُ فَلَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تُعْطَ نَائِلًا	فَسَيَّانَ لَا دَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ ^(٥)

جمع الشاعر شجاعة قتيبة وشجاعته، فرسخ بشعره الحدث وقرنه بنفسه فأسهم

(١) ما تبقى من شعره، ٢٢١.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٣٠٣/٢؛ الطبرى: تاريخ، ٤٢٩/٦.

(٣) بيكند: بكسر الباء وفتح الكاف، بلدة بين بخارى وجيحون. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٥٣٣ (بيكند).

(٤) الكميت بن زيد بن الأخنس من بني أسد، شاعر أموي كوفي (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٤٨٥/٢؛ الأمدى: المؤلف، ٢٥٧.

(٥) الأسدى، الكميت بن زيد (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م): شعره، تحقيق داود سلوم، القسم الأول (مطبعة النعمان - النجف، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٦٩م)، ١٥٤-١٥٥؛ البيت الأول عند الطبرى: تاريخ، ٤٣٢/٦.

في انتشار أخبار الانتصارات، وللوقوف بوجه شعراء الأزد الذين صاحبوا آل المهلب من أمثال ثابت قطنة وكعب بن معدان الأشقري؛ فقد هجا ثابت قطنة قتيبة فقال:

توافيت متيمً في الطعانِ وعردت بهيلةً لما عاينت معشراً غلباً
كمأة كفأة يرهب الناسُ حدهم إذا مشوا في الحرب تحسبهم نكبا
تسامون كعباً في العُلا وكلاؤها وهيات أن تلقوا كلاباً ولا كعب^(١)

كما عرض كعبُ بن معدان الأشقري بالحجاج ملمحاً على يزيد بن المهلب فقال:

إن ابن يوسف غرّة في غزوكم خفضُ المقام بجانب الأمصارِ
لو شاهد السّفين حيث تلاقيا ضاقت عليه رَحِبة الأقطارِ
من أرض سابور الجنود وخيلنا مثل القداح بررتّها بشوفارِ
من كلّ خنديذ يُرى بليانه وقعَ الطّباةُ مع القنا الخطارِ
لرأى معاودة الرّباع غنيمةً أزمان كل محالف الأقتارِ
فدّع الحروبَ لشيبيها وشبايها وعليك كلّ غريرة معطار^(٢)

شكل تولى قتيبة تحوّلًا في صراعات القبائل وولائها للحجاج، فقد كانت قبائل الأزد اليمانية تدين بولائها للتيار اليميني، وكان شعراؤها يتعصبون في مدائحهم لولاء وكبار الرجال اليمينين، سواء في تضخيمهم لفروسيّتهم، أم توليهم لمنجزاتهم^(٣).

(١) شعره، ٣٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٣٥٧، ٢٧٤.

(٢) شعره، شعراء أمويون، ٢/٤١٠-٤١١.

(٣) عطوان، حسين: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي (مكتبة المحاسب بعمان، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م)، ١٩٧.

وفي سنة (٨٩هـ / ٧٠٧م) ^(١) نزل قتيبة خرقانه ^(٢) فقاتل يومين وليتين، فقال نهار بن توسعة ^(٣):

وباتت لهم منا بخرقانَ ليلةً وليتنا كانت بخرقان أطولاً ^(٤)

لقد أثبت الشعر في هذا الاتجاه أسماء المناطق الجغرافية وحدد الإقامة فيها من قبل المقاتلين وما في ذلك من فائدة كبيرة من قبل المقاتلين وما في ذلك من فائدة كبيرة في حفظ الحدث التاريخي.

وفي سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) ^(٥) نقض نيزك زعيم السُغد الصلح الذي تم مع المسلمين فغزاه قتيبة، فقال ثابت قطنة:

ولا تحسبن الغدرَ حزمًا فرما ترقى به الأقدام يوماً فزلت ^(٦)

وفي هذه الأثناء هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين فلحقوا بسليمان بن عبد الملك (ت، ٩٦هـ / ٧١٤م) مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك، فقال الفرزدق:

لم أر كالرَّهط الذين تتابعوا على الجذع والحراس غير نيام
مضوا وهم متيقنون بأنهم إلى قدر أجالهم وحمام
وما منهم ألا يخفض جأشه إليه بقلبي صارمٍ وحُسام ^(٧)

(١) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٣٩.

(٢) بلدة قرب بخاري. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٦٠ (خرقانة).

(٣) نهارين توسعة بن/ بي عتبان، من شعراء بكر بن وائل بخراسان (ت، ٨٣هـ / ٧٠٢م) ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والعشائر، ٣/ ٤٤٨؛ الأمدى: الموثلف، ٢٩٦.

(٤) نهار بن توسعة (ت، بعد ١٢٠هـ / ٧٣٧م): شعره، جمع وتحقيق د. خليل إبراهيم العطية، مجلة المورد، المجلد (٤) العدد (٤). بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥، ١٠١، الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٤٩.

(٥) ٢٢ الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٤٥.

(٦) شعره، ٣٧.

(٧) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٤٩.

كان ليزيد بن المهلب مكانة خاصة في نفوس الشعراء، فحين قبض عليه الحجاج وأودعه السجن وولى قتيبة مكانه رأى بعضهم أن في ذلك تقييداً للساحة والجلود^(١)، والشجاعة، وأن خراسان بادت وصاح ذوو الحاجات: اين يزيد^(٢)؟ ولذا مدح الفرزدق سليمان لما أجارهم فقال:

لعزرى لقد أوفى وزاد وفاؤه على كل جارٍ، جار آل المهلب
أمر لهم حبلاً، فلما ارتقوا به أتى دونه بدرءٍ ومَنكَبِ
وقال لهم: حُلّوا الرحالَ، فإئكم هريتم، فألقوها إلى خيرٍ مَهْرَبِ^(٣)

يشير هذا الشعر إلى هروب آل المهلب والكيفية التي هربوا بها، وكان ثمة موافقة مسبقة من سليمان بهروبهم، ولكن الشاعر وظف طريقة الهروب بالجبال وجعل ذلك متوافقاً مع شفاعاة ولى العهد لهم من الوليد والحجاج، وكان دليلهم رجل من قبيلة كلب اليمانية، اسمه عبد الجبار بن يزيد^(٤) الذي كان ينشد في مسيرهم:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم فداء على ما كان لابن المهلب
لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت ركابكم بالوهب شرقى منقب
تمدّلن يميناً عنهم زمل عارلج وذات يمين القوم إعلام غرب
فالا تصبح بعد خمس ركابنا سليمان من أهل اللوى تتأوب
تقر قرار الشمس مما وراءنا وتذهب فى داج من الليل عيب
بقوم هم كانوا الملوك هديتهم بظلماء لم يبصر بها ضوء كوكب

(١) ديوانه، ٢/ ٢٦٥؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٤٩.

(٢) زياد الأعجم، زياد بن جابر (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م): شعره. تحقيق يوسف حسين (دار المسيرة، بيروت) الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ١٠٧.

(٣) ديوانه، ١٩/ ١.

(٤) عبد الجبار بن يزيد بن الربعة الكلبي. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٥٠.

ولا قمر إلا ضئيلاً كأنه سوار حناه صائع السور مذهب^(١)

فأشار هذا الشعر إلى مسيرتهم، حتى إن الطبرى استدل على أن دليلهم كان من أشراف العرب من البيت الأول^(٢). ويبدو أن سليمان كان يميل إلى القبائل اليمانية مثل كلب والأزد، في حين كان الوليد يميل إلى القبائل القيسية مما أسهم في تملل هذا الصراع من جديد في خراسان فانبرى شعراء الأزد ينالون من قتيبة ويشيدون بآل المهلب^(٣).

وفي سنة (٩١ هـ / ٧٠٨ م)^(٤) قتل قتيبة بن مسلم نيزك، فقال المغيرة بن حنبل:

لعمري لنعمت غزوة الجندي غزوة قضت نحبها من نيزك وتعلت^(٥)

فلما أرسل قتيبة رأس نيزك مع مجفن بن جزء الكلابي، قال سوار بن زهدم الجزمي^(٦).

أقول لمحفن سنيح
وقد جعلت بوائق من أمور
وأخر بارح من عن يميني
ترفع حوله وتكف دوني
نشدتك هل يسرك أن سرجي
وسرجك فوق أبغل باذنين^(٧)

وأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله الباهلي رهينة لملك الجوزجان^(٨)، فقتله أهلها، فقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عند^(٩)، نهار بن توسعة لثقيبة:

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العبود، نافع توفيق: آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري (مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩ م)، ٧٨.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٤٥٨/٦.

(٥) نفسه. وهو غير مذكور في مجموع شعره.

(٦) نفسه، ٤٥٩/٦.

(٧) نفسه.

(٨) كورة واسعة من كور بلخ بخراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١٨٢/٢ (جوزجان).

(٩) الطبرى: تاريخ، ٤٦٠/٦.

أَرَاكَ اللهُ فِي الْأَثَرِ الْكَحْمَا كَحُكْمٍ فِي قُرَيْظَةَ وَالنُّضِيرِ
قَضَاءٌ مِنْ قُتَيْبَةَ غَيْرُ جُورٍ بِهِ يُشْفَى الْغَلِيلُ مِنَ الصُّدُورِ
فَإِنْ يَرَنِزَكَ خَزْيًا وَذَلَا فَكَمْ فِي الْحَرْبِ حَمَقٌ مِنْ أَمِيرٍ^(١)

وقال المغيرة بن حنبل يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن أخى نيزك،
شقران:

أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ مِلْحَتَى وَاقْرَأْ عَلَيْهِ تَحْتَى وَسَلَامِي
يَا سَيْفُ أَبْلَغْهَا فَإِنْ ثَنَاءُهَا حَسَنٌ وَإِنَّكَ شَاهِدٌ لِمَقَامِي
يَسْمُو قَتَضْعُ الرِّجَالِ إِذَا اسْمَا لِقُتَيْبَةَ الْحَامِي جَمَى الْإِسْلَامِ

إلى أن يقول

وَبِهِنَّ أَنْزَلَ نَيْزُكَ مِنْ شَاهِقٍ وَالْكَرَزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلُّ مَرَامٍ
وَأَخَاهُ شَقْرَانَا سُقَيْتَ بِكَأْسِهِ وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَنَادِمٍ^(٢)

وثق الشاعر الحدث وأسماء الشخصيات التي شاركت به، وكان المغيرة بن حنبل التيمي من الشعراء الفرسان الذين واكبوا الأحداث في خراسان أيام المهلب مما يجعل لشعره وشعرها رين توسعة البكرى وثابت قطنة العتكى الأزدي وكعب بن معدان الأشقري وحاجب بن ذبيان التميمي.. وغيرهم الذين صاحبوا صراعات العرب المسلمين ضد الترك في خراسان أهمية تاريخية لها اثرها في توثيق الأحداث وكشف الملابس التي رافقتها. فكان وصف نهار بن توسعة لموقف قتيبة مع نيزك بأنه يشبه موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود قريظة والنضير دعماً لموقف قتيبة، فقد تشكك الناس حتى

(١) شعره، ٩٩؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٦٠-٤٦١. والأبيات غير مذكور في مجموع شعره.

قالوا: "غدر قتيبة بنيزك"^(١) وتوجس الحجاج خيفة منه فقال: "بعثت قتيبة فتى غرا فهازده ذراعًا إلا زادني باعاً"^(٢). فكان ذلك دفاعًا عن موقف قتيبة الذي تعرض للنقد بسبب صراعات القبائل وميل بعضها نحو آل المهلب على الرغم من حراجه موقف العرب المسلمين في صراعهم المستديم مع أهالي تلك المناطق، ونيزك أحد قادتها الموتورين فليس من المستغرب أن يحاول استغلال الفرص لصالحه، وقد عرف عنه نكث المواعيد ونقض العهود، ولعل قتيبة شعر بخطرته فتخلص منه في الوقت المناسب؛ لذا خوف خصومهم حساده الحجاج من جموح طموحه وضخموا له موقفه مع نيزك، حتى أن الحجاج تمنى على قتيبة أن يرسل برأس نيزك مع ولد مسلم^(٣) وكأنه يرى في إجراء قتيبة انتقامًا وتقليلاً من شأنه، مع أن لكل موقف ظروفه التي تحتم عليه الإجراء المناسب. وكأن حفن بن جزء الكلابي يجيب الحجاج على تشككه حين تمنى العودة إلى الصين^(٤)؛ لإحساسه بأن جهود قتيبة في القضاء على نيزك لم تلق ما تستحق من الاهتمام فقد كان نيزك حجر عثرة بوجه توسع الفتوحات الإسلامية في تلك الأصقاع البعيدة.

استمرت جهود قتيبة في فتح مواقع جديدة لاستكمال جهود الوليد بن عبد الملك في توسيع رقعة الدولة والإسهام في نشر الدين الإسلامي بعد أن خمدت الاضطرابات والفتن على يد أبيه عبد الملك، ففي سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)^(٥) دخل قتيبة مدينة فيل^(٦)، فقال كعب بن معدان الأشقري:

رَمَتِكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمْتَ وَرَامَهَا قَبْلَكَ الْفَجْفَاحَةُ الصَّلَفُ

(١) نفسه، ٤٥٩/٦.

(٢) نفسه، ٤٥٩/٦-٤٦٠.

(٣) نفسه، ٤٥٩/٦.

(٤) نفسه، ٤٥٩/٦.

(٥) البلاذري: فتوح، ٤١٥؛ الطبري: تاريخ، ٤٧١/٦.

(٦) مدينة ولاية خورازم. ياقوت: معجم البلدان، ٢٦/٤ "فيل".

لا تُجزئُ الثغر خوار القناة ولا
هل تذكرون ليالى الترك تقتلهم
لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا
إنى رأيت أبا حفص تفضله
قيس صريح وبعض الناس مجمعه
لو كنت طاوعت أهل العجز ما
وفى سمرقند أخرى أنت قاسمها
هش المكاسر والقلب الذى يجهف
ما دون كازه والفجاء ملتحف
هم ثقال على أكتافها عنف
أيامه ومساعى الناس تختلف
قرى وريف فمنسوب ومقترف
سبعين ألفاً وعز السغد مؤنف
لئن نخر عن حوائك التلف^(١)

يبدو شعر كعب الأشقرى صورة حية للأحداث حين حفظ أسماء الأماكن وعدد أفراد الجيش، ولكنه لم يكن متحمساً حاسة كافية لقتيبة لميله على آل المهلب سبب أزديتها، وهو ما ساقه إلى التصريح بقيسية قتيبة، حتى أن الطبرين رأى أن كعباً قد روى البيت الثامن روايتين، الأولى: "ويمؤ السغد"، والثانية "وعز السغد"^(٢).

واستمرت جهود قتيبة فى الفتح حتى استطاع فتح سمرقند^(٣) فصالح أهل السغد^(٤) فقال نهار بن توسعة:

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا
وأعم لأهل الترك قتلًا بسيفه
ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
وأكثر فينا مقسمًا بعد مقسم^(٥)

وكان قتيبة يؤنب نهار بن توسعة البكرى لراثته المهلب بن أبى صفرة وكيف قرن غزوه بالغنى وأن الندى والجود ماتا بعد المهلب^(٦). بينما كان كعب الأشقرى الذى

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٤١٣-٤١١؛ الطبرى: تاريخي، ٦/ ٤٧١.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٢.

(٣) وهي قصبة السغد. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤٦ (سمرقند).

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٩.

(٥) شعره ١٠٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٧٩.

(٦) نهار بن توسعة: شعره، ٩٦.

ينتسب إلى الأزد قبيلة المهلب يلمح إلى تفاقم أمر قتيبة ويحذر منه بصورة غير مباشرة، وهو يشير إلى جهوده في فتح سمرقند، فيقول:

كُلُّ يَوْمٍ يَحْوِي قُتَيْبَةَ نَهْبًا	يزيدُ الأموالَ مَالًا حديدًا
بَاهِلَى قَدْ أَلْبَسَ التَّاجُ حَتَّى	شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كُنَّ سُودًا
دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى	تَرَكَ السُّغْدَ بِالْقِرَاءِ قُعُودًا
فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ	وَابٌّ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَتَاهَا	تَرَكَتْ خَلِيلُهُ بِهَا أَخْدُودًا ^(١)

فاستطاع الشعراء توثيق جهود قتيبة في سمرقند في تثبيت الوجود العربي الإسلامي واستمرار حركة الفتوح، فكان مثار اهتمام الشعراء، وتوجس الحجاج، ولعل الأشقرى كان يبغى هدفًا خفيًا حين شبهه بالملك المتوج.

وفي سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)^(٢) غزا قتيبة حتى بلغ خُجَنْدَه^(٣). فقال كيان وائل يذكر قتالهم:

فَسَلَّ الْفَوَارِسُ فِي خُجَنْدَ	سَدَّةٌ تَحْتَ مُرْهَفَةِ الْعَوَالِي
هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا	هُمِمُوا وَأَقْدِمُوا فِي قِتَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الـ	عَاتِي وَأَصْبِرُ لِلْعَوَالِي
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قِي	سٍ كُلُّهَا ضَخْمُ النَّضْوَالِ
وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى	وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدَاكَ حَكَـ	مَكَ فَيَهُمُ فِي كُلِّ مَالِ

(١) الأشقرى: شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٩٣-٣٩٤؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٨٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٨٣.

(٣) بلدة مشهورة بها وراء النهر على شاطئ سيمون. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٤٧ "خجندة".

تَمَت مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غَى عَزْكُمْ غَلَبَ الْجِبَالِ^(١)

يكشف الشعر عن حدث دخول الجيش الإسلامى لهذه البلدة، وانتصاره فيها، ثم يحاول الشاعر أن يجعل من انتساب قتيبة لقبائل قيس موضوعاً للمديح، ويكشف عن ولاء قبائل قيس له حين وصفه بسيد قيس فى الندى، وبأن حكمه حكم عدل فى توزيع العطاء وعُدَّ ذلك من باب مروءته التامة وعزه العالى؛ لهذا تعد القصائد التى صاحبت حركات الفتوح وثائق مؤثرة فى تدوين الأحداث لأنها انطلقت من رحم الوقائع ومشاعر المشاركين فيها.

وفى سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)^(٢) غزا قتيبة أرض الصين فسار الغزو عليهم هيرة بن المُشمرج، فحلف قتيبة أن لا ينصرف حتى يظأ أرضهم، ويختم ملوكهم ويُعطى الجزية، فبعث وفدًا إلى الصين، فقال سواده بن عبدالله السلولى:

لا عيبَ فى الوفدِ الذين بعثتهم	للصَّين أن سلكوا طريقَ المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى	حاشا الكريم هيرة بن مُشمرج
لم يرضَ غير الختم فى أعناقهم	ورهاين دُفعت بحملِ سمرج
أدى رسالتك التى استرعيتُه	وأتاك من حنثِ اليمينِ بمخرج ^(٣)

فلما تعذر على قتيبة ما كان يريدُه من بلاد الصين أوفدَ هيرةً إلى الوليد بن عبد الملك، فمات بقرية من فارس، فرثاه سواده^(٤)، فقال:

لله قَبر هُيرة بن مُشمرج	ماذا تَضْمَنُ من ندى وجمال!
وبيديهِ يعيا بها أنباؤها	عند احتفالِ مشاهِدِ الأقوالِ
كان الربيع إذا السُّنُون تتابعت	والليث عند تكعكع الأبطالِ

(١) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٤٨٤.

(٢) نفسه، ٦/ ٥٠٣.

(٣) نفسه، ٦/ ٥٠٣.

(٤) نفسه.

فَسَقَتْ بِقَرِيَةِ حَيْثُ أَمَسَ قُبْرُهُ غُرِّيَ رَحْنٌ بِمَسِيلِ هَطَّالٍ^(١)

يتصل الحدث بالمكان اتصالاً مباشراً فيعبر الشعر عنهما خير تعبير من خلال الصلة الحميمة بين الحدث التاريخي وأصدائه في الشعر مما يمنح شعر الفرسان أهمية خاصة.

وفي سنة (٩٣هـ / ٧١١م)^(٢) ولي الحجاج محمد بن القاسم بن عقيل الثقفي^(٣)، وهو ابن سبع عشرة سنة، فافتتح الديبل^(٤)، فقال الشاعر:

إِن الشَّجَاعَةَ وَالْمَسَاحَةَ وَالنَّدَى مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةً يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُودَدًا مِنْ مَوْلِدٍ^(٥)

كان ظهور هذا القائد الشاب مشار انتباه الشعراء فمدحه عدد منهم منوهين بخصائله، ولعل قُرْبَ نسبه من الحاج كان وراء اكتشاف قدراته القيادية مما أسهم في شيوع ذكره في الأمصار، فغدا الشعر وثيقة ناطقة في وصف قدراته الشخصية.

غزا طارق بن زياد^(٦) الأندلس^(٧) في اثني عشر ألفاً وفتحها في سنة (٩٢هـ / ٧١٠م)^(٨)، قال:

(١) نفسه.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٣٠٨/١.

(٣) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٥٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٦٨.

(٤) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. ياقوت: معجم البلدان، ٤٩٢/٢ "الديبل".

(٥) الشعر منسوب لزياد الأعجم: شعره، ٩٨-٩٩. ورحمة بيض: البلاذرى: فتوح، ٤٢٨ وغير منسوب في: ابن خياط: تاريخ، ٣٠٨/١، ابن قتيبة: عيون، ٣٣٢/١.

(٦) مولى موسى بن نصير والي إفريقيا والمغرب. ترجمته: الضبي، أحد بين يحيى بن أحمد بن عميرة "ت، ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م" بغية الملتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن اليوسفي "دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٤١٧هـ / ١٩٩٧"، ١٥، الذهبى: سير، ٥٠٠/٥.

(٧) أرض على البحر تواجه المغرب وما حولها. ياقوت: معجم البلدان، ٢٦٢/١ "الأندلس".

(٨) ابن خياط: تاريخ، ٣٠٧/١؛ الطبرى: تاريخ، ٤٦٨/٦.

ركبنا سفيناً بالمجاز مقبراً عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنةٍ إذا ما اشتبهنا الشيء فيها تيسراً
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدر^(١)

يصف هذا الشعر طريقة وصول الجيش في السفن وما كان يبغيه
أفراده من هذا الفتح، وهو الفوز بالجنة مما يبين أن الروح الإسلامية كانت
مصاحبة لحركات الفتح في الأندلس وغيرها، ولم تكن الغاية المادية أو
التوسعية هي الطاغية، فقد كان الفاتحون يرون ذلك واجباً دينياً، فكانوا لا
يبالون إذا سالت نفوسهم بعد أن أدركوا هدفهم وأدوا واجبهم في
الجهاد.

وفي سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)^(٢) قتل الحجاج سعيد بن جبير^(٣)، وكان الحجاج جعله
على عطاء الجند حين وجه عبدالرحمن بن محمد الأضعث إلى رُبَيْل، فلما خلع
عبدالرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه، فلما هزم عبدالرحمن وهرب إلى بلاد
رُبَيْل هرب سعيد، فقال جرير:

يا رب ناكث بيعتين تركته وخضابَ لحيته دَمُ الأوداج
إن العدو إذا رموك رميتهم بذراً عَمَاية أو بهضبٍ سَواج^(٤)

وكان الحجاج قال لسعيد قبل أن يقتله: "يا سعيد، ألم أقدم مكة فقتلت ابن
الزبير، ثم أخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبدالملك! قال: بلى،
قال: ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة، فأخذت

(١) المقرئ: أحمد بن محمد التلمساني (ت، ١٠٤١هـ/ ١٦٣١): نفح الطيب من غصن الأندلس
الطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٣٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٢٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤٨٧/٦ - ٤٩٠.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام (ت، ٩٤هـ/ ٧١٢م). ترجمة: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٥٦؛ الذهبي، سير،
٣٢١/٤.

(٤) ديوانه، ١/ ١٣٨؛ الطبري، ٦/ ٤٩٠. البيت الأول.

بيعتك له ثانية! قال: بلى، قال: فنكتت بيعتين لأمر المؤمنين، وتفى بواحدة للحنائك! ابن الحائك! اضربا عنقه" (١).

وفي سنة (٩٥هـ/ ٧١٢م) (٢) توفي الحجاج بن يوسف الثقفي فرثاه الفرزدق بقوله:

ابك على الحجاج عَولِكَ مادجا ليلٌ بظلمته ولاحَ نهَارُ
إن القبائلَ مِن نِزارٍ أصبحت وقلوبُها، جَزَعًا عليك، حرار (٣)

حاول الفرزدق أن يوازن بين أهمية إدارة الحجاج لجزء مهم من الدولة الأموية وبين حزم آل مروان وإدارتهم لدفة لحكم؛ فكان يعرض به بعد موته حيث لا شفيع إلا الله فيشيد بولاة الأمر ليضع من أهمية الحجاج فقد كان الفرزدق مدح آل المهلب حيث هربوا من سجن الحجاج، فقال:

فإن يكن الحجاج مات فلم تمتُ فُروم أبى العاصى الكرام العطارف
ولم يعدموا من آل مروان حَيَّةً تمام يدور، وجهه غير كاسف (٤)

يبدو الفرزدق كالمتشفى بموت الحجاج، مع أنه يرثيه، وكأنه يتذكر مشاعر الحجاج حين حضرته الوفاة وأيقن أن لا مهرب من الموت، وهو يقول:

إن ذنبى وزن السموات والأر ض وظنى بخالقى أن يُحابى (٥)

فكان كتابه على الوليد بن عبد الملك بأبيات يطلب فيها منه أن يذكره ذكرًا محببًا (٦)، مما له أثره في كشف نوازع النفس البشرية وتجردها من المعاصي وإحساس

(١) الطبري، تاريخ، ٦/ ٤٩٠.

(٢) ابن خياط: تاريخن ١/ ٣١٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٩٣.

(٣) ديوانه، ١/ ٢٩٥.

(٤) نفسه، ٧/ ٢.

(٥) القالي: النودر، ملحق بكتاب الأمالي، ص ١٧٢. وينظر: تمام الأبيات.

(٦) نفسه.

الحجاج بالإحباط من صدمة النهاية المحتومة. ولكنه لم يكن متهاكًا من شدة الشعور بالذنب، بل بدا شخصية قوية قادرة على مواجهة الموقف وهي تطمع في دوام الذكر واستمرار الدعاء وغفران الذنوب.

كان الحجاج قد رَغِبَ الوليد بخلع أخيه سليمان وتولية ابنه عبدالعزيز^(١)، فلما مات الحجاج أراد الوليد أن يبايع لابنه وخلع أخيه فأبى سليمان وذلك سنة (٩٦ هـ/ ٧١٤ م)^(٢) فقال جرير:

لـو بـايعـوك ولى عهـدٍ لقـامَ القـسـط واعتـدل البـناء^(٣)

فكان شعر جرير وسيلة إعلامية تُهيئ الأذهان لاتخاذ قرار جديد، لأن الشعر له أثره في توجيه مشاعر الناس وتحسين صورته وأولياء الأمور في نظرهم، لذا كان النابغة الشيباني واضح الموقف، وهوى يشيد بتولية عبدالعزيز حين يقول:

نحو عبدالعزيز ما تطعم النـو م ومنها بعد الرّواح البُلُورُ
وهو الثالث الخليفة للـ ه إمامًا للمؤمنين أمير^(٤)

جعل النابغة الترغيب بتولية عبد العزيز بن الوليد مناسبة للإشادة بأجداده، انسجامًا مع توجه الوليد في التقليل من سليمان الذي وصف بأنه طصاحب نطاح وطعام^(٥) فبدا أثر الشعر واضحًا في تهيئة الأسباب والظروف لاتخاذ القرار.

وفى سنة (٩٦ هـ/ ٧١٤ م)^(٦) كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، فقال جرير يرثيه:

(١) هو عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك. ترجمة: الذهبي: سير، ١٤٨/٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤٩٩/٦.

(٣) ديوانه، ٦٦٨/٢. ينظر: رثاء جرير لعبد العزيز، ٢٩٤/٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٠٦-٥٠٧.

(٤) ديوانه، ٢٤٨-٢٤٩.

(٥) الطبري: تاريخ، ٤٩٧/٦.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ٣١٣/١؛ الطبري: تاريخ، ٤٩٥/٦.

إن الخيفة أضحى قد وارت ضمائله
أمسى بنوه وقد حلت مصيبتهم
غبراء مُلججة فى جولها زور
مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا شهوداً فلم يدفع منيته
عبدالعزیز ولا ورح ولا عُمر^(١)

يلمح جرير إلى محاولة توليه عبدالعزیز بن الوليد، وهو فى معرض الحديث عن رحيل الوليد الذى أصبح فى موقف لا يدفعه عنه شفیع أو قريب، وهى دعوة خفيفة إلى سلوك سبیل العدل والبحث فى أحوال الرعية، فقد كان جرير يتوجس خيفة من الصراعات السياسية، نتيجة متغیراتها السريعة، فكان تشبيهه الوليد بالقمر الذى هوى لا يحمل بعداً سياسياً واضحاً، وكأنه يفعل ذلك من باب أداء الواجب حسب، لأنه كان يخشى غضب سليمان لترغیبه فى خلعه.

كانت أيام الوليد ثمرة جناها غرس أيام أبيه عبدالملك، فقد كانت مرحلة تدرس فى السياسة وإدارة الأقالیم، بعد استقرار حكم آل مروان ورسوخ تقالید تنظيم الدولة وبروز ثوابت خاصة تؤهلها لأن منشئ حضارة متميزة مما يسود العالم من تدهور.

سليمان بن عبدالملك بن مروان^(٢) (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م).

كان سليمان مهدداً بالتنازل عن الخلافة، لكن وفاة الوليد غير المتوقعة حسمت الأمر، ودفعت به من العزلة بعيداً عن العاصمة دمشق إلى كرسى الخلافة، فكانت أولى إجراءاته الانتقام من حسن لأخيه خلعه وتولية ابنه عبدالعزیز، وكان الحجاج وقتية ممن بايع على خلعه، فأما الحجاج فمات، وأما قتيبة فاضطر إلى الخروج^(٣) عليه.

وكان جرير ممن حرض الوليد على خلع سليمان وتولية ابنه عبدالعزیز، مما سبب

(١) ديوانه، ١/ ٢٤٢؛ الطبري، ٦/ ٤٩٨.

(٢) ترجمة: ابن خلكان: وفیات، ٢/ ٤٢، الذهبى: العبر، ١/ ٨٨-٨٩.

(٣) ينظر: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٠٦-٥٠٧.

له إخراجًا في علاقته بالخلافة؛ لذا اعتنم خصمه الفرزدق الفرصة في الإشادة بسليمان وتذكيره بما فعله خصمه جرير، وهذا ما منح الشعر أهمية واضحة في مجريات الأحداث إذ قال الفرزدق:

تركتُ بنى حرب وكانوا أئمةً ومروان لا آتية، والمخبِّرا
أباك، وقد كان الوليد أرادنى ليفعل خيراً أو ليؤمن أو جراً
فما كانت نفسى لأرحل طائعاً إلى الشام حتى كنت أنت المؤمنرا
فلما أتانى أنها ثبتت له بأوتاد قدم من أمة، أزهر^(١)

ويحاول الشاعر أن يوثق الحدث ويشير بطرف خفى على من أشار على الوليد بتوليته ابنه عبدالعزيز وخلع سليمان، إذ يغمز جريراً بذلك، "فهاج الهجاء بينه وبين جرير" ^(٢) مما يشير إلى أثر الوضع السياسى فى انتعاش النقائض وتنافس الشعراء فى التقرب من الخلفاء، ولعلّ تفضيل سليمان لشعر نصيب على الفرزدق كان نوعاً من الاستشارة وكسب المؤيدين وإثارة المعارك الشعرية حول الخليفة نفسه، إذ قال نصيب للخليفة معرضاً بقدرة الفرزدق: "ألا أنشدك على روية ما يقصر عنه" ^(٣). وذلك لضرورة التزام شاعر النقيضة بالموضوع والوزن والقافية "التي بنى عليها الشاعر الأول قصيدته فنقض المعنى يتم بالقلب أو المقابلة والتكذيب والتوجيه" ^(٤).

حين استقر المقام بالخليفة سليمان بن عبد الملك أشفق قتيبة بن مسلم الباهلى منه "لأنه كان يسعى فى بيعة عبدالعزيز بن الوليد مع الحجاج، وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان" ^(٥). فلما حصل ذلك أصبح قتيبة مضطراً إلى خلع سليمان، فدعا الناس إلى ذلك ^(٦) وكتب إلى سليمان:

(١) ديوانه، ١٩٧/١. ينظر أيضاً، ٧٥-٧٦.

(٢) المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٣٨.

(٣) الزجاجى: الأمالى، ٤٧.

(٤) حمودى: النقائض فى العصر الأموي، ٥.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٥٠٧/٦.

(٦) نفسه، ٥٠٩/٦.

رمانى سليمان بأمر أظنه سيحمله منى على شرمركب
رمانى يجبار العراق ومن له على كل حى حد نابو ومخلبو^(١)

فشعر قتيبة بحراجة موقفه وأصبح يعول على العصبية القبلية، ولكنه ركب مركباً صعباً ولعل الذى قاده إليه الصراع الخفى بينه وبين الحجاج إذ كان تأييده لخلع سليمان محالة لغلق الحجاج التى كان يبتغيها الحجاج لخلعه بعد أن توضحت قدراته القيادية، لذا عبر هذا الشعر عن حقيقة الحدث وحراجة الموقف، كما يبدو من دعوة الحصين بن المنذر^(٢) (ت، ٩٧هـ / ٧١٥م) له بالهرب:

أقتيبُ قد كسبت يداك خطيئة فاهرب قتيبة أين منه المهربُ
فلا أنت أحقر والذى انا عنده فى عينه من بقية تتذبذب^(٣)

وكان الصراع القبلى بين الأزد الذين يميلون إلى آل المهلب وبين قتيبة وأنصاره سبباً فى فشل قتيبة، فضلاً عن قوة الدولة الأموية وولاء القبائل لها، فقد حذر الشاعر نهار بن توسعة قتيبة من الأزد حين خاطبه قائلاً:

تنمر وشمر قتيب بن مسلم فإن تميمًا طالم وابن ظالم
ولا تأمنن الثائرين ولا تتم فإن أخا الهيجاء ليس بنائم
ولا تثقن بالأزد فالغدر منهم ويكر فممنهم مُستحلُّ المحارم
ولانى لأخشى يا قتيب عليكُم معرة يوم مثل يوم ابن خازم^(٤)

(١) البلاذرى: أنساب مخطوط المكتبة السليمانية؛ Suleymaniey Kutphan nesi. تحت رقم (٥٩٨) إهداء: الدكتور عبدالأميز دكسن على المجمع العلمي العراقي تحت رقم (٧١٢ق) فى ٩/٢٩/ ١٩٨٦، ورقة ١٧٣؛ ابن أعثم: الفتوح، (٧/ ٥٥)؛ المرزبانى: معجم الشعراء، ٢١٢.

(٢) هو الحصين بن المنذر بن الحارث الرقاشي. ترجمة: ابن حبان: الثقات، ٤/ ١٩؛ ابن حجر، تهذيب، ٢/ ٣٤٠/.

(٣) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ١٧٣؛ ينظر الرواية الثانية للأبيات: ابن أعثم: الفتوح، ٧/ ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٤) شعره، ١٠١.

يوثق هذا الشعر خروج قتيبة، وحذره من أعدائه بنى تميم والأزد ويذكره بخروج عبدالله بن خازم الذى ولى خراسان فقتله بنو تميم سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)^(١) وفعلاً تفرقت القبائل حول تأييد خروج قتيبة وفشل فى السيطرة عليها وإرغام وكيع بن حسان بن قيس الغداني التميمي^(٢) على نصره والذي قال حين قتل قتيبة: أنا ابن خندف تمنى قبائلها للصالحات وعمى قيس عيلانا ثم أخذ بلحيته وقال:

شَيْخٌ إِذْ أَحْمَلُ مَكْرُوهَةً شَدُّ الشَّرَاسِفِ لَهَا وَالْحَرِيمِ^(٣)

يشير وكيع إلى قبائل قيس وصلتها بالصراع القبلى القائم. وهو ما توقعه نهار بن توسعة فى غدر بين تميم وانحيازهم للأمويين وقبائل قيس، وبهذا أسهم الشعر فى حفظ الحدث التاريخى حيث أشار فيها إلى صراع قبيلة باهلة مع غداة التميمية، فقال:

وَكُنَّا يُنْكِي مِنَ الْبَاهِلَى فَهَذَا الْغُدَانَى شَرٌّ وَشَرٌّ^(٤)

وفى سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)^(٥) كان مقتل قتيبة بن مسلم، وهى سنة تولى سليمان الخلافة؛ فكان للشعر أثره فى الدعوة إلى التزام وحدة الجماعة ونبذ الفرقة، فقد جعل الفرزدق ما فعله وكيع بن حسان جهاداً من أجل نصره الدين حين قال:

سَيَجْزَى وَكَيْعًا بِالْجَمَاعَةِ إِذْ دَعَا إِلَيْهَا بِسَيْفِ صَارِمٍ وَسَوَانِ

(١) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ٣٧٢.

(٢) ترجمته: ابن الكلبي: جمهرة، ٢٢٠؛ وكذلك ضمن ترجمة قتيبة عند ابن خلكان: وفيات، ٤/ ٨٧-٨٨.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٧-٥١٨.

(٤) نهار بن توسعة؛ شعره، ٩٩؛ أبو عبيدة: بالنقائض، ١/ ٣٦٤؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٩. وينظر ما قاله حصين بن بدر فى قتل وكيع بن حسان ٦/ ٥١٧.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣١٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥١٦.

خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ الرِّجَالِ كَمَا جَرَى بِبَدْرِ وَبِالْيَرْمُولِ فِي جَنَانٍ^(١)

لعل قرابة الفرزدق لوكيع في تميميتهما كانت سبباً في تشفى الفرزدق بمقتل قتيبة، وخيبة أمل جرير في تأييده تولى عبدالعزیز بن الوليد؛ لأن الفرزدق كان غير مبالٍ إلى الحجاج لذا جاء شعره عن مقتل قتيبة مؤثر في توثيق الحدث وفاعلاً في توضيح الملابسات وانتصار لمقتل ابن خازم قبله بسيف بن تميم حيث يقول:

فإن تك قيس في قتيبة أغضبت فلا عطست إلا بأجدع راغم
وما كان إلّا باهلياً مُجدعاً، طغى فسقينا بكأس ابن خازم
لقد شهدت قيس فما كان نصرها قتيبة إلا عضها بالأباهم
أنغضب إن أذنا قتيبة حُزنا جهاراً ولم تغضب ليوم ابن خازم^(٢)

وكان تعصب قبائل قحطان ضد خروج قتيبة عاملاً مهماً يكشف عن أبعاد الصراع القبلي المستعر في إقليم خراسان حتى أن الشعراء تناقلوا ذلك وأشادوا بما قامت به القبائل القحطانية في نصره الدولة الأموية ومصارع خصومها، وهو ما دلت عليه قصيدة الطرماح بن حكيم^(٣) (ت، نحو ١٢٥هـ / ٧٤٢م) حيث يقول:

قوم هم قتلوا قتيبة عنوةً والخييل جانحة عليها العشيرُ
إلى أن يقول:

والأزد تعلم ما يقال ضحى غدو تحت اللواء، فستجد وتصبُرُ
قحطان تضربُ رأس كل متوج وعلى بصائرهما، وإذا لا تبصرُ

(١) ديوانه، ٣٣٢/٢. ينظر مدح الفرزدق لسيان وهجاء لجرير وقبائل قيس، ٣٠٧/١.

(٢) ديوانه، ٣١١/٢؛ الطبري: تاريخ، ٥٢٠/٦.

(٣) من طيء من فحول الشعراء، خارجي من الشراة الأزارقة. ترجمة ابن قتيبة الشعر والشعراء، ٢/٤٩٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/١٢.

فى عزنا انتصر النبى محمدؐ، وينا تثبت فى دمشق المنبر^(١)

يشير هذا إلى أهمية قبائل قحطان فى نصر الأمويين وقدرتها على مواجهة خصومها، وهو شعر يجمع بين تلبية رغبة الخلفاء ومدحهم، والتعريض بخصومهم، ولكن العصبية القبلية، وبالذات تفاخر القبائل القحطانية فى عم الحكم الأموى كان واضحاً بسبب ما فاتها من طلب الخلافة وفشل محاولات الخروج وقصورها عن بلوغ مطامحها، ولأن غالبية سكان تلك الأصقاع البعيدة عن العاصمة من غير العرب، فإن كل محاولة خروج تتعرض لضغط متباين من مؤيدى الخلافة ورغبة بعض زعماء أهل البلاد بالتمرد على القبائل العربية المستوطنة وزعمائها، لذا فشل عبدالله بن خازم ويزيد ابن المهلب وقتيبة بن مسلم فى محاولاتهم فى التصدى إلى تيارين مناهضين فى آن واحد. وقد أنتج الصراع القبلى ردود أسف واضحة على مقتل قتيبة حتى قال أحد أبناء قبيلته يرثيه ويشيد بشجاعته، وهو عبدالرحمن بن جمانة الباهلى^(٢).

كان آبا حفص قتيبة لم يسر
بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تحفق الريات والقوم حوله
وقوفاً ولم يشهد له الناس عسكرياً
دعته المنايا فاستحاب لربه
وراح إلى الجنات عفاً مطهراً
فما رزئ الإسلام بعد محمد
بمثل أبى حفص فبكيه عبهراً^(٣)

فقد كان لقتيبة صدى فى نفوس مؤيديه، إذ كان خروجه خطأ فادحاً أدى إلى

(١) الطرماح بن حيم الطائي (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م): يوانه، تحقيق عزة حسن (وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبعة إحياء التراث القجيم، دمشق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٢٥١-٢٥٢؛ الطبرى: تاريخ، ٥/ ٥٢١.

(٢) عبدالرحمن بن جمانة بن عصيم، أحد بني طريف بن خلف فى محارب بن خصفة. الأمدى: المؤلف، ١٠٨.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٧٣، ابن كثير: البداية ٩/ ١٦٨. ينظر أيضاً. رثاء فضالة بن عبدالله الغنوي لقتيبة، المزربانى: معجم العشراء، ١٧٧. وهو رثاء يحمل المعاني ذاتها مع اختلاف فى بعض الألفاظ ولاقافية. ينظر ما قاله الشاعر نهار بن توسعة؛ شعره، ٩٧.

الإسراع في نهايته، ولعل من أسبابه ميله إلى المغامرة وحب الظهور، وهو ما دعا قائل هذا الشعر إلى وصفه بأوصاف الفرسان، حتى أنه صف مصرعة بأنه كان استجابة لدعوة المنايا، وبأنه يلج إلى الجنات مطهرًا حتى أن مصيبة قتله كانت خسارة للمسلمين بعد مصيبتهم بموت النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل فضالة بن عبد الله الغنوي^(١) في رثائه له مفتخرًا:

وإنا لنهْدَى للملوك رؤوسنا وقد علموا أن الملوك بها تُغْلَى^(٢)

فجعل حمل رأسه فخراً لباهلة، فهذا الأصم بن الحجاج يرى بأن باهلة تقود تميماً والوالى ومذجماً والأزد وعبد القيس وبكر. وأن مقتل قتيبة هو قضاء أجل ومدة تناهت، ولولا المنايا لفتحوا حصن ذى القرنين، فقد أباحوا مدن الشرك حتى جاوزت قطب الأرض عند مطلع الفجر، وفي الشعر عتب على سليمان وتذكير بما أدت باهلة من فعال لدولة بنى أمية:

تقود تميماً والموالى ومذججا وازد وعبد القيس والحقى من بكر
سليمان كم من عسكرٍ قد حوت لكم أسنتنا والمقرباتُ بنا تجري^(٣)

لعله يشير إلى قتادة قتيبة وأبيه مسلم للكتائب ومناصرته الدولة الأموية وهى إشارة واضحة على فخره على قبيلة تميم وقبائل اليمن التى أسهمت فى القضاء على طموح قتيبة ومحاولاته الاستقلال بتلك الأصقاع البعيدة عن مراكز الدولة.

وفى سنة (٩٧هـ / ٧١٥م)^(٤) ولى سليمان أمر خراج العراق لصالح بن عبد الرحمن^(٥) مولى بنى تميم، فحمل محمد بن القاسم الثقفى مقيداً فحبسه بواسط، فقال:

(١) ترجمة: الرزبانى: معجم الشعراء، ١٧٧.

(٢) نفسه، ١٧٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٢١. ينظر هجاءه للفردق وذكره لقتيبة عند الأمدى: المؤلف، ٥٣.

(٤) البلاذرى: فتوح، ٤٢٨؛ الطبرى: تاريخ، ٥٢٣.

(٥) ترجمة: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٢٥٣.

فلئن ثويت بواسطة وبأرضها رهن الحديد مكبلًا مغلولًا
فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلًا^(١)

يعد هذان البيتان من باب الفخر الذاتى الذى يشير إلى بلاء محمد بن القاسم فى حروبه، ثم جرى التنكيل به من قبل سليمان لأنه من رجال الحجاج وأحد أبناء ثقيف لأن الحجاج آزر على خلع سليمان من ولاية العهد، فجاء تذكره ببلائه تذكيرًا لأهمية ما فعله إبان قيادته للجيش. ومع ذلك يظل مثل هذا الشعر مرتبطًا بفحوى الأحداث المتعلقة بالأشخاص أكثر من تعلقه بالأحداث التاريخية الكبرى.

وشخص يزيد بن المهلب (ت، ١٠٢هـ / ٧٢٠م) إلى خراسان أميرًا عليها فى سنة (٩٧هـ / ٧١٥م)^(٢) فادنى أهل الشام وقومًا من خراسان، فقال نهار بن توسعه:

وما كنا نؤمل من أمير كما كنا نؤمل من يزيد
فاخطأ ظننا فيه وقدما زهيدنا فى معاشره الزهيد
فمهلاً يا يزيد أنب إلينا وعدنا من معاشره العبيد^(٣)

يتضمن هذا الشعر قيام بعض الولاة وخصوصًا فى الأمصار البعيدة بكسب ولاء القبائل والأشخاص القادرين على مديد العون والقوة للوالى وحماية إمارته من الصراعات والاضطرابات الجانبية؛ لهذا عمد يزيد بن المهلب إلى استمالة أهل الشام ممن يضمرون ولاءهم للأمويين وبعض أهل خراسان الذين بحاجة إلى من يؤلف قلوبهم مع الجيش الإسلامى الفاتح؛ وذلك لكسب ولائهم وإبعادهم عن التفكير بشق عصا الطاعة. وهى سياسة لها أبعادها المستقبلية فى استقرار الوضع عسكريًا وأمنيًا فى الوقت الذى يطالب الشاعر بالمساواة والإنصاف فى العطاء بين الرعية. فكان هذا الشعر من باب العتاب لا من

(١) شعره، شعراء ثقيف، ٢٧٦؛ البلاذرى: فتوح، ٤٢٨.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥٢٨/٦.

(٣) نهار بن توسعة: شعره، ٩٨/٥؛ الطبرى: تاريخ، ٥٢٨/٦. ينظر مدح السلوي له أيضًا، ٥٢٩/٦.

باب الهجاء^(١). وإن كان ابن المهلب تصرف بهذا الشكل نتيجة ما لاقاه في إمارته السابقة.

وبعد تولية يزيد بن المهلب ولاية خراسان غزا إقليم جرجان^(٢) فخرج يرتاد مكاناً يدخل منه على القوم، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه جماعة من الترك فقاتلهم، فلم يظفروا منهم بشيء^(٣) فقال سفيان بن صفوان الخشعمي:

لولا ابن جارية الأغرُ جبينُهُ لسقيتَ كأساً مرة المتجرعِ
وحماك في فرسانه وخيوله حتى وردت الماء غير مُتعتع^(٤)

يوثق الشعر الحدث التاريخي ويشير إلى من شارك فيه، فهو ينبثق من حرارة الموقف ولحظة انبثاق الحدث ومن ساهم فيه.

وفي سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)^(٥) وجه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة^(٦) بن عبد الملك (ت، نحو ١٢٠هـ/ ٧٣٧م) إلى القسطنطينية فأقام بها، فقال الشاعر:

يا أيها الخليفة المهدي خليفة سُمى بالنبي
ليأخذ الولي بالولي وهدم الديماس والمنسي
وأمن الشرقي والغربي^(٧)

يبدو أن عزم سليمان على إدامة قوة الدولة في مجابهة أعدائه التقليديين وعدم دفعهم نحو الإحساس بفتور الخليفة الجديد عن توجيه الحملات كان وراء هذه

(١) عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٢٨١.

(٢) مدينة مشهورة عظيمة في خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ١١٩/٢ "جرجان".

(٣) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٣٣-٥٣٤.

(٤) نفسه.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٢٠، ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٣٠.

(٦) قائد أموي مشهور له مكانة مرموقة: ترجمة: ابن حبان: الثقات، ٧/ ٤٩٠؛ الذهبي: سير، ٥/ ٢٤١.

(٧) ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٠.

الحملة يحدوه أمل كبير في توسيع رقعة الدولة وإنعاش وقتها ولفت انتباه المسلمين إلى ضرورة التركيز على الجهاد؛ لأن ذلك يقلل من الخلافات الداخلية ويشل صراعات القوى القبلية داخليًا ويدفعها إلى التفكير في استثمار الفتوح في توظيف قواها الذاتية إلى جانب قوة الدولة المركزية، وهو ما تحقق في محاصرة عاصمة الروم وفتح بعض الأماكن والقصبات.

وفي سنة (٩٩هـ/ ٧١٧م)^(١) حج سليمان بن عبد الملك قبل وفاته، وحج الشعراء معه، فلما كان بالمدينة راجعًا تلقوه بنحو أربعمئة أسير من الروم، وكان الروم قد تعرضوا لبعض الثغور، وكان بنو عيسى أخوال سليمان قد كادوا للفرزدق مكيدة، فعيروه بنو سيفه، فقال:

أعجب الناس أن أضحكت خيرهم خليفة الله يستسقى به المطرُ
فما نبا السيف من جُبْن ولا دهْشٍ عند الإمام ولكن آخر القدر^(٢)

كما أشار إلى نبو سيف ورقاء بن زهير العبسي^(٣)، وما قاله ورقاء في هذا الموقف:

إن يك سيف خان أو قدرٌ أبى وتأخير نفسٍ حتفها غير شاهدٍ
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالدٍ^(٤)

يتزامن هذا الشعر مع غزو الجيش الإسلامي لبلاد الروم ويكشف عن انتصارهم وجلبهم الأسرى، كما يشير إلى علاقة الخليفة سليمان بأخواله بنو عبس وما كان له من أثر فاعل في سياسة الخليفة تجاه القبائل.

(١) أبو عبيدة: النقائص، ١/ ٣٨٤؛ الطبري، تاريخ، ٦/ ٥٤٦-٥٤٨.

(٢) ديوانه، ١/ ٢١٩؛ الطبري: تاريخ، ٥٤٨.

(٣) هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، الذي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب. الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٤٨.

(٤) ديوانه، ١/ ١٥٧؛ أبو عبيدة: النقائص، ١/ ٣٨٤؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٤٨.

وعند وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة (٩٩هـ/٧١٧م)^(١) قيل فيه رثاء كثير، ومنه قول بعض كُتَّابه:

وما سأل عماً قليلُ بالِمِ	وإن كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك فإيأسٍ شديدٍ ومنعةٍ	فعماً قليلٌ يهجرُ البابَ حاجِبُه
ويصبح بعد الحجبِ للناسِ مقصياً	رهينةً بيتٍ لم تَسْتَرْ جوازِبُه
فما كان إلا الدفن حتى تفرقت	إلى غيرة أحراسه ومواكبُه
وأصبح مسروراً به كُلاً كاشحٌ	وأسلمه أحبابه وأقاربُه
فنفسك أكسبها السعادة جاهداً	فكل امرئ رهناً بما هو كاسبُه ^(٢)

تحمل هذه الأبيات تعريضاً مبطناً ضد السلطة، أو ضد شخص الخليفة سليمان بن عبد الملك لأخذ العبرة من الموت، ولعل كتمان أمر ولاية العهد من بعده وعدم الإفصاح عنها إلا بعد حين، ثم اتضح توليتها لغير بنى عبد الملك كان وراء ذلك. فحين شعر سليمان بدنو نهايته، أوصى وصية تحافظ على استمرار الخلافة في آل مروان، وتفتح أفقاً واسعاً نحو العدالة بعد أن بحث عن شخص مؤهل لتحمل أعباء الخلافة من ابنائه وابناء أخيه الوليد، فقد كانت مدة خلافته القصيرة ثلاث سنين، إذ كانت محاولة الوليد أخذ البيعة لابنه سبباً في إجراء تغييرات محدودة في إدارة الدولة، وفي سياستها تجاه القبائل، فقد كان إشفاق بعض الولاة وتوجسهم من سليمان لأنه كان ذا وطأة على خصومه؛ لذا أشار بعض الولاة على الوليد بتولية ابنه، فلما تولى سليمان أثر العديد من الشعراء والولاة البقاء في الظل مما أحدث انكماشاً نسبياً في أثر الشعر في الأحداث مدة طويلة.

عمر بن عبد العزيز بن مروان^(٣) (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م):

يعد تولى عمر بن عبد العزيز للخلافة نقلة نوعية كبيرة في السياسة العامة للدولة الأموية لما كان يتصف به من زهد وعدل واحترام للمال العام

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/٣٢٢؛ الطبري: تاريخ، ٦/٥٤٦؛ المسعودي: مروج، ٣/١٨١.

(٢) المسعودي: مروج، ٣/١٨١.

(٣) ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/٣٣٠، ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت)، ٥٩٧هـ/١١٩٩م: سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح محب الدين الخطيب (مطبعة المؤيد، القاهرة، دون تاريخ)، ٣٢.

والعناية بالعطاء وابتعاد عن المباهاة، وقد بدأ يرد المظالم عن الناس "وبدأ بنى أمية"^(١) فشعر الجميع بأنه لا يحابى أحدًا في إحقاق الحق. حتى قال فيه حمزة بيض^(٢):

حاز الخلافة والدك كلاهما من بين سخطه ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثًا وعلى جبينك نور ملك الرابع^(٣)

وامتدحه الشعراء وقارنوه بعمر بن الخطاب كما قال عوف القوافي:

قبر سليمان الذى من عَقْه وجحد الخير الذى يَقْه
فى المسلمين جلّه ودَقْه فارق فى الجحود منه صدَقْه
يا عُمرَ الخير المُلقى وقَقْه سُميت بالفاروق فافرق فرَقْه
وارزق عيالَ المسلمين رِزَقْه واقصّد على الجود ولا تَوَقْه^(٤)

لقيت دعوات طلب العدل بين الناس صدى واسعًا بين الشعراء وعامة الناس حتى قيل إن عمر قال:

قَد جاء شُغلٌ شاغلٌ وعدلت عن طرقِ السّلامةِ
ذهبَ الفراغُ فلا فُرا غُ إلى يومِ القيامةِ^(٥)

فقد اختط لنفسه سبيلًا جديدًا فى سياسة الملك، وفى الابتعاد عن هيبة السلطان، فحين خطب الناس، قيل له: لو تحولت إلى حجرة سليمان، تمثل فقال:

فولا التّقى ثم النهى خشية الردى لعاصيتُ فى حبِّ الصّبى كل زاجرٍ

(١) الدينورى: الأخبار، ٣٣١.

(٢) شاعر أموي، كوفي النشأة خليف ماجن (ت، ١١٦هـ / ٧٣٤م). ترجمته: الجاحظ: البيان، ١/ ٢٦٩، الكتبي: فوات، ١/ ٣٩٥.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٤٦.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ١٥٠.

(٥) ابن كثير: البداية، ٩/ ١٩٨.

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صَبوةً أخرى الليالي الغواير^(١)

فقد بدأ حياته زاهدًا عازفًا عن ماديّات الحياة، فأكد على احترام الصحابة جميعًا والخلفاء الراشدين منهم لأنهم أساسُ الدين وأعمدة البناء الإداري للدولة العربية الإسلامية، فأمر بعدم شتم علي بن أبي طالب "وكتب ذلك إلى الآفاق"^(٢). من أجل وحدة المسلمين والابتعاد عن الفرقة، وصيانة العقيدة من النزعات الجانية التي تؤثر فيها، فقال كثير بن عبدالرحمن:

وليتَ فلم تشتم عليًا ولم تُخفِ
وأظهرتَ نورَ الحقِ فاشتدَّ نوره
بريًا ولم تقل إشارةً مُجرم
على كل لبسٍ بارقٍ الحقِ مظلم^(٣)

فأثمرت سياسته هذه عن فتح قنوات الحوار فيما بين الجماعات المناوئة للسلطة الأموية، ومنهم الخوارج حيث كتب إليه عمرو بن دكينة^(٤) بقوله:

قُلْ لِلْمُؤَلَّى عَلَى الْإِسْلَامِ مُؤْتِنًا
أزرى به مَعشَرٌ غَدَّوْهُ مَاكَلَةٌ
وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ رِثُ الْقَوَى وَاهٍ
أنا شَرِينَا بِدِينِ اللَّهِ أَنْفُسَنَا
بِنَخْوَةِ الْعَزِّ وَالْإِنْزَافِ وَالْبَاوِ
نَهَى بِحَدِّ السَّيْفِ عَنْ سَرْفِ
نَبَغَى بِذَاكَ إِلَيْهِ أَعْظَمَ الْجَاوِ
كَفَى بِذَاكَ لَهُمْ مِنْ زَجَرٍ نَاوِ
فَإِنْ قَصْدَتَسْبِيلَ الْحَقِّ يَا عَمْرُ
أَخَاكَ فِي اللَّهِ أَمْثَالِي وَأَشْبَاهِي

(١) ابن عسد، الطبقات، ٥/ ٣٤٠، الديبوري: الأخبار، ٣٣١؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ٥، ابن كثير: البداية: ١٩٨/٩.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ٥/ ٣٠.

(٣) ديوانه، ٣٣٤. ينظر: لاميته، ١٨٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ٥/ ٣٠، الأصفهاني: الأغاني، ٩/ ٢٥٠. ينظر: جرير: جيوانه، ٢٥/ ٧٣٧ حيث يشير إلى طرح مكس العصور.

(٤) الربيعي الخارجي من الشراة. ترجمته: ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١١٩؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٥٤.

وإِنَّ لِحَقَّتْ بِقَوْمٍ كُنْتُ وَاحِدَهُمْ فِي جَوْرِ سِيرَتِهِمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ^(١)

يبدو أن عمر كان ميالاً للحوار والإقناع لإعادة الخوارج إلى إجماع المسلمين، فكان الشعر صورة حية لها أثرها في تسجيل هذه الرغبة لدى عمر التي تعبر عن روح التفاني من أجل وحدة المسلمين والعقيدة ونبذ الحروب والصراعات وسياسة القسّر، مما يكشف عن استمرار قوة الدين وتدفع روحية المسلمين الحيوية من خلال استلهم سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين بعيداً عن مغريات السلطة، فكانت إجابة عمر شافية للنفوس والمشاعر.

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَهْدَى نَصِيحَتُهُ إِنْ كَانَ أَمْرٌ مِنَ السُّلْطَانِ تَنْكَرَهُ
هَذَا الْكِتَابُ كِتَابُ اللَّهِ تَقْرُوهُ إِذْ أَنْهَانَا وَقَفْنَا عِنْدَ نَاجِزَةٍ
فَقَدْ يَزُلُّ الَّذِي يَبْغِي الْهَدَى رَهَقًا الْمُلْكُ يَا عَمْرُو مُلْكُ اللَّهِ خَالِقُنَا
إِنْ الْحَاسِنَ وَالْتَفْوِيقَ بِاللَّهِ فَمَا غُرَا الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ بِالْوَاهِي
مُصَدِّقُ الْوَحْيِ فِينَا أَمْرٌ نَاهِي بَعُونَ رَبِّي عَلَى طُوعٍ وَإِكْرَاهٍ
عِنْدَ السُّوْيَةِ وَهُوَ الْعَالَمُ الدَّاهِي وَالْحُكْمُ يَا عَمْرُو مُرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ^(٢)

فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه^(٣). وهو ما يشير إلى سعة أفق الخليفة وإحكامه إلى العدل بين الرعية، وترفعه عن المطامع الشخصية، وإيثاره لوحدة الصف، فكان سمح الخلق مرضى السيرة، وهو ما يكشف عنه كعب بن معدان الأشقري في قوله:

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا عَمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذُنَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تُجَلِّدَ بِالسِّيَوفِ رِقَابُ
بِأَكْفٍ مُنْصَلَتَيْنِ أَهْلَ بَصَائِرِ فِي وَقْعِهِنَّ مَزَاجِرٌ وَعِقَابُ

(١) شعر الخوارج، ١٩٣/١٩٤؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١١٩؛ المرزباني. معجم الشعراء، ٥٤-

٥٥، ابن الجوزي: سيرة عمر، ٢٩٩.

(٢) ابن الجراح: من اسمه عمرو، ١٢٠؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) نفسه.

هلا قریشْ ذکرت بثغورها حزمٌ وأحلامٌ هناك رغبُ
لولا قریشْ نصرُها ودفاعُها ألفتُ منقطعاً بى الأسباب^(١)

مما يعنى أن قنوات الحوار كانت بين الخليفة والآخرين متصلة، وللشعر نصيب في تسجيل بعض الأحداث المتعلقة بهذه الدعوة الحميمة نحو الصفاء والأخوة الإسلامية، ولكن ذلك لم يوقف من ترمد بعض فرق الخوارج فقد خرج شوذب وسامه بسطام اليشكري^(٢) سنة (١٠٠هـ/٧١٨م)^(٣) فخطب رجلٌ من الخوارج هلال^(٤) بن أحوز:

خرجتُ إلى الشراة وأنتَ حربُ لقد غررت يا ابن أبى هلالٍ
وإنّا معشر قتلوا عليّاً وعباد بن أخضرَ فى الضلالِ
وإن بصرتنى لما تبدّل وإن الدّينَ دينُ أبى بلالٍ^(٥)

تبرز هنا عقيدة الخوارج الشراة الذين خرجوا في خلافة على بن أبى طالب لاعترافهم الصريح بقتله، وإيمانهم بعقيدة أبى بلال أحد زعمائهم، مما يجعل من شعرهم الصدى المعبر عن جوهر عقيدتهم، واستمرارهم في قناعتهم على الرغم من جهود عمر بن عبدالعزيز في إقناعهم للعودة إلى صفوف جماعة المسلمين من أجل وحدة الصف ووحدة العقيدة الإسلامية.

واتجه عمر أيضاً إلى فتح الحوار مع المرجئة^(٦)، فنجح في إقناع أحد زعمائهم، وهو عون بن عبدالله ابن عتبة الهنلى^(٧) الذى قال:

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٢٣٨٠؛ الجاحظ: البيان، ٣/ ٣٩٥.

(٢) ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٥٥، ٥٧٥.

(٣) نفسه، ٦/ ٥٥٥.

(٤) هلال بن أحوز بن محرز المازني أخو سلم بن أحوز، نسبه: ابن حزم: جهرة، ٢١١.

(٥) شعر الخوارج، ١٩٤.

(٦) وهم اثنا عشر فرقة، وهي مأخوذة من الإرجاء، أي إرجاء أمر من سفكوا الدماء إلى يوم القيامة. الأشعري، علي بن إسماعيل (ت، ٣٣٥هـ/٨٣٤م): مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول (دار الحديث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ١٩٧.

(٧) توفي بحدود سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٢٦٣، ابن الجوزى: صفة، ٣/ ١٠٠.

وأول ما انفارق غير شك نفارق ما يقول الموجونا
وقالوا مؤمن من أهل جور وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المسلمين^(١)

فلزم عمر فصار ذا منزلة عنده^(٢). ولهم يقول أحد الشعراء:

إذا المرجى سرك أن تراه يموت بدائه من قبل موته^(٣)

وهذه الدعوة إلى الحوار شغلت الخليفة عن استقبال الشعراء والاستفادة من الشعر في دعم سياسته، فحين حاول جرير الدخول عليه ولم يفلح قال:

لا يا أيها القارئ المرخى عمامته هذا زمائك إنى قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا أما كنت لاقيه إنى لدى الباب كالمشد في قرن^(٤)

فأشار إلى أن زمن عمر هو زمن القراء الذين يتميزون بإرخاء العمامة^(٥)، ولعلهم كانوا يتوافدون إليه للحوار معه.

وفي سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)^(٦) توفي عمر بن عبدالعزيز، فرثاه الشعراء مشيدين بعدله وحسن سيرته وزهده حتى قيل إنه سمع صوتاً يقول:

عنا جزاك ملك الناس صالحة فى جنّة الخلد والفردوس يا عمر
أنت الذى لا نرى عدلاً نسر به من بعدو ما جرت شمس ولا قمر^(٧)

(١) الجاحظ: البيان، ١/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) نفسه، ٣/ ٣٥٠ ابن الجوزى: سيرة عمر، ٦٧، ١٦٦.

(٣) الجاحظ: البيان، ٣/ ٣٥٠.

(٤) ديوانه، ٢/ ٧٣٨ ابن عبد ربه: العقد، ١/ ٢٨٤.

(٥) سيجري تناول موضوع الإرخاء في حوادث سنة ١٠٢هـ.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٢٨؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٦٥.

(٧) ابن الجوزى: سير عمر، ٤٥.

وقال محارب بن دثار^(١):

لو أعظم الموت خلقاً أضن يواقعة لعدله لم يُصبك الموتُ يا عمرُ
كأدضت تموتُ وأخرى منك تنتظرُ كم! من شريعة حقٍ قد نعثت لهم
يا لهفَ نفسى ولهفَ الواجدين معى على العدلِ التى تفتأ لها الحُفرُ^(٢)

مما يكشف عن شيوع الرضا بين العناصر المناوئة للحكم الأموى عن سيرة عمر،
فالخارجي يصفه بالعدل، وكثير بن عبد الرحمن ذو الميول العلوية يصفه بناصر
المظلوم، فيقول:

لقد كنتَ للمظلوم عزاً وناصرًا إذا ما تعيا فى الأمورِ حصونها
كما كان حصناً لا يُرامُ مُمنعًا بأشبالِ أسدٍ لا يرام عرينها
وليتَ فما شانتكَ فينا ولاية ولا أنتَ فيها كنتَ مِمَّنْ يَشِينُها^(٣)

يبدو أن مدة خلافة عمر بن عبدالعزيز القصيرة لم تذهب هدرًا، فقد كانت
جهوده واضحة في إعادة التوازن المطلوب في سياسة العدل وإنصاف المظلومين
لإحداث شيء من التوازن بين الحاكم والمحكوم حتى حامت الشكوك حول موته
فقليل إنهم دسوا "إليه من سقاه سمًا، فلم يلبث... حتى مات"^(٤).

ولعل هذا الإحساس كان وراء نزعة الأسف واللوعة، والبكاء على العدل
المفقود الذى أعقب موته، كما في قول جرير:

تنعى النُعاة أميرَ المؤمنين لنا يا خيرَ من حجَّ بيتَ الله واعتَمرا

(١) محارب بن دثار السدوسي، الكوفي، ثقة (ت، ١١٦هـ/ ٧٤٣م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/

٤٥٢، الذهبي: العبر، ١/ ١١١.

(٢) ديوان الخوارج، ١٩١.

(٣) ديوانه، ١٧٧. ينظر: تمام القصيدة، ٧٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٥٦.

حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له وقمت فيه بأمرٍ الله يا عمر^(١)

فإذا كان الصبر على المكاره من خصائص الزهاد، فإن عمر أصبح رمزًا للعدل والفضيلة حتى وُصفَ بالتفرد والإيمان، وقوام الدين، كما يرى ذلك أحد الشعراء:

أقول ما نعى الناعون لى عمرًا لا يبعدن قوام العدل والدين
وقد غادر القوم باللحد الذى لحدوا بدير سَمعان قسطاس الموازين^(٢)

ب وفاة عمر بن عبدالعزيز أسدل الستار على سيرة زاهد كانت أيام حكمه حافلة بالسلاح والتقوى والتواضع، فكانت على قلتها مثار اهتمام الباحثين والشعراء حتى اليوم، لأنه استطاع أن يضع لنفسه أسسًا أسسها بنفسه على نفسه وغيره واستطاع التقيدها، كى يقتدى به الآخرون، ودليله إلى ذلك هو العدل والإحسان وإعطاء كل ذى حق حقه لصيانة النفس والآخرين والدولة من إغراءات الطمع والسلطان، فاستحق دوام الذكر وحسن السيرة ورفعة المقام حيًا وميتًا.

يزيد بن عبد الملك بن مروان^(٣) (١٠١-١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م):

شهدت الأوضاع العامة فى الدولة الأموية أيام عمر بن عبدالعزيز هدوءًا نسبيًا، ولكنه لم يستمر طويلًا إذ جاء بن عبد الملك إلى الحكم فانتهج نهجًا سياسيًا مخالفًا لما كان عليه حيث العودة إلى الاتجاه الذى سار عليه الخلفاء الأمويون السابقون، فشمّر عن ساعد الجد والقوة فأكمل مطاردة اتباع (شوذب) بسطام اليشكري، فقال أبو ثعلبة، أيوب بن خولى يرثى هدبة اليشكري، ومن قتل معه، وكان فيهم أبو شبيب، مقاتل بن شيبان^(٤):

(١) ديوانه، ٧٣٦/٢.

(٢) الطبرى، تاريخ، ٥٧٢/٦؛ ينظر: رثاء محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط لعمر. المرزبانى: معجم الشعراء، ٣٤٥.

(٣) ترجمته: الهبى: سير، ١٠٥/٥؛ الكتبى: فوات، ٣٢٢/٤.

(٤) أيوب بن خولى، هدبة اليشكري هو عم بسطام اليشكري، ومقاتل بن شيبان من رجال الخوارج. أما تميم بن الحباب السلمي فهو من زعماء قبيلة قيس. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٥٧٦/٦.

تركت تميمًا بن الحُبَابُ ملحبا
وقد أسلمت قيس تميمًا ومالكًا
وأقبل من حَرَّانٍ يحملُ رابةً
فإن يك خلى هدبةُ اليوم قد مضى
فيا هذبُ للهيحاء، ويا هذبُ للندى
ويا هذبُ كم من مُلحمٍ قد أجبتَه
وكان أبو شيان خيرَ مقاتلٍ
ففازَ ولاقى الله بالخير كله
تزود من دنياه درعًا ومغفرًا
وأجرَدَ محبوبك السَّراةَ كائنه

تبكى عليه عرسُهُ وقرائنه
كما أسلمَ الشَّحاجَ أمسٍ أقاربه
يغالب أمرَ الله والله غالبُه
فإنى بآلاءِ الفتى أنا ناديه
ويا هذبُ للخصم الألدَّ يحاربه
وقد أسلمتهُ للرماح جوالبه
يرجُ ويخشى بأسه من يحاربه
وخدمه بالسفر فى الله ضاربه
وعَبَضُبا حسامًا لم تحنه مضاربه
إذا انقضَّ وفى الریش حُجنٌ مخالبه^(١)

وثق هذا الشعر أسماء الشخصيات التى نالها القتل، فأشار إلى الصراع الدائر بين الخوارج ودولة الخلافة، وإلى تميم بن الحُبَاب الذى انتدب لحرب بسطام اليشكرى، المعروف بـ (شوذب) كما أشار شاعر الخوارج:

تركتُ تميمُ بن الحُبَابِ مجدلاً
ينادى سُلَيْمًا وهم سموعها
نقيضةً تامراه قليلاً عوايده
وقد اسلمته إذ دعاها حواشده^(٢)

فوثق شعر الخوارج من قُتل من مناوئهم، مثلما وثق من قتل منهم، فقد قتل الربان بن عبدالله اليشكرى، فقال أخوه شمر بن عبدالله يرثيه وبعض فوارس شيان:

ولقد فُجعت بسادةً وفوارسٍ
للحرب سُعرٍ من بنى شيانٍ

(١) شعر الخوارج، ١٩٧-١٩٨؛ ديوان الخوارج، ٢٩-٣٠؛ الطبرى: تاريخ، ٦/٥٧٦؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٢/٢٧٦.

(٢) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ١٩٨.

أَعْنَقَهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَقَالَ لَهُمْ وَتَرَكْتُ فِرْدَا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَمَدًا تَجَلَّجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَانِ
وَفَوَارِسٍ بَاعُوا إِلَهَ نَفْسِهِمْ مَنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الْوَعَى فِرْسَانٍ^(١)

تشير هذه الأبيات إلى أن غالبية من شارك في هذه الواقعة كان من بنى يشكر، وشيبان، وما يعنيه ذلك من أثر واضح للنزعة القبلية في حركة الخوارج:

ودخل مقتل بسطام اليشكري (شوذب) ضمن الاتجاه الذي عزم يزيد بن عبد الملك على تحقيقه وهو القضاء على مناوئى الدولة، ومنهم الخوارج، وبذلك جاء رثاؤه ومن قتل معه من قبل حسان بن جعدة الذي قال:

يَا عَيْنُ أَذْرَى دَمَوْعًا مِنْكَ تَسْجَمًا وَابْكِي صَحَابَةَ يَسْطَامٍ وَيَسْطَامًا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِيبَتْ مِثْلُهُمْ أَتَقَى وَأَكْمَلْ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامًا
يَسِيْرُهُمْ قَدْ تَاسَوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا
حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأَوْرَثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَنْزَلُوا غُرْفًا مِنَ الْجِنَانِ وَنَالُوا ثَمَّ خُدَامًا
أَسْقَى إِلَهٌ بِلَادًا كَانَ مَصْرَعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا^(٢)

يعبر اهتمام الخوارج بشخصية بسطام اليشكري (شوذب) عن اهتمامهم بشخصية القائد، أو الإمام ينظرهم، لأنه يشكل رأس الحربة في الصراع بينهم وبين جيش الدولة الأموية. وهو اهتمام يعبر عن وقوف قوادهم أو فرسانهم في مقدمة الجيش حين القتال، لذا أسهم الشعر في توثيق الأحداث التي شاركوا فيها وفي حفظ أسماء قادتهم الذين باعوا الدنيا بالآخرة، مما يلفت النظر إلى أن ظاهرة

(١) شعر الخوارج، ١٩٩-٢٠٠؛ الطبري: تاريخ، ٥٧٧/٦.

(٢) شعر الخوارج، ١٩٥؛ البلاذري: أنساب (مخطوط)، ورقة ٦٩ (البيت الأول)؛ الطبري: تاريخ، ٦/٦.

شعر الخوارج هي ظاهرة غير عادية، وأن وصول شعر الخوارج عبر المصادر التاريخية يدل بلا شك على أن المؤرخ العربي الإسلامي كان موضوعيًا حين ذكر أحداث وشعر الخوارج على الرغم من احتمال ضياع الكثير منه بسبب تخرج روايته من قبل معاصريهم.

وفي سنة (١٠١هـ/٧١٩م)^(١) استطاع يزيد بن المهلب الهرب من سجن الخلافة الأموية، فكان دليلاً نحو العراق هردان العلّيمي^(٢) الذي قال حين أخطأ به الطريق:

وَسَوَّأَ ظَنِّي بِالْأَخْلَاءِ إِنِّي وجدتُ يزيدًا دون ما كان يزعمُ
فَظَنُّ رَوِيْدًا بِالصَّدِيقِ وَلَا تَكُن بما عنده مستيقنًا سوف تُعلمُ^(٣)

ووصف شاعر آخر توجه يزيد بن المهلب نحو البصرة فقال:

وسار ابنُ المهلب لم يُعَرِّجْ وعرَّسَ ذو القَطِيفَةِ من كَنَانِهِ
وياسِرَ والتَّيَّاسُرُ كان حَزْمًا ويلم يقربُ قصور القَطَقَاتِهِ^(٤)

وظهر للشعراء أثر واضح في الأحداث التي لازمت تمرد يزيد بن المهلب على سلطة الدولة، ويمكن إدراك ذلك من خلال الشعر الذي صدر عنهم، فهذا يزيد بن الحكم^(٥) الثقفي يدعو ابنَ المهلب إلى عدم التراجع ويتنبأ بزوال ملك بني مروان فيقول:

أبا خَالِدٍ قد هجيت حربًا مريرةً وقد شَمَرْتُ حربَ عَوَانٍ فَشَمِرُّ

(١) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٦٤.

(٢) هردان بن عمرو من بني عليم بن حناب من كلب، شاعر دمشقي. المرزباني: معجم الشعراء، ٤٧٠.

(٣) نفسه. ينظر: شاهدًا آخر في الصفحة نفسها.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢٧٩.

(٥) يزيد بن الحكم بن عثمان بن العاص الثقفي، شارع أموي معروف، مقل (ت، ١٠٥هـ/٧٢٣م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٢/ ٢٨٩؛ البكري: سمط، ١/ ٢٣٨.

فإن بنى مروان قد زال ملكهم فإن كنت لم تشعُرْ بِذَلِكَ فاشعُرْ
فَعُتْ ما جِداً أو عَسَ كَرِيماً فإن تُمُتْ وسيفك مشهورٌ بكفِّكَ تُعَذِّرُ^(١)

ينسجم هذا النداء مع أخلاق ومبادئ الفروسية التي آمن بها يزيد بن المهلب وتميزه بالسخاء والجو، فقد كان "يعطى من أتاه من الناس، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة"^(٢). في حين كان عدى بن أرطاة^(٣) "لا يعطى إلا درهمين، ويقول: لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الأمر في ذلك"^(٤). مما أسخط الناس وألب الشعراء عليه، فكان الفرزدق يشير إلى دراهمه موثقاً الحدث فيقول:

أظنُّ رجالَ الدرهمينِ تسوقُهُم إلى قَدْرِ، آجالُهُم ومِصَارُهُ
وأَحْزَمُهُم من قرءى قَعْرِ بَيْتِهِ وأيقنَ أن العزمَ للأبدِ وإِقَعُ^(٥)

يبدو الفرزدق ميلاً نحو ابن المهلب، فقد كان يعرض بعدى بن أرطاة ويشيد بشخصية يزيد بن المهلب فيصفه بطويل السرى، وللع لأخلاق الفرسان وإعداق الأموال والتاريخ الطويل في الفتح له ولأبيه أثراً في إطراء الفرزدق له وذم عدى بن أرطاة:

قُلْ لَعَدَى جاءَ من كُنْتَ تبتغى إليك، فلا تحفِلْ بدور الدارهم
أناك امرؤٌ لم تخدم القومَ أمه، طويلُ السرى ألفيته غير نائم^(٦)

إن تعدد حركات التمرد على الخلافة، واتساع رقعة الدولة الأموية وتولية أكثر

(١) شعره، شعراء أمويون، ٣/ ٢٦١؛ شعراء ثقيف، ١٨٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٢/ ٢٩٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٨٠.

(٣) عدى بن أرطاة الفزارى (ت، ١٠٢هـ/ ٧٢٠م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٢٧١؛ الذهبي: العبر، ١/ ٩٣.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٨٠-٥٨١.

(٥) ديوانه، ١/ ٤٢١؛ الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٨١.

(٦) ديوانه، ٢/ ٢٦١.

من ولى عهد فى آن واحد كانت أسبابا موضوعية فى إضعاف السلطة الأموية، فهذا أحد شعراء الأزد ثابت قطنة يحرض يزيد بن المهلب على استمرار تمردده ويشيد بشجاعة أبيه، ولثابت صحبة طويلة مع آل المهلب، فضلاً عن صلة النسب معهم فظل يتابع أحداثهم دون توجس من غضب الخلفاء الأمويين مما يعنى أن قبضة الخليفة الأموى القوية انتابها الضعف، فقال ثابت قطنة:

إن امرءاً حدثت ربيعة حوله والحقى من يمين وهاب كؤودا
لضعيف ما ضمت جوائج صدره إن لم يكف إلى الجنود جنوداً
أيزيدك كن فى الحرب إذ هيبتها كأبيك لا رعشاً ولا رعديداً^(١)

فأعجب يزيد بن المهلب برأى ثابت قطنة، وأمر بإجابته مع حراجة موقفه حتى رأى أنه غافل عما هم فيه، فقال: "لعمري لأطيعنه، وسيرى ما يكون"^(٢). وهو ما يكشف عن التسرع وعدم الركون إلى الموقف العسكرى الصائب والظروف المحيطة به، لهذا رأى فيه الشعراء الفارس القادر على إصلاح ما تصدع، فلما حمل أصحاب يزيد بن المهلب فى الميرد^(٣)، قال الفرزدق:

تفرقت الحمراء إذ صاح دارسٌ ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم
جزى الله قيساً عن غدى ملامهً ألا صبروا حتى تكون ملاحم^(٤)

ثم حشد يزيد بن عبد الملك جهوده لكسب ولاء الشعراء وتأليبهم ضد آل المهلب لغرض شن حملة إعلامية واسعة النطاق قوية التأثير فى الأحداث والمشاعر لما يمتلكه آل المهلب من مكانة خاصة فى نفوس الشعراء لإغداقهم الأموال عليهم،

(١) شعره، ٤١؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٦٠.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢٦١.

(٣) موضع فى البصرة مشهور فى سوق يتبارى فيه الشعراء. ياقوت: معجم البلدان، ٩٧/ ٥-٩٨ (الميرد).

(٤) الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٨١.

فأسهم هؤلاء الشعراء في تويه انتباه الناس وحشد الجهود العسكرية في دعم ثورتهم. فلما مدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك وصف يزيد بن المهلب بالأزدى المغرور مما يكشف عن أثر الشعر في الصراع بين دولة الخلافة والمتمردين عليها، فكان الفرزدق يشير في الوقت نفسه إلى أحقية قريش بالخلافة، لأن الله فضلها بالنبوة، وكان يرى في شجاعة ابن المهلب شخصية قيادية متفردة، ويرى في عدى بن أرطاة ومن معه من قيس والحمراء الذين يشكلون جيش الخلافة اهتزازاً في المعنويات وقصوراً في القدرات القيادية، إذ يقول:

أكرم قوماً وأوفى عند مضلعة	لُمْتُ قُلُوبَ مَنْ دَمَاءُ الْقَوْمِ مَبْهُورِ
إِنَّا قَرِيشًا، فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا	مَعَ النَّبِوَةِ بِالْإِسْلَامِ وَالْخَيْرِ
مِنْ آلِ حَرْبٍ، وَفِي الْأَعْيَاصِ	هُمْ وَرُثُوكَ بِنَاءَ عَالِي السُّورِ
حَرْبٍ وَمَرَوَانَ جَدَاكَ لَلَّذَا لَهُمَا	مِنَ الرُّوَابِي عَظِيمَاتِ الْجَاهِرِ
تَرَى وَجْهَ بَنِي مَرَوَانَ تَحْسِبُهَا	عِنْدَ اللَّقَاءِ، مُشَوَّاتِ الدَّنَانِيرِ

إلى أن يقول:

لقد عجبتُ من الأزدى جاء به
يقوده للمنايا حين مغرور^(١)

وإن كان هذا الشعر لا يتضمن هجاءً أو سباً يتعرض لأخلاقية ابن المهلب، فقد أحجم الشعراء عن هجاء يزيد بن المهلب، إلا الأحوص فإنه عرض به، فقال:

وما زال ينوى الغدر والنكث راكباً	لعمياء حتى استك منه المسامع
وحتى أبيد الجمع منه فأصبحوا	كبعض الألى كانت تُصيب القوارع
فأضحوا بنهرى بابل ورؤوسهم	تخبُّ بها فيما هناك الخوامع ^(٢)

(١) ديوانه، ١/ ٢١٥. ينظر: ١/ ٢٧١، ٢/ ٢٥٢.

(٢) شعره، ١٤٩.

فزاد الهجاء من قوة الحملة الإعلامية ضد يزيد بن المهلب، لأنَّ العربَ تضع للمعايير الأخلاقية والإنسانية مكانةً خاصة. ثم إن الخروج على الدولة في نظر بعض الشعراء يعد نقضاً للإجماع العام، ومنهم جرير عندما قال:

آل المهلب فرطوا في دينهم وطفوا كما فعلت ثمود فبادوا^(١)

وقال أيضًا:

يا ابن المهلب إن الناس قد علموا	أن الخلافة للشُّمِّ المغاويرِ
لا تحسبنُ ميراس الحرب إذ خطرت	أكلَ القُبابِ وأدمَ الرغيف للصبرِ
خليفةُ الله إنى قد جعلتُ لكم	غُرًّا سَوَاقٍ من نسجى وتحبيرِ
لا يُنكرُ الناسَ قديمًا أن تعرفهم	سَبَقًا إذا بلغوا نَحْزَ المضاميرِ
زَانُ المنايرِ واختالت بمن تحبِ	مُثَبِّتِ بكتابِ الله منصورِ ^(٢)

يبدو أن جريرًا حاول التعويض عن موقفه المتضامن مع الحجاج وابن المهلب في الدعوة إلى انتزاع ولاية العهد من سليمان، فظل يراقب الموقف حتى انجلى لصالح يزيد بن عبد الملك فعبّر عن ذلك في ثلاث قصائد تنحاز إلى دولة الخلافة ضد محاولات الخروج ضدها^(٣).

وفي سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م)^(٤) بدأت المناوشات بين جيش يزيد بن المهلب بقيادة ابنه عبد الملك والجيش الأموي بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس^(٥) بن الوليد بن عبد الملك، فانهزم عبد الملك أمام الجيش الأموي وقتل المنتوف من بكر بن وائل، مولى لهم، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل:

(١) ديوانه، ٦٤٧/٢.

(٢) نفسه، ١٤٨/١.

(٣) نفسه، ١٦٨-١٧٦.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٣٣٢/١، الطبري: تاريخ، ٥٩٠-٥٩١.

(٥) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ١٠٤.

تُبكى على المنتوف بكر بن وائل
قتيلين تجتاز الرياح عليهما،
ولو أصبحا من غير بكر بن وائل
غلامان نالا مثل ما نال مسمع،
ولو كان حياً مالك وابن مالك،
ولو غير أيدي الأزدي نالت ذراهما،
وتنهي عن ابني مسمع من بكاها
مُجاور نهري واسط جَسداهما
لكان على الجاني ثقيلاً دماهما
وما صلت عند الثبات لحاهما
لقد أوقدا نارين عال سنأهما
ولكن بأيدي الأزدي حُزّت طلاهما^(١)

حدد شعر الفرزدق من قتل في هذه المعركة، وهو توثيق لجوانب من الحدث التاريخي الذي وثقه جانب ابن المهلب من خلال إجابة الجعد بن درهم، مولى همدان في نقضه لقصيدة الفرزدق حين قال الجعد:

تُبكى على المنتوف في نصر قومه
أرادَ فناء الحى بكر بن وائل
فلا لقياً روحاً من الله ساعة
أفى الغش نبكى إن بكينا عليهما
ولسنا بُكى الشائدين أباهما
فعزّ تميم لو أصيب فناهما
ولا رقات عينا شجى بكاها
وقد لقياً بالغش فينا ردهما^(٢)

ثم حدثت بعد ذلك موقعة العقر^(٣) وما حصل فيها من مساجلات في القتال بين الجيشين، ومن ثم مقتل عدى بن أرطاة، فلقى هذا الحدث صدى خفياً في نفس الشاعر الأزدي أحد أنصار آل المهلب ثابت قطنة، فقال:

ما سرني قتل الفزاري وانبه
عدى ولا أحببت قتل ابن مسمع

(١) ديوانه، ٢/٢٠٣؛ الطبري: تاريخ، ٦/٥٩١. وابنا مسمع: مالك وعبد الملك قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب. ينظر: أيضاً داليتة التي حرض بها مسلمة بن عبد الملك حين سار لقتال ابن المهلب، ١/١٧١. ميمته، ١/٢٥٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/٥٩١؛ ابن كثير: البداية، ٩/٢٢٠.

(٣) العقر: عقر بابل قرب كربلاء، ياقوت: معجم البلدان، ٤/١٣٦ (العقر).

ولكنها كانت معاوى زلةً وَضَعَتْ بها أمرى على غير مَوْضِعٍ^(١)

فيشير على مقتل ابن مسمع وعدى بن أُرطاة الفزارى وابنه، وغلى معاوية بن يزيد بن المهلب مما يجعل لهذين البيتين أثرهما في تدوين الحدث لحفظه أساء من شارك فيه. ولعل في ما قاله العباس بن الوليد بن عبد الملك وهو على مقدمة الجيش الأموى يوم العقر المحمل بالعتاب واللوم المبطن ما يكشف عن خلاف خفى وإحساس بالقلق من الوضع الذى يهدد الدولة بالانكسار، فقد كان العباس يتوجس مما حوله ويشعر بأنه مستهدفٌ في مقدمة جيش عانى الكثير من أجل أن يثبت أركان هذه الدولة، فضلاً عن إحساسه بالإخفاق لحرمانه من تسنم الخلافة، وهو هاجس يشاطره فيه مسلمة بن عبد الملك، فقد كان العباس يقول:

ألا تقنئ الحياء أباسعيدٍ	وتَقْصُرُ عن مُلاحاتى وعذلي
فلولا أن أصلك حينَ ثُمْنى	وفرعك كان من فرعى وأصلي
وانى إن رميتك هضت عظمى	ونالتنى إذ نالتك نبلي
لقد أنكرتنى إنكارَ خوفٍ	يضمُّ حشاك من شربٍ وأكلٍ
كقولِ المرءِ عمرو من القوافى	لقيسٍ حينَ خالفَ كل عدلٍ
عذيرى من خليلٍ من مُرادٍ	أثريدُ حِباءةٍ ويريدُ قتلِي ^(٢)

وفى سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م)^(٣)، احتدم القتال بين الجانبين فقتل يزيد بن المهلب، فأخذ ثابت قطنة يعرض بأهل العراق الذين خذلوا ابن المهلب وتركوه للأسنة، فوصفهم بالجحود لأنهم أخذوا نواله وفروا بعيداً عنه، وكأنه يوحى إلى أن ما أصابه كان بسبب نكوصهم وتخليفهم عنه، فيقول:

كلُّ القبائلِ بايعوك على الذى تدعو إليه وتابعوا وساروا

(١) شعره، ٥١؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٠٠.

(٢) المرزبانى: معجم الشعراء، ١٠٤.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٦/ ٥٩٧.

حتى إذا اختلفت القنا وجعلتهم
أن يقتلوك فإن قتلَكَ لم يكن
شهدتك من يَمَنٍ عصائب ضيَّعت
ولقد بسطت لهم يَمينَكَ بالسندى

نصبَ الأستة أسلموك وطاروا
عارًا عليك، وبعضُ قتلٍ عارُ
ونأى الذين لهم يُصابُ الثأرُ
مثلَ الفراتِ تمدهُ الأنهارُ^(١)

أما المفضل بن المهلب بن أبى صفرة^(٢) فإنه يصف ما حصل في هذه الموقعة، فيرى أن الدَّم يطهر من العثرات والذنوب، وكأنه شعر بأن مقتل أخيه يزيد بن المهلب كان خلاصًا من الذل والتبعية الذى أفضى إلى الخسران، فكان الإحساس بالوجع وثيقة لما بداخل النفس البشرية من مشاعر ترى في الموت خلاصًا ومنقذًا، ثم يذكر من لقي حتفه من آل المهلب من أمثال محمد وحبیب، فيقول المفضل:

أرى الشمسَ ينفى الهمَّ عنى طلوعُها
هل الموت أن وُجدنا بسفلكِ دمائنا
وما هى إلا وسنة تورثُ السنَا
وما خيرُ عيشٍ بعد فقد محمدٍ

ويأوى إلى الهمِّ حين تغيبُ
مطهرنا من عثرةٍ وذنوب
لعقبك ما حنّت دوائم نيبُ
وفقد يزيد والحارون حبيب^(٣)

جمع هذا الصوت القريب من يزيد بن المهلب بين الإحساس الذاتى بالفجيعة، وبين الشعور الإنسانى فى الاحتفال بملامح البطولة والفروسية والاستعداد لمواجهة الموت بكل جرأة وكأنه النتيجة الحتمية أو الثمن المدفوع سلفًا للخصال الحميدة التى يخوض غمار الحرب من أجل تحقيق وجودها، بما يجعل من الموت الأسطورة التى تعوض عن الإخفاق فى تحقيق الأهداف. والمفضل فارس من فرسان المهالبة الذين حفظت الأحداث قدرتهم على المواجهة عندما يتعامل مع الموقف بطريقة ندية تكشف عن خفايا الخيبة وانتصار البطولة فى آن واحد.

(١) شعره، ٢٩٧.

(٢) ترجمته: المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٩٧.

(٣) نفسه.

وعلى الطرف الآخر من جانبى الصراع يقف أحد أقارب قاتل ابن المهلب، وهو
المسيب بن رفل الكلبي^(١) مفتخرًا بما فعلت قبيلة كلب أحد بطون قضاة اليمانية،
فيقول:

قتلنا يزيدَ بنَ المهلبِ بعدما تنتم أن يغلب الحقَّ باطلُهُ
وما كان منكم فى العراق منافقُ عن الدين إلّا من قضاة قاتلُهُ
تجلله قحْلٌ بأبيض صارمٍ حُسام جلا عن شفرتيه صبا قُلُهُ^(٢)

يخفى هذا الشعر صراعًا قبليًا خفيًا بين قضاة اليمانية التى قامت حكم بنى
مروان ودافعت عنه، واستطاع أحد فرسانها القضاء على هزه عنيفة أصابت العراق
فى معركة دبر الجماجم، فيصف من يناوى الدولة بالمنافقين وكأنه يثار لنفسه وقبيلته
من تفاقم نفوذ الأزذ فى الدولة الأموية منذ عهد سليمان بن عبد الملك، فضلًا عن
وجود علاقة وثيقة بين الأزذ وبعض حركات الخوارج، فى حين يرى شاعر آخر أن
يزيد بن المهلب يفوق الملوك، فلا غرو أن يقول فيه القطامى الكلبي^(٣):

لعلَّ عيني أن ترى يزيدا
يقود جيشًا جحفلاً رشيدا
تسمعُ للأرض به وئيدا
لا برماً هداً ولا حَسودا
ترى ذوى التاح له سُجوداً^(٤)

(١) من بني زهير بن جناب الكلبي. ترجمته: الأصفهاني، الأغاني، ٣١٣/١٨؛ لمزباني: معجم العشراء، ٣٠٠.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٣١٣/١٨. وهو يشير إلى قاتل المهلب وهو القحْل بن عياش بن شمر بن أبي شرحيل أحد بني زهير بن جناب الكلبي.

(٣) هو الحصين بن حال بن حبيب، أحد بني عبد ود بن عوف بن كنانة، وهو أبو الشرقي بن القطامي، شاعر محسن. ترجمته: الأمدي: المؤتلف، ٢٥١.

(٤) نفسه، ٢٥١-٢٥٢.

يبدو أن الشاعر كان منحازًا إلى يزيد بن المهلب، ولعل أخلاق الفرسان وكثرة إغداقه الأموال على الشعراء ونزعة الوفاء هي التي قادتَه إلى هذا الإِطراء؛ كما في قول حاجب بن ذبيان^(١)، أحد شعراء بنى تميم في خراسان:

لعمري لقد خاضت مُعيط دماءنا	بأسيافنا حتى انتهى بهمُ الوحلُ
وما حمل الأقوامُ أعظم من دم	حرام ولا دُحلي إذا التمسَ النحلُ
حقنتم دماء المصلتين عليكم	وجرُّ على فرسانِ شيعتك القتلُ
وقى بهمُ العريانُ فرسانَ قومِهِ	فيا عجبًا أين الأمانة والعدلُ؟ ^(٢)

فاسهم الشعر في الصراع بين الدولة الأموية وآل المهلب الخارجين عن سيطرتها وقوتها، فعبر خيرَ تعبيرٍ عن صراعات القوى، فتمثل الأحداث وكشف عن جوانب واضحة من تصاعد قوة تأثير الشعر وانحياز الكثير من الشعراء وتعاطفهم مع يزيد بن المهلب، فهذا الطرماح بن حيم يرثيه فيقول:

لحى الله قومًا اسلموا يوم بابلٍ	أيّا خالد تحتَ السيوفِ البوارقِ
فتى كان عند الموتِ اكرمَ منهم	حفاظًا، وأعطى للجِيادِ السَّوابقِ
واغير عند المحصناتِ إذ بدتْ	براهنٌ، واستعجلن شدَّ النطايقِ
فقايلةٌ تنعى يزيدَ وقائلٌ:	سقى الله جزلَ السَّببِ عَفَ الخلايقِ
فلما نعى الناعى يزيدَ تزلزلتْ	بنا الأرضُ وارتجتْ بمثلِ الصَّواعقِ ^(٣)

وسخر مناصرو الدولة الأموية شعَرهم في مدح يزيد بن عبد الملك وتمهنته بالانتصار على خصم قوي؛ كما فعل النابغة الشيباني إذ قال:

فَضَضَتْ كَتَائِبُ الْأَرْدَى فَذَا
بِكِبْشَرِكَ وَهُوَ بَغِيثُهُ اللَّقَاءُ

(١) أحد بني مازن من تميم. ترجمته: الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٩٩؛ ابن حزم: جمهرة، ٢١١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٩٩.

(٣) ديوانه، ٣٣٧-٣٣٩، ينظر أيضًا: هجاءه للفرزدق وعميًا وتعريضه بمسلمة بن عبد الملك في قتل يزيد بن المهلب، ٤٦٠-٤٦١.

وعادئته إذا لاقى كياشاً فناطحهن قتلً واحتواء^(١)

بينما حاول كثير بن عبدالرحمن مزج المديح بالشفاعة لآل المهلب عند يزيد بن عبدالملك، وهو موقف يجمع بين ميل كثير للعلويين واضطراره لمجاراة الأمويين بحثاً عن النوال، وخشيته من السلطة حيث قال:

تشوف من صوت العدى كلما دعا تشوف جيداء المقلد مغيب
ثبارى حراجيجاً عتاقاً كأنها شرائج معطوف من القضب مصحب
إذا ما بلغنا الجهد متا توعبت وضيع زمام كالحباب المسيب
اضربها علق السرى كل ليلة إليك فاسادى ضحى كل صهيب^(٢)

كما شارك الرجز في دعم موقف مسلمة بن عبدالملك فنال من مديحهم وحثهم له في ضرب الخارجين عن وحدة الدولة، حتى أن رؤية بن العجاج^(٣) عرض بيزيد بن المهلب وحرص مسلمة ومدحه فقال:

مسلمة القائد وهو سام
كالبدر أجلى عن دجى الغيام

إلى أن يقول:

راسى المراسى خالد الدعام
أعجم أباء على المرامي
يقي بقاء الجبل الدلام

(١) ديوانه، ١٢٥، ١١٠-١١١.

(٢) ديوانه، ٣٥١؛ ابن خياط: تاريخ، ١/ ٣٣٤، ينظر: ما قال الأعشى التغلبي في مسلمة بن عبدالملك: الأمدى: المؤلف، ٢٠.

(٣) رؤية بن عبدالله بن رؤية، وعبدالله هو العجاج من شعراء غنيم (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٩٥، ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ١٤٩.

من مضرَ الحمراءِ فى قمعام
يَزيدُ لو سَقت بنى خُمام
وسَقت ألقى ساحرِ آثام
لا قيت نَجْمًا نكدَ النُجم^(١)

ومع أن الرجز كان محدودًا في تأثيره إلا أنَّ العجاج وابنه رؤبة وأبا نخيلة^(٢) من شعراء الرجز الذين ساهموا في مواكبة الصراعات وكانت أصواتهم مسموعة، فهذا أبو نخيلة يقول:

مَلَمَ يَا مَسْلَمَةَ الحروبِ
أنت المصطفى من أذى العيوبِ
مصاصة من كرم وطيبِ
لولا ثقاف ليس بالتدبيرِ
تقرى بهِ عَضن حُجب القلوبِ
لامست الأمة شاء الذيبِ^(٣)

مما يعنى دخول فن الرجز الشعرى ميدان الأحداث واستطاعته أن يمد التاريخ بنصوص واكبت حركة مَسْلَمَة في حربه ضد يزيد بن المهلب وأنصاره. وطلب مَسْلَمَة أهل المهلب في قنذابيل فبعث هلال بن أحوز المازنى فأنشده كُير بن عبدالرحمن قصيدته السابقة الذكر، فقال يزيد بن عبدالملك: "لا كانت بك الرحمن

(١) رؤبة بن العجاج (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م): ديوانه، ضمن مجموع أشعار العرب باعتهاء وليم بن الورد البرسي (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م)، ١٤٦-١٤٧.

(٢) هو أبو الجنيد يعمر بن حزن بن زائدة، أحد بني هان بن كعب بن سعد، كني بأبي نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة، شاعر أموي عباسي راجز محسن (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٣٦١/٢٠؛ السيوطي: شرح، ٧٣٥/٢.

(٣) أبو نخيلة، يعمر بن حزن بن زائدة (ت، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م): شعره، تحقيق عباس توفيق، مجلة المورد، المجلد (السابع عشر)، العدد (الثالث عشر)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ٣٥١.

لا سبيل إلى ذلك، من كان له قبل إلى المهلب دم فليقم، فدفعهم إليهم حتى قتل
نحوًا من ثمانين^(١). فقال حاجب بن ذبيان المازني:

لقد قَرَدَت بقندابيل عيني، وساغ لي الشرابُ على الغليل
غداة بنو المهلب من أسير يُقادُ بهِ ومُسْتَلَبِر قَتِيل^(٢)

يقترن الحدث بالمكان، كما ارتبط بابن أحوز الذي تصدى لآل المهلب، وهو ذو
صلة بعدى بن أرطاة، لأن الشاعر من بنى تميم الذين كانوا يشعرون بأن قبيلة الأزد
تنافسهم في الوقوف بمواجهة الأحداث، كما يبدو من قول جرير:

أخاف على نفسي ابن أحوز إذ شفى وأبلى بلاءً ذا حُجول مُشْهَدًا
شفيت من الآثارِ خولة بعدما دعت لهفها واستعجلت أن تخمرا
الارُبَّ ساهى الطرف من آل مازن إذا شمّرت عن ساقها الحربُ شمرا
أتسون شذات ابن أحوز أنّها جَلَّتْ كُلُّ وجهٍ من معدٍّ فأسفرا
وأدرك ثارَ المسّمعين بسيفه واغضبَ في شأنِ الخيارِ فنكرا
جعلت بقبرٍ للخيارِ ومالكٍ وقبر عَدَى في المقابرِ أقبرا^(٣)

يبدو أن شعراء تميم رأوا في هلال بن أحوز أحد رجال بنى تميم نصيرًا قويًا
لهم في مقارعة قبيلة الأزد التي يشعرون بنوع من الانحياز ضدها، فأسهم الصراع
القبلي في كسب شعراء بنى تميم ضد يزيد بن المهلب وقبيلته التي كان لها مواقف
عدائية ضد تميم وحلفائها بكر بن وائل في ولاية عدى بن أرطاة الفزارى على
البصرة حين قدمها يزيد بن المهلب ساخطًا على يزيد بن عبد الملك^(٤)، حيث يقول
ذو الرمة:

(١) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٤٣٤.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٠٤ (قندابيل). وهي قصبة لولاية يقال لها النُدْهة.

(٣) ديوانه، ١/ ٤٧٠-٤٦٩. ينظر أيضًا: ١/ ٤٧٥، ١/ ١٨٠-١٨١، ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢٧٨-٥٨٠.

رفعت مجدّ تميم يا هلال لها
حتى نساء تميم وهى نائية
لو يستطعن إذا نابثك نائبة
تمنت الأزد إذ غبت أمورهم
كانوا ذوى عَدَدٍ دثر وعائرة
فما تركت لهم من عين باقية
بالسند إذ جمعنا تكسو جماجمهم
ردت على مضر الحمراء شدثنا
والحى بكرٍ على ما كان عندها
جئنا بأئارهم أسرى مقربة
فى طحمة فى تميم لم يُصكُّ بها
لولا النبوة أعطوه بنى رجلٍ

رفع الطرف على العلياء بالعمد
بقلّة الحزن قالصما فالعقد
وقنبك الموت بالآباء والولّد
أن المهلب لم يُولد ولم يلد
من السّلاح وأبطالاً ذوى يلد
إلا الأرامل وأيتام من أحد
بيضا تُداوى من الصّورات والصيد
أو تارها بين أطراف القنا القصد
من القطيعة والخذلان والحسد
حتى دفعنا إليهم رُمة القود
رُكباً كبير لا مسى مائل السند
حبل المقدّاة فى بحر ولا بلد^(١)

دفع فخر ذى الرمة بقبيلته تميم نحو الميالغة حتى أنه رأى فيها معدن القيادة
والملك لولا النبوة التى خُصت بها قريش، فقد تحوّل مدحه إلى هلال بن حوز
وصراعه من ابن المهلب إلى كشف لنزوع شخصى يرى فى النفس قوة، وفى القبيلة
سخموا، ثم غدا تعصباً واضحاً ينبجلى عن صراع خفى بين قبائل مضر وقبائل
اليمن، وهذا ما فعله شاعر تميمى آخر هو الفرزدق الذى يقول:

أحلُّ هُرَيم يوم بابل بالقنا
نذور نساء من تميم فحلّت
فأصبحن لا يشرين نفساً بنفسه
من الناس، إن عنه المينة زلت
يكون إمام الخيل أول طاعن،
ويضرب أخراها، إذا هى ولّت

(١) ديوانه، ١٤٧-١٤٩.

عشية لا يدري يزيد أينتحى على السيف أم يعطى يدًا حين شئت؟^(١)

يشير إلى الواقعة التي قتل فيها يزيد بن المهلب حيث تشفى بنو تميم بالأزد الذين قاتلوهم عندما غلب يزيد على البصرة، فبعث الخليفة يزيد بن عبد الملك بجيش قوامه ثمانون ألفاً، كما في قول الفرزدق:

أتاك ابن مروان يقودُ جنودَهُ ثمانين ألفاً، خيلُها قد أظلت
فلم يُغنِ ما خندقت حولك نقرَةً من البيض من أعمادها حين سُلّت
كأنَّ رؤوسَ خطبانٍ حنظلٍ تجزُّ أكتافهم حين ولّت
أتتك جنود الشَّام تخفق فوقها لها خرق كالطير حين استقلت
تخبرك الكُهان أنَّك ناقضٌ مدشق التي كانت إذا الحرب حرّت^(٢)

وفي الطرف الآخر انحاز شعراء الأزد إلى يزيد بن المهلب، فقال نهار بن توسعة من بكر بن وائل يرثي يزيداً ويعرض بقتيبة الذي خلفه على خراسان، لأن بكرًا كانوا حلفاء للأزد^(٣)، فقال نهار:

كانت خراسان أرضاً إذ يزيدُ بها وكلُّ بابٍ من الخيرات مفتوحُ
فاستبدلت قتيباً جعداً أناملُهُ كأنما وجهُهُ بالخل منضوحُ
هبت شِمالاً حريقاً أسقطت ورقاً واصفرَّ بالقاع بعد الخضرة الشيخُ
فارحل هُديت، ولا تجعل غنيمتَنا ثلجاً تصفقه بالترمد الريحُ
إن الشتاء عدولاً نقابلهُ فارحل هُديت وثوبُ الدَّفء مطروحُ^(٤)

(١) ديوانه، ١/ ١١١. وهريم هو ابن أبي طمحة المجاشعي الذي ذكره الطبري: تاريخ، ٦/ ٩٥٠.

(٢) نفسه: ١/ ١١١-١١٢. ينظر: فائته التي مدح بها هلال بن أحوز، ٢/ ٢١٢. فاقته التي قالها حين لحق مسلمة بـ (قنديل) لقتال آل مهلب، ٢/ ٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦/ ٥٧٨-٥٨٠؛ عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٢٨٤.

(٤) شعره، ٩٧؛ الأمدى: الموثلف، ٢٩٦. البيتان الأول والثاني فقط.

وهذا ما يشير إلى أن ولاءات الشعر خضعت لظروف وعلاقات قبلية، فقد كان ولاى ثابت قطنة لآل المهلب ولأء قبلًا لأنه أزدى، لذا رثى يزيد بن المهلب فقال:

عَادَ قَصِيرُهُ لَيْلًا تَمَامًا	أَلَا يَا هِنْدُ طَالَ عَلَى لَيْلَى
سُقِيتُ لِعَابِ أَسْوَدَ أَوْ سَمَامَا	كَأَنِّي حِينَ حَلَقْتَ الثُّرَيَّا
مِنَ الْأَيَّامِ شَيْئِي غَلَامًا	أَمْرٌ عَلَى حُلُوِّ الْعَيْشِ يَوْمٌ
فَلَمْ أَشْهَدْهُمْ وَمَضُوا كِرَامَا	مُصَابَ بَنَى أَبِيكَ وَغَبْتُ عَنْهُمْ
وَلَا الْقَتْلَى الَّتِي قُتِلَتْ حَرَامَا	فَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَى يَزِيدَا
يَزِيدَا أَوْ أَبِوءَ بِهِ هِشَامَا	فَعَلَى أَنْ أَبِوءَ بِأَخِيكَ يَوْمًا
شَوَارِبَ ضُمَّرًا تُقْصُّ الْأَكَامَا	وَعَلَى أَنْ أَقْوَدَ الْخَيْلَ شُعْمَا
وَعَكَا أَوْ أَرُغَ بِهِمَا جَذَامَا	فَأَصْبَحُوهُنَّ حِمِيرَ مَنْ قَرِيبِ
مِنَ الدِّيفَانِ أَنْفَاسًا قَوَامَا	وَنَسْقَى مَذْحَجًا وَالْحَى كَلْبَا
تَجْرِبَنَا زَكَامًا يَعَامَا	عِشَانِرْنَا الَّتِي تَبْغَى عَلَيْنَا
لَأَسْبَحَ وَسَطْنَا مَلَكًا هُمَامَا ^(١)	وَلَوْلَاهُمْ وَمَا جَلَبُوا عَلَيْنَا

تبدو الروح القبلية فى مراثى ثابت قطنة لابن المهلب واضحة، وطلبه بثأره من يزيد بن عبد الملك أو هشام مشيرًا إلى فكرة (البوء)^(٢)، أى رجع أو ألج أو أرجأ، معرضًا بالقبائل اليمانية التى ساندت الأمويين من أمثال: جهير، ومذجع: وكلب. وقد قاده انحيازه نحو يزيد بن المهلب إلى تبني فكرة (الإرجاء) أى التأخير، لأن المرجئة يقولون بتأخير صاحب الكبيرة على القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار^(٣)، وذلك من خلال دفاعه عن فكرة

(١) شعره، ٦٠. ينظر مبيته التى رثى بها ابن المهلب، ٥٧-٥٩.

(٢) ابن منظور: لسان، ١/ ٢٨٣ (بوأ).

(٣) الشهرستانى: الملل، ١/ ٢٢٣.

إرجاء عقوبة الخارجين عن سلطان الدولة وإجتماع السواد الأعظم، فرأى في شخصية يزيد بن المهلب وسيلة لبث أفكاره وتوكيدها، حيث يقول ثابت قطنة:

أيا خالٍ زدت الحياةَ محبةً إلى الناسٍ إن كنت الأميرَ المتوجاً
وحقٌ لهم أن يرغبوا في حياتهم وبابك المفتوح لمن خاف أو رجا
يزيد الذى يجرونك تفصلاً وتؤمن ذا الأجرام إن كنت مُحرجاً^(١)

وكان بعض المرتجة قاتلوا مع جيش ابن المهلب^(٢)، فعمل ثابت قطنة تأثر بهم، فقد كانت له قصيدة تعدُّ وثيقةً مهمةً من وثائق الإرجاء التى يقول فيها:

يا هندُ إنى أظنُّ العيشَ قد نفدا ولا أرى الأمر إلا مُدبراً نكدًا
إنى رهينةٌ يومٍ لست سابقه ألا يكن يومنا هذا فقد أفدا
بأيعتُ ربي بيعاً إن وفيتُ به جاورتُ قتلى كراماً جاوروا أحدا
يا هندُ فاستمعى لى أن سيرتنا أن نعبد الله لا نُشرك به أحدا
تُجرى الأمور إذا كانت مشبهةً ونصديقُ القول فيمن جار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون اشتوا دينهم قيدا
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً م الناس شركاً إذا ما وحدوا الصدا
لا نسفك الدّم إلا أن يُراد بنا سفك الدماء طريفاً واجداً جُدا
مَن يتق الله فى الدنيا فإن له أجراً التقى إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمرٍ فليس له ردُّ وما يقض من شيءٍ يكن رشدا
كُلُّ الخوارج مُخطئ فى مقالته ولو تعبد فيما قال واجتهدا

(١) الطبرى: تاريخ، ٥٩٩/٦.

(٢) شعره، ٣٩-٤٠، الأصفهاني: الأغاني، ٢٥٤/١٤.

أما على وعثمانُ فإنهما عبدان لم يشركا بالله مُذ عبدا
وكان بينهما شَغْبٌ وقد شهدا شَقُّ العصا، ويعين الله ما شهدا
يُجزى على وعثمانُ بسعيهما ولستُ أدري بحقّ آيَةٍ ورّدا
الله يعلمُ ماذا يحضران به وكلُّ عبدٍ سيلقى الله منفرداً^(١)

جالس ثابت قطنة "قومًا من المرجئة كانوا يجتمعون فتجادلوا بخراسان،
فمال إلى قول المرجئة وأحبه، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في
الإرجاء"^(٢)، والتي تشير إلى فكرة تأجيل الحساب إلى يوم القيامة. فكانت وثيقة
لعقيدة الإرجاء في الكشف عن جوانب مهمة من أفكارهم لأن المرجئة
يرجئون الحكم على الأعمال^(٣)، مما يجعل الشعر سجلاً يحفظ الوقائع والعقائد
والأفكار، وديوانًا يحتوى بين دفتيه مادة غنية بالأحداث، وغزيرة بمشاعر
الإنسان وأحاسيسه التي يمكن أن تعبر عن واقعة السياسى والاجتماعى وظروفه
الاقتصادية ومعتقداته الدينى، فكان ثابت قطنة شاعر المرجئة^(٤) في هذه القصيدة مما
يجعل شعره في يزيد بن المهلب ذا أثر فاعل في كشف جوانب مهمة من عقيدة
الإرجاء التي نمت في هذه المرحلة بعيدًا عن توجيهات الدولة الأموية التي كانت
ترى في فكر الخوارج وتطلعاتهم خطرًا على كيانها وعلى وحدتها، فقد أشار هذا
الشعر إلى عقيدة راسخة ونزوع قبل معارض وبحث مستديم عن المنفعة في ظل يل
مهلب الأزديين، أو عن الحرية التامة البعيدة عن التقيد بالسياسة العامة، أو ما
يسمى بالتحليق خارج السرب.

(١) الأصفهاني. الأغاني، ٤/ ٢٥٣.

(٢) ينظر: ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة
الرابعة، دون تاريخ)، ٧٦.

(٣) ثابت قطنة: شعره، ٢١. ينظر: تفاصيل شرح القصيدة: أمين، أحمد فجر الإسلام (لجنة التأليف
والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٦٤م)، ٢٨١-٢٨٢.

(٤) السמידع بن واهب بن سوارين بن زهدم البصري. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣٠٣/ ٨؛ ابن
حجر: تهذيب، ٤/ ٢١٠.

ووقف الفرزدق ضد المرجئة، وبالذات السَّمِيع^(١)، ووصفه بالحرورى والمارق، فقال:

فدى لرؤوس من تميم تتابعوا إلى الشام لم يرضوا بحكم السَّمِيع
أحكم حرورى من الدين مارق أضل وأغوى من حمارٍ مُجَدِّع^(٢)

بينما وقف أحد الخوارج، وهو محارب بن دثار (ت، ١١٦هـ/ ٧٤٣م) مدافعاً عن فكرة الإرجاء موضحاً عقيدتها مما يكشف عن اللقاء الفكرى بينه وبين ثابت قطنة فى قصيدته الآتفة الذكر حيث يقول محارب:

يُعيب على أقوام سفاها بأن أرجى أبا حسنٍ علياً
إرجائى أبا حسنٍ صواب عن العُمَريْنِ براً أو شَقِيًّا
فإن قَدَمْتُ قومًا قال قومٌ أسأتَ وكنتَ كذاباً ردياً
إذا أيقنت أن الله رُبُّى وأرسلَ أحمدًا حقًّا نبياً
وأنَّ الرُّسلَ قد بُعثوا بحقٍّ وأنَّ الله كانَ لَهُم وَلِيًّا
فليس على فى الإرجاء بأسٌ ولا لَبْسٌ وليس أخاف شيئاً^(٣)

مما بُنىء عن شيوع فكرة الإرجاء ووجود من يدعو لها من الخوارج، فكانت عقيدة غايتها تثبيت هم الجند الذين يحاربون من يخرج عن سلطة الدولة، لأنهم يعتقدون بإرجاء عقوبة من يخرج عن الإجماع إلى يوم القيامة.

ومن الملاحظ أن مناصرى الأمويين حاولوا أن يوجدوا علاقة بين تمرد يزيد بن المهلب والحرورية كما قال العجاج، أحد شعراء تميم، مخاطباً مسلمة بن عبد الملك فى قتاله ليزيد بن المهلب:

(١) ديوانه، ٤٠٩/١. وهو يشير إلى هريم المجاشعي الذي كره الفتنة ولحق بالشام.

(٢) ديوان الخوارج، ١٩١-١٩٢.

(٣) ديوانه، ٤٦٧؛ والرجز منسوب أيضاً لرؤبة بن العجاج. ديوانه، ٦٢.

قَدْ فَرَّقَ النَّاسُ، وَمَا عَيَتْ
 مِنْ أَيْنَ أَتَى الْأَمْرَ إِذْ أَتَيْتُ
 رَهْنَ الْحُرُورَيْنِ قَدْ صُورِتُ
 صَمَاءَ صُمَّ طَيْرُهَا سُكُوتٌ^(١)

والمعروف أنه لا صلة بين ابن المهلب والحوريين وإن حاولت بعض عناصرهم بث افكارها في صفوف أنصاره، لأنه انطلق من موقف أتى أملته نزعته الاستقلالية في إدارة أمور ولايته، واستمرار الحروب والمنازعات مع السُغد، فصارت الحرب بالنسبة له عملاً يوميًا كما هو الحال عند أبيه. ويبدو أنه شاع نوع من الاعتقاد لدى عامة الناس بأن كل من يخرج عن حظيرة الدولة وسيادتها لابد وأن ينتمى من قريب أو بعيد إلى إحدى فرق الخوارج. فهذا رؤية يمدح مسلمة بن عبد الملك فيصف حربه أنها ضد القدرين^(٢)، فيقول:

فَقُلْتُ وَالْمَعْلَى حَفِظَ الْكِتَابُ
 وَالْقَدَرِيُّونَ بِقَوْلٍ مُرْتَابُ
 وَالْقَدَرِيُّونَ بِحَبْلِ جَذَابُ
 يَقْدِرُ الْمُعْلَيْنِ دِلَاءُ الْأَكْرَابُ
 سَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ عِنْدَ الْمِيجَابُ
 دَعَهُمْ سَيَلْقُونَ، أَعَدَّ الْحُسَابُ^(٣)

لعله يشير إلى قولهم الذي ساقوه بأن "الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة

(١) ديوانه، ٤٦٧؛ والرجز منسوب أيضًا لرؤية بن العجاج. ديوانه، ٦٣

(٢) وهم أتباع معبد بن خالد الجهني الذين قالوا في القدر والاستطاعة. البغدادي: الفرق، ١٨.

(٣) ديوانه، ٦.

أبيهم" ^(١). فوصف قولهم بالمرتاب، لأنهم يقولون ما يصعب تحقيقه من الناحية العملية.

وفي سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) ^(٢) غزا المسلمون السُغد والترك، وكان ثابت قطنة على ميسرة الجيش في واقعة قصر الجاهلي، فقال:

فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسٍ مِنْ تَمِيمٍ	غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكَ الْمَقَامِ
فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسًا اِكْتَفُونِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهْجِ الْقَتَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِي وَقَدْ رَأَوْنِي	أَحَامِي حَيْثُ ظَنُّ بِهِ الْحَامِي
بَسِيفِي بَعْدَ حَطَمِ الرَّمْحِ قَدَمًا	أَذْ وَدْهَمِ بَذَى شَطْبِ حَسَامِ
أَكْرُهُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا	كَكَرَشِ الشَّرْبِ أَنْيَةِ الْمُدَامِ
أَكْرُبُهُ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى	تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
قَلُّوْا لِلَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ	وَضُرِبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
إِذْ لَسَعْتَ نِسَاءَ بَنِي دُثَارٍ	أَمَامَ التَّرِكَ بَادِيَةِ الْخَدَامِ
فَمَنْ مِثْلَ الْمُسَيْبِ فِي تَمِيمٍ	أَبَى يَشِيرُ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ ^(٣)

وثق هذا الشعر الواقعة الحربية التي دارت مع السُغد والأتراك في قصر الباهلي واسم ملك السغد ومن قتله وبلاء المسيب بن بشر الرياحي في هذه الواقعة وحماسة المقاتلين حتى لا تصبح نساء بنى دثار سبايا عند الأتراك. فهو شعر يواكب الحدث ويحفظه وينطلق من مدياته المكانية والنفسية ومن جوهر حركة الصراعات وبواعثها ونتائجها.

(١) الشهرستاني: الملل، ٣٦-٣٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦٠٧-٦١٠. لعله يشير إلى قصر قتيبة بن مسلم الباهلي.

(٣) شعره، ٥٥-٦٥؛ الطبري: تاريخ، ٦١١/٦. ينظر في هذا المكان ما قاله جرير عن المسيب.

ثم قطع سعيد خُذينة^(١) نهر بَلخ^(٢) وغزا السغد بعد أن نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين، وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا فغنموا وسبوا رد ذرارى السبى وعاقب السرية^(٣). فقال الشاعر:

وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ وَنَتَّ عَلَيْنَا كَالْخَسَامِ الْمُهَنْدُ
فَلَلَهُ دُرُّ السُّغْدِ لِمَا تَحْزَبُوا وَيَا عَجَبًا مِنْ كَيْدِكَ الْمَتَرْدُ^(٤)

يبدو أن الاتجاه العام الذى صار عند الناس فى أقاليم المشرق هو احترام السياسية التى تعتمد على الحزم والقوة لأنها الوسيلة الفعالة فى رد هجمات الجماعات غير المسلمة فى المناطق الحدودية المتاخمة للدولة الإسلامية كالسغد والترك، ولذلك استاء الناس من سياسة اللين التى ظهرت عند سعيد بن عبدالعزيز مما دفع بعض الشعراء إلى هجائه ووصفه بأوصاف النساء، فقال إسماعيل^(٥):

زَعَمْتَ خُذَيْنَةَ أَنْتَى مِلْطُ خُذَيْنَةَ الْمِرَاةِ وَالشَّيْطُ
وَمَجَامِرٌ وَمَكَاحِلٌ جُعَلْتُ وَمَعَارِزُفٌ وَبَخْدَهَا ثَقُلُ^(٦)

يعبر هذا الشعر عن حاجة الدولة والمجتمع إلى ولاة أشداء من أمثال المهلب وابنه يزيد وقتيبة بن مسلم ومسلمة بن عبد الملك... وغيرهم، فيكون من الراجح أن سعيد بن عبدالعزيز قد مثل سياسة جديدة أرادها الخليفة يزيد بن عبد الملك تقوم

(١) هو سعيد بن عبدالعزيز بن الحراث بن الحكم بن ابي العاص الأموي، والى خراسان لمسلمة عبد الملك لقب ب (خذينة) لأنه كان رجلا لنا سهلا متنعما، وقيل لأنه لم يطاوع اليمانية فضعفوه. ترجمته: الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦٠٥، ابن حزم: جهرة، ١٠٩.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٧٩ (بلخ).

(٣) الطبرى، تاريخ، ٦/ ٦١٢، ٦١٤.

(٤) نفسه، ٦/ ٦١٤. ينظر: البيت الثاني برواية أخرى عند البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٦١.

(٥) لعله إسماعيل بن يسار مولى بني تميم من قريش. ترجمته: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أليك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، باعتناء يوسف فإن اس، الجزء التاسع (دار نشر فزانز شتاينر بفيسبادن، مطابع دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٢٤١.

(٦) البلاذرى: أنساب، ٥/ ١٦٢، الطبرى: تاريخ، ٦/ ٦١٤.

على اللين مع الجماعات الحدودية ومحاولة إقناعهم الدخول في الإسلام عن طريق الإقناع وتوفير ما هو أفضل مما هم فيه بدلا من الاستمرار في منهج العنف والقتال معهم.

وكان من نتائج سياسة اللين هذه أن جرى عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان، وتولية عمر بن هبيرة^(١) مكانه، ثم عزل ابن هبيرة بعد ذلك^(٢)، فقال الفرزدق:

مضت لمسلمة الركابُ مُودَّعا، فأرعى فزارة، لا هناك المَرْتَعُ
ولقد علمتُ ولين فزارةُ أمرتُ أن سوف تطمَعُ في الإمارة أشجعُ
إن القيامة قد دنت أشراطها، حتى أُمية عن فزارة تَنزُعُ^(٣)

يبدو أن الصراع القبلي بين تميم وفزارة، وما كان بين عدى بن أرطاة الفزارى وإلى البصرة حين غلب عليها يزيد بن المهلب وبين بنى تميم، كان سببا في شعر الفرزدق هذا، فكان له أثره في نكبة ابن هبيرة الفزارى، إذ أنَّ الموازنة بين القبائل تعرض بعض الأحيان إلى نوع من الاختلال نتيجة اختلاف ميول الخلفاء الأمويين نحو القبائل بتأثير الخؤولة؛ لهذا ظل صراع القبائل اليمانية والقيسية قائما، فكان أحد أسباب ضعف إدارة الدولة وتعرضها لنكسات وصراعات وحركات الخروج المستمرة.

وفي سنة (١٠٣هـ/ ٧٢١م)^(٤) عزل عمر بن هبيرة سعيد خزيمة واستعمل سعيد^(٥) بن عمرو بن الأسود الحرشي، فقال نهار بن توسعة:

فَمَنْ ذا مِبلَغٌ فتِيان قومِي بأنَّ الثَّبلَ ريشَت كلِّ ريشِ

(١) عمر بن هبيرة بن معية بن سكين الفزارى (ت، ١٠٧هـ/ ٧٢٥م). ترجمته: الذهبي. سير، ٥٦٢/٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/٦١٦.

(٣) ديوانه، ١/٤٠٨؛ الطبري: تاريخ، ٦/٦١٦ مع اختلاف الرواية.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/٦١٩.

(٥) أحد بني عامر بن صعصعة. نفسه، ٦/٦١٩.

بأن الله أبدل من سَعِيدٍ سَعِيداً إلّا المَخْتُتَ من قَرِيشٍ^(١)
وقال شاعر يصفه أيضاً:

تَبَدَّلْنا سَعِيداً مِنْ سَعِيدٍ لَجْدُ السُّوءِ والقَدْرِ المُتَاحِ^(٢)
فلما قُجِدَ الحَرَشَى خُطِبَ الجُندُ وأنشدهم:

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرُونِي أَمَامَ الخَيْلِ أَطْعَنُ بالعَوَالِي
فَأُضْرِبُ هَامَةَ الجُبَّارِ مِنْهُمْ يَعْضِبُ الحَدَّ حُودُثَ الصُّقَالِ
فَمَا أَنَا فِي الحُرْبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مِصَاوِلَةَ الرُّجَالِ
إِذَا خَظَرَتْ أَمَامِي حَى كَعْبٍ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالٍ^(٣)

إنَّه يشير إلى أنَّ سياسته ستكون باستخدام الشدة من أجل حماية ثغور الدولة في بلاد السغد، إذ استمرت جهود الحرسى في ملاحقتهم، فغزاهم في سنة ١٠٤ هـ ٧٢٢م^(٤) فقتل بعض دهاقينهم، فقال ثابت قطنة:

أَقْرَّ العَيْنَ مَصْرُغُ كَارِ ذَنْحٍ وَكَشْكِيرٌ وَمِلاقَى يُبَادِثُ
وَدْيُوشَتَى وَمِلاقَى خِلَاجٍ بِحِصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دُمِرُوا فَبَادُوا^(٥)

يوثق البيتان أسماء رجالٍ قُتِلُوا مِنَ السُّغْدِ في أحد حصونهم، فكان الشعر سجلاً يحفظ الحدث التاريخي، كما تحفظه الكتابة النثرية. فلما قتل سعيد الحرسى أحد الدهاقنة وصلبه في الميدان^(٦)، قال الراجز:

(١) شعره، ٩٩-١٠٠؛ الطبري: تاريخ، ٦/٦١٩.

(٢) الطبري: تاريخ، ٦/٦١٩.

(٣) نفسه، ٦/٦٢١.

(٤) نفسه، ٧/١٠.

(٥) شعره، ٤٤؛ الطبري: تاريخ، ٧/١٠ مع اختلاف الرواية.

(٦) الطبري: تاريخ، ٧/١٢.

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ فِي الْأَحْمَاسِ فِي رَهْجٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
 دَارَتْ عَلَى الثَّرَكِ أَمْرُ الْكَاسِ وَطَارَتْ الثَّرَكُ عَلَى الْأَحْلَاسِ
 وَلَوْ فِرَارًا عَطَّلَ الْقِيَاسِ^(١)

يوضح هذا الرجز وضع العدو الذي حاربه الحرشى، فيكشف عن أسلوب جيد في مواجهة الخصم حيث الاعتماد على الشدة التى تسببت في هزيمة العدو، بما يبرز وجود متغيرات جديدة في كيفية التعامل مع السُّغد بعد توفر القناعة بأن سياسة اللين لا تؤدى إلى حماية ثغور الدولة. ومع ذلك جرى عزل الحرشى وإيداعه السجن وتولية مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي^(٢) على خراسان^(٣). وهو الآخر كالحرشى من القبائل القيسية، مما يعنى أن القبائل اليمانية بخراسان بدأت تفقد نفوذها وسلطانها، لذا قال أحد الشعراء يواسيه:

تَصْبِرُ أَبَا يَحْيَى فَقَدْ كُنْتَ - عَلِمْنَا
 صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثِقَلِ الْمَغَارِمِ^(٤)

وحين زيد في قيوده تمثل فقال:

فَإِمَّا تَتَقَفُونَنِي فَاقْتُلُونَنِي فَمَنْ أَثَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودِ
 هُمُ الْأَعْدَاءُ إِنْ شَهِدُوا وَلَوْ غَابُوا أُولُو الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادِ سُودِ
 أَرِغُونَنِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحْدَةً كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ^(٥)

جرى تمثل هذه الأبيات من باب الحكمة.

كان عهد يزيد بن عبد الملك على الرغم من شبابه عهد خمول وانكماش، وظهور بعض الاضطرابات، ففيه بدأت بوادر الدعوة العباسية في سنة (١٠٠هـ/

(١) نفسه.

(٢) ينظر: أخباره: نفسه، ١٨/٧.

(٣) نفسه، ١٥/٥.

(٤) نفسه، ١٦/٧ والشعر لأذينة بن كليب أو كليب بن أذينة.

(٥) نفسه، ١٩/٦.

٧١٨م^(١) التي تعاضم أمرها في خراسان في سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م)^(٢) نتيجة ميله نحو اللهو^(٣) ومحاولة تنحية أخيه هشام بن عبد الملك (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م) من ولاية العهد مما فتّ في عَضد وحدة الأسرة الأموية، وذلك عندما كتب إليه بقوله: "أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورمت الخلافة، وكتب في آخره:

تَمَنَّى رجالٌ أن أموتَ وإن أُمْتُ	فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
وقد علموا لو ينفعُ العلمُ عندهم	مَتَى مُتُ ما الباغي على بمخلدٍ
منيته تجرى لوقتِ حَتَفِهِ	يصادفُهُ يوماً على غيرِ موعدٍ
فقل للذي يبقى خلاف الذي مَضَى	تَهِياً لأخرى مثلها وكأنَّ قَدْ ^(٤)

وفي سنة (١٠٥هـ / ٧٢٣م)^(٥) توفي يزيد بن عبد الملك فكانت وفاته مفاجأة زعزعت كيان الدولة، ودفعت بخليفته على اتخاذ إجراءات جديدة لتبدأ مرحلة مشحونة بالأحداث الجسام والصراعات المحتدمة، مما يعني أن عهد يزيد كان عهد قلق وخول أخذ يسرى في جسد الدولة صاحبه نفوذ قوى عديدة تنهياً لصراعات محتدمة ومطامع كبيرة ستظهر تدريجياً على سطح الأحداث بوضوح.

(١) نفسه، ٦ / ٥٦٢.

(٢) نفسه، ٦ / ٦١٦.

(٣) نفسه، ٦ / ٢٢-٢٤.

(٤) ابن كثير: البداية، ٩ / ٢٣٢.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧ / ٢١.

الفصل الخامس

المروانيون المتأخرون

(١٠٥-١٣٢هـ / ٧٢٣-٧٤٩م)

هشام عبد الملك بن مروان^(١) (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م):

أحدثت محاولات الوليد بن عبد الملك في إزاحة أخيه سليمان عن ولاية العهد، ومحاولات يزيد ابن عبد الملك في إزاحة أخيه هشام عن تولي الخلافة وحرمانه من ولاية العهد، شرخاً في وحدة الأسرة الأموية الحاكمة، فانسحب تأثير ذلك على المنهج السياسي الذي اتبعه هشام بن عبد الملك عندما تولى الخلافة في تعامله السلبي مع الولاة الذين كان لهم الأثر الكبير في تثبيت ركائز النظام السياسي للأمويين السابقين له.

ويبدو أن هذا التأثير كان أحد العوامل الفاعلة في ظهور مرحلة العدّ التنازلي لقوة الخلافة، ولم تنجح معها حالة الاستقرار النسبي الذي شهدته أيام هشام في إضعاف تأثير هذا العامل.

ففي سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٣م)^(٢) أقدم هشام على عزل عمر بن هبيرة عن العراق والمشرق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري^(٣) (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) والذي عرف عنه بأنه كان شديداً، فهجاه الفرزدق فقال:

سلوا خالدًا، لا أكرم الله خالدًا: متى وليت قسراً قريشاً تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده، فتلك قريش قد أغث سمينها

(١) ولد هشام سنة (١٩٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ، ٦٧/ ٨٣؛ الذهبي: سير، ٣١٥/ ٥.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٤٩ وفيه سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م)؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٦.

(٣) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز الجلي القسري (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م): ترجمته: البخاري،

محمد بن إسماعيل (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): التاريخ الكبير، الجزء الثاني - القسم الأول (حيدر آباد الدين، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ). ١٤٥؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٢٢٦.

رجونا هُداة، لا هدى الله خالداً فما أُمُّهُ بِالْأُمِّ يُهْدَى جَنِينُهَا^(١)

أما جرير فقد مال إلى ابن هبيرة لصلات طيبة بينهما ولذلك قال فيه:

إذا أولى النجوم بَدَتْ ففَارَتْ وقلت: أنى من الليل انتصافُ
حسبت النوم طار مع الثريا وغَلِظَ الفراشُ ولا اللُحافُ
أبا حفصٍ مخافة كل ظلم عليك وكيف يهيجُ من يخافُ
وأدعو الله فيك وأن يُجَلِّى عماية ما يُزايِلُها انكشافُ
وإن يمدوكَ إذ هزوكَ صَلَّتَا عَفِيفاً من سَجِيَّتِكَ العَفَافُ^(٢)

وشهدت سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م)^(٣) صراعاً دامياً بين القبائل اليمنية والقيسية، فالتقى الطرفان المتصارعان في يوم البروقان^(٤)، فقال نصر بن سيار^(٥):

أرى العينَ لجت في ابتدار وما الذى يردُّ عليها بالدموع ابتدارُها!
فما أنا بالوانى إذا الحرب شمرت تحرقُ فى شَطْرِ الخُمَيسِ نارُها
ولكننى أدعولها خندفَ التى تطلُّعُ بالعبءِ الثقيلِ فقارُها
وقد جربتُ يومَ البروقانِ وقعةً لخندفٍ إذ حانتَ وأنَّ بوارُها
أتئنَ لقيسٍ فى بجيلةٍ وقعةً وقد كانَ قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها^(٦)

وقال أحد الشعراء يذكر يوم البروقان:

(١) ديوانه، ١/ ٣٠١. ينظر: رثاء أبي العطاء السندي لعمر بن هبيرة. أبو تمام: ديوان الحماسة، ٢٢٦.

(٢) ديوانه، ٢/ ٧٩٩.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٠-٣١.

(٤) بلدة من نواحي بلخ. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٠٥ (بروقان).

(٥) نصر بن سيار بن رافع الكناني (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م). ترجمته: الجهشيارى: الوزراء، ٦٦؛ الذهبي، سير، ٥/ ٤٦٣.

(٦) نصر بن سيار الكناني (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م): ديوانه، تحقيق عبدالله الخطيب (مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢م)، ٣٦؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣١-٣٣.

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَأَلِ تَمِيمٍ أَرْجَفْتُ كُلَّ مُرْجَفٍ
تَظِلُّ عِيُونَ الْبُرْشِ بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ إِذَا ذُكِرَتْ قَتْلَى الْبَرْوَقَانِ تَذُوفٍ
هُمْ أَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ وَوَلَوْ شِلَالًا وَالْأَسْنَةُ تَرَعَفُ
وَكَانَتْ مِنَ الْفَتَيَانِ فِي الْحَرْبِ عَادَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ^(١)

شكل هذا التناحر القبلي خطرًا كبيرًا على وحدة الدولة ووحدة المسلمين بخراسان، إذ نقلت القبائل العربية صراعاتها إلى خراسان وأسهم الولاة في تنميتها، فإذا جاء والٍ يمانى التفت القبائل اليمانية حوله ونصرته وقوّت موقفه وشدّت من ساعده. أما إذا جاء والٍ قيسى فتلتف حوله القبائل القيسية، مما هيأ للقائمين على نشر الدعوة العباسية إمكانية الاستفادة من هذا الظرف للسعى الحثيث على جمع قواها وحشد طاقاتها. فكان الشعر صورة ناطقة للأحداث، ووثيقة حية لقراءة تاريخ هذه المرحلة، فقد اقترن شعر نصر بن سيار بالأحداث وواكبها ليدون الكثير منها بعد أن انتشرت الصراعات بين بطون القبائل ودفعتها نحو التناحر، فقد مال بنو قتيبة الباهلي إلى تغلب "فقالوا: إنّنا من تغلب، فكرهتُ بكر أن يكونوا من تغلب فتكثر تغلب، فقال رجل منهم:

زَعَمْتَ قَتِيبَةَ أَتَاهَا مِنْ وَائِلٍ نَسَبٌ بَعِيدٌ يَا قَتِيبَةُ فَاصْعَدِي^(٢)

لذا كان الشعر صدى مباشرًا للأحداث، فقد أشار إلى قتال عمرو بن مسلم^(٣) مع نصر بن سيار في وقعة البروقان وعلى استفحال الصراع القبلي حيث برزت الكثير من الثارات القديمة التي أعطت نتائج سلبية في وحدة المجتمع العربي الإسلامي في تلك البقاع والشعور.

(١) الطبري: تاريخ، ٣٢/٧ والشعر لبيان العنبري.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣٠/٧.

(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٢٢٩/٧. ابن حجر: تهذيب، ٩٢/٨.

وفي سنة (١٩٧هـ/ ٧٢٥م)^(١) غزا أسد بن عبدالله القسري^(٢) الغُور^(٣)، فعمد أهلها إلى أنقاعهم فصيّروها في كهفٍ ليس إليه طريق فأمر أسد باتخاذ تواييت ووضع فيها الرجال، ودلاها بالسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه. فقال ثابت قطنة:

أرى أشدَّاً تَضْمَنَ مَفْظَعَاتِ	تَهَيَّبَهَا الْمُلُوكُ ذُورَ الْحِجَابِ
سَمَا بِالْخَيْلِ فِي أَكْنَافِهِ مَرِيرٍ	وَتَوَفَّرُهُنَّ بَيْنَ هَلَا وَهَابِ
إِلَى غُورِينَ حَيْثُ حَوَى إِذْ بَ	وَصَكَ بِالسَّيُوفِ وَبِالْحِرَابِ
هَدَانَا اللَّهَ بِالْقَتْلِى تَرَاهَا	مُصَلِّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ
مَلَا حِمُّ لَمْ تَدْعَ لِسِرَاوِ كَلْبِ	مَهَاتِرَةً وَلَا لِبَنَى كِلَابِ
فَاوْرَدُوهَا النَّهَابَ وَأَبَ مِنْهَا	بِأَفْضَلِ مَا يُصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وَكَا نَ إِذَا أَنَاخَ بِدَارِ قَوْمِ	أَرَاهَا الْمَخْزِيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
أَلَمْ يَزِرِ الْجِبَالَ جِبَالَ مُلَعٍ	تُرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعُ السَّحَابِ
بَارِعَنَ لَمْ يَدْعَ لَهُمْ شَرِيدَا	وَعَاقِبَهَا الْمُرْضُ مِنَ الْعِقَابِ ^(٤)

كان ثابت قطنة شاعر الأزدي والمقدم عند المهلب وابنه يزيد، فلما ولى أسد القسري خراسان استرد مكانته، وأصبح خليفته حين خرج إلى الترك^(٥)، فجاء شعره شاهداً على الأحداث ومؤثراً في تدوينها لأنه ينطلق من صميمها.

وحاول أسد أن يديم قوة الجيش فأقدم على نهج إسكان المقاتلين في المناطق المفتوحة. وقد ذكر الطبري هذا المنهج بشكل واضح عندما قال: "فاقطع كل من كان بالبرقان مسكنًا بقدر مسكنه، ولمن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنًا، وأراد أن

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٥١ وفيه سنة ١٠٨هـ؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٤٠-٤١.

(٢) هو أخو خالد القسري. ترجمته: الذهبي: العبر، ١/ ١٠١؛ ابن حجر: تهذيب، ١/ ٢٢٨.

(٣) جبال ولاية بين هراة وغزنة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢١٨ (غور).

(٤) شعره، ٣١-٣٢؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٤١.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٨.

ينزلهم على الأخماس، فقليل لهم: إثمهم يتعصبون، فخلط بينهم" ^(١). فقال أبو البريد البكرى ^(٢) فيها بناء أسد بمدينة بلخ:

شَعَفْتُ فؤادَكَ فالهوى لك شاعِفُ	وئِمَّ على طفلي بحوملٍ عاطِفُ
ترعى البربرَ بجانبى مُتَهَدِلُ	رِيَّان لا يَعِشُوا إليه أَلِفُ
بمحاضرٍ من مُنْحَنى عطفَت له	بَقَرٌ تُرْجِحُ زائِهِنَ رَوادِفُ
إن المَباركةَ التى أَحصَتَها	عُصِمَ الدَّلِيلُ بها وَقَرُّ الخائِفُ
فأراك فيها ما رأى من صالح	فَتَحًا وأبوابُ السماءِ رَواعِفُ
فمضى لك الاسمُ الذى يَرْضى به	عنكَ البصيرُ بما نويتَ اللاطِفُ
يا خيرَ ملكٍ ساسَ أمرَ رعيةٍ	إنى على صدقِ اليمينِ لخالِفُ ^(٣)

ينطلق شعر أبى البريد البكرى من الظروف والأجواء التى تفجرت بها الأحداث فيقف بموازاة الحدث ليمنحه قوة التأثير والمصدقية، كما يفسر واقعًا معاشًا يتجاور فيه العرب. وفى سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٥م) ^(٤) غزا أسد القسرى غُورين ^(٥)، فقال ثابت قُطنة:

أرى أسدًا فى الحراب إذا نزلت به	وقارع أهلَ الحرب فاز وأوجبا
تناول أرضَ الشبل، خاقانُ رِدءه	فحرقَ ما استعصى عليه وخرُبا
أتتك وفودُ الترك ما بينَ كابلٍ	وغُورين إذ لم يهربوا منك مَهْرِبا
فما يغمر الأعداءَ عن ليشٍ غابِةٍ	أبى ضارباتٍ حوشوه مُعقبا
أزبَ كأنَّ الورسَ فوق ذراعِهِ	كَرِهَ المُحيًا قد أسنَّ وجربا

(١) نفسه، ٤١/٧.

(٢) أحد بني علباء بن شيان بن ذهل بن ثعلبة، شاعر أهل المشرق. نفسه، ٤٧/٧.

(٣) نفسه، ٤١-٤٢/٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٤٦/٧.

(٥) غُورين أرض في بلاد السغد. ياقوت: معجم البلدان، ٢١٨/٤ (غُورين).

ألم يكُ فى الحصنِ المبارك عصمة
لجندك إذ هابَ الجبانَ وأرهَبَا
بنى لكَ عبدالله حصناً ورثته
قديمًا إذا عُدَّ القديمُ وأنجبًا^(١)

يشير إلى قدرات أسد القسرى القيادية، وإلى صدّه لخاقان الترك وإخضاعه لأهل كابل وغورين، لأنَّ هذا الشعر صاحب الغزو وانطلق من خلال ظروفه، فكان صورة حية للأجواء التى يعيش فيها الجند ومدى علاقتهم بالولاية الذين يقودونهم فى تلك الثغور التى شهدت تفاقم أمر العصبية القبلية بحيث أصبحت تشكل خطرًا على وحدة القبائل العربية ضد أعدائها، فهذا أبو البريد البكرى يعطى صورة حية لما كان بين بكرٍ والأزد فيقول:

إن تنقض الأزد حلقًا كان ألدُّ
ومالكٌ وسويدٌ أكدها معًا
فى سالفِ الدهرِ عبَادٌ ومسعودُ
لما تجرَّدَ فيها أى تجريدُ
حتى تنادوا أذاك الله ضاحيةً
وفى الجلود من الإيقاع تقصيدُ^(٢)

ويروى أن أبا البريد قال:

الأزدُ إخوتنا وهم حلفاؤنا
ما بيننا نكثٌ ولا تبديل^(٣)

فكان من نتيجة هذا التناحر القبلى أن توسعت شقة الخلافات وازدادت بوضوح حينما أصبحت سلوكًا مؤثرًا فى سياسة الولاة، ومنهم أسد القسرى الذى "تعصب حتى أفسد الناس... وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر فضر بهم بالسيّاط"^(٤). فثارت العصبية بين تميم وبجيلة والأزد، فقال عرفة التميمي^(٥):

(١) شعره، ٣٦؛ الطبرى: تاريخ، ٤٦/٧-٤٧.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٤٧/٧.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) من بني دارم، نفسه، ٤٨/٧، ٦٦.

فَكَيْفَ وَأَنْصَارُ الْخَلِيفَةِ كُلِّهِمْ عَنَاهُ وَاعْدَاءُ الْخَلِيفَةِ تَطْلُقُ
بَكَيْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي وَحَقُّ لِي وَنَصْرُ شِهَابِ الْحَرْبِ فِي الْغَلِّ مُوثِقٌ^(١)

فاستغل كل والٍ سطلته لتعذيب خصومه واتهمهم بالوثوب عليه، مما قوض ركائز مهمة تستند إليها الدولة، ففسدت سياسة أسد القسرى، فرأى الخليفة أن يعزله^(٢)، لأن إجراءاته المتعصبة ألبت عليه نصر بن سيار ومن حالف قبيلته كنانة، فقال نصر:

بَعَثْتُ بِالْعِقَابِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابِ تَلُومٍ أَمْ تَمِيمٍ
إِنْ يَكُنْ مُوْتَقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكُرْبَةٍ وَسُهِومٍ
رَهْنٌ قَسْرٍ فَمَا وَدْتُ بِلَاءَ كَأْسَارِ الْكِرَامِ عِنْدَ اللَّئِيمِ
أَبْلَغِ الْمُدَّعِينَ قَسْرًا وَقَسْرًا أَهْلُ عَوْدِ الْقَنَاءِ ذَاتِ الْوُصُومِ
هَلْ فَطَّمْتُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْقُدْ رِ أَمْ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيمِ^(٣)

فقد كان نصر بن سيار لا يرى أنه مذنّب أمام الخليفة أو أمام القانون، وإتّما يرى بأنه رَهِينٌ عند قبيلة قَسْرٍ، قبيلة أسد التي لم تجد إلا أسر الكرام، فعَد ذلك من الغدر الذي أوغر الصراع بين قبيلتي تميم وفسر من جهة، وبين الأزد وقسر من جهة أخرى، مما دفع الفرزدق إلى التعرض لخالد القسرى، لأنه استغل سلطته لمعاينة خصومه القبليين، فقال الفرزدق:

أَخَالِدًا لَوْلَا الدِّينَ لَمْ تُعْطَ طَاعَةٌ وَلَوْلَا بَنُو مِرْوَانَ لَمْ تُوثِقُوا نَصْرًا
إِذَا وَجَدْتُمْ دُونَ شِدِّ وَثَاقِهِ بَنَى الْحَرْبِ لَا كَشَفَ اللَّقَاءِ وَلَا
مَصَالِيَتَ أَبْطَالًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ مَرَوْهَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا دِرْرًا غُزْرًا

(١) نفسه، ٤٨/٧-٤٩.

(٢) نفسه.

(٣) ديوانه، ٤٦؛ الطبري: تاريخ، ٤٩/٧.

ألا يا بنى مروان! مثل بلائنا إذا لم يُصب من كان يُنعمه شكرًا^(١)

يبدو أن سياسة خالد القسرى أحدثت رد فعل شديد، وكشفت عن صراعات كانت كامنة تحت الرماد، فكشفت عن نفوذ قبيلتي تميم والأزد في خراسان ومقاومتها لأي تغيير في موازين القوى؛ لذا كان من الأفضل أن يتصرف بحذر شديد ويتبع عن إثارة النعرات ويجأ إلى وحدة الصف لتعزيز قوة وسيادة سلطة الخلافة في هذه الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة وعاصمتها دمشق، فحين استعمل أسد القسرى عيسى بن شداد البرجمي ووجهه إلى ثابت قطنة غضب ثابت وهجا أسدًا^(٢) فقال:

أرى كل قوم يعرفون أباهم	وأبو بجيلة بينهم يستذب
إنى وحدث أبى أباك ولا تكن	إلبا على مع العدو تجلب
أرمى بسهمي من رماك بسهمي	وعدو من عاديت غير مكذب
أسد بن عبدالله جلل عفو	أهل الذنوب فكيف من لم يذنب
أجعلتنى للبرجمي حقيبة	والبرجمي هو اللثيم المحقب
عبد إذا استبق الكرام رأيت	يأتى سكينًا حاملًا فى الموكب
إنى أعوذ بقبر كرز أن أرى	تبعًا لعبد من تميم محقب ^(٣)

جاءت قصيدة ثابت قطنة هذه بمثابة رسالة في الإمارة غايتها النصح، فبعد أن عرض ينسب اسد القسرى، أشار إلى سوء إدارته وسياسته للناس، فراح يذكره بوحدة النسب العربى وبضرورة أن يرمى الاثنان عدوًا مشتركًا يترىص بهما، لا أن يجعل منه أداة بيد شخص آخر، ثم انتقل إلى الانتقاص من البرجمي ونسبه، فأثار عليه ثابت قطنة الذى استبشر به أول الأمر ورأى فيه تعويضًا عن حُظوته عند

(١) ديوانه، ١/ ٢٣٢؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٤٩ البيتان الأول والثاني.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥١.

(٣) شعره، ٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٥١.

المهالبة؛ لهذا كان نتيجة هذه السياسة عزل أسد، واستعمال أشرس بن عبدالله السلمي^(١) الذى تولى صغير الأمور وكبيرها بنفسه، فلما قدم خراسان كبر الناس فرحاً به^(٢)، فقال رجل:

لقد سمعَ الرحمن تكبير أُمّةٍ غداةَ أنها من سُليمٍ إمامُها
إمامٌ هُدَى قُوَى لهُم أمرهم به وكانت عِجافاً ما تمخُّ عظامُها^(٣)

مما يشير إلى تنكر القبائل للولاء الذين يثرون العصبية بينها، لذا استبشروا بأشرس السلمي إحساساً منهم بعدالته، ولكن القبائل اليمانية بقيت توجس من احتمال تفاقم الأمر بسبب انتهاء أشرس إلى قبائل قيس، فقال يحيى بن حَضِين^(٤):

لقد ضاع جيش كان جَفَر أميرهم فهل من تلافٍ قبل دوسِ القبائلِ!
فإن صُرفَت عنهم به فَلَعَلَهُ وألا يكونوا من أحاديثِ قائلِ^(٥)

وفى سنة (١١٠هـ/٧٢٨م)^(٦) قادت بعض إجراءات أشرس إلى حبس ثابت قطنة، فحين قدم نصر بن سار والياً قال ثابت يشير إلى بلاء نصر فى مقارعة الترك:

نُقارع الترك ما تنفك نائحةً منا ومنهم ذى نَجْدَةٍ شارى
إن كان ظنى بنصرٍ صادقاً أبداً فيما أدبر من نقضى وإمرارى
لا يصرف الجند حتى يستضيءَ بهم نهياً عظيماً ويحوى مُلك جبارِ

(١) هو من بني مُطاعن بن ظفر بن الحاث بن يُهَته. ابن حزم: جمهرة، ٢٦٣.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٥١/٧-٥٢.

(٣) نفسه، ٥٢/٢.

(٤) يحيى بن الحَضِين بن المنذر بن الحارث الشيباني. ينظر ابن الكبي: جمهرة، ٤٩٤؛ ابن حزم: جمهرة، ٣١٧.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٥٢/٧-٥٣.

(٦) نفسه، ٥٦/٧.

إلى أن يقول:

لذاكر منك أمراً قد سبقت به من كان قبلك يا نصر بن سيار
ناضلت عني نضال الحر إذ قصرت دوني العشيرة واستبطأت أنصاري
وصار كل صديق كنت أمله إلماً على ورث الحبل من جاري
وما تلبست بالأمر الذي وقعوا به على ولا دنست أطماري
ولا عصيت إماماً كان طاعته حقاً على ولا فارقت من عار^(١)

ونتيجة لهذه الصراعات وتذبذب إجراءات الولاة أصبح الترك أكثر إصراراً على المقاومة، وصارت بعض الغارات تعود مهزومة حتى قال بعض الشعراء:

خابت سرية مسعود وما غنمت إلا أفانين من شد وتقريب
حلوا بأرض قفار لا أنيس بها وهن بالسفح أمثال العاسيب^(٢)

مما شجع أهل كَرْدَر^(٣) على الردة بعد أن أعانهم الترك، فوجه أشرس إليهم ألف رجل، فساروا إليهم فهزموهم^(٤). فقال عرفة الدارمي^(٥):

نحن كفينا أهل مرو وغيرهم ونحن نفينا الترك عن أهل كَرْدَر
فإن تجعلوا ما قد غنمنا لغيرنا فقد يظلم المرء الكريم فيصبر^(٦)

فعاد التوازن بين الطرفين، إذ وقف الشعر بجانب الحدث ليسهم في حفظه ويكشف عن دفاع الجيش الإسلامي عن ثغور الدولة، فكان بعض الشعراء من الجند يسجل تلك الأحداث شعراً لتصبح جزءاً من تفاصيل الخبر التاريخي الذي

(١) شعره، ٤٧-٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٥٦/٧-٥٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥٧/٧.

(٣) بالفتح، ناحية من نواحي خوارزم. ياقوت: معجم البلدان، ٤/٤٥٠ (كَرْدَر).

(٤) الطبري: تاريخ، ٦٦/٧.

(٥) وورد باسم عرفة التميمي. نفسه، ٤٨/٧.

(٦) نفسه، ٦٦/٧.

يواكب صفحات المعارك بين الطرفين مما يثير الخبر التاريخي ويمده بتفاصيل مضافة مشحونة بالصدق ومفعمة بالواقعية، لأنّ الشعر ينطلق من حركة الحياة الإنسانية ومن هواجس وأحاسيس النفس البشرية وهى تتفاعل مع محيطها الخارجى.

واستمرت المناوشات مع قبائل الترك التى تمكنت من قتل الجراح بن عبدالله الحكمى^(١) فى سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م)^(٢)، فقال الفرزدق:

ألا أيّها القوم الذين أتاهم،	غداة ثوى الجراح، إحدى العظام
إلى من يلوّى بعده الهام، إذ ثوى	حيّا الناس، والقرم الذى للمرجم
رفيق نبي الله فى الغرفة التى	إليها انتهى من عيشه كل ناعم
ومات مع الجراح من يحشد القرى،	ومن يضرب الأبطال فوق الجماجم
فما ترك الجراح، إذ مات، بعده	مجيراً على الأيام ذات الجرائم ^(٣)

يشير الفرزدق إلى مقتل الجراح بن عبدالله الحكمى فى مواجهته مع الترك من اللان ببلنجر^(٤)، فيصفه برفيق نبي الله صلى الله عليه وسلم وبأنه يضرب الأبطال فوق الجماجم، فقد كان لهذا الحدث صدى مؤثراً فى أوساط العاصمة؛ ذلك أن شدة الصراعات القبلية أدت تدريجياً إلى تراخى قوة المسلمين فى الأقاليم البعيدة، فأدى ذلك إلى تصاعد شوكة الترك فى بلاد الخزر، وازدياد الإصابات بين قادة الجيش وفرسانه، وكان الشعر يعبر عن علاقة وطيدة بينه وبين الحدث التاريخي، فقد أدى رثاء الفرزدق للحكمى بقصيدتين إلى ترسيخ هذا الحدث والتأثير فيه، لما يتمتع به الحكمى من مكانة مهمة لها وقعها المؤثر على مسامع الخليفة هشام بن عبدالملك،

(١) أبو عقبة، ولي البصرة فى عهد الوليد بن عبدالملك، (ت، ١١٢هـ/ ٧٣٠م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ١١٢/٤؛ ابن خلكان: وفيات، ٩٥/٢.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٣٥٥/٢؛ الطبرى: تاريخ، ٧٠/٧.

(٣) ديوانه، ٢٣٨/٢. ينظر أيضاً مراثيه الميمية، ٢٥١/٢.

(٤) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب. ياقوت: معجم البلدان، ٤٨٩/١ (بلنجر).

فكان رثاء الفرزدق تنبيهاً له بتفاقم الأمر؛ لذلك عزم الخليفة على تقوية الجيش في هذه المناطق فأرسل الجُنيد بن عبد الرحمن^(١) الذى استتبك مع الترك في وقعة الشَّعب^(٢)، والتى قتل فيها سورة بن الحر التميمي^(٣) والذى كان لمقتله وقعٌ مؤلم في نفس الخليفة هشام لأنه دلل على تراجع قوة الجيش أمام الهجمات التركية المعادية. وفي حينها حاول الجنيد أن يقلل من أهمية تلك الهجمات أمام الخليفة عندما أخبره بأن "سورة بن الحرّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك، فأصيبوا"^(٤). وكان الجنيد حاول في ذلك أن يغطى على ضعف إدارته لهذا الإقليم، ومع ذلك فإن هشامًا لم يقتنع بما أجابه به الجنيد، فدعا الشاعر نهار بن توسعة إلى دمشق وسأله عن الموضوع، فأخبره بما شهد^(٥)، وفي طريقه قال ابن توسعة:

لعمرك ما حاييتنى إذ بعثتنى	ولكنما عرّضتني للمتألف
دعوت لها قومًا فهابوا ركوبها	وكنت أُمراً كابدة للمخاوف
فأيقنت إن لم يدفع الله أننى	طعام سباع أو لطير عوائف
قرين عراك وهو أيسر هالك	عليك وقد زملته بصحائف
فإنى وإن أثرت منه قرابة	لأعظم حظاً فى جباة الخلائف
على عهد عثمان وقد ناو قبله	وكمنا أولى جدٍ تليد وطارف ^(٦)

مما يعنى احتدام المعارك، وازدياد شوكة الترك حتى أن أحد الفرسان خاطب الخليفة هشام بن عبد الملك فقال:

(١) من مرة بن غطفان، ولي خراسان والسند لهشام (ت، ١١٦ هـ/ ٧٣٣ م). ترجمته: ابن حزم: جهرة، ٢٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٢/ ١٤٠.

(٢) يسمى شعب عصام في جبال قرب بلخ. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٣٤٧ (شعب خُر).

(٣) سورة بن الحر بن نافع بن ثعلبة بن سيف بن أبان بن دارم، قتل بسمرقند. ابن الكلبي: جهرة، ٢٠٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٠.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٥٨؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧١-٧٩.

(٦) شعره، ١٠٠-١٠١؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧٩.

اذكر يتامى بأرض الترك ضائعة
وارحم، وإلا فهبها أمة دمرت
لا تأملن بقاء الدهر بعد هم
لاقوا كتائب من خاقان معلّمة
لما رأوهم قليلاً لا صريخ لهم
وبايعوا رب موسى بيعة صدقت
هزلى كأنهم فى الحائط الحجل
لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل
والمرء ما عاش مدود له الأمل
عنهم يضيّق فضاء السهل والجبل
مدّوا بأيديهم لله وابتهلوا
ما فى قلوبهم شك ولا دغل^(١)

فالشاعر يشير على قلة عدد جند المسلمين واندفاع جند الترك، مما يكشف عنه تفاقم الأمر، فكان نتيجة ذلك إحساسهم بالخذلان واليأس. ولعل أحد أسباب ذلك هو الفرقة وحسد بعضهم البعض، حتى راح الشاعر يعوّض بقيادة الخليفة ويعده مسؤولاً عن ذلك، كما صرّح نصر بن سيار بما يخامر نفس الجنيد نحوه من حسد؛ لأنه لم يشكر لنصر بلاءه فى هذه الظروف العصيبة، فقال نصر:

إن تحسدونى على حسن البلاء لكم يوماً، فمثل بلائى جرئى الحسدأ
يأبى الإله الذى أعلّى بقدرته كعبنى عليكم وأعطى فوقكم عَضْداً
أرمى العداة بأفراسٍ مُكَلِّمةٍ حتى اتخذن على حُسادهن يداً
وضربى الترك عنكم يومَ فرقكم بالسيف فى الشعب حتى جاوز السُندا^(٢)

فقد كان نصر بن سيار يشكو غبن الجنيد وحسده، مما جعل إحساس نصر صورة صادقة لحركة الأحداث نتيجة تفاقم الصراعات القبلية مع تهاون الوالى وتصاعد قوة العدو، فقال نصر أيضاً:

من ذا الذى منكم فى الشعب إذ وردوا لم يتخذ حومة الأثقال معتمداً!
فما حفظتم من الله الوصاة ولا أنتم بصبر طلبتم حسن ما وعدا

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨١ والشعر لابن السجف.

(٢) ديوانه، ٣٢-٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٠.

ولا تُهاكم عن التَّوَابِ فِي عَتَبِ إلا العبيد بضربو يكسر العَمَدَا
هَلَا شَكْرْتُمْ دَفَاعِي عَنْ جُنَيْدِكُمْ وَقَعَ الْقَنَا وَشَهَابُ الْحَرْبِ قَدْ وَقَدَا^(١)

إن تغافلهم عن فروسية نصر بن سيار أثارت ابن عرس العبدى^(٢) الذى مدح ابن سيار وذم الجنيد، وقد تضمن هذا المديح إشادة بانتسابه إلى نزار مما يشير إلى أثر الصراع القبلى فى تراجع قوة العرب فى مواجهة جيش الترك:

يَا نَصْرُ أَنْتَ فَتَى نِزَارٍ كُلَّهَا فَلَكَ الْمَأْثُرُ وَالْفَعَالُ الْأَرْفَعُ
فَرَجَّتْ عَنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ كَرْبَةً بِالشُّعْبِ حَتَّى تَخَاضَعُوا وَتَضَعَعُوا
يَوْمَ الْجُنَيْدِ إِذِ الْقَنَا مَتَشَا جِرَ وَالنَّحْرُ دَامَ وَالْخَوَافِقُ تَلَمَعُ
مَازَلْتُ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ حَتَّى تَفَرِّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصْدَعُوا
فَالنَّاسُ كُلُّ النَّاسِ بَعْدَهَا عَتَقَاوَكُمْ وَلَكَ الْمَكَارِمُ وَالْمَعَالَى أَجْمَعُ^(٣)

وسرد فارسان شاركا فى هذه الوقعة تفاصيلها، فكان شعرهما صورة حية لما أصاب المسلمين من جرح عميق، وما آلت إليه الأمور من ارتباكٍ لعل أحد أسبابه سوء إدارة الجنيد، وصراعات القبائل، وتقاعس بعضها عن نصره قوادها الذين ينتسبون إلى قبائل لا تمت بصلة النسب إليهم، مما جعل الجنيد يبدو غير قادر على إدارة الوقائع، كما هو واضح فى هذا الشعر:

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادٍ غَرِيبَةٍ فَيَا لَكَ شَوْقًا، هَلْ لَشَمْلِكَ مَجْمَعُ!
تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّاشُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَشُعْبُ عِصَامٍ وَالْمَنَايَا تَطْلَعُ
بِلَادَ بِهَا خَاقَانٌ جِمٌّ زَحُوفُهُ وَنَيْلَانٌ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَقْنَعُ
إِذَا دَبَّ خَاقَانٌ وَسَارَتْ جَنُودُهُ أَتَتْنَا الْمَنَايَا عِنْدَ ذَلِكَ شُرْعُ

(١) ديوانه، ٣٣؛ الطبرى: تاريخ، ٨٤/٧.

(٢) اسمه خالد بن المارك، أحد بني غنم بن وداعة بن لكيز. الطبرى: تاريخ، ٨٦/٧.

(٣) نفسه، ٨٥/٧.

هنالك - هند - ما لنا النصف منهم
الارُبُ خَوِدِ خَذْلَةً قَدْ رَأَيْتُهَا
أُحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا
تَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهَا صَفَّ قَوْمِهَا
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يَرُدُّنِي
فَمَا جَاوِبُهَا غَيْرَ أَنَّ نَصِيفَهَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نُبُوءَةً فِي قَلْبِهَا
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أَلَوْكَأَ صَحِيفَةً
بِأَنْ بَقَايَانَا وَأَنْ أَمِيرَنَا

وما إن لنا يا هند في القوم مَطْمَعُ
يسوق بها جَهْمٌ مِنَ السُّغْدِ أَسْمَعُ
تُنَادِي إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ فَتَسْمَعُ
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ يَغَارُ فَيَرْجِعُ!
يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ يَنْفَعُ!
يَكْفُ الْفَتَى بَيْنَ الْبِرَازِقِ أَشْنَعُ
وَرُعْبًا مَلَأَ أَجْوَافَهَا يَتَوَسَّعُ
إِلَى خَالِدٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَوَزَّعُ
إِذَا عَدَدْنَاهُ الدَّلِيلَ الْمَوْقِعَ^(١)

يدين الشاعر أميره وولاة الأمر معه الذين أطعموهم إلى خاقان الترك وجنده، فراح يكشف عن يأسه وإحساسه بالرعب، مما يجعل هذه القصيدة وثيقة تاريخية لحالة النداعى التى شهدها الوضع العسكرى فى بلاد السغد، وانعكاس هذا الوضع على الجوانب النفسية والاجتماعية والإدارية عند المسلمين، حتى تكاثرت صيحات الإدانة لقيادة الجُنُود كما فعل ابن عرس إذ قال:

اَيْنَ حُمَاةِ الْحَرْبِ مِنْ مَعْشِرٍ
بَادُوا بِأَجَالٍ تَوَافَرُوا لَهَا
فَالْعَيْنُ تَجْرَى دَمْعَهَا مُسْبِلًا
انْظُرْ تَرَى لِلْمَيِّتِ مِنْ رَجْعَةٍ
كُنَّا قَدِيمًا يُتَّقَى بِأُسْنَا
حَتَّى مُنِينَا بِالذِّى شَامَنَا

كَانُوا حِمَالَ الْمَنْسَرِ الْحَارِدِ!
وَالْعَائِرُ الْمَهْلُ كَالْبَائِدِ
مَالِدُ مَوْعِ الْعَيْنِ مِنْ ذَائِدِ
أَمْ هَلْ فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدِ!
وَنَدْرُ الْوَادِ بِالْوَارِدِ
مِنْ بَعْدِ عَزِّ نَاصِرِ آئِلِدِ^(٢)

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٥ والشعر للشرعبي الطائي.

(٢) نفسه، ٧/ ٨٦.

ثم يصفه بأنه كعاقِرِ الناقة التى فتقَ فتقًا لا يلتئم، لأنه تركَ جنده كالأجزاء المعطوبة يقسمها الجازر للناهِد^(١)، وكل يترقب الأسياف وهى تزيل ما بين العضد والساعد حتى تساقطت الهامات من وقعها، فى حرب صعبة مريرة عصفت بالقائم والقاعد؛ فأضحت سمرقند^(٢) أحدىثة الغائب والشاهد. ويصف الشاعر المعركة بواقعية لأنه شاهد تفاصيلها، وتجرع مرارة الخذلان وشعر بعظم الموقع وجسامة الحدث؛ فكان شعره نفثَةً حيةً التحمت بالجرح فجاست فيه الأعماق الغائرة الدامية، فتراه ينشد متأملًا ما جرى بهذا الشعب حين يقول:

وكم ثوى فى الشعب من حازم	جَلَدِ الْقَوَى ذى مِرَّةٍ ما جِدِ
يستنجدُ الخطبَ ويغشى الوغى	لا هائِبٍ غُسٍّ ولا ناكِدِ
ليتكَ يومَ الشعب فى حُفرة	مرموسَةٍ بالمَدَرِ الجارِدِ
تلعبُ بك الحربُ وأبناؤُها	لعبَ صقورٍ يقطُّا وارِدِ
طار لها قلبُك من خيفةٍ	ما قلبك الطائرُ بالعائِدِ
لا تحسبنُ الحربَ يومَ الضحى	كشربِك المِزَاءَ بالبارِدِ
أبغضتُ من عينك تبريحَها	وصورةٍ فى جَسَدِ فاسِدِ
جُنيد ما عصبك منسوبةٌ	نَبْعًا ولا جَدَجَك بالصَّاعِدِ
خمسونَ ألفًا قُتلوا ضيعةً	وأنتَ منهم دعوةُ الناشِدِ
لا تضرينُ الحربَ من قابلٍ	ما أنتَ فى العَدُوِّ بالحامِدِ
قلَّدته طوقًا على نحرِهِ	طوقَ الحَمَامِ الغرَدِ الغارِدِ
قَصيدةٌ حُبَّرها شاعرٌ	تَسعى بها البُرْدُ إلى خالِدِ ^(٣)

(١) نفسه.

(٢) هي قصبة السعد. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٢٤٦ (سمرقند).

(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٨٧.

فالوقع النفسى واضح على هواجس الجند حتى أن الشاعر وثق عددَ مَنْ قُتِلَ فعَدَّهم خمسين ألفاً، ورأى أن سبب مقتلهم هو سوء إدارة المعركة من قبل الجُنَيْدِ في حين يقف التاريخ صامتاً أمام هذا العدد من القتلى، بينما تنطلق هذه القصيدة من صميم الحدث نفسه، من شهقات الموتى وصرخات الجرحى بعيداً عن المداينة والمراة والهجاء، فهي توثيقٌ ملازم ومواكب للحدث لكل ما فيه من هواجس ومخاوف؛ لذا كان الشاعر صادقاً في تمثيل الحدث وعرضه ثم بيان تفاصيله التى كشفت عن وثيقة تاريخية كتبت الحدث شعراً، فكانت هذه القصيدة من نمط الشعر التاريخى الذى لا يقل أهمية عن الوثيقة النثرية في رصدّها للحركة والأبعاد الوقعة وملابسات إدارتها، وسوء تقدير الموقف من قبل القائد الميدانى الذى أثر تقليل رد الفعل المباشر بحثاً عن فرصة قادمة تغير اتجاهات الموقف، لقد كانت القصيدة وثيقة بكل معنى الكلمة.

وبعد وفاة الجُنَيْدِ في سنة (١١٦هـ/ ٧٣٤م)^(١) على الأكثر في مرضه، قال أبو الجويرية، عيسى ابن عصمة^(٢) يرثيه:

هلك الجود والجنيـد جميعاً فعلى الجود والجُنَيْدِ السـلامُ
أصبحا ثاويين فى أرض مَروٍ ما تَغْنَّتْ على الغصون الحَمَامُ
كنتما نزهة الكرام فلما مُتَّ مات الندى ومات الكِرامُ^(٣)

وخلع عاصم بن عبدالله^(٤) في سنة (١١٧هـ/ ٧٣٥م)^(٥) الحارث بن سريج^(٦) فكانت الحرب بينهما، فعزل الخليفة عاصماً عن خراسان وضمها إلى

(١) الطبرى: تاريخ، ٩٣/٧.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ٩٤/٧.

(٤) هو عاصم بن سليمان بن عبدالله بن شراحيل البشكري. نفسه: ١٠٣/٧.

(٥) نفسه: ٩٩، ٩٥/٧.

(٦) الحارث بن سريج بن يزيد التميمي (ت، ١٢٨هـ/ ٧٤٥م). ترجمته: ابن الكلبي: جهرة، ٢٠٤؛ ابن حبان: الثقات، ١٨٣/٨.

خالد بن عبدالله القسرى فولأها خالد أخاه أسد بن عبدالله، فقال عاصم بعد أن حبسه أسد:

تُخاصمني بُجيلة ثم تقضى على بها لبئس الحُكمُ ذاكَا
إذا ما كان خصمُك يا ابن عمرو هو القاضى الذى يقضى عَلاكا
وحسبُكَ من بلاءٍ أن تُولى قضاءً فى أمورك من دَهاكَا^(١)

وبعث الكميت بهذا الشعر حين سمع بقدوم أسد القسرى إلى مرو^(٢):

ألا أبليغ جماعةَ أهل مَرو على ما كان ناءً ويُعدِ
رسالة ناصح يهدى سَلامًا ويأمرُ فى الذى ركبُوا بِجَدِ
وأبلغ حارثًا عنا اعتذارًا إليه بأنَّ من قبلى بِجُهدِ
ولولا ذاك قد زارتك خيلٌ من المصرين بالفرسانِ تُردى
فلا تهنوا ولا ترضوا بخسْفِ ولا يُقررُكمُ أسدٌ بعهدِ
وكونوا كالْبَغايا إن خُلِعتم وإن أقررتمُ ضَيمًا لِوَعْدِ
ولا فارفعوا الراياتِ سُوْدًا على أهلِ الضَّلالةِ والتعلدِ
فكيف وأنتم سبعونَ ألفًا رماكم خالدٌ بشبيهِ قِرْدِ^(٣)

فأقبل الحارث بن سُريج على مرو فسوّد راياته^(٤) حارجًا عن طاعة الخليفة، والكميت يرى بأن زوال ملك الأمويين قريب، فكانت رسالته الشعرية هذه تحصى عدد العرب فى خراسان بسعين ألفًا وتؤلبهم للثورة على الحكم الأموى، فكانت دعوة لإثارة الفتنة بعد أن أصبح الوضع الأمنى مثار تساؤلات؛ لذا أصبح الخليفة

(١) المرزبانى: معجم الشعراء، ١١٨؛ ابن الكلبي: جمهرة، ٣٦٩.

(٢) أشهر مدن خراسان وقصبتها. ياقوت: معجم البلدان، ١١٢/٥ (مرو الشاهجان).

(٣) ديوانه، ١٥٩/١-١٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ١٠٠/٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ١٠٠/٧.

قلقًا لأن كل من يَروم الخروج عن دولة الخلافة يجد في خراسان ملاذًا له نتيجة احتدام الصراعات بين القبائل العربية من جهة، وبين المسلمين والترك من جهة ثانية.

وكان الحارث بن سُرَيْج يرى رأى المُرجئة حين سَوَّدَ راياته^(١) فقال فيه نصر بن سيار:

دَع عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ مَا خَيْرُ دُنْيَا وَأَهْلٍ لَا يَدُومُونَا
إِلَّا بِقِيَّةِ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ فَاطْلُبْ مِنْ اللَّهِ أَهْلًا لَا يَمُوتُونَا
أَكْثَرَ تَقَى اللَّهَ فِي الْإِسْرَارِ مَجْتَهِدًا إِنْ التَّقَى خَيْرُهُ مَا كَانَ مَكْنُونًا^(٢)

ثم عرج نحو آرائه في الإرجاء وقرنها بالشرك والنفاق فقال:

إِرْجَاؤُكُمْ لَزِكُمْ وَالشُّرْكُ فِي قَرْنٍ فَأَنْتُمْ أَهْلَ إِشْرَافٍ وَمُرجُونَا
لَا يُبْعَدُ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرُكُمْ إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالْشُّرْكِ مَقْرُونَا
أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رَعْبًا فِي غُحُورِكُمْ وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحُسْنَى وَيُعْلِينَا
كَيْمَا تَكُونُ الْمَوَالِي عِنْدَ خَائِفَةٍ عَمَّا تَرُومُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْدِينَا^(٣)

عمق خروج الحارث بن سُرَيْج روح التمرد على دولة الخلافة حتى قال خلف بن خليفة^(٤): في قصيدة طويلة منها قوله:

جَعَلْنَا الْخِلَافَةَ فِي أَهْلِهَا إِذَا اصْطَرَعَ النَّاسُ فِيهَا اصْطِرَاعًا
نَضَّصَرْنَا أُمِّيَّةً بِالْمُشْرِفِي إِذَا انْخَلَعَ الْمُلْكُ عَنْهَا انْخِلَاعًا
وَمِنَا الَّذِي شَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْ غَابَ يَحْيَى عَنِ الثُّغْرِ ضَاعًا

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ٤٦؛ الطبري: تاريخ، ١٠٠/٧.

(٣) ديوانه، ٤٩؛ الطبري: تاريخ، ١٠١/٧.

(٤) هو خلف بن خليفة البكري الأقطع (ت، ١٢٥هـ/ ٦٩٥م). ينظر: الطبري: تاريخ، ١٠٢/٧.

على ابن سُرَيْج نَقَضْنَا الْأُمُورَ وَقَدْ كَانَ أَحْكَمُهَا مَا اسْتَطَاعَا^(١)

تشير هذه القصيدة الطويلة إلى التحولات التي حدثت اتجاه القبائل وانحراف الخلفاء الأمويين عن قبائل اليمين وإبعادهم لبعضها عن مراكز القوى المؤثرة في إدارة الدولة، والتي كان لها أثرها في تثبيت دعائم الخلافة في عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك، فاصبح هذا التغيير ماثراً توجس وكشف لحسابات قديمة، ففي عهده انكسرت شوكة القبائل اليمانية بالعراق وخراسان بعد تولى خالد القسري بينما ارتفعت منزلة الأزدي في عهد سليمان، وتعاضل نفوذ قيس في عهد يزيد بن عبد الملك^(٢)، ويشير هذا الشعر إلى إسناد وائل للسياسة الأموية عبر تساؤل إنكارى عن كيفية وقوف هذه السياسة مكتوفة الأيدي بشأن قتل سادات بكر بن وائل، وهى من القبائل القيسية بعد تولى القسري خراسان وهو من قبيلة بجيلة اليمانية، كما في قول خلف بن خليفة.

وَلَوْ لَا فَتَى وَائِلٍ لَمْ يَكُنْ	لِنَضِجَ فِيهَا رَئِيسٌ كُرَاعَا
فَقُلْ لَأُمِيَّةٌ تَرَعَى لَنَا	أَيَادِي لَمْ تُجْزَهَا وَاصْطِنَاعَا
أَتْلِهِنَّ عَنْ قَتْلِ سَادَاتِنَا	وَنَابِي لِحَقِّكَ إِلَّا اتِّبَاعَا
أَمِنْ لَمْ يُبْعَكَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ	كَآخِرِ صَادَفٍ سُوقًا فَبَاعَا!
أَبَى ابْنُ حَضِينٍ لِمَا تَصْنَعُ	بَيْنَ إِلَا اضْطِلَاعَا وَإِلَّا اتِّبَاعَا
وَلَوْ يَأْمَنُ الْحَارِثُ الْوَائِلِينَ	لِرَاعِكَ فِي بَعْضٍ مَن كَانَ رَاعَا ^(٣)

يشير إلى رفض يحيى بن حَضِين مجازاة الحارث بن سُرَيْج في خلع الخليفة، ثم يتساءل كيف تتكرر لهم أمية وتتناسى ولاءهم؟ فراح يطالب أمية بالوفاء لأن بنى وائل هم الذخيرة التي يمكن الاحتفاظ بها، إذ يقول:

(١) الطبري: تاريخ، ١٠٢/٧.

(٢) عطوان: الشعر العربي بخراسان، ٧٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ١٠٢/٧.

فأَيْنَ الْوَفَاءِ لِأَهْلِ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُضَاعَا!
وَأَيْنَ ادْخَارُ بَنَى وَائِلٍ إِذَا الذَّخْرُ فِي النَّاسِ كَانَ ارْتِجَاعَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

إِذَا ابْنُ حَضِينَ غَدَا بِاللَّوَاءِ ذَكَى وَكَانَتْ مَعْدُ جُدَاعَا^(١)

وحين احتدم الصراع وانهزم ابن سُرَيْج، قال رجل من عبد القيس:

تَوَلَّتْ قَرِيشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتَّقَتْ بَنَا كُلُّ فَجٍّ مِنْ خِرَاسَانَ أَغْبَرَا
فَلَيْتَ قَرِيشًا أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَعمُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا^(٢)

وفي سنة (١١٩هـ/٧٣٧م)^(٣) اتفق خاقان الترك مع ابن سُرَيْج لمحاربة دولة الخلافة لئلا يجزهم أسد بن عبدالله القسري فظفر بهم، فقال الشاعر:

لَوْ سِرَتْ فِي الْأَرْضِ تَقِيسُ الْأَرْضَا تَقِيسُ مِنْهَا طَوْلُهَا وَالْعَرْضَا
لَمْ تَلَقْ خَيْرًا مَرَّةً وَنَقْضَا مِنَ الْأَمِيرِ أَسَدٍ وَأَمْضَى
أَفْضَى إِلَيْنَا، الْخَيْرُ حِينَ أَفْضَى وَجَمَعَ الشَّمْلَ وَكَانَ رَفَا
مَا فَاتَهُ خَاقَانُ إِلَّا رَكَا قَدْ فَضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مَا فَضَّا
يَا بَنَ سُرَيْجٍ قَدْ لَقِيتَ حَمَضَا حَمَضًا بِهِ يُشْفَى صُدَاعُ الْمَرْضَى^(٤)

وفي هذا تأكيد لوحدة الصف وإدانة واضحة للخروج عن حظيرة دولة الخلافة لما تشكله خراسان والثغور البعيدة فيها من خطر محدث يتعاظم تدريجيًا مع تناحر القبائل وتفاقم أمر السغد، لذا أكد الشعر بأن أسدًا كان خير عون لجمع الكلمة،

(١) نفسه، ١٠٣/٧.

(٢) نفسه، ١٠٤/٧.

(٣) نفسه، ١٢٤-١٢٢/٤٧.

(٤) نفسه، ١٢٤/٧ والشعر لابن السَّجَف المجاشعي، لعله كعب بن أوس بن عبدالله من بني أنمار بن الهشيم: ابن الكلبي: جمهرة، ٢٦٧.

ولكن موقفه كان حرجاً حتى يضطره أحياناً إلى تخفيف وقع بعض هزائمه، وعدم إيصال تفاصيل المعارك بما يمنح الخليفة فرصة كافية لفهم الأحداث فيعرض عليه صورة كاملة جلية الأمر، لذا فإنه وقع في مأزق التضليل حينما أوفد على أخيه خالد وفداً، ثم أوفدهم خالد بدوره إلى هشام^(١)، فقال أبو الهندي الأسدي^(٢) للأسد يذكره بوقعة سان^(٣):

أبا مُنذرٍ رُمّتَ الأمورَ فقِسْتَهَا	وساءَلتَ عَنْهَا كالحريصِ المُساوِمِ
فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قِسْتُهُ	بِرَأْيِكَ إِلَّا مِثْلَ رَأْيِ الْبِهَائِمِ
أبا مُنذرٍ لولا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ	عِراقٌ وَلَا انْقَادَتْ مَلُوكُ الْأَعاجِمِ
وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ - مُذْهِجٌ - رَاكِبٌ	وَلَا عَمَرَ الْبَطْحَاءُ بَعْدَ الْمَوَاسِمِ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سَانٍ وَجَزَّةٍ	كَثِيرِ الْأَيَادِي مِنْ مُلُوكٍ قَمَاقِمِ
تَرَكْتَ بِأَرْضِ الْجَوْزْجَانِ تَزْوَرُهُ	سِبَاغٌ وَعِقْبَانٌ لِحَشْرِ الْغَلَاصِمِ
وَذَى سَوْقَةٍ فِيهِ مِنَ السِّيفِ خُطَّةٌ	بِهِ رَمَقٌ حَامَتَ عَلَيْهِ الْحَوَائِمِ
فَمَنْ هَارَبَ مِنَّا وَمَنْ دَاخِلٌ لَنَا	أَسِيرٌ يُقَاسَى مِثْمَاتِ الْأَدَاهِمِ
فَدَتُّكَ نَفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَامِرٍ	وَمِنْ مَضَرَ الْحَمْرَاءَ عِنْدَ الْمَآزِمِ
هَمْ أَطْعَمُوا خَاقَانَ فِينَا فَأَصْبَحَتْ	جَلَائِبُهُ تَرْجُوا احْتَوَاءَ الْمَغَايِمِ ^(٤)

ولا ينسى الشاعر أن يشير إلى أثر تميم وعاد وقائل مضر الحمراء في تفاقم أمر الترك مما يشير بشكل خفى إلى سريان العصبية بين القبائل، ومساندة قبائل قيس لابن سريج وخاقان الترك، فأصبح هذا الشعر صورة حية لما يجري من أحداث

(١) الطبري: تاريخ، ١٢٧/٧.

(٢) هو عبد الملك بن عبد القدوس. وقيل: اسمه غالب بن عبد القدوس. ترجمته: البكري: سمط، ١/١٦٨.

(٣) من قرى بلخ. كما في ياقوت: معجم البلدان، ١٧٩/٣ (سان).

(٤) الطبري: تاريخ، ١٢٧/٧.

فأسهم في توثيقها والتأثير في مجرياتها، فكشف عن جوانب خفية لم يمنحها المؤرخ التفاصيل المطلوبة بما يكشف عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فاستطاع الشعر أن يفعل ذلك، فهذا أبو الهندي يتعصب لأسد القسرى على الرغم من إخفاقه في هذه الواقعة وأكثر ما يقوده إلى ذلك هو تعصب قلبى ضد قبائل قيس التى وقفت مع الخارجين على الخلافة. ومن هنا تغدو للشعر مؤثراته في تدوين الحدث وكشف الأبعاد السياسية والتاريخية لأجواء الوجود العربى في إقليم خراسان.

كان لهذا التناحر والصراع نتائج وخيمة في تشجيع أصحاب البُدع وحركات التمرد التى تهدف إلى تقويض الدولة الأموية، والتى اشتقت بعض عقائدها من ديانات بلاد فارس قبل الفتح الإسلامى من ذلك ما حدث سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م)^(١) في خروج المغيرة بن سعيد^(٢) وبيان بن سمعان النهدي^(٣)، فكان اصحاب بيان يقولون: "إن الله عز وجل على صورة إنسان، وأنه يهلك كله إلا وجهه"^(٤). وكان المغيرة يؤمن بفكرة التجسيم^(٥) هذه، فقتلها خالد القسرى وأحرقها، فقال مالك ابن أعين الجهنى^(٦):

ضربتُ له بين الطريقينِ لاحبًا وَطُنْتُ عليه الشمسَ فيمَن يطينُها
والقيتهُ فى شبهةٍ حين سألنى كما اشتبها فى الخطِّ سينٌ وشينُها^(٧)

يبدو أن ما بثه المغيرة وبيان من أفكار لقيت استجابة من لدن بعض الناقمين على

(١) الطبرى: تاريخ، ١٢٨/٧-١٢٩.

(٢) المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي قتله خالد القسرى سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٨؛ الذهبى: ميزان، ٤/ ١٦٠.

(٣) بيان بن سمعان النهدي التيمي، قتله خالد القسرى سنة (١١٩هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٦؛ الذهبى: ميزان، ١/ ٣٥٧.

(٤) الأشعرى: مقالات، ١/ ٦٦.

(٥) نفسه، ١/ ٦٨.

(٦) أخباره: الطبرى: تاريخ، ١٢٩/٧.

(٧) نفسه.

الخلافة الأموية وولاتها. فهجا يحيى بن نوفل^(١) خالدًا القسرى ووصفه بالجبن حين قال:

كأَنَّكَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي جَرِيرٍ	تَمَنَّى الْفَخْرُ فِي قَيْسٍ وَقَسِرٍ
وَمَا الْأَذْنَابُ إِلَّا لِلصُّدُورِ	وَأُمُّكَ عِلْجَةٌ وَأَبُوكَ وَغَدٌّ
كَرِيمُ الْأَصْلِ ذُو خَطَرٍ كَبِيرٍ	جَرِيرٌ مَنْ ذِي يَمَنِ أَصِيلٍ
وَقَدْ أَدْحَقْتُمْ دَحْقَ الْعُبُورِ	وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدٍ
تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّيْرِ	وَكُنْتَ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَبْدَ سَوَاءٍ
شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ	وَقُلْتَ لَمَّا أَصَابَكَ: أَطْعَمُونِي
كَبِيرُ السِّنِّ لَيْسَ بِذِي نَصِيرٍ ^(٢)	لَأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَّةٍ وَشَيْخٍ

وحين صُلب بيان والمغيرة، قال شاعر:

طَارَ التَّجَاوُرُ مِنْ بَيَانٍ وَاقِفًا وَمِنَ الْمَغِيرَةِ عِنْدَ جَسْرِ الْعَاشِرِ^(٣)

مما شجع على ظهور العقائد التي تُسيء إلى جوهر الدين الإسلامي والتي تهدم بمعول خفى في كيانه القوى وحصنه المتين، ففي سنة ١١٩هـ / ٣٧٣م^(٤). خرج بهلول بن بشر اليشكري^(٥) في الكوفة فتوجه يريد الشام، فجند له خالد القسرى جنداً من العراق، وجند له عامل الجزيرة جنداً، ووجه إليه هشام جنداً من أهل الشام، فقتل البهلول فرثاء الضحاك بن قيس^(٦):

(١) أخباره: الجاحظ: البيان، ٢/ ٢٦٦؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ١٢٩.

(٢) الجاحظ: البيان، ٢/ ٢٦٦-٢٦٧ مع اختلاف الراوية؛ البلاذري: أنساب، ٣/ ٧٧-٧٨ روى بيتين مع شيء من الاختلاف؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ١٣٠ وهي الرواية المعتمدة.

(٣) البلاذري: أنساب، ٣/ ٧٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ٧/ ١٣٠.

(٥) أخباره: نفسه.

(٦) هو الضحاك بن قيس الشيباني قتل سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م). ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ١٠٠، ٣٦٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦/ ١٢٤.

بدلت بعد أبى بشر وصحبته قوماً على مع الأحزاب أعواناً
كانهم لم يكونوا من صاحبنا ولم يكونوا لنا بالأمس خلئاً^(١)

دفعت سياسة هشام بن عبد الملك في تولية خالد القسرى العراق وأخيه أسد خراسان بقبيلة يشكر ومن والاهما من القبائل إلى شق عصا الطاعة عن الدولة الأموية، فقد خرج الصحارى بن شبيب^(٢) داعياً الصُفْرية إلى الوثوب فحاول خالد القسرى اغتياله^(٣) فقال الصحارى يخاطبه:

لم أرد منه الفريضة إلا طمَعاً فى قتله أن أنالا
فأريح الأرض منه وممن عاثَ فيها وعن الحق مالا
كلُّ جبارٍ عنيدٍ أراه ترك الحقَّ وسَن الضلّالا
إننى شارٍ بنفسى لربى تاركٌ قَيْلاً لهم وقالا
بايع أهلى ومالى أرجو فى جنانِ الخلدِ أهلاً ومالاً^(٤)

يؤشر هذا الشعر عقيدة الخوارج الشراة وإيمانهم بأن قتل من يرونه ظالماً يدخلهم الجنة، فالشاعر يتعامل مع عقيدته تعاملًا مباشرًا بعيداً عن التعقيد مما يكشف عن ضعف إدارة الأمصار لإحساس الأحزاب المعارضة بقدرتها على إعلان آرائها وعلى إثارة الاضطرابات والفتن لإعاقة الدولة عن أداء مهامها وتأليب الآخرين ضدها.

ونتيجة لحالة عدم الاستقرار وكثرة محاولات التمرد على السلطة وصراعات القوى والقبائل فيما بينها شعر الخليفة هشام بن عبد الملك بضرورة مواجهة الوضع بحزم، فكانت وفاة أسد بن عبد الله القسرى في سنة (١٢٠هـ / ٧٣٧م)^(٥) مدعاة لحصول متغيرات جديدة في خراسان، فقال الشاعر يرثيه:

(١) الطبرى: تاريخ، ١٣٣/٧.

(٢) هو الصحاري بن شبيب بن يزيد الشيباني. ابن حزم: جمهرة، ٣٢٧.

(٣) الطبرى: تاريخ، ١٣٧/٧-١٣٨.

(٤) شعر الخوارج، ٢٠٠؛ الطبرى: تاريخ، ١٣٨/٧.

(٥) الطبرى: تاريخ، ١٣٩/٧.

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعَ فَرِيعَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ
يَبْلُغُ وَافِقَ الْقَدَارِ يَسْرَى وَمَا لِقَضَاءِ رَيْكَ مِنْ دِفَاعٍ^(١)

كانت بَلْخَ تعيش موقفاً صعباً بحيث أن وفاة أسد القسري المفاجئة إثر مرض لم يمهله طويلاً أثارت العرب الذين يقيمون بها، وكان موته كان كشفاً لما وصلت إليه الأوضاع في خراسان، كما في رثاء سليمان قتة، أحد بنى تيم بن مُرَّة^(٢)، وكان صديقاً لأسد:

سَقَى اللَّهُ بَلْخًا، سَهْلَ بَلْخٍ وَحَزْنَهَا وَمَرَوَى خِرَاسَانَ السُّحَابِ الْمُجْمَعَا
وَمَا بَى لِتُسْقَاهُ وَلَكِنْ حُفْرَةً بِهَا غَيَّبُوا شُلُوكًا كَرِيمًا وَأَعْظَمَا
مُرَاجِمَ أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَابَ أَوْتَارٍ عَفَرْنَا عَثْمَمَا
لَقَدْ كَانَ يَعْطَى السِّيفَ فِي الرُّوعِ حَقَهُ وَيُرَوَّى السِّينَانَ الزَّاعِي الْمَقُومَا^(٣)

أوحى هذا الوضع إحساساً بالتمزق الداخلي وبأن صوت أسد في هذا الوقت العصيب سيزيد الأمور سوءاً ويجعل الظروف أكثر حرجاً، وهو ما كان يتوقعه الخليفة هشام بن عبد الملك حين أخذ على عاتقه اتخاذ مجموعة إجراءات منها عزل خالد بن عبد الله القسري^(٤) الذي أشيع عنه أنه يزعم خلع الخليفة حتى وجد "باب هشام يوماً رقعة فيها شعر... فقرأت عليه"^(٥)، وهى للكُميت بن زيد الأسدي:

تَأَلَّقَ بَرْقٌ عِنْدَنَا وَتَقَابَلَتْ آثَا فُؤَادِ الْقَدْرِ الْحَرْبِ أَخْشَى اقْتِبَالَهَا
فَدُونُكَ قَدْرَ الْحَرْبِ وَهِيَ مُقَرَّةٌ لِكُفْيِكَ وَاجْعَلْ دُونَ قَدْرِ جَعَالِهَا
وَلَنْ تَنْتَهَى أَوْ يَبْلُغَ الْأَمْرَ حَدَهُ فَانْهَاهَا بِرَسُولٍ قَبْلَ أَنْ لَا تَنْالَهَا

(١) نفسه، ١٤١/٧؛ والشعر لابن عرس العيدي.

(٢) وهو مولى لتيم قريش، وقته امه. ابن قتيبة: المعارف، ٤٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ١٤١/٧. ينظر: هجاء يحيى بن نوفل لخالد القسري وأخيه أسد حين مات، ٢١٠.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٣٦٤/٢؛ الطبري: تاريخ، ١٤٧/٧.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ٣٣٩/١٦.

فَتَجَشَّمْ مِنْهَا مَا جَشِمْتَ مِنَ التِّي يَسُورَاءَ هَرَّتْ نَحْوَ حَالِكَ حَالُهَا
تَلَا فْ أُمُورَ النَّاسِ قَبْلَ تَفَاقُمِ يَعْقِدَةُ حَزْمٍ لَا تَخَافُ انْخِلَاقُهَا
فَمَا أَبْرَمَ الْأَقْوَامُ يَوْمًا لِحَلِيلَةٍ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا قَلْدُوكَ احْتِيَالُهَا
وَقَدْ تُخْرِئُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ يَسْرُهَا وَإِنْ لَمْ تُبَحْ مَنْ لَا يَرِيدُ سُؤَالُهَا^(١)

يحمل هذا الشعر تحذيرًا واضحًا لهشام، وكشفًا لما يُمور في الأعماق من صراعات أخذت تظهر على السطح، فكانت هذه الأبيات استشرافًا مستقبلًا للحدث التاريخي وتسجيلًا له قبل حصوله، فاستطاع حدس الشاعر أن يستنبطه ويؤسس عليه نتائج محتملة ستقع على ساحة الواقع مما يجعل للشعر أثره في الإجراءات التي اتخذها الخليفة فيما بعد، فقد كان لقسوة خالد القسرى أثرها الفاعل في تصاعد رد الفعل المناهض للأمويين، حتى أن إسماعيل بن عمار^(٢) قال مخاطبًا الفرزدق:

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فِزَارَةٍ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمِيَّةً بِالْمِشَارِقِ تَنْزَعُ
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرًا تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْزَعُ
بَكَتِ الْمَنَائِرُ مِنْ فِزَارَةٍ شَجَّوْهَا فَالْآنَ مِنْ قَسْرِ تَضْجُ وَتَجْزَعُ
فَمَلُوكُ خِنْدَفٍ أَضْرَعُوهَا لِلْعِدَا لَلَّهِ دَرْمُلُوكُنَا مَا تَصْنَعُ
كَانُوا كَقَاذِفَةٍ بَنِيهَا ضَلَّةٌ سَفَهَا وَغَيْرُهُمْ تَرَبُّ وَتُرْضَعُ^(٣)

فكان ذلك إنذارًا بضرورة إصلاح الأمور وضرورة توليه ولاية عادلين قادرين على إنصاف الناس بعيدًا عن سياسة القوة؛ لأنَّ الظرف قد تغير وأصبحت هذه السياسة غير مجدية والأمصار بحاجة إلى ولاية قديرين لهم باع في الإدارة والإصلاح بحزم ومروءة.

(١) ديوانه، ٨٦/٢-٨٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ٣٣٩/١٦-٣٤٠.

(٢) إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية كان ينزل الكوفة. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٣٤٤/١١.

(٣) نفسه، ٣٥٧/١١.

وفى سنة (١٢٠هـ/ ٧٣٧م)^(١) قدم يوسف بن عمر الثقفي^(٢) (ت، ١٢٧هـ/ ٧٤٤م) واليًا على العراق، وولى نصر بن سيار خراسان بعد أن أخذت العصبية القبلية تنهش في استقرار الأوضاع حتى قال رجل من أهل الشام من اليمانية بعد أن قدم نصر بن سيار: "ما رأيت عصبيةً مثل هذه! قال: بلى، التى كانت قبل: فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضربًا، وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجابة"^(٣) فقال سَوَّار بن الأشعر^(٤):

أضحت خراسان بعد الخوف آمنَةً من ظلم كل غشوم الحكم جَبَّار
لما أتى يُسِفًا أخبارُ ما لقيت اختار نصرًا لها؛ نصرُ بن سيار^(٥)

كانت هذه الإجراءات محاولة لتهدئة الأوضاع واستدرك الأمر، ولكن الطابع القبلى في غدارة المصاربقى مستمرًا حتى كره بعض الناس ولاية نصر فرد عليهم بقوله:

أبت لى طاعق وابى بلائى وفوزى حينَ يعتركُ الخصامُ
ولئلا نَضِيعَ لنا ملءُما ولا حَسْبًا إذا شاعَ الدِّمامُ
ولا تغضى على غدرٍ ولئلا نُقيم على الوفاءِ فلا تُلامُ
خليفَتنا الذى فازت يدهُ بقُدحِ الحمدِ والمَلِكُ الهُمَامُ
نُسوسهم بهِ ولنا عليهم إذا قلنا مكارمُهُ جِسامُ^(٦)

فكانه يعرض دليل عمله في معالجة الأمور التى تقترن بالدرجة الأساس بطاعة

(١) الطبرى: تاريخ، ١٥٨/٧.

(٢) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ، دمشق، ٦٩/٢٣١؛ ابن خلكان: وفیات: ١٠١/٦.

(٣) الطبرى: تاريخ، ١٥٨/٧.

(٤) من بني مازن التميمي ولي شرطة كجستان وتغلب عليها أيام الفتنة. ابن الكلبي: جهرة، ٢٦٤.

(٥) الطبرى: تاريخ، ١٥٨/٧.

(٦) ديوانه، ٤٢-٤٣؛ الطبرى: تاريخ، ١٥٨/٧.

الخليفة وتنفيذ أوامره واتباع الحُلم والقوة حيثما كان ذلك ضروريًا. وهى سياسة سبق وان انتهاجها معاوية بن أبى سفيان ومن بعده عبد الملك بن مروان؛ بيد أن الظروف تغيرت واصبح العد التنازلى بضعف قوة الدولة واضحا نتيجة تولى خلفاء شباب لم يتمرسوا فى الإدارة تمرسا كافيا، وبروز ظاهرة التنازع على السلطة بين الخليفة وولى العهد فى محاولة الخليفة إزاحة ولى العهد هذا لتولية ابنه.

وفى سنة (١٢١هـ/ ٧٣٨هـ)^(١) غزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر حتى بلغ الشاش^(٢) فقتل فارس الترك الأخرم وهزمهم ثم عاد، فقال أبو نميلة، صالح بن الأباد^(٣).

كُنَّا وَأَوْبَةُ نَصْرٍ عِنْدَ غَيْتِهِ كَرَأْبِ النَّوْءِ حَتَّى جَادَهُ الْمَطَرُ
أَوْدَى بِأَخْرَمٍ مِنْهُ عَارِضُ بَرْدٍ مُسْتَرْجِفٌ بِمَنَايَا الْقَوْمِ مُنْهَمِرٌ^(٤)

يكشف البيتان عن مصرع الأخرم وعن الموقف الصعب الذى غدا فيه المسلمون نتيجة شعورهم بالقلق وبحشهم عن انتصار يديم قوتهم وتماسكهم، فكانت قيادة نصر بن سيار جديرة بأن تمنح المسلمين الإحساس بالأمان والقدرة على مواجهة المفاجآت التى قد تحصل.

وفى هذه السنة (١٢١هـ/ ٧٣٨م)^(٥) كان بدء ظهور أمر زيد بن علي^(٦) (ت، ١٢٢هـ/ ٧٣٩م) على ولاية سيف بن عمر الثقفى فى الكوفة بعد أن شعر بأن الظروف أصبحت مواتية له، فقال:

(١) الطبرى: تاريخ، ١٧٥/٧-١٧٦.

(٢) قرية بالري فى بلاد ما وراء نهر سيحون. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٣٠٨ (شاش).

(٣) مولى بني عبس. الطبرى: تاريخ، ١٩٦/٧؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٥٢ وفيه (أبو نميلة) لعله تصحيف.

(٤) الطبرى: تاريخ، ١٦٧/٧.

(٥) نفسه، ١٦٠/٧.

(٦) هو زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٣٢٥؛ ابن حبان: الثقات، ٢٤٩/٤.

متخَرِّقُ الخُفَيْنِ يشكو الوجى تنكبه أطراف مروٍ حداد
شَرَّدَهُ الخُوفُ وازرى به كذاك من يكره حرَّ الجِلادِ
قَد كان فى الموت له راحة والموت حتمٌ فى رِقَابِ العِبادِ^(١)
فلما قتل سنة (١٢٢هـ / ٧٣٩م)^(٢) أرسل رأسه مع الحجاج بن القاسم^(٣)، فقال أبو الجويرية^(٤):

قُلْ لِلَّذِينَ انْتَهَكُوا المحارِمَ ورَفَعُوا الشَّمْعَ بصحراءِ سَالِمٍ
كيف وجدْتُم وقعةَ الأكرامِ يا يوسف بن الحكم بن القاسم!^(٥)
وقال الحرَّ بن يوسف^(٦):

وأمتنا حجاجٌ من قريشٍ فأَمسى ذكرهم كحديثِ أمسٍ
وكنّا أسْ ملكهم قديمًا وهل مُلكٌ يُقامُ بغيرِ أسٍّ؟
ضمنا منهم نُكَلًا وحُزنًا ولكن لا محالةً من تأسٍ^(٧)

كان مؤيد وزيد من آل بيته قليلين بالمقارنة مع الثورات العلوية الأخرى، مما يعين خضوع هذه الثورة للارتجال وقلة التخطيط وأن الظروف الطارئة أملت عليه وضعًا استثنائيًا، لأنه عوّل على اضطراب الوضع في العراق وخراسان، فكان زيد غريبًا في خروجه حتى تخلى عنه أقرب الناس إليه، كما قال ابنه يحيى بن^(٨) زيد:

(١) الجاحظ: البيان، ١/ ٣١٠؛ اليعقوبى: تاريخ، ٣/ ٦٨ وهي الرواية المعتمدة؛ ابن عبد ربه: العقد، ٥/ ٢١٠؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٣/ ٢٨٧.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٨٠.

(٣) هو الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل نفسه، ٧/ ١٨٧.

(٤) هو من عترة بن اسد بن بن ربيعة بن نزار. شاعر. الأمدى: المؤلف، ١٠٨.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ١٨٧ وفي نسب الحجاج ثمة اختلاف بين البيتين والإشارة التاريخية.

(٦) هو الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص، ولي الموصل. ابن حزم: جمهرة، ١١٠.

(٧) الزبيرى: نسب قريش، ١٦١.

(٨) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ثار على الوليد بن يزيد ولم يعقب. ترجمته: الأصفهاني: مقاتل، ١٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٨/ ٤١.

خليلي عنى بالمدينة بَلْغَا
فحتى متى مروان يقتلُ منكم
وحتى متى ترضون بالخسف منهم
ولكل قتلٍ معشرٌ يطلبونه
بنى هاشمٍ أهل الثهى والتجارب
خياركم والدهر جَمُّ العجائب
وكنتم أياة الخُسف عند التجارب
وليسَ لزيدٍ بالعراقين طَالِبٌ^(١)

وكان أول من قتل من أصحاب زيد القاسم بن كثير^(٢) فقالت ابنته سكينه
ترثيه:

عينُ جودى لقاسم بن كثير
أدركته سيوفُ قومٍ لئام
سوف أبكيك ما تغنى حمام
فوق غصنٍ من الغصونِ نَضِيرِ^(٣)
بدرورٍ من الدَموعِ عَزِيرِ
من أولى الشرِّ والردى والشرورِ

وقال الكميث بن زيد يخاطب يوسف بن عمر ويعرض بخالد القسرى:

خرجتُ لهم تمشى البراح ولم تكنُ
حلفت بربِّ الناسِ يا أم خالدٍ
ولا خالداً يستطعمُ الماءَ قائمًا
بَعْدَ لِكَ والدَّاعِى إلى الموتِ أَقْرَبُ^(٤)
كَمَنَ حِصْنُهُ فِيهِ الرِّتَاجُ الْمُضَبُّ
بَأْمُكَ إِذْ أَصَوَاتُنَا الْهَلْ وَالْهَبْ

يظهر هذا الشعر شيئاً ويخفى شيئاً آخر؛ لأن الكميث علوى الهوى، فأثر
التعريض بخالد القسرى والإشادة بيوسف بن عمر، ولكنه فى حقيقة الأمر عرّض
بالاثنين انتصاراً لزيد فى قوله (والداعى إلى الموت أقرب) فهو يدعو ليوسف بقرب
الموت.

(١) الأشعرى: مقالات، ١/ ١٤٤: الزبيرى: نسب قريش، ٦٦ ذكر البيت الأخير فقط.

(٢) القاسم بن كثير بن يحيى بن صالح بن عزيز التَّبَعِي. ترجمته: الأصفهاني: مقاتل، ١٣٦؛ ابن حبان: الثقات، ٣٠٦/٥.

(٣) الأصفهاني: مقاتل، ١٣٧.

(٤) ديوانه، ١/ ٨٥-٨٦.

وجيء براس زيد فُصِّل بالمدينة في سنة (١٢٣هـ / ٧٤٠م)^(١) فوصف الفضل بن العباس^(٢) طريقة صلبه، فقال:

غداة ابن النبی أبو حسین	صليّب بالكناسة فوق عود
يظل عمودهم ويسي	بنفسى أعظم فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه	فأخرجه من القبر اللحد
فظلوا ينبشون أبا حسين	خضيباً بينهم بدم جَسيد
فطال به تلعبهم عُتوا	وما قدروا على الروح الصَّعيد ^(٣)

يصور هذا الشعر تصويرًا واضحًا كيفية صلب زيد، فهو من الشعر الذى يرسم الحدث ويسهم في حفظه.

كانت شخصية زيد وثورته مثار صراع خفى بين السلطة ومناوئها، فقد وقف أحد شعراء الأنصار حين صلب زيد فقال:

ألا يا ناقص الميثا	ق ابشر بالذى سالكا
نقضت العهد والميثا	ق قديماً كان قدماً كا
لقد أخلفت إبليس الـ	ذى قد كان مئثا كا ^(٤)

فيل له: "ويلك! أتقول هذا لمثل زيد! فقال: إن الأمير غضبان فأردت أن أرضيه^(٥)". فرد عليه بعض شعرائهم.

ألا يا شاعر السوء	لقد أصبحت أفاكا
-------------------	-----------------

(١) الطبرى: تاريخ، ١٨٩/٧.

(٢) هو الفضل بن العباس بن عبدالرحمن بن ربيعة بن الحراث المطلبى. ترجمته: الأصفهاني: مقاتل، ١٤٩؛ المرزبانى: الموشح، ١٧٩ وفيه الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة.

(٣) الأصفهاني: مقاتل، ١٤٩.

(٤) الطبرى: تاريخ، ١٩/٧.

(٥) نفسه.

أَشْتَمُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ — يَرْضَى مِنْ ثُلُوكَا
 أَلَا صَبْرًا بِحِكِّ اللَّهِ — بِخَزَى ثَمَّ مَسَاكَا
 وَيَوْمَ الْحَشْرِ لَا شَكَّ — بَأَنَّ النَّارَ مَثْوَاكَا^(١)

ونالت ثورة زيد ترحيباً من لدن بعض الخوارج على رغم الاختلاف في وجهات النظر بين الخوارج والعلويين، ولكن الرغبة في الخروج كانت موضع قبول لدى الخوارج حتى قال حبيب بن خدره الهلالي^(٢):

يَا بَا حَسِينُ لَوْ شَرَاةٌ عِصَابَةٌ — صَبْحُوكَ كَانَ لَوْرْدِهِمْ إِصْدَارُ
 إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنْ قَتَلَكَ لَمْ يَكُنْ — عَارًا عَلَيْكَ وَرَبُّ قَتْلِ عَارُ
 يَا بَا حَسَنُ وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى — أَوْلَادِ دِرْزَةِ أَسْلَمُوكَ وَطَارُوا^(٣)

لعل طريقة زيد في استقبال الموت والثورة هي التي استحسِنها الهلالي. وفي سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م^(٤) وقعت الفتنة عند البربر فبعث هشام بن عبد الملك في خيل أهل الشام على إفريقية كلثوم ابن عياض القشيري^(٥) فقتل، فقال أحد الشعراء:

قَتَلْنَا نَصَفَهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا — وَطَيَّرَ نَفْسَهُمْ فَرَقُّ فُطَارُوا
 وَقَدْ عَلِمْتَ مَعْدُ أَنْ قَوْمِي — لَهُمْ عِدُّ الْمَكَارِمِ وَالْفَخَارُ
 وَإِنَّا - حِينَ تَمْسَى الشُّوْلُ - حُدْبًا — مَطَاعِيمِ إِذَا حُبَّ الْقِتَارُ
 وَأَنْ الْخَيْلَ تَعْرِفُنَا إِذَا مَا — تَطَايَرُ عَنْ قَوَائِمِهَا الْغِبَارُ

(١) نفسه.

(٢) أحد شعراء وخطباء الخوارج. الجاحظ: البيان، ٣/ ٢٦٤؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٢٢.

(٣) شعر الخوارج، ٢١٣-٢١٤؛ ديوان الخوارج: ٤٢.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧٠؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ١٩١.

(٥) هو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قيس بن الأعور بن قشير. ابن حزم: جمهرة، ٢٩٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٣/ ١٦٧.

تَقَوُّدَهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ حَتَّى نَوَاقِعُهُمْ، وَإِنْ بَعْدَ الْمَغَارِ^(١)

يبدو أن الأقاليم البعيدة أصبحت تشهد حركة تملل وتوثب ضد السلطة المركزية نتيجة تفاقم الصراعات القبلية ففي سنة (١٢٤هـ/ ٧٤١م)^(٢) استغل البربر الظروف فثاروا في الأندلس، فولى هشام بن عبد الملك على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي^(٣)، فبعث أبو الخطار، الحسام بن ضرار الكلبي^(٤) واليًا على الأندلس، فلما قدمها أدوا إليه الطاعة وأخذ ما فيها من فتن، وأخرج من كان سببها^(٥). ولكنه لم يلبث أن تعصب لليمانية وفضلهم على القيسية، فآل الأمر بالحسام بن ضرار إلى الخلع والفرار، وحينما شعر بتغيّر بنى مروان نحو قيس وتنكرهم لبلاء كلب قال الحسام:

أفادت بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله إن لم تعدلوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرجاً راهطاً ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حرّاً القنا بنحورنا وليس لكم خيلٌ سوانا ولا رجل
ولما رأيتم وإقد الحرب قد خبا وطاب لكم فيها المشارب والأكل
تناسيتم مَسْعانا وبلاءنا وخامركم من سوء بغيكُم جهل

(١) ابن الشجري: الحماسة، ١/ ١٧٣-١٧٤.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧١.

(٣) حنظلة بن صفوان بن ثوبل بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن عرين بن عذرة. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ٣٥؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرش المصري (ت، ٨٧١هـ/ ٤٦٦م): فتوح مصر وأخبارها (ليدن، ١٩٢٠م)، ٢٢١.

(٤) هو أحد بني عدي بن جناب من كلب (ت، ١٣٠هـ/ ٧٤٨م). ترجمته: الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. تصحيح محمد بن تاووت الطنجي (مكتبة الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ)، ١٨٨؛ الضبي: بغية، ٢٣٧.

(٥) ينظر: الحميدي: جذوة، ١٨٩؛ ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضامي (ت، ٣٨هـ/ ١٢٦٠م): الحلة السراء، تحقيق حسين يونس، الجزء الأول (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م)، ٦١.

فلا تعجلوا إن دارت الحرب دورةً وزلّت عن المهواة بالقدم النعل^(١)

تُعبّر هذه الأبيات عن تفاقم الصراع بين قبائل اليمن وقيس، ولم يستطع الخليفة أن يتخذ سياسةً متوازنة تجاه القبائل بسبب ميل الولاة إلى قبائلهم لاضطرارهم الاعتماد عليها في تنفيذ سياسة الدولة ويسط نفوذهم لإشاعة الأمن والاستقرار، كما في قول أبي الخطار للصميل بن حاتم الكلابي^(٢) رأس المتعصبين ضد البيانية:

إن ابن بكر كفانى كلّ معضلةٍ وحطّ عن غابى ما كان يؤذنى
إذا اتخذت صديقاً أو هممتُ بهِ اعتمد لذى حسَبٍ إن شئتَ أو دينِ
ما يقدر الله فى مالى فى ولدى لابدّ يدركنى لو كنتُ بالصينِ^(٣)

وحاول هشام بن عبد الملك قبل وفاته أن يخلع ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقطع عنه الرزق، واسقط أسماء أهله وحرمه، وأصحابه وحرسه من ديوان العطاء^(٤). فقال الوليد يعاتبه:

أليس عَظيماً أن أرى كلّ وارِدٍ حياضك يوماً صَادِراً بالنوافلِ
وأرجع مجذوذ الرّجاء مُصَرِّداً بتحلئةٍ عن وِردِ تلك المناهِلِ
فأويت مما كنت أمل فيكم وليس يُلاقى مارجاً كلُّ أملِ
كذى قَبْضةٍ يوماً على غُرْضٍ هَبْوةٍ يَشْدُ عليها كَفُّهُ بالأثامِ^(٥)

(١) ينظر: البلاذرى: أنساب، ١٤٢/٥ الأبيات الثلاثة؛ الحميدى: جذوة، ١٨٨-١٨٩؛ ابن الشجرى: الحماسة، ٩/١-١٠؛ الصبى: بغية، ٢٣٨؛ البصرى، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت، ٦٤٧هـ/١٢٤٩م): الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد؛ الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ)، ٨١؛ ابن الأبار: الحلة، ١/٦٤. وفي بعض الروايات (أفادت بنو مروان).

(٢) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي. ترجمته: ابن الأبار: الحلة، ١/٦٧.

(٣) ابن الأبار: الحلة، ١/٦٦.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٠/٧.

(٥) الوليد بن يزيد (ت، ١٢٦هـ/٧٤٣م): شعره، جمع وتحقيق حسين عطوان (المطبعة الاقتصادية، مكتبة الأقصى، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م)، ١٠٤.

وحين بلغ الوليد أن هشامًا هم بخعله قال:

خذوا مُلككمُ لا ثبَتَ اللهُ ملككمُ ثباتًا يُساوى ما حييتُ قبلا
دُرُوا لى سَلَمى والطَّلَاءِ وقِينةُ وكأَسَا أَلَا حَسبى بذلك مالا^(١)

لعل نزعة التمرد تمخضت من هذا الإحساس بالنفى والميل نحو العزلة، وإن عتاب الوليد لبعض من سعى فى خلعه من قومه يفند ما جاء بتلك الأبيات ويردُّ على استخفافهم به، وكسرهم لقناته، ووصفه بأنه هائم بالغانيات، كما فى خطاب الوليد لقومه وعتابه لهم:

سَلِّ هَمَّ النفسِ عنها بعَلِّ نداءَ عَـلَاةٍ
تتقى الأرضَ وتهـوى بخفِّ افـرُـمُـد مجات
ذاك أم ما بال قومى كَسروا سِنَّ قناتى
واستخفوا بى وصاروا كقـرودٍ خاسـثات
أصبحَ اليومَ وليدٌ هائمٌ بالغانيات
عنده كأسٌ وإبرى قُـوِ وراح بـالغلاة
ابعثوا خيلاً خـيـلٍ ورُمُوا لـرُمَاةٍ^(٢)

والبيت الأخير يشير إلى جدّه، وفروسيته، وأن الصراع هو صراع فرسان وخيل ورماة، مما يزيل الشك الذى حام حول شخصيته العابثة، ويكشف عن جديتها. وهذا ما يرجح محاولة هشام اغتياله^(٣) لأن هشامًا كان لا يقدم على استلاب ولاية العهد من الوليد، ولا يجروء عليه، لأنه كان يخشى عواقبه، وأخطاره، فإن استلاب ولاية العهد يحط من قدر هشام ويزرى به ويؤذن بتصدع بنى أمية وتفسخهم^(٤).

(١) نفسه، ٩٢. ينظر: وصفه لهشام بأنه يسعى فى قطيعته، ١٢٥.

(٢) شعره، ٣٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٩/٧-١٠.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ٦٣/٧.

(٤) عطوان، حسين: الوليد بن يزيد "عرض ونقد"، (دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٣١٠.

بيد أن الصراع أحدث شرخاً في صميم الأسرة الأموية وأضعف قوة سلطتها المعنوية، وهياً الظروف المناسبة لسقوطها أمام خصومها العباسيين، ولعل ما قاله يزيد بن ضَبَّه^(١) في شأن هشام وهو يدافع عن الوليد خير شاهد على طبيعة التصدع الذي أخذ يتفشى في جسد الدولة والأسرة معاً:

ألم تَرَانِنَا لِمَا وَلِينَا أُمُورًا خُرِّقَتْ فُوهَتْ سَدَدُنَا
 رَايِنَا الْفَتْقَ حِينَ وَهَى عَلَيْهِم وَكَمْ مِنْ مِثْلِهِ صَدَعُ رِفَانَا
 إِذَا هَابَ الْكَرِيهَةَ مَنْ يَلِيهَا وَأَعْظَمَهَا الْهُبُوبُ لَهَا عَمَدُنَا
 وَجِبَارٍ تَرَكْنَاهُ كُلَّيْلًا وَقَائِدَ فِتْنَةٍ طَاعَ أَرْزَلُنَا
 فَلَا تَضُنُّسُوا مَوَاطِنَنَا فَإِنَّا إِذَا مَا عَادَ أَهْلُ الْجُرِمِ عُدُنَا
 وَمَا هِيضَتْ مَكَاسِرُ مَنْ جَبَرْنَا وَلَا جَبَّرَتْ مَصِيبَةٌ مِنْ هَدُنَا
 أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنَى هِشَامًا فَمَا مِنَّا الْبِلَاءُ وَلَا بَعْدُنَا^(٢)

وحاول الوليد دفع التهمة عنه باتهام مماثل إلى مسلمة بن هشام^(٣)، المعروف بـ (أبي شاکر)، فقال الوليد:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرٍ
 نَشْرِبُهَا صُرْفًا وَمِمَزُوجَةً بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَاتِرِ^(٤)

فأظهر مسلمة بن هشام النُسك وقَسَم بمكة والمدينة أموالاً^(٥)، فقال مولى لأهل المدينة:

(١) مولى ثقيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه غلبت على نسه. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٩٣/٧.

(٢) شعره، شعراء ثقيف، ٢١٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ٩٣/٧.

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك. ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٩٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٨/٦١.

(٤) شعره، ٦٦؛ الطبري: تاريخ، ٧/٢١٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٥/٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧/٢١٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٦/٧.

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
الواهب البزل بإرسائها ليس بزندق ولا كافِر^(١)

ومن الراجح "أن هشامًا كلف أحد شعرائه بنقض بيتي الوليد اللذين شهّر فيهما بمسألة، فنقضهما في رمي الوليد بالإلحاد"^(٢). فقد كان هشام يعيب الوليد وينتقصه، وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره له، حتى قال أحد أصحاب الوليد:

لعلّ الوليد دنا مُلكه فأمسى إليه قد استجمعا
وكُنّا نُؤمّل في مُلكه كتأمل ذي الجذب أن يُمرعا^(٣)

لكن وفاة هشام بن عبد الملك في سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)^(٤) أحبطت محاولاته إزاحة الوليد من أمامه لتولية ابنه، فلما بلغ الخبر الوليد بن يزيد قال:

هلك الأحوال المشؤم فقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذا كَ فقد أورد الشجر
فاشكروا الله إنّه زائد كل من شكر^(٥)

وقال أيضًا:

أنا ابن يزيد بن عبد الملك وجدى مروان لا أم لك
فكيف إذا ما ملكت البلاد وقمت خطيبًا على منبرك
فبَخْ بَخْ لك ما أكرمك وبَخْ بَخْ لك ما أفخرَكَ^(٦)

(١) نفسها.

(٢) عطوان: الوليد، ٣٠٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٧/ ٢١١.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٧٢؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٠٠.

(٥) شعره، ٥٥.

(٦) نفسه، ٨٥.

لقد أثبت هشام، على الرغم من كل ما عانتها الدولة في عهده، خلال مدة حكمه الطويلة على قدرة إدارية ناجحة على الرغم من الظروف الصعبة التي واجهته مع قلة الولاة الحازمين في أيامه، مما يعنى تمتعه بقدرة قيادية على إدارة شؤون الدولة ومحاولة إصلاحها.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(١) (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٢-٧٤٣م):

عانت الخلافة الأموية في سنواتها الأخيرة من موضوع ولاية العهد معاناة كبيرة اضعفتها بشكل واضح، وذلك عندما جعلت من يتولى الخلافة بعد محاولة خلعه عنها يتصرف بطريقة لا تضع بالاعتبار المصلحة العامة والمحافظة على وحدة الأسرة الأموية وتماسك المجتمع وسلامة المؤسسات الإدارية للدولة، وإنما تعتمد على الانتقام ممن سعى إلى خلعه على مستوى الأفراد والقبائل غير مكترث بالنتائج السلبية التي ستظهر بعد ذلك.

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح عندما تولى الوليد بن يزيد الخلافة في سنة (١٢٥ هـ / ٧٤٢م)^(٢) فوقد عليه إبراهيم بن هرمة^(٣) فقال:

وكانت أمور الناس منبتة القوى فشد الوليد حين قام نظامها
خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى أقامها^(٤)

ومما يشير إلى حالة الانتقام ممن سعى إلى خلع الوليد، قوله:

ليت هشام عاش حتى يرى محلبة الأوفر قد أترعا
كلنا له بالصاع إذ كألها وما ظلمناه بها أصوعا

(١) ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٦/٢٣٤؛ الذهبي: سير، ٥/٣٧٠.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ٢/٣٧٣؛ الطبري: تاريخ، ٧/٢٠٩.

(٣) هو إبراهيم بن علي، وأمه هرمة من شعراء الدولتين الأموية والعباسية (ت، ١٧٦هـ / ٧٩٢م).

ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/٦٣٩؛ ابن المعتز: طبقات، ٢٠.

(٤) إبراهيم بن هرمة (ت، ١٧٦هـ / ٧٩٢م): ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيد (كطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)، ٢١١-٢١٢.

وما اتينا ذاك من يدعة أحله القرآن لي اجمعاً^(١)

فكان من نتائج محاولة حرمان الوليد بن يزيد من الخلافة أن عقد ولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان من بعده وأخذ لهما البيعة الواحد بعد الآخر، فجعل الحكم مقدماً على عثمان في سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م^(٢) فقال الشاعر:

نبايعُ عثمانَ بعدَ الولي	لِلعهدِ فينا ونرجوُ يزيدا
كما كان إذ ذاك في ملكه	يزيدُ يُرجى لَذاك الوليدُ
على أنَّها شَسعت شِسةً	فَنحنُ نَومَلُها أن تَعودا
فإن هي عادت فأرضَ القريد	سَبَ عنها لِيؤيسَ منها البَعيدا ^(٣)

يبدو الشاعر غير مقتنع بهذه الطريقة في تولي الخلافة، وتحمل أبياته رفضاً مبطناً لهذا التشبث من قبل آل يزيد بن عبد الملك بالخلافة.

وكان من إجراءات إعادته لأعطيات أهل الحرمين التي منعت بعد خروج زيد بن علي، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة^(٤). وفي ذلك يقول الوليد بن يزيد:

الا أَيُّها الركبُ المُجنُّون أبلغوا	سَلامى سُكانَ البلاد فأسمعوا
وقولا: أتاكم أشبه الناسِ سُنَّةً	بوالدو فاستبشروا وتوقعوا
ضَمِنْتُ لَكم إن لم تصابوا بمهجتي	بأن سماءَ الضُرِّ عنكم سَتُقلَعُ
مُحَرِّمُكم دِيوانكم وعطاؤُكم	بِه يَكتبُ الكُتابُ والكتبُ تُطَبَعُ ^(٥)

فكانت إجراءات زيادة العطاء كسباً للناس، وخطوة نحو تقليل سخطهم على

(١) شعره، ٧٤؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٢١٦.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/ ٢١٨.

(٣) نفسه، ٧/ ٢١٩.

(٤) نفسه، ٧/ ٢١٧.

(٥) شعره، ٧٧.

الخلفاء، وتخفيفاً لمعاناتهم، وبهذا حقق الوليد نوعاً من الانفراج النفسى الذى لم يدم طويلاً بسبب الصراعات الدائرة داخل الدولة.

وفى سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)^(١) ظهر أمر يحيى بن زيد، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار الذى كان ينزل به، فقتل يحيى، فقال أحد الشعراء يعرض بنصر:

أليسَ بعينِ الله ما تصنعونهُ عشيةَ يحيى موثقٌ فى السلاسلِ
الم تر ليثاً ما الذى ختمت بهِ لها الويلُ فى سلطانها المتزائلِ
لقد كشفت للناسِ ليث عن استها أخيراً وصارت شحكةً فى القبائلِ
كلابٌ عوت لا قدسَ الله أمرها فجاءت بصيدٍ لا يحلُّ لأكلِ^(٢)

أصبحت خراسان موطناً للصراعات والدعوات المناوئة للحكم الأموى، فى الوقت الذى كانت سياسة الوليد بن يزيد تتذبذب بسبب ميله نحو اللهو واللذة والركوب للصيد... وغيرها، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عظم أهل الشام"^(٣) حتى قيل إنه قال: "شعراً يوبخ به أهل اليمن فى تركهم نصره خالد بن عبدالله"^(٤) وذلك بعد حبس خالد القسرى وإطلاق يد يوسف بن عمر فى تعذيبه، ثم قتله فى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)^(٥) وفى ذلك يقول الوليد:

ألم تهتج فتذكرُ الوصالا وحَبلاً كان متصلاً فزالا
بلى فالدمعُ منك له سجامٌ كماء والمزن ينسجلُ أنسجالا
فَدع عنكَ ادكارَكَ آل سُعدى فتحن الأكثرون حسى ومالا
ونحن المالكونَ الناسَ قسراً نَسومُهُم المذلَّةَ والنكالا

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٢٨؛ المسعودى: مروج، ٣/ ٢١٢.

(٢) الجاحظ: الحيوان، ٢/ ٢٩١ والأبيات الأخيرة منسوبة لأبي نظلة مع اختلاف الترتيب والرواية؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٥٥ والأبيات كاملة.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣١.

(٤) نفسه، ٧/ ٢٣٤.

(٥) نفسه، ٧/ ٢٥٤.

وطئنا الأشعرين يعزّ قيسٍ
وهذا خالداً فينا أسيرٌ
عظيمُهُ وسيدُهُمُ قديماً
فلو كانت قبائل ذات عزّ
ولا تركوه مسلوباً أسيراً
وكندة والسكونُ فما استقالوا
بها سُمننا البريّة كُلّ خَسفٍ
ولكن الوقائعُ ضَعُضعتهم
فما زالوا ابداً عبيداً
فأصبحتُ الغداة على تاجٍ
لملك الناس ما يبغي انتقالاً^(١)

ويعتقد بأن "هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية"^(٢). حتى نسب إلى أحد الكلبيين^(٣)، وهو ما دعا أحد الباحثين إلى القول بأن القصيدة مصنوعة على لسان الوليد وليست له^(٤)، ذلك لأن القصيدة تبدو من لغتها وروح التذمر والاستنفار الشديد، هي قصيدة تحريض ضد الوليد، وتألّيب لمشاعر اليمانية ضده، فقد كان القبض على خالد القسرى وإطلاق يد يوسف بن عمر في تعذيبه^(٥)، أشبه بحدوث انقلاب خطير في سياسة الأمويين التي لم تعد تتناسب مع الظروف الصعبة المحيطة بهم بسبب ميل القبائل القيسية (المضرية) إلى خصومهم، فظهر إحساس لدى قبيلة كلب السند القوى للأمويين في الشام بضرورة الثورة، وهو ما يبتغيه خصومهم في إبعاد مساندة القبائل اليمانية وعزل الأسرة الأموية

(١) شعره، ١٥٤-١٥٥؛ الدينوري: الأخبار، ٣٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٧/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/٢٣٤.

(٣) البلاذري: أنساب (مخطوط)، ورقة ٢٠٠.

(٤) عطوان: الوليد، ٤٣٣-٤٣٥.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧/٢٤٥.

عنهم ليبقى الأمويون دون سياج منيع يقيهم من غائلة الاقتحام، وهذا ما صرح به عمران بن هلباء الكلبي^(١) الذي أجاب الوليد على قصيدته فقال:

فَقَى صَدْرَ الْمُطَيَّةِ يَا حَلَالَا	وَجَدْتِي حَبْلَ مَنْ قَطَعَ الْوَصَالَا
أَلَمْ تُحْزَنْ لَكَ أَنَّ ذَوِي يَمَانٍ	يُرَى مِنْ حَاذِ قَيْلِهِمْ جَلَالَا
جَعَلْنَا الْقَبَائِلَ مِنْ نَشْزَارٍ	غَدَاةَ الْمَرْجِ أَيَّامًا طَوَالَا
بَنَا مَلِكَ الْمَلِكِ مِنْ قَرِيشٍ	وَأودى جُدًّا مِنْ أودى فَزَالَا
مَتَى تَلَقَّ السَّكُونُ وَتَلَقَّ كَلْبَا	بَعِيسٍ تَخْشَى مِنْ مَلِكِ زَوَالَا
كَذَاكَ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُلَفَّ عَدَلَا	يَكُونُ عَلَيْهِ مِنْطَقُهُ وَبَالَا
وَأَعْدُوا آلَ حِمِيرٍ إِذْ دُعِيتُمْ	سَيُوفَ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ الْهَالَا
وَكُلُّ مُقْلَصٍ نَهْدِ الْقُصَيْرِ	وَذَا فَوْدَيْنِ وَالْقُسْبِ الْجَبَالَا
يَذَرْنَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ قَتِيلَا	عَلَيْهِ الطَّيْرُ قَدْ مَذِلَ السُّؤَالَا
لِئَن عِيرْتُمُونَا مَا فَعَلْنَا	لَقَدْ قُلْتُمْ وَجَدَكُمْ مَقَالَا
لِإِخْوَانِ الْأَشَاعِثِ قَتَلُوهُمْ	فَمَا وَطِئُوا وَلَا لَاقُوا نِكَالَا
وَأَبْنَاءَ الْمَهْلَبِ نَحْنُ صُلْنَا	وَقَائِعَهُمْ وَمَا صُلْتُمْ مَصَالَا
وَقَدْ كَانَتْ جُذَامٌ عَلَى أَخِيهِمْ	وَلَخِمَ يَقْتُلُونَهُمْ شَالَا
هَرَبْنَا أَنْ نَسَاعِدَكُمْ عَلَيْهِمْ	وَقَدْ أَخْطَأَ مَسَاعِدَكُمْ وَقَالَا
فَإِنْ عُدْتُمْ فَإِنْ لَنَا سُيُوفَا	صَوَارِمَ نَسْتَجِدُّ لَهَا الصِّقَالَا
سَنَبْكِي خَالِدًا بِمُهْندَاتِهِ	وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَالَلَا
أَلَمْ يَكْ خَالِدٌ غَيْثَ الْيَتَامَى	إِذَا حَضَرُوا وَكُنْتَ لَهُمْ هُزَالَا

(١) أخباره: نفسه، ٧/ ٣٢٥.

يُكْفَنُ خَالِدٌ مَوْتَى زَارٍ وَيُثْرَى حَيِّهِمْ نَشْبًا وَمَالًا
 لَوْ أَنَّ الْجَائِرِينَ عَلَيْهِ كَانُوا بِسَاحَةِ قَوْمِهِ كَانُوا نِكَالًا
 سَتَلْقَى إِنْ بَقِيَتْ مُسُومَاتِي عَوَاسٍ لَا يُزَايِلُنَ الْجَلَالَ^(١)

وبدأ تأثير هذا الشعر عندما "ازداد الناس على الوليد حنفاً"^(٢) لأنه أثار حفيظة القبائل اليمنية وحفزها على الانتفاض ضده، حتى أخذت تنحسر على سياسة هشام لأن أسلوب النقيضة الذي استخدم في شعر الكلبى أسهم في انتشار القصيدة، فضلاً عن كون النقائص في هذه المرحلة شهدت تطوراً حضارياً وعقلياً أسهم في نشوء نوع من "الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقيدية"^(٣) نتيجة تفاقم ظاهرة التيارات والفرق والصراعات القبلية التي كان لها الأثر البالغ في التلاسن الشعرى، كما في قول حمزة بيض:

وَصَلَتْ سَمَاءَ الضُّرِّ بَعْدَمَا زَعَمْتَ سَمَاءَ الضُّرِّ عَنَا سَتُقْلَعُ
 فَلَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا تُرْجَى وَنَطْمَعُ^(٤)

لعل أحد أسباب سياسة الوليد بهذه تجاه قبائل اليمن هو تنكيله بمن كان يسند هشاماً ويخلص له، مع أن هذا الإخلاص كان تقليدياً مستمراً لهذه القبائل، لكن تأثير بنى ثقيف أحوال الوليد^(٥) دفعه إلى التنكر للقبائل اليمنية والعمل على إقصائها بعيداً عنه مما دفعها على مساندة خصومه ومن يتآمر على قتله حينما أجمعت قضاة اليمنية على ذلك^(٦). لذا كان حنق شعراء اليمن ومن والاهم واضحا، فهذا حمزة بيض يقول أيضاً:

(١) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٢٥-٢٣٦.

(٢) نفسه، ٧/ ٢٣٦.

(٣) غيف: العصر الإسلامي، ٢٤٢.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٣٦.

(٥) خال الوليد بن يزيد هو يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ابن أخي الحجاج بن يوسف الثقفي.

نفسه، ٧/ ٢٢٦.

(٦) نفسه، ٧/ ٢٣٣.

يا وليد الحناوة تركت الطريقاً واشحاً وارتكبت فجاً عميقاً
وتمازيت واعتديت وأسرفت وأغويت وأينعت فسوقاً
أبدًا هات ثم هات وهاتى حتى تخر صعيقاً
أنت سكران لا تفيق فما ترتق فتقاً وقد فتقت فتوقاً^(١)

ومن المحتمل أن تأليه القبائل اليمانية كان دسيمة من خصومه، ومن ثم كان أحد أسباب التشهير به، والطعن في سلوكه، واتهامه بالإسراف والفسوق، بهدف تقويض الدولة الأموية، فقد كانت قسوة يوسف بن عمر الثقفي في تعذيب خالد القسرى مثار استياء متصاعد ضد سياسة الوليد، كما في قول الشاعر:

ألا أخبر الناس نفساً ووالداً أسير قريش عندها فى السلاسل
لعمري، لقد أعمرتم السجن خالداً وأوطأتموه وطأة المتماثل
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه ولا تحبسوا معروفه فى القبائل^(٢)

مما جعل من حبس القسرى قضية قبلية فجرت صراعاً راح يتصاعد ويتفاقم، وليست قضية أموال مستحقة عليه، حتى تطور هذا النزاع إلى العمل جدياً لخلعه، فاجتمع على قتله جماعة من قضاة واليمانية من أهل دمشق خاصة^(٣). وشاورت اليمانية العباس بن الوليد فى خلع الوليد فقال العباس "يا بنى مروان؛ إنى أظن الله قد اذن فى هلاككم"^(٤). ثم تمثل قائلاً:

إنى أعيدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع

(١) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ورقة ٢٠١.

(٢) الدينورى: الأخبار، ٣٤٧. الأول والثاني مع اختلاف الرواية؛ الطبرى: تاريخ، ٧/٢٥٧. الأبيات للأشعث القيني؛ أبو تمام ديوان الحماسة، ٢٦٢ منسوبة لأبي الشعب العبسي؛ التبريزي: شرح، ٢/١٩٦؛ ابن خلكان: وفيات، ٢/٢٣٠.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٧/٢٣٣.

(٤) نفسه، ٧/٢٣٩.

إن البرية قد ملّت سياستكم
لا تُلحِمن ذئاب الناس أنفسكم
لا تبقرن بأيديكم بطونكم
فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
فثم لا فدية تُغنى ولا جزع^(١)

يستشرف وينوه هذا الشعر بالحدث التاريخي ويسجل توقع حصوله قبل أوأانه، فكان الشعر سباقاً إلى تحليل المواقف وتحري الوقوف عند النتائج اليت ستمخض عنها، فقد اجتمعت القبائل الشامية المناهضة للوليد على خلعه، ومبايعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) المعروف بـ (الناقص)، فقال بعض شعرائهم:

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا
وكلب فجاءوهم بخيل وعُدّة
فأكرم بهم أحياء أنصار سنة!
وجاءتهم شعبان والأزد شُرّعاً
وغسان والحيان قيس وتغلب
فما أصبحوا إلا وهم ملكها
سكاسكها أهل البيوت الصناديد
من البيض والأبدان ثم السواعد
هم منعوا حرمايتها كل جاحد
وعبس ولخم بين حام وذائد
وأحجم عنها كل وان وزاهد
قد استوثقوا من كل عات وما رد^(٢)

وحين شعر الوليد بالخطر، بعد اتفاق القبائل مع بنى أمية على خلعه قال:

ما ويح جندى الألى خاروا وما نظروا
ألقتها ثم شالت عاقداً أنفاً
ولا ارتقوا من صميم المحض آونة
ما كنت أجزعهم من عرك كلكلها
فى غب عمود الدين لو وقفا
ما نتجوها فيلقوا تحتها ريعاً
لكنهم يجتنبون الصاب والسُّلعا
حتى تدر بخيعة أحمر دَفعا^(٣)

(١) نفسه: ينظر الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٧٤؛ ابن كثير: البداية، ٩/ ١٠.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٤٢.

(٣) شعره، ٧٣.

يبدو أن الوليد لم يحسب نتائج استيلاء قبائل اليمن من سياسته ضد نفوذها، فلما كانت هذه القبائل تتوزع في بلاد الشام، فإنها عمدت إلى جمع شملها والاتفاق مع يزيد بن الوليد بن عبد الملك على مبايعته وخلع الوليد، ثم قتله في جمادى الآخرة سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)^(١) فقال أحد شعراء اليمانية، وهو خلف بن خليفة:

لقد سَكَنْتْ كَلْبٌ وَأَسِيفَ مَذْحِجٍ صَدَىْ كَانُضٍ يَزْقُو لَيْلَهُ غَيْرَ رَافِدٍ
تَرْكَنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ مُكْبًا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ
فَإِنْ تَقْطَعُوا مِنَّا مَنَاطَ قَلَادٍ قَطَعْنَا بِهِ مِنْكُمْ مَنَاطَ فَلَائِدٍ
وَإِنْ تَشْغَلُوهَا عَنْ نِدَانَا فَإِنَّا شَغَلْنَا الْوَلِيدَ عَنْ غِنَاءِ الْوَلَائِدِ
وَإِنْ سَافَرَ الْقَسْرَى سَفْرَةَ هَالِكٍ فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِشَاهِدٍ^(٢)

أما حسان بن جعدة الجعفرى^(٣) فكذب خلف بن خليفة وانتصر لقبائل قيس فقال:

إِنْ أَمْرًا يَدْعَى قَتْلَ الْوَلِيدِ سِوَى أَعْمَامِهِ لِلْمِئَةِ النَّفْسِ بِالْكَذِبِ
مَا كَانَ إِلَّا أَمْرًا حَائِثَ مَنِيئِهِ سَارَتْ إِلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ بِالْحَرْبِ^(٤)

في حين يرى مولى لخالد القسرى أن قيساً (نزار، مضر) لم تستطع أن تمنع الوليد وتحول دون قتله، مما يمنح هذا الشعر قدرة على تصوير الأحداث وتوثيقها وتسجيل بعض جوانبها السياسية والاجتماعية والنفسية، كما في هذه الأبيات:

سَائِلٌ وَلِيدًا وَسَائِلَ أَهْلِ عَسْكَرِهِ غَدَاةَ صَبَّحَةٍ شَرُّوهُ بَشْنَا الْبَرْدُ
هَلْ جَاءَ مِنْ مَضْضٍ نَفْسٌ فَتَمْنَعُهُ وَالْخَيْلُ تَحْتَ عَجَاجِ الْمَوْتِ تَطْرُدُ

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٨٠؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٥٢.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١؛ ابن عبد ربه: العقد، ١٩٤م.

(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٢٢٤.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١.

من يهيجنا جاهلًا بالشعر نقضه بالببيض إنا بها نهجو ونفتد^(١)

ورد أحد الشعراء مدافعًا عن القيسية، ومعرضًا بخالد القسري وقومه، وكان مقتل الوليد كان ثارًا لخالد القسري، فقال نصر بن سعد الأنصاري^(٢):

أبلغ يزيد بنى كرزٍ مُغلَّلةً	أنى شُفيتُ بغيبٍ غيرَ موشورٍ
قَطعتْ أوصالَ قنورٍ على خنقٍ	بصارمٍ من سيوفِ الهندِ مأثورٍ
أُمست حلائِلُ قنورٍ مجدَّةً	لمصرعِ العبدِ قنورٍ بن قنورٍ
ظَلَّت كِلابَ دمشقٍ وهى تنهشه	كأنَّ أعضاءه أعضاء خنزيرٍ
غادرَ منه بقايا عندَ مصرعه	أنقاضٌ شُلِّو على الأطنابِ مجرورٍ
حكمتَ سيفك من خالدٍ إن كنت	إلا بكلِّ عظيمٍ الملكِ مشهورٍ
أسعرتُ مُلكَ نزارٍ ثم رُعتهُم	بالخيلِ تركُضُ بالشُّمِّ المغاورِ
ما كانَ فى آل قنورٍ ولا ولدوا	عدلاً لبدرٍ سماءٍ ساطعِ النورِ ^(٣)

وإذا كان هذا الصراع قد أودى بحياة الوليد، فإنه أورث فتنة طاشت سهامها وراحت تنتشر وتستعير لتفتح أفقًا واسعًا يتجاوز على هيبة الخلافة، فكان أول خليفة أموى يقتل، إذ لم يتجاسر خليفة أموى على خلع ولى عهده على الرغم منه، حتى قال أيوب السخيتاني^(٤) (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م): "ليت القوم تركوا لنا خليفة لم يقتلوه"^(٥). تخوفًا من الفتنة، فقد كان مقتله بمثابة جرس إنذار بقرب نهاية الدولة الأموية، وكان الأسرة الأموية بفعلها هذا قد انتحرت سياسيًا حتى تضاعل إيمانها

(١) نفسه.

(٢) ذكره: الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٦١.

(٣) نفسه.

(٤) أبو بكر بن أبي نيمه. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٦/ ٥٣؛ الشيرازي أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت، ٤٧٦هـ/ ١٨٣م): طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس (دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٨٩.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٨٠.

بحقها بالخلافة، لأن بلاد الشام كانت حجرَ الزاوية في قوة النظام القائم^(١)، أو في تصدعه.

أما ما قيل عنه من اتهامات كثيرة أوردتها بعض المصادر، فالراجع فيها أنها قد وضعت عليه بعد مقتله لأسباب عديدة^(٢)، حتى استبعد ابن تغري بردي حدوثها^(٣)، وممن مدحه إسماعيل بن يسار فقال:

إذا عَدَدَ النَّاسَ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَا فَلَا يَفْخَرْنَ يَوْمًا عَلَى الْعَمْرِ فَاخِرُ
تَراهمْ خَشُوعًا، حِينَ يَبْدُو مَهَابَةً كَمَا خَشَعَتْ لِكِسْرَى الْأَسَاوِرُ^(٤)

ومن الراجع أن الضعف الذي أصاب الدولة الأموية بعد مقتل الوليد هو الذي حمل بعض الشعراء على النيل من الخلفاء الأمويين ومنهم الوليد، كقول كثير:

قَتَلْنَا الْفَاسِقَ الْمُخْتَالَ لَمَّا أَضَاعَ الْحَقُّ وَاتَّبَعَ الضَّلَالَا
يَقُولُ لَخَالِدٍ إِلَّا حَمَتُهُ بَنُو قُحْطَانٍ إِنْ كَانُوا رِجَالَا
فَكَيْفَ رَأَى غَدَاةً عَدَتْ إِلَيْهِ كَرَادِيسَ يَشْبِهُهَا الْجِبَالَا
أَلَا ابْلُغْ بَنَى مِرْوَانَ عَنِّي بَأَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أودَى فَزَالَا^(٥)

(١) سركيس، إحسان: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م)، ١٩٢.

(٢) ينظر ما جاء عند الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٧١؛ المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي (ت، ٤٣٦هـ/ ٩٤٧م): غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بـ (أمالى المرتضى)، القسم الأول (دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ١٢٩؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن غري بردي الأتابكي (ت، ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، ٢٩٨.

(٣) النجوم، ١/ ٢٩٨.

(٤) إسماعيل بن يسار (ت، ١٣٠هـ/ ٧٤٧م): شعره، تحقيق ودراسة يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٣٦.

(٥) ديوانه، ٣٦٧؛ الدينوري: الأخبار، ٣٧٦.

يعد شعر كثير بن عبدالرحمن الميال للعلويين في توجهاته السياسية، هنا، نقضاً لقصيدة الوليد بن يزيد اللّامية التي ويخ بها قبائل اليمين لتركها نُصرة خالد القسري؛ وبهذا جمع بين ولائه السياسي للعلويين وبين انتسابه إلى قبيلة خزاعة اليمانية^(١). فهو لا يخفى تدمره من سياسة الوليد ضد اليمانية (بنى قحطان)؛ وكأنه يتشفى بنهايته السريعة، ويستشرف نهاية ملك أسرته، كما استبشر العلويون وتوقعوا ذلك^(٢). في حين رأى المقربون من الوليد أن مقتله كان خَرَقاً أليماً لثنايا الجسد المهيض؛ لأنهم قتلوا فتى قريش، كما يبدو ذلك في قول ابن ميادة^(٣) (ت، ١٤٩هـ/ ٧٦٦م):

ألا لَهْفَى عَلَى الْمَلِكِ الْمُرْجَى	غَدَاةَ أَصَابَهُ الْقَدْرُ الْمُتَاحُ
ألا أَبْكَى الْوَلِيدَ فَتَى قَرِيشٍ	وَأَسْمَحَهَا إِذَا غَدَّ السَّمَاحُ
وَأَجْبَرَهَا لَذَى عَظْمٍ مَهِيضٍ	إِذَا ضَانَّتْ بِدَرْتِهَا اللَّقَاحُ
لَقَدْ فَعَلْتَ بَنُو مِرْوَانَ فَعَلَا	وَأَمْرًا مَا يَسُوعُ بِهِ الْقَرَاخُ
فَظَلَّ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَفِيرٌ	يَكْسِرُ فِي مَنَاكِبِهِ الرَّمَاخُ
فَهَلْ لَكُمْ عَلَى أَمْرِ رَشِيدٍ	فَتَصْطَلِحُوا فَفَى ذَاكُمْ صَلَاحُ ^(٤)

وبما أن هذا الشعر قيل في وقت زال مُلك الوليد وقلَّ مناصروه، واجتماع قاتليه وخصومه واستحواذهم على السلطة من بعده، فإنه يحمل الكثير من الصدق ويقترب من الحقيقة فلا يشير إلى هفوات الرجل بقدر دعوته إلى وحدة الصف، لذا كان مقتل الوليد تعبيراً عن تفاقم صراعات القوى وإيثار

(١) ينظر نسبه: الأصفهاني: الأغاني، ٣/٩.

(٢) ينظر: الأبيات التي أرسلها الفضل بن عبدالرحمن إلى عبدالله بن الحسن. البلاذري: أنساب، ٣/ ٧٨.

(٣) الرماح بن أبرد المري من غطفان، وميادة أمه، شاعر أموي هَجَاء. ترجمته: ابن المعتز: طبقات، ١٠٦؛ ياقوت: معجم الدباء، ١١/١٤٣.

(٤) ابن ميادة، الرماح بن أبرد المري (ت، ١٤٩هـ/ ٧٦٦م): شعره، تحقيق محمد نايف الدليمي (مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٠م)، ٣٣.

المصالح الآنية وتفشى المطامع الخاصة وتكالب الخصوم وانتعاش أهل الغرق.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك^(١) (١٢٦هـ/ ٧٤٣م):

لقد عبّر مجيء يزيد بن الوليد على الخلافة عن حالة الصراع القبلي التي كانت تدور في الدولة الأموية والتي ظهرت معالمها على الأشخاص الذين يأتون على الخلافة على الرغم من أنهم كانوا من بيت واحد وهو البيت الأموي، ومع ذلك استطاع التنافس القبلي أن يرسم معالم تأثيره على تفكير الخليفة وبالتالي تحزبه مع هذا الطرف أو ذاك من النزاعات القبلية توهماً منه بأن مثل هذا التحزب سيؤدي إلى تقوية سلطانه في حين أن أوضاع الدولة الأموية قد شهدت تدهوراً واضحاً؛ وذلك من جراء هذا الاتجاه، وبخاصة في أقاليم المشرق التي تمت فيها الدعوة العباسية مستغلة هذه الأوضاع أحسن استغلال لإنجاح أهدافها وإسقاط خصومها.

وفي سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)^(٢). عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر الثقفي عن العراق، فلما نظر إسماعيل بن عمار إلى عماله يعذبون قال:

أعجّل أن أتى أجلى بوقت	وحسبي بالمجرحة المتان
فما عذرى إذا عرّضت ظهري	لألف من سياط الشاهجان
تعدّ ليوسفَ عداً صحيحاً	ومحفظها عليه الجالندان
وأسحب في سروايلي بقيدي	إلى حسّان معتقل اللسان
فمن قائل بعداً وسحقاً	ومنهم آخران يفيديان
كفاني من إمارتهم عطائي	وما أخديت من سبق الرّهان

(١) كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، ويعرف بالناقص لنقصه الزيادة التي زادها الوليد بن يزيد في أعطيائهم. ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٣١-٣٢؛ الذهبي: العبر، ١/ ١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٧٠.

كفانى ذاك منهم ما بقينا كأن فيما مضى لى قد كفانى^(١)

وهذا ما يكشف عن تفاقم الصراع واستخدامه من قبل الخلفاء والولاة وسيلة للتنكيل ببعضهم البعض، فقد تعصّب يوسف بن عمر ضد اليمانية وألقاهم فى السجن^(٢).

وفى سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)^(٣). امتنع نصر بن سيار على منصور بن جمهور^(٤) الذى استعمل بدوره المغيرة بن شعبة الجهضمي^(٥) على قُهستان^(٦)، فلما قدم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فقال فى ذلك:

أقول لنصر وبايعة	على جُلِّ بكرٍ وأحلافها
يَدى لك راهنٌ بىكرِ العرا	قِ سَيِّدِها وابْنُ وصافِها
أخذتُ الوثيقةَ للمسلمينَ	لأهلِ البلادِ وألأفِها
إذا آل يحمى إلى ما تريدُ	أنتك الرُّقال بأخفافِها
دعوتُ الجنودَ إلى بيعةٍ	فأنصفتها كلُّ إنصافِها
وطدتُ خراسانَ للمسلمينَ	إنَّ الأرضَ همَّتْ بإجافِها

إلى أن يقول:

فنحنُ على عهدنا نستديمُ	قربشًا وترضى بأحلافِها
سنرضى بظلكَ كنّا لها	وظلُّك من ظلِّ أكنافِها

(١) الأصفهاني: الأغاني: ١١/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧١.

(٣) نفسه، ١/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٤) هو منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد من عذرة الفحطانية. ابن

حزم: جمهرة، ٤٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٣/ ٢٥.

(٥) أخباره فى الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٧٨.

(٦) قوهستان: تعريب كوهستان، تتصل بنواحي هراة كما فى ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٤١٦ (قوهستان).

لعلَّ قَرِيضًا إِذَا ناضَلَتْ تُقْرَطُسُ فِي بَعْضِ أَهْدَافِهَا
وتلـبسُ أَغْشِيَةً بِالْعِرَاقِ رَمَتْ دَلْوَ شَرْقٍ بِخَطِّافِهَا^(١)

وفي سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)^(٢) تولى عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز^(٣) أمر العراق فكسب إلى نصر بن سيار على خراسان، فخرج عليه جديع بن علي الكرمانى^(٤)، فكانت الفتنة بين القبائل اليمانية والقيسية، فقال الحارث بن عبدالله الجعدي^(٥) في ذلك:

أَبَيْتُ رَاعِي النُّجُومَ مُرْتَفَعًا إِذَا اسْتَقَلَّتْ تَجْرَى أَوَائِلُهَا
مِنْ فِتْنَةٍ أَصْبَحَتْ مَجَلَّلَةً قَدْ عَمَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ شَامِلُهَا
مَنْ بِخِرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالشَّامِ كُلِّ شَجَاهُ شَاغِلُهَا
فَالنَّاسُ مِنْهَا فِي لَوْنٍ مَظْلَمَةٍ دَهْمَاءُ مَلْتَجَةٍ غِيَاظِلُهَا

(١) الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٧٨-٢٧٩. والقصيدة كما يبدو هي ليست للمغيرة بن شعبة الجهمي وأن الطبري نسبها خطأ له، وإنما هي لخلف بن خليفة البكري، كما في إشارته لبكر: يدي لك راهن ببكر العرا ق سيدها وابن وصافها وهي تقرب من قصيدة خلف بن خليفة العينية وتشير إلى مضمونها والتي قال فيها: وجعلنا الخلافة في أهلها إذا اصطرع الناس فيها اضطراعا الطبري: تاريخ، ٧/ ١٠٢. وقال الدكتور عطوان عنها: "وتشابه هذه القصيدة في الأغراض المشروحة فيها، والغايات المتوخاة منها، قصيدة خلف بن خليفة البكري"، الشعر العربي بخراسان، ١٣٦. ولم يصرح بما توهمه الطبري في طريقة إيصال اسم الشاعر بصورة مبهمه؛ لأن المغيرة هذا لم يرو له شعر. وهذه القصيدة تدل على وجود ملكة شعرية ودربة كما أن لغتها واسلوبها وطرحها للمعنى هي تمامًا ما ينسجم مع شعر خلف بن خليفة البكري.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٣) عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الموي. ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٨/ ٣٣٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٣/ ٤١.

(٤) جديع بن علي بن شبيب بن عامر الدوسي رأس الأزد قتل سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م).

ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٥٠٢-٥٠٣؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، الجزء الثاني (دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٩٤.

(٥) الحارث بن عبدالله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدي. الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٨٦.

يُمسى السَّفِيهُ الذِي يُعَنَّفُ بِالْجَهْلِ سَوَاءٌ فِيهَا وَعَاقِلُهَا
وَالنَّاسُ فِي كُرْبَةٍ يَكَادُ لَهَا تَبْذُلُ أَوْلَادَهَا حَوَامِلَهَا^(١)

فاستطاع نصر بن سيار حبس جديع الكرمانى، ولكنه استطاع الخروج من سجنه^(٢)، فقال خلف بن خليفة:

أَصْحَرُوا لِلْمَرْجِ أَجْلَى لِلْعَمَى فَلَقَدْ أَصْحَرَ أَصْحَابَ السَّرْبِ
إِنَّ مَرْجَ الْأَزْدِ مَرْجٌ وَاسِعٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ فِيهِ وَالرُّكْبُ^(٣)

ومما زاد من اضطراب الأوضاع أيام الخليفة يزيد بن الوليد هو محاولته أخذ البيعة لأخيه إبراهيم^(٤)، مما حمل مروان بن محمد بن مروان (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م) على إظهار الخلاف عليه وإعلان عصيانه وبالتالي أحدث شرخاً كبيراً في وحدة البيت الأموى والذى أسهم بشكل واضح في قرب نهاية الدولة الأموية. لكن وفاة يزيد بن الوليد في ذى الحجة سنة (١٢٦/ ٧٤٣م)^(٥) غير المتوقعة تركت أمر الخلاف مفتوحاً والدولة بحاجة إلى رجل قوى ينقذها من حالة التدهار، فلم تستقر الأمور إلى إبراهيم ابن الوليد فكان يُسلم عليه بالخلافة تارةً، وأخرى بالإمارة^(٦). حتى قال قائلهم:

نَبَايَعُ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ كَمَ إِلَيْكُمْ يَوْمُ نَبَايَعِ^(٧)

ويروى:

(١) نفسه.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٨٨-٢٩٠.

(٣) نفسه، ٧/ ٢٩٠.

(٤) هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبي العاص بن أمية. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ١٧٥.

(٥) الطبرى: ٧/ ٢٩٨.

(٦) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٢٩٩؛ ابن خلكان: وفيات، ١/ ٤٤٣.

(٧) البلاذرى: أنساب (مخطوط)، ١٢٥ والبيت فيه ركة.

يَبَايِعُ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ أَلَا إِنَّ أَمْرًا أَنْتَ وَالِيهِ ضَائِعٌ^(١)

وكان الشاعر أحس بالضياع الذي ينتظر الخلافة من صراع دام بغياب الرجل القوى القادر على حسم الموقف، وهذا ما أغرى عبدالله بن معاوية^(٢) فخرج بالكوفة سنة (١٢٧هـ / ٧٤٤م)^(٣) فهزمه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، فقال عبدالله بن معاوية متمثلاً:

تَفَرَّقْتُ الظُّبَاءُ عَنْ خِدَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِدَاشٌ مَا يَصِيدُ^(٤)

فاتجه صوب المدائن وغيرها، فلما خرج إليه عبید أهل الكوفة قال أيضاً:

فَلَا تَرْكِبُ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مَثَلِهِ
وَلَا يُعْجِبُنَّكَ قَوْلُ أَمْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فَعْلِهِ^(٥)

وعند هذا استطاع مروان بن محمد أن يفرض سيطرته ويتلوى الخلافة فحسم الأمر لصالحه وانقضت مرحلة قلقمة متفجرة بالصراعات نبئ بخطر محقق قادم.

مروان بن محمد بن مروان^(٦) (١٢٧-١٣٢هـ / ٧٤٤-٧٤٩م):

شهدت بلاد الشام صراعاً واضحاً بين القبائل العربية، فانعكس هذا الصراع على الأشخاص الطامعين بالخلافة، ومنهم مروان بن محمد الذي كان والياً على

(١) الذهبي: سيرة، ٥/ ٣٧٧.

(٢) عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م). ترجمته: ابن حبيب: اسما المقاتلين ٢/ ١٨٩؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٦١.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٤؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٠٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٣٩٤؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٠٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٢/ ٢٢٧؛ مقاتل، ١٦٦.

(٥) عبدالله بن معاوية (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م): شعره، جمع عبد الحميد الرازي (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ٧٥؛ الطبري: تاريخ، ٧/ ٢٠٣-٢٠٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٢/ ١٣١؛ مقاتل، ١٦٣.

(٦) ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٠/ ٢٦٧؛ الذهبي: العبر، ١/ ١٣٧.

أرمينية^(١) حيث سعى هو الآخر للاستيلاء على السلطة، فتوجه إلى دمشق فاستولى عليها بعد أن لقي دَعَمًا من بعض أفراد البيت الأموي، ومنهم الحكم بن الوليد بن يزيد^(٢) الذي قال في سجنه مخاطبًا مروان بن محمد:

ألا مَنْ مَبْلَغُ مَرَوَانَ عَنَى	وَعَمَى الْغَمْرُ طَالَ بَذَا حَيْنَا
بَأْنَى قَدْ ظَلِمْتَ وَصَارَ قَوْمَى	عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مَتَابِعِنَا
أَيَّهَبُ كُلُّهُمْ يَدْمَى وَمَالَى	فَلَا غَنًا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينَا
وَمَرَوَانُ بِأَرْضِ بَنَى نَزَارِ	كَلَيْثُ الْغَابِ مُفْتَرَشٌ عَرِينَا
أَلَمْ يَحْزَنْكَ قَتْلُ فَتَى قَرِيشِ	وَشَقُّهُمْ عَصَى الْمُسْلِمِينَا
أَلَا فَاقَرَ السَّلَامَ عَلَى قَرِيشِ	وَقَيْسٌ بِالْجَزِيرَةِ أَجْمَعِينَا
وَسَادَ النَّاqِصُ الْقَدْرَى فِينَا	وَالْقَى الْحَرْبَ بَيْنَ بَنَى أَيْنَا
فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سُلَيْمِ	وَكَعْبٍ لَمْ أَكُنْ لَهُمْ رَهِينَا
وَلَوْ شَهِدَتْ لِيُوْثُ بَنَى تَمِيمِ	لَمَا بَعْنَا ثِرَاثَ بَنَى أَيْنَا
أَتُنَكُّ بِيَعْتَى مِنْ أَجْلِ أُمَى	فَقَدْ بَايَعْتُمْ قَبْلَى هَجِينَا
فَلَيْتَ خَوُولَتَى مِنْ غَيْرِ كَلْبِ	وَكَأَنْتَ فَى وَلَادَةِ آخِرِينَا
فَإِنْ أَهْلِكَ أَنَا وَوَلَى عَهْدَى	فَمَرَوَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا ^(٣)

تبدو هذه القصيدة صورة حية لواقع يغلي تتناحسه الصراعات القبلية، ويوشك على التشرذم بسبب تفاقم الخلافات، حتى وصل الأمر بالأسرة الأموية نفسها إلى التشتت نتيجة لذلك، وبتأثير تولى الخلافة من أشخاص غير جديرين

(١) اسم لصقع واسع في جهة الشمال. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ١٦٠ (أرمينية).

(٢) الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٨/ ١٧.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ٣٦٨؛ الطبري: تاريخ، ٣١١/ ٧-٣١٢ وهي الرواية المعتمدة؛ ابن عبد ربه: العقد، ١٩٨/ ٥.

بها، فلم ينجحوا بالموازنة بين القبائل، لذا كانت القصيدة وثيقة تاريخية لها أثرها في تولى مروان بن محمد، على الرغم من بعض الشكوك التي تحوم حولها، إذ تبدو الظلال "على نسبتها كثيفة قائمة، فبالرغم من سداجة الأبيات الشعرية، إلا أنها يصعب على الحكم قولها في ظل ظروفه الحرجة وهو بين الحياة والموت وقد بلغ الحكم أو لم يبلغه، كما يصعب على السفياني^(١) حفظ هذا الشعر وهو مهدد بالموت بالسجن"^(٢). وهى شكوك يمكن قبولها، بيد أنها تحاكم الموقف على وفق ظروف عصرنا وليس عصرها، فقد أكدت القصيدة حقاً شرعياً كان مروان بن محمد بحاجة إليه، ما زالت — عقبه تحول بينه وبين الخلافة، وهو في واقع الأمر لا يطالب بغير الخلافة لنفسه لأنه يرى أحقيته بها^(٣). فكان من آثار القصيدة مبايعة الناس له بالخلافة واستقرار الأمر له في دمشق، فالتف حوله مناصرو الوليد بن يزيد من القبائل القيسية، بعد أن شعروا بأنه أخذ بنصرتهم واستوفى ثأر الوليد، فقال خال الوليد الشاعر طريح بن إسماعيل الثقفي^(٤) (ت، ١٦٥هـ/ ٧٨١م):

تَسُوءَ عِدَاكَ فِى سَدَادٍ وَنِعْمَةٍ خَلَاَفَتْنَا تِسْعِينَ عَامًا وَأَشْهَرًا^(٥)

لعل هذا البيت وضع بعد زوال حكم الأمويين، لأنه يحدد مدة حكمهم بتسعين عاماً وأشهر.

وتوقع بعض المناصرين للأمويين مجئ خليفة قوى يستطيع أن يعيد الأمور إلى

(١) إشارة إلى شخصية ابي محمد السفياني الذي شهد أمام مروان بن محمد بأن الحكم بن الوليد وأخاه عثمان جعلوا الخلافة لمروان، ثم أنشد الأبيات وقال له: أبسط يدك أبايعك. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٧ / ٣١١-٣١٢.

(٢) خطاب، محمود شيت: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فاتح شطر بلاد الروم وشرط أرمينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥)، الجزء (الأول)، (بغداد)، ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤م، ٤٨.

(٣) نفسه، ٤٦.

(٤) شاعر أموي عباسي. ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٥٦٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ٤/ ٣٠٤.

(٥) شعراء ثقف، ٢٣٥؛ ابن عبد ربه: العقد، ١/ ٢٢٣.

سابق عهدها من الاستقرار وخصوصًا وأنه دعا إلى الثأر من قتلة الوليد بن يزيد حتى قال الأشعث بن كير المري^(١) في مروان بن محمد:

مَروان يا ابن محمد أنت الذى	أحكمت أمرَك أيما إحكام
تأسوا وتجرح من تشاء وإثما	كفاك كف ندى وكف سهام
إن الخلافة حين تفقد أهلها	ليست تقيم بغير دار مقام
تأبى وتأنف أن تُسام دنيّة	بيد امرئ كزّ السدين كهام
قُتل الوليد فلم تزل مظلومة	عطلا تُصرف غير ذات خطام
كانت كذاكَ بذاكَ تسعة أشهر	حيرى تردّد فى سواد ظلام
تعثو إليك وأنت تعلم أنّها	ليست قناصتها لأول رامي
وإذا صفعت رؤوس قوم صفة	وصلت حرارتها إلى الأقدام ^(٢)

يحدد الشاعر زمن الاضطرابات وحاجة الخلافة إلى خليفة قوى بتسعة اشهر، لكن مروان بن محمد لم يكن أول رام، فقد كان يسير سيرًا وثيدًا إليها حتى بلغها، فكانت القصيدة تعبيرًا عن قوة التأثير وصدق التوثيق وحسن التصوير ووضوح الدلالة.

وفي سنة (١٢٧هـ / ٧٤٤م)^(٣) خرج سعيد بن بهدل الخبيري^(٤) في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحّاك بن قيس الشيباني (ت، ١٢٨هـ / ٧٤٤م)، مغتنيًا مقتل الوليد بن يزيد وانشغال مروان ابن محمد بالشام، كما خرج بسطام البيهسي^(٥) (ت، ١٢٧

(١) أحد بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن نعيم، شاعر محسن. ترجمته: الأمدى: المؤلف، ٥٦.

(٢) نفسه.

(٣) الطبرى: تاريخ، ٣١٦/٧.

(٤) خبيري بن عمرو بن النطاح من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ابن حزم: جهرة، ٣١٧.

(٥) أخباره في الطبرى: تاريخ، ٣١٦/٧.

هـ/ ٧٤٤م) في مثل عدتهم من ربيعة وهو مفارق لرأيه، فسار كل واحد منهم إلى صاحبه، فلما تقارب العسكران قال سعيد بن بهدل:

إن بك بسطامُ فإنى الخبىرى أضرب السيف وأحمى عسكرى^(١)

فلما قتل بسطام، ومات سعيد بالطاعون قال الضحّاك يرثيه:

سقى الله يا خوصاء قبراً وحشوه إذا رحل الشارون لم يترحل
فيا ملحق الأرواح هل أنت مُحقى بموتى مضى فيهم سعيدُ بن بهدل^(٢)

مما يوثق الأحداث والشخصيات ويكشف عن اضطراب الأوضاع، فلما قتل الخوارج عاصم بن عمر بن عبدالعزيز^(٣) قال أحد الخوارج:

نحنُ عبرنا الخندق المَقْعرا
يوم لقيناكم وجزنا العسكرا
حتى قتلنا عاصماً وجَعَفرا
والفاسق الضبى لما أدبرا
واليمنيين ومَن تَنَزَّرا
لا تحسبوا ضربَ الشُّرَاة سُكرا^(٤)

أسهم الشعر في توثيق الحدث ومن قتل في هذه الواقعة، وهزيمة جيش وإلى العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، فغلب الضحّاك على الكوفة^(٥)، فقال عبدالله يرثى أخاه عاصماً لما قُتل:

(١) نفسه، ٣١٦/٧.

(٢) شعر الخوارج، ٢١٦؛ الطبرى: تاريخ، ٣١٧/٧.

(٣) الأموي القرشي قتل سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٨/ ٥٠٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٩/٢٧.

(٤) شعر الخوارج، ٢٣؛ الطبرى: تاريخ، ٣١٩/٧ وفيه الأبيات لأم البرذون الصفرية.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٣٢٠-٣١٩/٧.

رَمَى غَرَضِي رَبُّ الزَّمَانِ فَلَمْ يَدَعْ
رَمَى غَرَضِي الْأَقْصَى فَأَقْصَدَ عَاصِمًا
غَدَاةَ رَمَى لِلْقَوْسِ فِي الْكَفِّ مَنْزَعًا
أَحَا كَانَ لِي حِرْزًا وَمَأْوَى وَمَفْزَعًا
أَذَابَتْ عَبِيطًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مَنْقَعًا
فَاعْظَمَ مِنْهَا مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعًا
فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِمًا
فَعِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبَ بِنَا مَعًا^(١)

مما يشير إلى تردى الأوضاع وتصاعد الصراعات القبلية بين اليمانية والقيسية، في العراق وكانت خراسان وقتها تغلى لأن "جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصبًا على الوليد حيث أسلم خالد بن عبدالله القسري إلى يوسف بن عمر حتى قتله؛ وكانت القيسية مع مروان، لأنه طلب بدم الوليد - وأخوال الوليد من قيس، ثم من ثقيف"^(٢). مما سمح لتصاعد أمر الخوارج فامتلات قلوب الناس رعبًا حتى أن عبيد الله بن العباس الكندي^(٣) بايع الضحّاك بن قيس الشيباني، فقال أبو العطاء السّندي^(٤) يعيره باتباع الضحّاك وقد قتل أخاه^(٥).

قل لعبيد الله لو كان جعفرٌ
ولم يتبع المراق والثّارُ فيهم
هو الحى لم يجنح وأنت قتيلٌ
وفى كفه عَضْبُ الذبابِ صقيلٌ
أباك فماذا بعدَ ذاك تقولُ!^(٦)

فرد عليه عبيد الله بن عباس:

(١) الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٢٠.

(٢) نفسه، ٧/ ٣٢١.

(٣) أخباره: الطبري: تاريخ، ٧/ ٣١٨-٣٢٠.

(٤) هو أنف بن يسار، أو مرزوق من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت، نحو ١٨٠هـ/ ٦٩٧م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني ١٧/ ٢٤٥؛ لاسيوطي: شرح، ٢/ ٨٤٠.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧/ ٣٢٠.

(٦) أبو العطاء السّندي، أفلق بن يسار (ت، نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م): حياته وشعره، صنعه قاسم راضي

مهدي، مجلة المورد المجلد (٩)، العدد الثاني، (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٢٨٦؛ الطبري: تاريخ،

٧/ ٣٢٠-٣٢١.

فلا وصلتك الرحم من ذى قرابة وطالب وتر والدليل ذليل
تركت أخا شيان يسلب بزه ونجاك خوار العنان مطول^(١)

ووصف رؤية بن العجاج أتباع الضحاك الملحدين فقال:

إذ تبّع الضحاك كل ملحد ونحن ضرابون هام العند
فذاك منهم كل عوق أصلد^(٢)

كما تضمن رجز رؤية إشادة بقيادة مروان بن محمد، في حين وصف لاخلوارج بالمفسدين والبغى بالدين، مما يشير إلى تصاعد حملة الرفض ضد حركة الخوارج، ولعل ذلك بسبب تصاعد صراعات القبائل فيما بينها وتسرب الملل إلى نفوس الناس من التناحر الحاصل بين الفرق والقبائل وشعورهم بضرورة وجود سلطة قوية تحفظ للدولة استقرارها كي يسود الأمن والعدل؛ لذا قال رؤية:

فالحمد لله على ما وفقنا مروان إذ تاقوا الأمور التوقا
شاميا بالله ثم أعرقا فاجتمع الأمر له فاستوسقا
كفا يدانى بين من تفرقا ما زال ينفى المفسدين البوقا
إلى أن يقول:

فدمر الله الشؤشرة الفتقا ضحاكهم والخبرى الأفسقا
ومن بغى فى الدين أو تعمقا وفر مخذولا فصار عققا^(٣)

وحين التقى جيش منصور بن جهور فى ستمائة فارس من كلب مع جيش الخوارج، وكان فيهم عبد الملك بن علقمة^(٤) فقلته منصور ع^(٥)، فقال حبيب بن خدره:

(١) الطبرى: تاريخ، ٣٢١ / ٧.

(٢) ديوانه، ١٧٣.

(٣) ديوانه، ١١٤.

(٤) أخباره فى الطبرى: تاريخ، ٣٢٢ / ٧.

(٥) نفسه.

وقائلةً ودمعُ العين يجري على روح ابن علقمة السَّلامُ
أأدرَكَكُ الحِمَامُ وانتَ سار وكلُّ فتى لمصرعو حِمَامُ
فلا رَعشُ اليدين ولا هَدَانُ ولا وكلُّ اللِّقَاءِ ولا كَهَامُ
وما قَتَلَ على شارٍ بعارٍ ولكن يُقتلونَ وهُم كِرَامُ
طغَامُ الناسِ ليسَ لَهُم سَبِيلُ شَجَانِي يا بنَ علقمة الطَّغَامُ^(١)

يوثق هذا الشعر شخصية عبد الملك بن علقمة الذي قتل في هذه الواقعة، وهي وقعة قادت الوضع نحو التشتت وكشفت عن تخلخل قوة الدولة حتى في داخل البيت الأموي نفسه، مما دفع سليمان بن هشام بن عبد الملك^(٢) إلى خلع مروان بن محمد ولحق بالضحاك بن قيس الشيباني زعيم الخوارج، وهو يقول:

أعائشُ لو أبصرتنا لتحدّرت دُموعك لما خفَّ أهلُ البصائرِ
عَشِيَّةُ رضى واللَّواءُ كأنَّهُ إذا زعزعته الرِّيحُ أشلاء طائِرِ^(٣)

مما يدل على تعدد مراكز القوى، وتشتت أهل الرأي، لأن خروج أحد أحفاد الخلفاء الأمويين مع الخوارج يُعدُّ سابقة خطيرة في مسيرة الدولة والبيت الأموي نفسه أدت على الإسراع بنهايتها، وهذا ما يعكسه قول شُبَيْل بن عَزْرة الصَّبْعِيِّ^(٤):

ألم تر أن الله أظهرَ دينَهُ فصَلَّتْ قريشٌ خلفَ بكرٍ بنِ وائلٍ^(٥)

(١) شعر الخوارج، ٢٠٦؛ الطبري: تاريخ، ٣٢٢/٧.

(٢) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان يقال له (أبو الغمر) قتله العباسيون بعد سقوط دمشق سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤/٢٨٤؛ الذهبي: العبر، ١/١٣٤.

(٣) الزبيرى: نسب قريش، ١٦٨.

(٤) من بني ربيعة بن نزار، كان قصيصاً عالمًا شريفًا وأدرك دولة بين العباس، كان يرى رأي الخوارج. ينظر: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/٣١٨.

(٥) شعر الخوار، ٢٠٨؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/٣٩٨؛ الطبري: تاريخ، ٧/٣٢٧؛ ابن حزم: جمهرة، ٣٢٢.

فاستفحل أمر الخوارج في العراق واشتدت شوكتهم يريدون القضاء على خلافة مروان، فالتقى ملحان بن معروف الشيباني^(١) عامل الضحّاك على الكوفة وهو في قِلَّةٍ من الشُّرَاة مع النضر بن سعيد الحرشي^(٢)، فقتل ملحان^(٣)، فقال حبيب بن خدره يرثيه وعبد الملك بن علقمة:

كائنٌ كملحانٍ من شارٍ أخى ثِقَةٍ وابن علقمة المستشهد الشَّارِي
من صادقٍ كنت أصغيه مخالِصتي فَبَاعَ دارِي بأعلى صَفْقِهِ الدَّارِ
إخوانٍ صدقٍ أرجيهم وأخذلهم أشكو إلى الله خذلاني وإخفاري^(٤)

فلما انهزمت الخوارج قال أحد الشعراء:

أرت للمثشى يومَ غَزَاةٍ حتْفَهُ وأذرت عُزيراً بين الجنادلِ
وعَمراً أزارته المنية بعدما أطافت بمنصورٍ كفاتُ الحبايلِ^(٥)

فوثق هذا الشعر الحدث وحفظ بعض أسماء من قتل من الخوارج، فكان صورة حية لتدوين الحدث، مما يعكس أهمية أثر الشعر في الصراعات الدائرة بين السلطة المركزية والخوارج حتى مقتل الضحّاك بن قيس الشيباني في سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)^(٦) فقالت امرأة ترثيه:

مَن لقلبي شَفَهُ الحُزنُ أو لنفسي مَالَهَا سَكُنُ
ظعن الأبرارُ فارتحلوا خبرهم من معشرٍ ظعنوا
معشرٌ قَضُوا نُحُوبَهُم كُلَّمَا قَدَّ قَدَّمُوا حَسَنُ

(١) ذكره الطبري: تاريخ، ٣٢٨/٧.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه والشعر لمسلم حاجب يزيد.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ٣٩٨/٢؛ الطبري: تاريخ، ٣٤٤/٧.

صَبَرُوا عِنْدَ السِّيفِ، فَلَمْ يَنْكَلُوا عَنْهَا، وَلَا جَبَّئُوا
 فَتِيَّةً بَاعُوا نَفْسَهُمْ
 لَا وَ - وَرَبُّ الْكَعْبَةِ - مَا غُبُّوا
 حِينَ مَاتَ الدِّينَ وَالسُّنُّ
 فَاصَابَ الْقَوْمُ مَا طَلَّبُوا
 مِثَّةً، مَا بَعْدَهَا مِنْ^(١)

مما يعكس عقيدة الخوارج الشراة الذين شروا أنفسهم فراحوا يطلبون الموت،
 لأنه السبيل إلى النصر، وهذه العقيدة جعلت الجيوش تهاجمهم والولاة يخشون
 اندفاعهم، لأنهم كانوا يلعنون من يفر في المعركة كقول سعيد بن بهدل الخيبري:

إِيَّهَا بَنَى شِيَّانَ طَعْنًا تَتَرَى
 طَعْنًا يَرَى مِنْهُ الْقَنَا مُحَمَّدًا
 يَتْرَكَ ذَا الطَّعْنِ بِهِ مَزُورًا
 يَرْكَبُ رَدْعًا لِلرَّدَى مُقَرَّرًا
 فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَرَأَ^(٢)

لكن إحدى نساء الخوارج جزعت من عقيدتهم ودعتهم إلى تركها والعودة إلى
 صفاء الدين الأول لأن كل دين جاء بعده هو باطل، فقالت:

تَرَكْتُ رَحْمًا لِيَنَا مَسَّهُ
 وَجِئْتُ رَحْمًا مَسَّهُ قَاتِلُ
 شَتَانِ هَذَا بَدَمٍ سَائِلِ
 وَذَاكَ مِنْهُ عَسَلٌ سَائِلِ
 مَعْطُونَ ذَاكَ مِنْهُ فِي لَذَّةٍ
 وَأُمٌّ مَطْعُونٍ بِذَا ثَاكِ
 مُرُّوا بِنَا نَرْجِعْ إِلَى دِينِنَا
 فَكُلْ دِينَ غَيْرَهُ بَاطِلُ
 وَمِلَّةُ الضَّحَّاكِ مَتْرُوكَةٌ
 لَا يَجْتَبِيهَا أَحَدٌ عَاقِلُ^(٣)

(١) ديوان الخوارج، ٢٤٠؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/٤٠١-٢٠٤.

(٢) شعر الخوارج، ٢٠٤.

(٣) نفسه، ٢٠٦-٢٠٧.

وعند مقتل الخبيري ومن معه من أصحاب الضحَّاك قال أحد الشعراء:

هم ضربوا الجنودَ بكُفْرِ توثا وهم نزلوا وقَد كُـرِ الزَّحَامُ
سقى بلدًا تَضُمَّنْ خَيْبَرِيَا وَمَسْكِينًا وَيَعْقُوبَ الغَمَامُ
هم ضربوا على قرع المنايا وَلَمْ يَقْرِعْهُمُ الجَيْشُ اللُّهُامُ^(١)

فحفظ الشعر أسماء من قتل من الخوارج مع الضحَّاك.

وخرج الحارث بن سَريح (ت، ١٢٨هـ / ٧٤٥م) على والي الأموى نصر بن
سيار في سنة (١٢٧هـ / ٧٤٤م)^(٢) واحتدم القتال بينهما، فقال المنذر الرِّقَاشي^(٣):

ما قاتَلَ القومَ منكم غير صاحِبنا فى عُصْبَةٍ قاتَلوا صَبْرًا فما دُعِروا
هم قاتَلوا عِنْدَ بابِ الحصن ما وَهِنُوا حتَّى أتاهُم غِيَاثُ الله فانتصروا
فقاَسِمَ بعدَ أمرِ الله أَحْرَزَها وأنت فى مَعزِلٍ عن ذاكَ مَقْتَصِرٌ^(٤)

ونتيجة لوقوع المعارك بين الطرفين قتل الحارث بن سَريح في سنة (١٢٨هـ /
٧٤٥م)^(٥) فقال نصر بن سيار:

يا مَدخلَ الدُّلِّ على قومِهِ بَعْدًا وَسُحْقًا لكَ من هالِكِ
شَوْمُكَ أَرَدَى مُضْرًا كُلَّها وَغَضُّ مَنْ قومَكَ بالحارِكِ
ما كانت الأزدُ وأشياعُها تَجْمَعُ فى عَمْرٍ ولا مالِكِ
ولا بنى سَعْدِ إذا أَجْلَمُوا كُلَّ طَمِيرٍ لوئِهَ حالِكِ^(٦)

(١) نفسه، ٢١٧. ينظر الحدث: الطبرى: تاريخ، ٣٤٦/٧.

(٢) الطبرى: تاريخ، ٢٩٣/٧.

(٣) هو ابن عم يحيى بن الحضين بن المنذر بن الحارث الشيباني، ورقاش أم مالك بن شيان فسموا
بذلك. ينظر: الطبرى: تاريخ، ٣٣٤/٧؛ ابن حزم: جمهرة، ٣١٧.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٣٣٤/٧.

(٥) ابن خياط: تاريخ، ٤٠٤/٢؛ الطبرى: تاريخ، ٣٤٢/٧.

(٦) ديوانه، ٣٩؛ ابن خياط: تاريخ، ٤٠٥/٢؛ الطبرى: تاريخ، ٣٤٢/٧.

مما يكشف عن تعصب نصر لقيس وعده لهزيمة الحارث بن سريج هزيمة لها مشيرًا إلى صراع القبائل كالأزد وسعد وغيرها في تلك الأصقاع البعيدة، فأصبح صراع قيس مع اليمانية قويًا ينذر بالخطر مما له أثره الإيجابي على الدعوة العباسية؛ لذا كان شعراء قيس يتبارون في التعبير عن إحساسهم بالخيبة مثلما أخذ شعراء آخرون يشيرون على هذه الصراعات، فيتعصب كل منهم على قبيلته، فهذه امرأة ضبيّة تزوجت مضرًا تقول:

لا بَارَكَ اللهُ فِي أنثى وَعَذَّبَهَا تزوجتُ مَضْرِيًّا أَخْرَ الدَّهْرَ
أَبْلَغَ رَجَالِ تَمِيمٍ قَوْلَ مَوْجَعَةٍ أَحْلَلْتُمُوهَا بَدَارِ الدُّلِّ وَالْفَقْرِ
إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْرُؤُوا بَعْدَ جَوْلَتِكُمْ حَتَّى تُعِيدُوا رَجَالَ الْأَزْدِ فِي الظَّهْرِ
إِنِّي اسْتَحَيْتُ لَكُمْ مِنْ بَذْلِ طَاعَتِكُمْ هَذَا الْمَزُونِي يُجِيبُكُمْ عَلَى قَهْرٍ^(١)

ويعاتب عبادُ بن الحارث^(٢) نصرَ بن سيار عتابًا مرًا؛ لأنَّهما مضرِيَّان، حتى إنه عد قيادته لقبائل قيس (مضر) مذلة وشقاء، فقد تحول الصراع على تناحر قبلي نتيجة غياب السلطة المركزية القادرة على فرض سيطرتها وتثبيت أركان الأمن وفرض وجودها الفعلي لحفظ مصالح وطمانينة الناس. فقال عباد:

أَلَا يَا نَصْرُ قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ طَالَ التَّمْنَى وَالرَّجَاءُ
وَأَصْبَحْتَ الْمَزُونُ بِأَرْضِ مَرٍ تُقْضَى فِي الْحُكُومَةِ مَا تَشَاءُ
يَجُوزُ قِضَاؤُهَا فِي كُلِّ حُكْمٍ عَلَى مُضَرٍّ وَإِنْ جَارَ الْقَضَاءُ
وَجَمِيرُ فِي مَجَالِسِهَا قُعُودٌ تَرْتَفِقُ فِي رِقَائِهِمُ الدِّمَاءُ
فَإِنْ مُضَرٌّ بِذَا رَضِيَتْ رَذَلَتْ فَطَالَ لَهَا الْمَذَلَةُ وَالشَّقَاءُ
وَإِنْ هِيَ أَعْتَبَتْ فِيهَا وَلَا فَحُلَّ عَلَى عَسَاكِرِهَا الْعَفَاءُ^(٣)

(١) الطبري: تاريخ، ٣٤٢/٧.

(٢) هو عباد بن الحارث بن سريج التميمي: ينظر: ابن الكبي: جهرة، ٢٠٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣٤٢/٧-٣٤٣.

وقال عباد ايضاً:

ألا يا أيها المرء الـ لذي قد شَفَهُ الطَّربُ
أفقٌ ودَغُ الذي قد كُنـ تَ تَطْلُبُهُ وتُطْلِبُ
فقد حدثت بحضرتنا أمرؤ شائها عَجِبُ
فجاز الصُّفْرُ لَمَّا كا نَ ذاكَ وبُهِرَجَ الذَّهَبُ^(١)

ويخاطب أبو بكر بن إبراهيم^(٢) على وعثمان ابني جديع الكرمانى^(٣) فيسجل الأحداث مشيراً إلى مقتل الحارث بن سريج ويمدح ابني الكرمانى للذين يقودان القبائل اليمانية في صراعها ضد القبائل القيسية التي يقودها نصر بن سيار:

إنى لمرتلحٍ أريدُ بمدحتى أخوين فوق ذرا الأنام ذراهما
سبقا الجياد فلم يَزالا نَجَعَةً لا يَعدَم الضيفُ الغريبُ قراهما
يَسْتَعْلِيانِ ويجريانِ إلى العُلا ويعيشُ فى كنفِهما حياهما
أعنى عَلياً وأئنه ووزيره عثمانَ ليسَ يذلُّ من والأهما
إلى أن يقول:

وهما أزلا عن عريكة ملكه نصراً ولاقى الدلَّ إذ عاداهما
نفياً ابنَ أقطعَ بعدَ قتلِ حماته وتقسَّمتَ أسلابه خيلاهما
والحارث بن سريج إذ قصدوا له حتى تعاورَ رأسه سيفاهما
أخذاً بعفوِ أبيها فى قدره إذ عز قومُهما ومَن والاهما^(٤)

(١) نفسه، ٣٤٣/٧. ينظر: تقرير المفضل بن خالد السلمي، أحد شعراء خراسان وتحذيره من جديع الكرمانى لأنه من الأزد. المرزبانى: معجم الشعراء، ٢٩٧.

(٢) ذكره الطبرى: تاريخ، ٣٤٣/٧.

(٣) قتلها ابو مسلم، بعد أن أقاما معه ونصراه، وفرقا كلمة العرب بخراسان. ابن حزم: جمهرة ٣٨١.

(٤) الطبرى: تاريخ، ٣٤٣/٧-٣٤٤.

ولكن نتيجة الصراع آلت أخيراً إلى مقتل جديع بن على الكرمانى فى سنة (١٢٩ هـ/ ٧٤٦م)^(١) مصلبه، فقال نصر بن سيار يُقَرَّع ربيعة:

لعمري، لقد كانت ربيعة ظافرت
عُدْوَى بغدير حين خابت خُدودها
إلى أن يقول:

فأودتُ كرمانيها الموتَ عَنوةً كذلكَ منايا النفس يدنو بَعِيدُها^(٢)

وكتب نصر بن سيار ثلاثة عشر بيتاً على رأس الكرمانى حين قتله وارسل رأسه إلى مروان بن محمد، منها:

وقد ذوى الأحساب منهم من اقدمى	وذا الدجلِ حتى عادَ حرباً يبيدُها
واصلحتُ من ساداتها كُلَّ فاسدٍ	وأسرعتُ فى خير الذى لا يسودُها
أجاشوا نزار الشَّامَ إنْ نزارها	أبوه أبى وهنى عميدُها
خليفتنا الساعى لنا ببرأتنا	فطالبتُ أوتار والعدا ومبيدُها
أمروا إنى قد مُنيتُ بمعشرٍ	خوارج سوء ما يَلينُ شديدُها
أجاهدُهم فى الله حقاً لأننى	أؤمل داراً لا يبيدُ خلودُها
وكَمَ كم أحاشوا من جنودٍ وأوقدوا	أشانيب نيرانٍ سريعُ خمودُها ^(٣)

وفى مثل هذه الأجواء المتصارعة التى عاشتها القبائل العربية فى جهة خراسان والتى قادتها إلى الاقتتال والاضطراب ظهرت بوادر الدعوة العباسية فى هذه الجهات مستغلة مثل هذه الظروف المضطربة لصالحها لإضعاف خصومها الأمويين، فنجح الدعاة العباسيون فى جهات خراسان من خلال عملهم

(١) نفسه، ٧/ ٣٦٧.

(٢) ديوانه، ٣٤؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٣.

(٣) الأبيات غير مذكورة فى ديوانه استدرکها القيسي، وهلال ناجي فى المستدرک، ١/ ٣١٨ عن ابن أعثم فى الفتوح، ٨/ ١٦٥-١٦٦.

السرى، وعدم كشف أمرهم أمام السلطة الأموية، حتى قال أبو مسلم الخراساني^(١):

أدرکتُ بالحزمِ والكتمانِ ما عجزتُ
عن مُلوكِ بنى مروان إن حشدوا^(٢)

ثم صدرت بعد ذلك توجيهات إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(٣) (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م) للدعاة العباسيين في جهات خراسان بأن يعلنوا عن أمرهم، فقال:

دونك أمراً قد بدت أشرطه
إن السبيل واضح صراطه
لم يبق إلا السيف واختراطه^(٤)

ولما بلغ نصر بن سيار إعلان أمر الدعوة العباسية في جهته أراد أن يستعطف من كان مع الكرمانى من قبال ربيعة فكتب إليهم:

أبلغ ربيعة فى مرو وإخوتها
أن تغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب^(٥)

وقال منقذ بن عبدالله القريعي^(٦) مشيراً إلى خذلان ربيعة وبعض أحياء اليمين:

سائل ربيعة والأحياء من يمن
عن حرينا إنهم قوم بنا خير
ترى فوارس سعد غير ناكل
بيض الوجوه إذا ما اسودت الصور
فازوا بخطوتها عفواً وأحرزها
منهم بها ليل والأخطار تبتلر
وكل أيامنا غير مشهورة
إذا تذكرت الأيام والغرر

(١) هو عبدالرحمن بن مسلم قتل أيام المنصور (ت، نحو ١٣٧هـ/ ٧٥٤م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٧/١؛ الذهبى: العبر، ١/١٤٣.

(٢) البصرى: الحماسة، ١/١٠٨. ينظر: تمام البيات.

(٣) المعروف بـ (إبراهيم أفهام). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/١٤٥.

(٤) المسعودى: مروج، ٣/٢٤٤.

(٥) ديوانه، ٤٨؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦١.

(٦) من شعراء خراسان، له اشعار كثيرة جياذ. المرباني: معجم الشعراء، ٣٢٩.

رامت ربيعة والأحياء من يَمَن أن يقهرونا فهم بالله ما قهروا^(١)

وقال رؤبة بن العجاج يحذر نصر بن سيار من أبى مسلم:

يا نصر إن الحية الأصما يحرق نابا ويمج سُمّا^(٢)

وحين شعر نصر بالخطر الذى يحدق به كتب إلى مروان بن محمد يكشف له عن جليلة الأمر شعراً، وهو ما عُرف عنه بسرعة البديهة وفصاحة العبارة ووضوح الكلام والقدرة على عرض الحدث شعراً، فكان شعره سجلاً للأحداث التى عاشها فأسهم فى تدوينها شعراً، كما فى رسالته هذه:

يا أيها الملك الوانى بنصرتي قد آن للأمر أن يأتبك من كُتب
أضحت خرساناً، قد باضت وفرخت فى نواصيها بلا رهب
فإن يطرّن ولم يُتلّ لهنّ بها يلهين نيرانَ حربٍ أيما لهب^(٣)

فلما ابطأ الغوث عن نصر كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بالموقف، وقد جعل رسالته هذه شعراً فقال:

مَن مُبلغ عني الإمام الذى قام بأمر بين ساطع
إننا وما نكتم من أمرنا كالثوار إذا قُرب فى النافع
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء يكرأ وهى فى التاسع
إنى نذير لك من دولّة قام بها ذو رحم قاطع
والثوب إن أنهج فيه البلى أعى على ذى الحيلة الصانع
كنا نداريها، فقد مُزقت واتسع الحرق على الرّاقع^(٤)

(١) نفسه.

(٢) ديوانه، ١٣٩.

(٣) ديوانه، ٣١؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٠؛ الطبرى: تاريخ، ٣٦٩-٣٧٠/٧.

(٤) ديوانه، ٨٣؛ الدينورى: الأخبار، ٣٦٠، فى رواية أخرى أن الأبيات أرسلت إلى يزيد بن عمر بن هبيرة. ينظر السمعودى: مروج، ٢٤٣/٣؛ ابن كثير: البداية، ١٠/٣٣.

فلما اشتد عود أبي مسلم وتفاقم أمره وضافت الحيلة بنصر بعد هذه الرسائل في مجابهة الموقف العسير الذي ينتظره والدولة الأموية إثر إظهار الدعوة لإبراهيم بن محمد كتب نصر رسالة من الشعر إلى مروان:

أرى تحت الرَّمَادِ وميضَ جَمَرٍ	ويُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضَرَامُ
فإنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي	وإنَّ الشَّرَّ مَبْدُوءُهُ كَلَامُ
فإنَّ لَمْ يُطْفِئْهَا تَجُنَّ حَرْبًا	مُشْمَرَةٌ يَشِيبُ لَهَا الْغَلَامُ
وقلتُ من التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي	أَلَيْقَاظُ أُمِّيَّةٍ أَمْ نِيَامُ
فإنَّ يَقْظَتُ، فذاك بقاءُ مَلِكٍ	وأن رَقَدَت، فائى لا أَلَامُ
فإن يَكُ أَصْبَحُوا، وثووا نِيَامًا	فَقُلْ قَوْمُوا، فقد حَانَ الْقِيَامُ
فَغَرُّى عَنْ رَحَالِكُ ثُمَّ قَوْلِي	على الإسلام والعرب السلام ^(١)

وكان تشخيص نصر لما يحيط بالدولة الأموية من إخطار جليًا، مثلما كان شعره صورة صادقة للأحداث، وتسجيلًا مباشرًا لها، فقد اقترن لديه الشعر بالحدث، فعبّر عنه خير تعبير فاستطاع أن يمنحه قوة التأثير وجزالة التعبير وصدق الموقف مع وضوح المعنى وسمو الألفاظ.

كما سرد إبراهيم بن هرمة (ت، ١٥٠ هـ / ٦٧٦ م) بدء تاريخ الدولة العباسية في رثائه لإبراهيم الإمام، منها قوله:

وقد كَانَ إبراهيم مولى خَلَاةٍ	بها ضَعُفَت الرِّقَابُ وَذُلَّتْ
وأوصى لعبد الله بعَدَّةٍ	خَلَاةٌ حَقٌّ لَا أَمَانِي ضَلَّتْ
فَشَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ لِمَا تَجَرَّدَتْ	لَوَاقِحَ مِنْ حَرْبٍ وَحَوْلٍ فَجَلَّتْ ^(٢)

(١) ديوانه، ٤٠-٤١؛ ابن خياط: تاريخ، ٢/٤١٩؛ الدينوري: الأخبار، ٣٥٧؛ الطبري: تاريخ، ٧/٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ٣/٢٤٠.

(٢) ديوانه، ٧١. ينظر: نونته في رثاء إبراهيم الإمام أيضًا، ٢٣٧-٢٣٨.

فأثر هذا الشعر تأثيرًا حيًّا في تدوين الأحداث وحفظها من خلال ما قاله الشعراء الذين واكبوها.

وفي سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٨م)^(١) وقعت معركة (قُديد)^(٢) بين أبي حمزة الخارجي^(٣) وأهل المدينة المنورة والتي كان عليها وعلى مكة عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك^(٤) من قبل مروان بن محمد، ويبدو أن القتل قد كثر في أهل المدينة حتى رثاهم بعض أصحابهم فقال:

يا لهف نفسي ولهفى غير كاذبةٍ على فوارسٍ بالبطحاء أنجاد
عمرو وعمرو وعبدالله بينهما وابناهما خامسٌ والحارث الساد^(٥)

ويبدو أيضًا أن عبدالواحد بن سليمان قد انهزم لقول أحد الشعراء:

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا دينَ الإلهِ ففرَّ عبدالواحد
ترك الحلائلَ والإمارةَ هاريًا ومضى يُخبِّطُ كالسبعيرِ الشَّارِدِ
لو كان والدُهُ تنصَّلَ عرقُهُ لَصَفَّتْ مضاربه بعرقِ الوالدِ^(٦)

مما يشير على قوة المهاجرين من أعوان أبي حمزة الخارجي وشدة ضربهم أهل المدينة لإرهاب الناس وإباحة السيف في قريش ومن والاها بالخلافة فقالت نائحتهم:

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٣؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٩٣.

(٢) موضع قرب مكة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣١٣ (قُديد).

(٣) اسمه يحيى بن المختار. الجاحظ: البيان، ٢/ ١٢٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٥٥ وفيه اسمه المختار بن عوف الأزدي.

(٤) عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان قتله صالح بن علي. ترجمته: الزبيرى: نسب قريش، ١٦٦.

(٥) الطبرى: تاريخ، ٧/ ٧٣٦.

(٦) الزبيرى: نسب قريش، ١٦٦. البيتان الأول والثاني مع اختلاف الرواية منسوبة لأبي الكوسج؛ الطبرى: تاريخ، ٧/ ٣٧٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/ ١٨٨-١١٩ مع اختلاف الرواية.

مَا لِلزَّمَانِ وَمَالِيهِ أَفَنَتِ قُدَيْدَ رِجَالِيهِ
فَلَا بَكِيْنَ سَرِيرَةً وَلَابَكِيْنَ عَلَانِيَهُ
وَلَابَكِيْنَ إِذْ خَلَوُ تُمَعَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَهُ
وَلَا ثَنِيْنَ عَلَى قُدَيْدُ بِسَوْءِ مَا أَبْلَانِيهِ^(١)

وقال عمرو بن الحصين العنبري^(٢) يذكر وقعة قُديد في قصيدة طويلة، منها:

مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عَنْكَ بِعَازِبِ يَمْرَى سَوَائِقَ دَمْعِكَ الْمَتَسَاكِبِ
وَتَبَيْتُ تُكْتَلَى النُّجُومُ بِمَقْلَةٍ عَبْرَى تَسْرُبُ كُلَّ نَجْمٍ دَائِبِ
حَيْثُ يَصْفَهُمُ بِالْجَبْرِيةِ:

أَمْرِي بِهِ مِنْ جَمْعِ قَوْمِي مَعَشَرًا بُورًا أُولَى جَبْرِيةٍ وَمَعَايِبِ
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

سَائِلُ بِيَوْمِ قُدَيْدٍ عَنْ وَقَعَاتِهَا تُخْبِرُكَ عَنْ وَقَعَاتِهَا بِعَجَائِبِ^(٣)
وَمَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ^(٤) فِيمَنْ أَصِيبَ بِقُدَيْدٍ:

بَعْدَ رِزْوٍ أَصَابَتْهُ بِقُدَيْدٍ هَدَّرَكْنِي وَهَاضَ مِنِّي حَتَاحِي^(٥)
وَقَالَ مُعْدَانُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي^(٦):

(١) ابن خياط: تاريخ، ٢/٤١٥؛ الطبري: تاريخ، ٧/٣٩٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٢٦ وهي الرواية التامة والمعتمدة.

(٢) الأباضي الكوفي مولى بني تميم. ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٢٦.

(٣) شعر الخوارج، ٢٢٨-٢٣٠؛ ديوان الخوارج، ١٣٨-١٤٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٢٦-١٣٠.

(٤) هو محمد بن معاذ بن عبيد الله بن معمر التيمي المدني. ترجمته: المزياني: معجم الشعراء، ٣٤٨.

(٥) ابن بكار: جمهرة، ٢/٦٤٩؛ المزياني: معجم الشعراء، ٣٤٨.

(٦) ترجمته: المزياني: معجم الشعراء، ٣٣٦.

ألا هل أتى أهل المدينة عرضنا
على عاملنا والسيوفُ مصونةٌ
نؤدى الزكاةَ حتى حان عقالُها
إلى فيد حتى ما يُعدُّ رجالُها^(١)

فقد تناحرت القبائل حتى خرجت فزاره لقتال طى فهِزمتها طى، وذلك لانتحاذ القبائل ضعف السلطة سبباً في التناحر والعزوف عن أداء الزكاة حتى ثارت الحرب بين أهل الحجاز وقبيلتي طى وأسد^(٢)، فضلاً عن عجز الولاة عن اتخاذ القرارات الحازمة التي تتحسب للمواقف الطارئة التي تعصف بالدولة وتتغلغل في مفاصلها.

فلما شعر مروان بن محمد بهذا التصدع انتخب من عسكرة أربعة آلاف استعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السَّعدى^(٣)، فلما بلغ الخبر أبا صخر الهذلي^(٤) قال:

قُلْ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَا تَعْجَلُوا
عُشْرُونَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُسْرَبِلٌ
دُونَكُمْ ذَا يَمَنِ فَأَقْبِلُوا
عَبْدُ الْمَلِكِ الْقَلْبَى الْحَوْلُ
حَتَّى يَيْدِ الْأَعْوَزُ الْمُضِلُّ
أَتَاكُمْ النِّصْرَ وَجَيْشٌ جَحْفَلُ
يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ الْقَوَى مُسْتَبِيلُ
وَوَاجَهُوا الْقَوْمَ وَلَا تَسْتَخْجِلُوا
أَقْسَمَ لَا يُغْلَى وَلَا يَرْجُلُ
وَيُقْبِلُ الصَّبَاحُ وَالْمُفْضِلُ^(٥)

(١) البلاذري: أنساب، ١٢٤/٥. ولها رواية أخرى. ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ٣٣٦.

(٢) البلاذري: أنساب، ١٢٤/٥.

(٣) أحد بني سعد هوازن. ينظر الطبري: تاريخ، ٣٩٩/٧؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٤٠.

(٤) هو عبدالله بن مسلم بن نهم، شاعر أموي. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/٢٦٨؛ السيوفي: شرح، ١٦٩/١.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ٢٣/١٤٠-١٤١ والشعر غير مذكور في مجموع شعره.

يريد بالأعور عبدالله بن يحيى^(١) زعيم الخوارج، فلما هربوا من المدينة قال أبو
البيضاء^(٢):

لـيـت مـروان رآنا يوم الاثنين عـشيّة
إذ غـسلنا العـار عـنا وانتـضينا المـشرقـيـه^(٣)

فلما حوَصر الخوارج في الشَّعب، كانت امرأة أبي حمزة ترتجز:

أنا الجـعـيداء وبنت الأعلـم من سأل عن اسمي فاسمى مريمَ
بُعـت سـوارى بسيف مـخـدَم^(٤)

ثم قتلت وإياه ففرقت الخوارج^(٥)، فقال عمرو بن الحصين العنبري يرثي
عبدالله بن يحيى وأبا حمزة بقصيدة طويلة يقول فيها:

وولى حُكْمَهُمْ فجعتُ به عمرو فواكبدي على عمرو
قـوال محكمـة وذوفهم عَفَّ الهوى مثبَّت الأمرِ
ومسـيَّبٌ فاذكـره وصيـته لا تنسَ إـما كنتَ ذا ذِكـرٍ^(٦)

وذكر محمد بن خالد بن الوليد بن الزبير^(٧) بعض من قتل في هذه الواقعة فقال:

ولقد أبقت الحوادث في قلـ بك شُغلاً على عقابيل شُغلِ

(١) هو عبدالله بن يحيى الكندي، أحد بني عمرو بن معاوية كان في حضرموت ثم خرج في عهد مروان
بن محمد. ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١١١/٢٤.

(٢) هو سهل مولى زينب بنت الحكم بن أبي العاصي. نفسه، ١٤٢/٢٤.

(٣) نفسه، ١٤٢/٢٣.

(٤) نفسه، ١٤٤/٢٣.

(٥) نفسه.

(٦) شعر الخوارج، ٢٢٦؛ ديوان الخوارج، ١٤٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٥٣/٢٣.

(٧) يتصل نسبه الزبير بن العوام. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ٣٤٩؛ القفطي، علي بن يوسف
(ت، ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م): المحدثون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق رياض عبد الحميد مراد (مجمع
اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، ٤١٣.

بينى خالد توالوا كراما
كافحوا الموت فى اللقاء وكانوا
وعلى يفرغ النجوم ذراها
وقرى دائم إذ أقط القطـ
ولقد أردت الوقية منا
حمزة الماجد جدلوه
وبانه يضرب الفوارس كالصا
وابن عكاشة الذى كان فيهم
والفتى منذرا سقوه المنايا

من فتى ناشئ أديب وكهل
أهل بأس وسابقات وفضل
وندى فى المعصين وفعل
ر، وارث القرى على الضيف
فوارس غا غير غزل
دارغا ذا حفظة غير وغل
ريم امسى حديث عهد بصقل
ليث خميس يحوم فيه بشيل
باسل البأس فى مصاليت بسل^(١)

ومن قوله فى قصيدة أخرى:

ما أبصر الناظرون من سلف مثل البهاليل من أسد^(٢)

مما يكشف عن حجم الصراع وقوته، وما نالته قريش من أذى ممن سكن مكة المكرمة والمدينة المنورة، علما بأن قريشا فى الحجاز لا تمثل سلطة الخلافة الأموية، بيد أنهم يمثلون القوة الروحية التى تدعمها بوصفها نظاما إسلاميا غدا راسخ التقاليد والأسس، وأصبحت فكرة الإمامة فى قريش عقبة بوجه الطامعين وبالذات الخوارج، لهذا استهدف خروج أبى حمزة وعبدالله بن يحيى هذا الكيان الروحي المتمثل بأحفاد القرشيين وجلهم من المهاجرين وهو صراع قبلى اكتسب صفة دينية وسياسية.

(١) بن بكار: جمهرة، ٣٤٢-٣٤٣ وهى الرواية التامة؛ المرزبانى: معجم الشعراء؛ القفطى: المحمدون، ٤١٣.

(٢) نفسها.

بعد اشتداد شوكة الدعوة العباسية أخذ قُحطبة بن شبيب الطائي^(١) (ت، ١٣٢هـ/ ٧٤٨م) يضايق نصر بن سيار في خراسان، فكتب نصر إلى مروان ويزيد بن عمر بن هبيرة^(٢) يستمدهما ويسألهما النصرة على عدوه^(٣). وكانت رسالته شعراً جاء فيه:

أبلغ يزيد وخير القولِ صدقُهُ وقد تبينتُ الأخيرَ في الكذبِ
إنَّ خراسانَ أرضٌ قد رايتُ بها يضاً لو أفرخَ قد حدثتْ بالعجبِ
فراخُ عامين إلا أنَّها كبرتُ لما يطرنَ وقد سُرِلنَ بالزغبِ
فإن يطرنَ ولم يُحتملْ لهنَّ بها يلهينَ نيرانَ حربٍ أئماً لهبٍ^(٤)

فلما كانت سنة (١٣١هـ/ ٧٤٧م)^(٥) ترك نصر خراسان حتى نزل ساوة^(٦)، فكتب إلى مروان بن محمد عدة أبيات، منها قوله:

إنا وما نكتم من أمرنا كالثورِ إذ قُربُ للناخِ^(٧)

لكن نصراً مات كمداً من دون أن يتمكن من تغيير أمره وأمر الخلافة شيئاً، فقال أبو العطاء السندی يرثيه:

فاضتْ دموعي على نصرٍ وما ظلمتُ عينٌ تفيضُ على نصرٍ بن سيارٍ
يا نصرُ مَنْ للقاءِ إن لقحت يا نصرُ بعدك أو للضيفِ والجارِ^(٨)

(١) اسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان، وقحطبة لقب لحق به. ترجمته: ابد دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣٩٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٢/ ٢٠١.

(٢) من بني فزارة ولي العراقيين لمروان بن محمد. رجته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٩/ ١٢٧؛ الذهبي: سير، ٢٠٧/ ٦.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ٢/ ٤١٩.

(٤) ديوانه، ٣٠.

(٥) الطبري: تاريخ، ٧/ ٤٠٣.

(٦) مدينة بين الري وهمدان. ياقوت/ معجم البلدان، ٣/ ١٧٩ (ساوة).

(٧) ديوانه، ٣٨؛ الدينوري: الأخبار، ٣٦٠؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٢٤٣؛ ابن كثير: البداية، ١٠/ ٣٣.

(٨) شعره، ٢٨٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٧/ ٢٥٠؛ البري: الحماسة، ١/ ٢٥٢.

وتحصن ابن هبيرة بمدينة واسط زمنًا طويلًا حتى قتل فيها فقال أبو العطاء يرثيه:

ألا إن عَيْنًا لم تَجِدْ يومَ واسطٍ عليكَ بجاري دمعها لجمود^(١)

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي^(٢) يرثيه أيضًا:

منعَ العزاءَ حرارةَ الصدرِ والحزنَ عَقَدَ عَزمُهُ الصَّبْرِ^(٣)

وخرج على الأمويين أيضًا محمد بن خالد القسري^(٤) وأخذ يدعو إلى بني هاشم^(٥)، فقال علي بن سليمان الأزدي^(٦):

يا حاديينا بالطريق قَوْمًا بَعَمَلَاتٍ كَأَقْسَى رَسَمًا

تنجو بأحواز الفلاة مُقَدَّمًا إلى امرئٍ أَكْرَمَ مِنْ تَكْرَمًا

محمدًا سَمًا وَأَقْدَمًا ثَارَ بِكَوْفَانٍ بِهَا مُعَلَّمًا

فِي عُصْبَةٍ تَطْلُبُ أَمْرًا مُبْرَمًا حَتَّى غَلَا مِنْبَرُهَا مُعَمَّمًا

أَكْرِمَ بِمَا فَازَ لَهُ وَأَعْظَمًا إِذْ كَانَ عَنْهَا النَّاسُ كُلُّهُ نَوْمًا^(٧)

وفي سنة (١٣٢هـ/٧٤٨م)^(٨) التقى جيش العباسيين بقيادة عبدالله علي^(٩)

(١) شعره، ٢٨١؛ الطبري: تاريخ، ٥٦/٧؛ المرتضى: المال، ١/٢٢٣ وفيه لمعن بن زائدة.

(٢) ذكره: الطبري: تاريخ، ٤٥٧/٧.

(٣) نفسه.

(٤) هو محمد بن خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٠/٥٥.

(٥) الينوري: الأخبار، ٣٦٨-٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٤١٧/٧.

(٦) ذكره: الدينوري: الأخبار، ٣٦٩.

(٧) نفسه.

(٨) ابن خياط: تاريخ، ٢/٤٢٧-٤٢٨؛ الطبري: تاريخ، ٧/٤٣٢-٤٣٤.

(٩) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي عم السفاح دعا لنفسه بعد موته فهزمه جيش أبي مسلم الخراساني، انهزم عليه حبسه سنة (١٤٧هـ/٧٦٤م). ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٨/٣٣؛ الذهبى: العبر، ١/١٥٩.

بجيش مروان بن محمد بموقعة الزاب^(١)، فقال رجل من ولد سعيد بن العاصي يُعير مروان:

لَجَّ الْفِرَارُ بِمِرْوَانَ فَقُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومُ ظَلِيمًا هَمُّهُ الْهَرَبُ
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكَ الْمَلِكُ إِذْ ذَهَبْتُ عَنْكَ الْهُيُونَى فَلَا دِينَ وَلَا حَسَبُ
فِرَاشَةُ الْحِلْمِ فَرَعُونَ الْعِقَابَ وَإِنْ تَطْلُبُ نِدَاءَهُ فَكُلِّ دُونَهُ كَلْبُ^(٢)

فلما رأى مروان أصحابه يتفرقون عنه نزل عن فرسه وأنشأ متمثلاً:

ذُلُّ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ وَكُلُّ أَرَاهِ وَخِيمًا وَيَسِيلَا
فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فَسِيرَى إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا^(٣)

وكان أبو العطاء السندی مع الأمويين فلما رأى ذلك قال:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَابَا يَزِيدَ لِكَالسَّاعَى إِلَى وَضَحِ السَّرَابِ^(٤)

وحين انهزم جيش مروان بن محمد عند نهر أبي فطرس^(٥) قال أحد الشعراء يرثي قتلى بني أمية:

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُودًا، وَقَتَلَى بِكُرُودٍ لَمْ تُرْمَسْ
وَقَتَلَى بِوَجٍّ وَبِاللَّابِئَتَيْنِ وَمَنْ يَشْرَبَ خَيْرَ مَا أَنْفَسَ

(١) نهر قرب المصول. ياقوت: معجم البلدان، ١٢٣/٣ (الزاب).

(٢) الجاحظ: الحيوان، ١/٢٥٦-٢٥٧. وفيه للضحاك بن سعد من همدان؛ الطبري: تاريخ، ٣٤٣/٧. وهي الرواية المعتمدة؛ العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت، نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م): ديوان المعاني، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ، ١٩٦).

(٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/٨٨٩م): الإمامة والسياسة، الجزء الأول (شركة الباي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، ١٤٤. والأبيات في رواية أخرى تمثل بها محمد بن مسلمة بن عبد الملك. ينظر: ابن حزم، جمهرة، ١٠٣.

(٤) شعره، ٢٧٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٧/٢٤٨؛ الصفدي: الوافي، ٩/٣٠٠.

(٥) على بعد اثني عشر ميلاً من الرملة. ياقوت: معجم البلدان، ٥/٣١٥ (نهر أبي فطرس).

وبالزَّابِين نفوس تُتوت ، وأخرى بنهر أبى فطرس^(١)

وحين قتل مروان قال أحد أهل الكوفة:

نزع الخلافَ من بنى مروانَ ربُّ علا بالطُّولِ والإحسانِ
ما زال مروانُ يقربُ خطوة ويحرقُ الأرضينَ بالنيرانِ
ويروغ منها فى البلاد ولم يكن قدر الإلهِ يحلُّ عن مروانِ
ولقد رماهم صالح بفوارس شُمُّ الأثوفِ معانقى الأقرانِ
فاستخرجوه من الكنيسة صاغراً وتعاوروه بذلَّةٍ وهوانِ
وأناه للحينِ المباحِ فوارساً ألقوا الطعان ساحةَ الميدانِ
ساروا برأس الرُّجس مروان الذى فتك الورى بالظلم والعدوانِ^(٢)

يشير هذا الشعر إلى مقتل مروان بن محمد على يد صالح بن علي^(٣) (ت، ١٥١ هـ/ ٦٧٨ م) وكيف كانت نهاية مروان كخليفة ودولة؟ وقد حاول خصومهم النيل منهم وإشاعة أن زوال ملكهم كان بسبب ظلمهم للرعية حتى شبههم إبراهيم بن هرمة بقوم عاد حين قال:

فلا عفا الله عن مروانَ مظلمةً ولا أمية بسئس المجلس النادى
كانوا كعادٍ فأمسى الله أهلهم بمثل ما أهلك الغاوين من عادٍ^(٤)

وخرَّض سديف بن ميمون^(٥) بنى العباس فقال:

(١) نفسه، ١-٣/٥ (اللابتان).

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٧/١٨٨-١٨٩.

(٣) هو صالح بن علي بن عبدالله بن عباس عم السفاح والمنصور. ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥/٢٣٦؛ الذهبى: العبر، ١/١٦٦.

(٤) ديوانه، ١٠٦.

(٥) شاعر مكى قتله المنصور سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م): ترجمته: ابن المعتز: طبقات، ٣٧؛ الذهبى: ميزان، ٢/١٦٥/.

كَيْفَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَقَدِيمًا قَتَلُوكُمْ وَهَتَكُوا الْحُرَمَاتِ
 أَيْنَ زَيْدٌ وَابْنُهُ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ؟ يَا لَهُمَا مِنْ مَصِيبَةٍ وَتَرَاتِ
 وَالْإِمَامَ الَّذِي أُصِيبَ بِحَرًّا نَ إِمَامَ الْهُوَى وَرَأْسَ الثُّقَاتِ
 قَتَلُوا آلَ أَحْمَدَ لَا عَفَا الذَّنْبَ لِمُرْوَانَ غَافِرَ السَّيِّئَاتِ
 حَضَرَ الشَّرُّ يَا أُمِيَّةَ فَاَنْعَى عَيْشَ دِينَالِكُ وَثَذْنَى بِالشُّتَاتِ^(١)

إذا كان ملك آل مروان قد بدأ عند مروان بن الحكم فإنه انتهى عند مروان بن محمد بن مروان، فكانت دورته بين ثلاثة على أربعة أجيال، كما انتهى ملك آل سفيان عند ثلاثة أجيال فقط، وكان ملك الدولة الأموية بأقل من قرن انطوت بعده صفحات حافلة بالأحداث، كان فيها للشعر أثره الفاعل في تدوينها، لأنه كان سباقاً على مواكبتها ومنغمراً في تفاصيلها انغماراً شاملاً أعطى ثماره في حفظ الكثير من الوقائع وكشف جوانبها الغامضة، فكان الشعر سنداً قوياً للتاريخ في التدوين وفي بعث الجانب الإنساني وكشف النزعات الذاتية التي تكشف عن تواصل الذات الإنسانية مع الأحداث وتسهم في تفسيرها.

(١) سديف بن ميمون (ت، ١٤٧هـ/ ٧٦٤م): شعره، تحقيق: رضوان مهدي العبود (مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٧٤م)، ١٩.

الخاتمة ونتائج البحث

إذا كان البحث يتكون من مقدمة ثم من فصل تمهيدى عن علاقة الشعر والتاريخ، أربعة فصول أخرى تتبعت مسيرة الزمن في العصر الأموى طيلة ما يقرب من قرن؛ فإن البحث على وفق ذلك استعرض مسيرة الشعب العربى واثره في الأحداث التاريخية في حقبة زمنية طويلة كشفت عن أهمية الشعر لدى العرب من حيث كونه فناً راقياً متميزاً ومن حيث كونه أداة إعلامية تسهم في انتشار الوقائع وحفظ أخبارها، فضلاً عن كونه جوهر ثقافة العرب والعلم المتجدد في مآثرهم ونفوسهم على مر تلك العصور.

لقد كان العصر الأموى مثار متغيرات جديدة جعلت من الشعر يستعيد مكانته الباهرة في ظل صراعات ووقائع لم تهدأ ولم تتوقف، كان الشاعر فيها لسان حال قومه أو قبيلته أو فرقته أو حزبه أو لسان حال الدولة وتوجهاتها السياسية.

ولعل أبرز ما كشف عنه البحث هو:

الصلة الحية بين الحدث التاريخي والشعر، والتي تدلل دلالة واضحة على أثر ثقافة العرب وجوهر معرفتهم بما يحيط بهم من ظروف، فالشعر فيض وجدانى يعبر عن انفعال عاطفى في الحدث ليكشف عن رد فعل الشعور الإنسانى اتجاه الحدث في حالتي الظفر والأخلاق.

كشفت الدراسة عن استخدام الشعر وسيلة إعلامية لدى كل التيارات، فقد استخدمه الخلفاء الأمويون وأجزلوا العطاء للشعراء على تعليم أبنائهم الأدب حتى ينشأوا نشأة عربية خالصة ترى في الشعر علماً متقدماً من علوم العرب وثقافتها،

وشجعوا الولاة على كسب ولاء الشعراء، وتفاوضوا عن زلاتهم وخلافاتهم مع الولاة والأسرة الأموية لكسب ودهم والاستفادة من شعرهم في رفع شأن الخلفاء والولاة في نظر الرعية لما للشعر من أثر فاعل في النفوس، ولما يكنه العرب للشعر والشعراء من اهتمام خاص.

كما كشفت الدراسة عن مواكبة الشعراء للأحداث التاريخية الكبرى وعملهم على وضع بصاتهم فيها، ومشاركة العديد منهم في الأحداث، ومقتل البعض منهم دفاعاً عما يحملونه من مواقف مناهضة للوضع القائم وهذا ما يجعل للشعر تعبيراً عما يجيش في النفس من مواقف تجاه الأحداث المصيرية المهمة.

كان الشعر أداة فاعلة في تأجيج قوة الحدث وتوسيع سعة الخصومات، وإثارة الحماس، وتفاقم الصراعات فهو وسيلة من وسائل الشيوخ والانتشار، فكان له أثره في التعبير عن وجهات نظر حركات التمرد على سلطة الخلافة، مثلما كان وسيلة من وسائل الخلافة في الرد على خصومها، فضلاً عن مشاركة الشعر في الصراعات القبلية، فكان لكل قبيلة شعراء يمثلون صوتها ويدافعون عن مصالحها فهم لسان حالها والمتحدثون باسمها لأن شعرهم تتناقله الأفواه فيحفظه الرواة وتتفاخر به القبائل بين أقرانها.

أسهم الشعر في زيادة صدى الأحداث وفي أنتقال أخبارها بسرعة فائقة لسهولة حفظه وكثرة تداوله لما يمتلكه من رقى لفظي وسمو في المعاني وجمال في الإيقاع بما يؤثر في نفوس السامعين، فيشعر من يرويه بالمتعة والانتشاء فضلاً عن الحاجة الماسة في روايته لمن يعينهم الأمر.

قرأ الشعر الأحداث قراءة جديدة مختلفة عما عرضته كتب التاريخ، فكان نمطاً خاصاً ومغرياً في فهم المواقف والصراعات، لأنه قدم رؤية مشرفة للحضارة العربية من زاوية نظر ثقافية وفكرية لها خصوصيتها في ملاحقة الأحداث والتأثير فيها.

عبر الشعر خير تعبير عن الحس العربي المتقدم في فهم الأحداث والتأثير فيها، فكان صورة من صور الحفاظ على الهوية القومية التي رعتها الدولة الأموية رعاية

متميزة، مثلما عبر عن حضور المعانى الإسلامية التى تغلغلت فى النفوس بوصف العرب حملة الرسالة الإسلامية ومادة الإسلام فكانت اللغة العربية هى لغة الإسلام التى تبارى الشعراء فى توظيف قدراتها باتجاه صوغ بيانى يرتقى بجوهر البلاغة العربية بعد أن تمثل الشعراء بلاغة القرآن الكريم وبدأوا ينطلقون منه نحو آفاق أكثر تعبيراً وابتكاراً.

كان الشعر لسان حال الفرق والجماعات لأنَّ دعائها رأوا فيه خير وسيلة لبث عقائدهم وأفكارهم فكان صدها مؤثراً فى إيصالها والاحتفاظ بها خلال العصور المتعاقبة.

كشف الشعر عن صراعات الفرق والطوائف والمشاعر الإنسانية والفئات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والنفسية داخل المجتمع العربى، وكشف عن استمرار النزعة القبلية وعودة الكثير من الأعراف والصراعات بين القبائل التى كانت سائدة فى عصر ما قبل الإسلام كالثارات والولاءات وصراعات القبائل اليمانية والقيسية.

وثق الشعر الأحداث توثيقاً واضحاً ومعروفاً من خلال ذكر الشعراء لها وللمواقع التى حدثت فيها، فكان خير وسيلة لتحديد المواقع والأمكنة والبلدان وعلاقة ذلك بأحداث حصلت فيها.

كشفت الدراسة عن اعتماد كثرة من المؤرخين على الشعر فى تدوين الوقائع التاريخية، فجاءت عنايتهم به من خلال قراءتهم للشعر والاطلاع عليه فأسهلهم بشكل واضح فى حفظ الروايات التاريخية.

يقترح الباحث أن يتناول باحثون متخصصون لهم معرفة ودراية فى التاريخ والشعر دراسة العصر العباسى والعصور التى تلتها على وفق ما جرى تناوله أو أفضل منه فى وسائل وأطاريح تستطيع كشف النقاب عن أحداث تاريخية مهمة كان للشعر فيها أثره فى تدوينها وتناولها.

وفى الختام أتمنى أن ينال هذا البحث ما يستحقه والله ولى التوفيق.

جريدة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر المخطوطة:

* البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٢- أنساب الأشراف (مصورة مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٧١٢ ق في ٢٩/

١٩٨٦/٩ عن نسخة المكتبة السليمانية، اسطنبول، تحت رقم ٥٩٨ sule

ymaniye suty phanesi) من إهداء الدكتور عبدالأمير دكسن القسم الأول.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

* الآمدي، أبو القاسم الحسن ابن بشر بن يحيى (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨١م):

٣- المؤلف والمختلف، تحقيق بن العبدالستار أحمد فوق (دار إحياء الكتب العربية،

عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

* ابن البار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت، ٦٥٨هـ/

١٢٦٠م):

٤- الحلة السّراء، تحقيق حسين مؤنس، جزعان (الشركة العربية للطباعة والنشر،

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م).

* إبراهيم بن همرة (ت، ١٧٦هـ/ ٧٩٢م):

٥- ديوان إبراهيم بن همرة، تحقيق محمد جبار المعبيد (مطبعة الآداب، النجف

الأشرف، ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٩م).

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت، ٦٣٠هـ

١٢٣٢م):

- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد، الأجزاء ٢-٥ (دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ).
- ٧- الكامل في التاريخ، الجزء الرابع (دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
- ٨- اللباب في تهذيب الأنساب (دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- * الأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصارى (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م):
- ٩- شعر الأحوص الأنارى، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- * الأخطل، غياث بن غوث التغلبى (ت، ٩٢هـ/ ٧١٠م):
- ١٠- شعر الأخطل، صنعه السكرى برواية محمد بن حبيب، تحقيق فخرى قباوة، جزان (دار الأصمعى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- * أطراة بن سهية المرى (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م):
- ١١- شعر أرطاة بن سهية، تحقيق صالح محمد نايف، مجلة المورد المجلد (السابع)، العدد (الأول)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- * ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبى (ت، ١٥١هـ/ ٧٣٣م):
- ١٢- السيرو المغازى، تحقيق سهيل زكاز (دار الفكر، بيروت، دون تاريخ).
- * الأسدى، عبدالله بن الزبير (ت، نحو ٧٥هـ/ ٦٩٤م):
- ١٣- ديوان عبدالله بن الزبير الأسدى، جمع وتحقيق يحيى الجبورى (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- * الأسدى، الكميت بن زيد (ت، ١٢٦هـ/ ٧٤٤م):
- ١٤- شعر الكميت بن زيد الأسدى، جمع وتحقيق داود سلوم، القسمان ١-٢ (منشورات مكتبة الأندلس ببغداد، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩م).
- * إسماعيل بن يسار (ت، نحو ١٣٠هـ/ ٧٤٧م):
- ١٥- شعر إسماعيل بن يسار، تحقيق ودراسة يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- * أبو الأسود الدؤلى، ظالم بن عمرو بنس فيان (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م):
- ١٦- ديوان أبى الأسود الدؤلى، تحقيق محمد حسن يل ياسين (سلسلة نفائس

المخطوطات، مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ/١٩٤٦ م).

* الأشعري، علي بن إسماعيل (ت، ٣٣٠ هـ/٨٣٤ م):

١٧- مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م).

* الأشقري، كعب بن معدان (ت، ٩٥ هـ/٧١٣ م):

١٨- شعر كعب بن معدان الأشقري، ضمن كتاب: شعراء أمويون، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، القسم الثالث (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م).

* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت، ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م):

١٩- الأغاني، ٢٣ جزءاً (دار الثقافة، الطبقات الأولى والثالثة والرابعة، بيروت، ٣٩٥-١٣٩٨ هـ/١٩٧٥-١٩٧٨ م).

٢٠- مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ).

* ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكفوي (ت، نحو ٣١٤ هـ/٩٢٦ م):

٢١- الفتوح، تحت مراقبة د. محمد عبد المعيد خان، الأجزاء ١-٦ (مجلس المعارف العثمانية في الهند، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م).

* الأعشى، ميمون بن قيس (ت، ٧ هـ/٦٢٩ م):

٢٢- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق م محمد حسين (مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، دون تاريخ).

* أعشى همدان، أبو مصعب عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارث الهمداني (ت، ٨٣ هـ/٧٠٢ م):

٢٣- ديوان أعشى بن همدان، ملحق بكتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين (مطبعة أدلف هملز هوسن، بيانه، ١٩٢٧ م).

* الأقيشر الأسدي، المغيرة بن عبدالله بن معرض أو المغيرة بن أسود (ت، ٨٠ هـ على الأرجح/٧٠٠ م):

- ٢٤- أخباره وأشعاره، تحقيق الطيب العشاش، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد (الثامن)، (تونس، ١٩٧١م).
- * أمية بن ابي الصلت (ت، نحو ٩هـ / ٦٣٠م):
- ٢٥- حياته وشعره، دراسة وتحقيق د. بهجة عبدالغفور الحديثي (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩١م).
- * أيمن بن خريم الأسدي (ت، القرن الأول الهجري/ القرن السابع الميلادي):
- ٢٦- ديوان أيمن بن خريم، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
- * البارقي، سُرّاقة بن مرداس (ت، ٧٩هـ / ٦٩٨م):
- ٢٧- ديوان سُرّاقة الباقي، تحقيق حسين نصار (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م).
- * البخاري، محمد بن إسماعيل (ت، ٢٥٦هـ / ٨٦٩م):
- ٢٨- التاريخ الكبير، القسم الأول من الجزء الثاني (حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ).
- ٢٩- صحيح البخاري، الجزء الثامن (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
- * البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت، ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م):
- ٣٠- الحماسة البرية، تحقيق مختار الدين أحمد، بزان (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
- * البغدادى، عبدالقادر بن عمر (ت، ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م):
- ٣١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١- ٥ (دار الكتاب العربى والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٧-١٩٨٦م):
- * البغدادى، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت، ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م):
- ٣٢- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مطبعة المدنى، القاهرة، دون تاريخ).
- ٣٣- الملل والنحل، تحقيق البير نصرى نادر (دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦م).

* ابن بكار، الزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

٣٤- الأخبار الموفقيات، تحقيق د. سامى مكى العانى (رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامى، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٧٢م).

٣٥- جهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، الجزء الأول (مكتبة دار العروبة، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٣٨١هـ).

الجزء الثانى، إشراف حمد الجاسر (دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

* البكرى، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

٣٦- التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ).

٣٧- سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى، تحقيق عبدالعزيز الميمنى (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م).

٣٨- معجم ما استعجم فى أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، الجزء الثالث (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ/ م).

* البلاذرى، ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٣٩- أنساب الأشراف، القسم الرابع، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس (النشرات الإسلامية، نشر فرانتس شتاير بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).

الجزء الثانى، تحقيق محمد باقر المحمودى (مؤسسة الأعلمى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

الجزء الثالث (دار المعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٤م).

القسم الأول - الجزء الرابع، نشر ماكس شلويسنجر (القدس، ١٩٧١م).

القسم الثانى - الجزء الرابع، تحقيق ماكس شلويسنجر (القدس، ١٩٣٨م).

الجزء الخامس، تحقيق ش. د. غويتن (القدس، ١٩٣٩).

الجزء الحادى عشر، (مطبعة يولس آيل، غريفزولد، ١٨٨٣م).

- ٤٠- فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م).
- * التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالخطيب (ت، ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م):
- ٤١- شرح ديوان الحماسة، الجزءان ١-٢ (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
- * ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت، ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):
- ٤٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).
- * أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م):
- ٤٣- ديوان الحماسة، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد صالح (وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٩٨٠م).
- * التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):
- ٤٤- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، الجزء الأول (بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- * ثابت قطنة، ثابت بن كعب بن جابر العتكي (ت، ١١٠هـ/ ٨٢٨م):
- ٤٥- شعر ثابت قطنة العتكي، جمع وتحقيق ماجد أحمد السامرائي (وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- * الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت، ٢٤٩هـ/ ١٠٣٧م).
- ٤٦- يتمية الدهر في محاسن أهل العصر، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- * الثقفى، يزيد بن الحكم (ت، ١٠٥هـ/ ٧٢٣م):
- ٤٧- شعر يزيد بن الحكم الثقفى، شعراء أمويون، القسم الثالث.
- * الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):
- ٤٨- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١-٣ (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٧-١٣٦٩هـ/ ١٩٤٨-١٩٤٩م).

- ٤٩- الحيوان تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الأجزاء ١، ٣، ٧ (مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).
- * ابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م):
- ٥٠- من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام، تحقيق محسن غياض عجيل ومصطفى عبداللطيف جياووك (دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزانة التراث، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).
- * الجرهمي، عبيد بن شرية (ت، ٦٧هـ/ ٦٨٦م):
- ٥١- أخبار اليمين وأشعارها وأنسابها، ملحق بكتاب التيجان في ملوك حمير (مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ).
- * جرير، جرير بن عطية الخطفي اليربوعي التميمي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م):
- ٥٢- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، جنهان (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩-١٩٧١م).
- * الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت، ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):
- ٥٣- الوزراء والكتاب، حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).
- * ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت، ٩٥٧هـ/ ١١٩٩م):
- ٥٤- سيرة عمر بن عبدالعزيز، تصحيح محب الدين الخطيب (مطبعة المؤيد، القاهرة، دون تاريخ).
- ٥٥- صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الجزء الأول (دار الوعي، مطبعة الأصيل، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٣م).
- ٥٦- المنتظم في تواريخ الأمم، تحقيق سهيل زكار، الجزء الرابع (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٥١هـ/ ١٩٩٥م).
- * ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حيان بن أحبان البستي (ت، ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):
- ٥٧- الثقات، إدارة شرف الدين أحمد، الأجزاء ١- ٨ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية في الهند، حيدر آباد، ١٣٩٥هـ- ١٤٠٣هـ/ ١٩٧٥- ١٩٨٣م).
- * ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت، ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م):

٥٨- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ضمن كتاب نواذر المخطوطات، الجزء الثاني (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤م).

٥٩- المير، رواية ابي سعيد السكري، تحقيق د. غيلز ليختن شتير (المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).

* ابن حجر، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت، ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م):

٦٠- الإصابة في تمييز الصحابة. الجزءان ٢، ٣ (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ).

٦١- تهذيب التهذيب، ١٢ جزءاً (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م).

٦٢- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الجزء ١٣ (مطبعة عيسى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٩م).

* ابن أبى الحديد، عز الدين أبو حامد هبة الله بن محمد بن الحسن المدنى (ت، نحو ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م).

٦٣- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء ١-٣ (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م).

* ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد الأندلسى (ت، ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م):

٦٤- جهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (سلسلة ذخائر التراث، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م).

* حسان بن ثابت الأنصارى (ت، ٥٤ هـ/٧٦٣م):

٦٥- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفى حسنين (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م).

* الحميدى، أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله (ت، ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م):

٦٦- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى (نشر مكتبة الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة، دون تاريخ).

* الخارجى، محمد بن بشير (ت، ٢١٠ هـ/٨٢٥م):

- ٦٧- شعر محمد بن بشير الخارجي، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي (دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- * ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٤م):
- ٦٨- المقدمة (دار القلم، بيروت، دون تاريخ).
- * ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- ٦٩- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الأجزاء ٢-٦ (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- * ابن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت، ٢٤٠هـ/ ٥٨٤م):
- ٧٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، جزآن (مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).
- * ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت، ٣٢١هـ/ ٩٣٣م):
- ٧١- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون. جزآن (مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٥م).
- * أبو دهبل، وهب بن زمعة الجمحي (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م):
- ٧٢- ديوان أبي دهبل الجمحي، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن (مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
- * الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م):
- ٧٣- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سلسلة تراثنا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م).
- * الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):
- ٧٤- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون صوغارجي وحسين الأسد، الأجزاء ١-٦ (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- ٧٥- العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول، الأجزاء ١-٤ (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ).

- ٧٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوي، الأجزاء ١-٤ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).
- * ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله أبي ربيعة المخزومي (ت، ٩٣هـ / ٧١١م):
- ٧٧- ديوان عمر بن أبي ربيعة (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).
- * ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت، ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م):
- ٧٨- العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الأول (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).
- * الرقيات، عبيدالله بن قيس (ت، ٧٥هـ / ٦٩٤م):
- ٧٩- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م).
- * رؤية بن العجاج (ت، ١٤٥هـ / ٧٦٢م):
- ٨٠- ديوان رؤية بن العجاج، ضمن مجموع أشعار العرب، اعتناء وترتيب وليم بن الورد البرسي (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩).
- * ابن رواحة، عبدالله بن رواحة (ت، ٨هـ / ٦٢٩م):
- ٨١- ديوان عبدالله بن رواحة، دراسة وتحقيق وليد قصاب (دار العلوم للطباعة والنشر، مطبعة المتوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- * ابن الزبيري، عبدالله بن الزبيري (ت، ١٥هـ / ٦٣٦م).
- ٨٢- شعر عبدالله بن الزبيري، تحقيق يحيى الجبورى (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- * الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت، ٢٣٦هـ / ٨٥٠م).
- ٨٣- نسب قریش، نشر وتصلیح أ. ليفى بروفنسال (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م).
- * الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت، ٣٤٠هـ / ٩٥١م):
- ٨٤- أمالي الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع، مطبعة المدنى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ).
- * زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥هـ / ٦٩٥م):

- ٨٥- حياته وشعره، تحقيق نوري حمود القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥)، الجزء (الأول)، (بغداد، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- * زهير بن أبي سلمى (ت، ٦١٥م):
- ٨٦- ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م).
- * زياد الأعجم، زياد بن جابر (ت، ١٣٢هـ / ٧٤٩م):
- ٨٧- شعر زيادة الأعجم، تحقيق يوسف حسين بكار (دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- * سديف بن ميمون (ت، ١٤٧هـ / ٦٧٤م):
- ٨٨- شعر سديف بن ميمون، تحقيق رضوان مهدي العبود (مطبعة الغرى الحديثة، النجف، ١٩٧٤م).
- * ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت، ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):
- ٨٩- الطبقات الكبرى، الأجزاء ٥-٧ (دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م).
- * ابن سَلام، محمد بن سلام الجُمحي (ت، ٢٣١هـ / ٨٤٥م):
- ٩٠- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، سقران (مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ).
- * السُّلولى، عبدالله بن هُمام (ت، نحو ١٠٠هـ / ٧١٨م):
- ٩١- حياته وما تبقى من شعره، نوري حمودى القيسى، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٢٧)، الجزء (الرابع)، (بغداد، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
- * السيد الحميرى، إسماعيل بن محمد بن يزيد (ت، ١٧٣هـ / ٧٨٩م):
- ٩٢- ديوان السيد الحميرى، جمع وتحقيق شاكر هادى غضب، (منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة سميا، بيروت، دون تاريخ).
- * السيوطى، جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر (ت، ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- ٩٣- شرح شواهد المغنى، تصحيح محمد جواد بن التلاميذ، وقف عليه أحمد ظاهر، كوجان، قسبان (لجنة التراث العربى، دمشق، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).
- ٩٤- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، ضبطه جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم

وعلى محمد البجاوى، الجزء الأول (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

* ابن الشجرى، هبة الله بن على بن حمزة العلوى (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م):

٩٥- الحماسة الشجرية، تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م).

* الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

٩٦- الملل والنحل، تصحيح أحمد فهمى محمد، الجزءان ١-٢ (نشر مكتبة الحسين التجارية، مطبعة حجازى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م).

* الشيرازى، أبو إسحاق إبراهيم بن على الشافعى (ت، ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م):

٩٧- طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس (دار الرائد العربى، بيروت، الطبعة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

* الصّفى، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٩٨- الوافى بالوفيات، باعتناء يوسف فان إس، الجزء التاسع (دار نشر فارس شتاير بفيسيان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

* الضّبى، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

٩٩- بغية المتلمس فى تاريخ الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفى (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م).

* ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى (ت، ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م):

١٠٠- عيار الشعر، تحقيق طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٦م).

* الطّبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٣م):

١٠١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الأجزاء ١-٧ (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م).

١٠٢- جامع البيان فى تفسير القرآن، الجزء السابع (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

* الطّرمّاح، الطرمّاح بن حكيم الطائى (ت، ١٢٥هـ/ ٧٤٢م):

١٠٣- ديوان الطرمّاح، تحقيق عزة حسن (وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد

القومى، مطبعة مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

* أبو الطُّفيل، عامر بن واثلة الكنانى (ت، نحو ١٠٠هـ / ٧١٨م):

١٠٤ - ديوان أبى الطفيل، تحقيق الطيب العشاش (مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

* العاملى، عدّى بن الرِّقاع العاملى (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م):

١٠٥ - ديوان عدى بن الرقاع العاملى، عن ثعلب، تحقيق نورى حمودى القيسى وحاتم صالح الضامن (مطبوعات المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

* ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ / ٧٠م):

١٠٦ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، الجزءان ٢، ٣ (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ).

* ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القريشى المصرى (ت، ٨٧١هـ / ١٤٦٦م):

١٠٧ - فتوح مصر وأخبارها (ليدن، ١٩٢٠م).

* ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن ربه الأندلسى (ت، ٣٢٨هـ / ٩٣٩م):

١٠٨ - العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، الجزءان ١، ٥ (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).

* عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م):

١٠٩ - شعر عبدالله بن معاوية، جمع عبدالحميد الراضى (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

* أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى (ت، ٢٠٩هـ / ٨٢٤م).

١١٠ - نقائض جرير والفرزدق، تحقيق د. اشلى بيفان، جزءان (مطبعة بريل، ليدين، ١٩٠٥م).

* عبدالله بن الأبرص (ت، نحو ٥٥٥م):

- ١١١- ديوان عبيد الله بن الأبرص، تحقيق تشارلس ليالس (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- * عبيد الله بن الحر الجعفي (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م):
- ١١٢- شعر عبيد الله بن الحر الجعفي، دراسة وتحقيق نوري هودي القيسي، ضمن كتاب شعراء مويون، القسم الأول (مطابع دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
- * العجاج، عبد الله بن روبة بن لبيد بن صخر التميمي (ت، نحو ٩٠هـ/ ٧٠٨م):
- ١١٣- ديوان العجاج، برواية الأصمعي، تحقيق عزة حسن (مكتبة دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م).
- * ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م):
- ١١٤- تاريخ دمشق الكبير، تحقيق أبي عبد الله على عاشور الجنبوي، الأجزاء ١٢- ٧١ (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
- * العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت، نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م):
- ١١٥- ديوان المعاني، الجزء الأول (عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ).
- ١١٦- كتاب الصناعتين (طبع مصر القاهرة، ١٣٢٠هـ).
- * أبو العطاء السندي، أفلح بن يسار، نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م):
- ١١٧- حياته وشعره، صنعه قاسم راضي مهدي، مجلة المورد، المجلد (التاسع)، العدد (الثاني)، (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- * عثوف القوافي، عوف بن معاوية بن عقبة بن حصين الذبياني (ت، نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م):
- ١١٨- شعر عوف القوافي، دراسة وتحقيق نوري هودي القيسي، ضمن كتاب شعراء أمويون، القسم الثالث.
- * الغداني، حارثة بن بدر (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م):
- ١١٩- شعر حارثة بن بدر الغداني، دراسة وتحقيق نوري هودي القيسي، ضمن

كتاب شعراء أمويون، القسم الثانى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر،
جامعة الموصل، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م):

١٢٠- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن كلامها، تحقيق مصطفى الشويى (مؤسسة
بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

* الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمى التيمى (ت، ١١٥هـ/
٧٣٣م):

١٢١- ديوان الفرزدق، مجلدان (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

* القالى، أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

١٢٢- الأمالى، ذيل الأمالى، النوادر، مراجعة محمد جواد الأصمعى، الجزء الأول
(دار الكتب العمليّة، بيروت، دون تاريخ).

* ابن قُتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينورى (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

١٢٣- الإمامة والسياسية [منسوب]، الجزء الأول (شركة البابى الحلبي وأولاده
بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

١٢٤- الشعر والشعراء، تحقيق إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، قسمان (دار
الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١٢٥- عيون الأخبار، الجزء الأول (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة،
١٩٦٤م).

١٢٦- غريب الحديث، تحقيق عبدالله الجبورى، الجزء الأول (وزارة الأوقاف،
إحياء التراث الإسلامى، مطبعة العانى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/
١٩٧٧م).

١٢٧- المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (وزارة الثقافة والإرشاد القومى، مطبعة دار
الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م).

* القَرشى، أبو زيد محمد بن الخطاب (القرن الرابع الهجرى/ القرن الحادى عشر
الميلادى).

١٢٨- جبهة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلامية، تحقيق على محمد البجاوى،
قسمان (دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة،
الطبعة الأولى، دون تاريخ).

* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م):

١٢٩- آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).

* القَطَامِي، عمر بن شُيَيْم (ت، ١٠١-١٣٠هـ / ٧٢٠-٧٤٧م):

١٣٠- ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م).

* القَعْقَاع بن عمرو التيمي (ت، نحو ٤٠هـ / ٦٦٠م):

١٣١- شعر القعقاع، تحقيق نوري حمودي القيسي، ضمن كتاب: شعراء إسلاميون (منشورات مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

* القِفْطِي جمال الدين علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م):

١٣٢- المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق رياض عبد الحميد مراد (مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).

الكُتُبِي، محمد بن شاكر (ت، ٦٧٤هـ / ١٣٦٢م):

١٣٣- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، الأجزاء ١-٤ (دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ).

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت، ٧٤٤هـ /

١٣٧٢م):

١٣٤- البداية والنهاية، الأجزاء ٨-١٠ (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

١٣٥- تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م).

* كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت، ١٠٥هـ / ٧٢٣م):

١٣٦- ديوان كثير، جمع إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

* كعب بن مالك الأنصاري (ت، نحو ٤٠هـ / ٦٦٠م):

١٣٧- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق د. سامي مكي العاني (منشورات مكتبة النهضة، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

* ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت، ٢٠٤هـ / ٨١٩م):

١٣٨- جهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجى حسن (عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* الكندى، محمد بن يوسف (ت، ٣٥٠هـ/ ١٩٦١م):

١٣٩- ولاية مصر، تحقيق حسين نصار (دار صادر، بيروت، دون تاريخ).

* ليلي الأخليلية، ليلي بنت الأخيل (ت، ٨٠هـ/ ٧٠٠م):

١٤٠- ديوان ليلي الأخليلية، تحقيق خليل العطية وجيل العطية (دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

* ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت، ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م):

١٤١- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الجزء الثاني (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ).

* مالك بن الريب (ت، ٤٤هـ/ ٦٦٦م):

١٤٢- شعر مالك بن الريب، شعراء أمويون، القسم الأول.

* المبرّد، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م):

١٤٣- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق لجنة من المحققين، جزءان (نشر مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ).

* المخزومي، الحارث بن خالد (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م):

١٤٤- شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق يحيى الجبوري (منشورات مكتبة الأندلس ببغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

* المرتضى، الشريف على بن الحسين الموسوي (ت، ٤٣٦هـ/ ٩٤٧م):

١٤٥- غرر الفوائد ودرر الفرائد، المعروف بأمالى المرتضى، الجزء الأول (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٧٣٧هـ/ ١٩٥٤م).

* المِزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

١٤٦- معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

١٤٧- الموضح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع في صناعة الشعر، تحقيق على محمد البجاوى (دار نهضة مصر، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦٥م).

* المسعودى، على بن الحسين بن على (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

١٤٨- التنبيه والإشراف (دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

١٤٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ضبطه يوسف أسعد داغر، الجزء الثالث (دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م).

* مسكين الدارمى، ربيعة بن عامر بن أنيف (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م):

١٥٠- ديوان مسكين الدارمى، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وعبدالله الجبورى (مطبعة البصرى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م).

* مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت، ٢٦١هـ/ ٨٧٤م):

١٥١- صحيح مسلم، الجزء الثانى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

* معاوية بن أبى سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م):

١٥٢- ديوان معاوية بن أبى سفيان، جمع وتحقيق وشرح فاروق أسليم بن أحمد (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م).

١٥٣- طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م).

* المغيرة بن حبناء التميمى (ت، ٩١هـ/ ٧١٠م):

١٥٤- شعر المغيرة بن حبناء، شعراء أمويون، القسم الثالث.

* ابن مُفَرِّغ، يزيد من مفرغ الحميرى (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م):

١٥٥- ديوان يزيد بن المفرغ الحميرى، جمع وتحقيق عبدالقدوس صالح (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

* المقدسى، المطهر بن طاهر (ت، ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م):

١٥٦- البدء والتاريخ، المنسوب لأبى زيد البلخى، شرح كلّمان هوار، الجزء الثالث (مطبعة برطوند، شارلون - باريس، ١٩٠٣م).

* المقرئ، أحمد بن محمد التلمسانيت، ١٤٠١هـ/ ١٦٣١م):

- ١٥٧- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
- * ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد الإفريقي (ت، ٧١١هـ/ ١٣١١م):
- ١٥٨- لسان العرب، تصنيف وإعداد يوسف خياط (دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ).
- * المنقرى، نصر بن مزاحم (ت، ٢١٢هـ/ ٨٢٧م):
- ١٥٩- وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- * ابن ميادة الرماح بن ابرد المرى (ت، ١٤٩هـ/ ٧٦٦م):
- ١٦٠- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي (مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٠م).
- * النابغة الشيباني، عبد الله بن المخازق بن سليم (ت، نحو ١٢٥هـ/ ٧٢٤م):
- ١٦١- ديوان النابغة الشيباني، تحقيق عبد الكريم إبراهيم يعقوب (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٧م).
- * أبو نخيلة أبو الجنيد يعمر بن حزن بن زائدة (ن، ١٤٥هـ/ ٧٦٢م):
- ١٦٢- شعر أبي نخيلة جمع وتحقيق عباس توفيق، مجلة المورد المجلد (١٧)، العدد (الثالث)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- * ابن النديم محمد بن إسحاق الوراق (ت، ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):
- ١٦٣- الفهرست (المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دون تاريخ).
- * نصر بن سيار الكنانى (ت، ١٣١هـ/ ٧٤٨م):
- ١٦٤- ديوان نصر بن سيار الكنانى، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب (مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢م).
- * نصيب بن رياح (ت، ١٠٨هـ/ ٧٢٦م):

- ١٦٥- شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم داود سلوم (مكتبة الأندلس، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م).
- * نهار بن توسعة (ت، بعد ١٢٠هـ / ٧٣٧م):
- ١٦٦- شعر نهار بن توسعة، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية، مجلة المورد المجلد (الرابع)، العدد (الرابع)، (بغداد ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٥م).
- * ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافى (ت، ٢١٣هـ / ٨٢٨م):
- ١٦٧- السيرة النبوية، ضبط طه عبد الرؤوف سعد، الأجزاء ١-٤ (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م).
- * الهداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ / ٩٤٥م):
- ١٦٨- الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكواع، الجزء الثاني (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م). والجزء الثامن، تحقيق نبيه أمين فارس (دار العودة - الكلمة، بيروت، دون تأريخ).
- ١٦٩- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع (مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- * الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت، ١٢٦هـ / ٧٤٣م):
- ١٧٠- شعر الوليد بن يزيد، جمع وتحقيق حسين عطون (مكتبة الأقصى، الاقتصادية عمان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩).
- * ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت، ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- ١٧١- معجم الأدباء، نشره مرجليوث الأجزاء ١١، ١٢، ١٩ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تأريخ).
- ١٧٢- معجم البلدان، الأجزاء ١-٥ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تأريخ).
- * يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٤هـ / ٦٨٣م):
- ١٧٣- شعر يزيد بن معاوية، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد (دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م).

- * اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):
- ١٧٤- تاريخ اليعقوبى، تعليق محمد صالح بحر العلوم، الأجزاء ١-٣ (المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٣٤٨هـ/ ١٩٦٤م).
- * ----- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري/ القرن العاشر الميلادي):
- ١٧٥- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق د. عبد العزيز الدورى ود. عبد الجبار المطلى (دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م).
- ثالثا: المراجع الحديثة:
- * إبراهيم، طه أحمد:
- ١٧٦- تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى حتى القرن الرابع الهجرى (دار الحكمة، بيروت، دون تاريخ)
- * أمين، أحمد:
- ١٧٧- فجر الإسلام (لجنة التأليف والترجمة و النشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٦٤م).
- * الجبورى، يحيى:
- ١٧٨- الإسلام والشعر (مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).
- * الحوفى، د. أحمد محمد:
- ١٧٩- الحياة العربية من الشعر الجاهلى (دار القلم، بيروت الطبعة الخامسة، ١٩٧٢م).
- * خليف، د. يوسف:
- ١٨٠- حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
- * خليفات، د. عوض محمد:
- ١٨١- نشأة الحركة الأباضية (مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٧٨م) دكسن، د. عبد الأمير عبد حسين:

- ١٨٢- الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ / ٦٨٤م - ٧٠٥م، دراسة سياسية (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م).
- * الدوري، د. عبد العزيز:
- ١٨٣- بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م).
- ١٨٤- التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي (مركز دراسات الوحدة العربية، دار المستقبل، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م).
- * روزنثال، فرانز:
- ١٨٥- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلي، مراجعة (. محمد توفيق حسين مكتبة المشنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، نيويورك، ١٩٦٣م).
- * سركيس، إحسان:
- ١٨٦- الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م).
- * الصواط، عيضة بن عبد الغفور (محقق)
- ١٨٧- شعراء ثقيف في العصر الأموي، جمع وتحقيق (منشورات نادى الطائف، مطابع شركة دار القلم للطباعة ولنشر، جدة ، دون تاريخ).
- * ضيف د. شوقي:
- ١٨٨- التصور والتجديد في الشعر الأموي (مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر القاهرة، الطبعة الرابعة، دون تأريخ).
- ١٨٩- العصر الإسلامي (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٣م).
- * العاني، د. سامى مكى:
- ١٩٠- الإسلام والشعر (عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- * عباس، د. إحسان (محقق):
- ١٩١- شعر الخوارج، جمع وتحقيق (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م).
- * العبود، د. نافع توفيق:

١٩٢- آل المهلب بن ابي صفرة ودورهم في التأريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٩م).

* عطوان، د. حسين:

١٩٣- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي (مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م).

١٩٤- الشعر العربي بخراسان في العصر الاموي مكتبة المحتسب بعمان، دار الحيل، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٧٤م).

١٩٥- الوليد بن يزيد، عرض ونقد (دار الحيل، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

* على، د. جواد:

١٩٦- المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، الجزآن (١، ٩) دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).

* فروخ، عمر ك

١٩٧- تأريخ الأدب العربي، الجزء الأول (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م).

* فلهوزن، يوليوس:

١٩٨- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى النهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريذة، مراجعة د. محمد عبد الهادي أبو ريذة، مراجعة د. حسين مؤنس (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م).

* قاسم، د. عون الشريف:

١٩٩- شعر البصرة في العصر الأموي (دار الثقافة بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

* القيسي، د عون نوري حمودي:

٢٠٠- البطل في التراث (هيئة كتابة التأريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية المسيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م).

٢٠١- الشعر والتاريخ (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م).

٢٠٢- الفروسية في الشعر الجاهلي (منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

- ٢٠٣- المستدرك على صناع الدواوين، تحقيق بالاشتراك مع هلال ناجي، جزآن (عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م).
- * مصطفى، شاكر:
- ٢٠٤- التاريخ العربى والمؤرخون، دراسة فى تطور علم التأريخ ومعرفة رجاله فى الإسلام، الجزء الثانى (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).
- * معروف، دنايف محمود (محقق):
- ٢٠٥- ديوان الخوارج جمع وتحقيق (دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- * النص، د. إحسان:
- ٢٠٦- العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى (دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م).
- * نف، ايمرى:
- ٢٠٧- المؤرخون وروح الشعر، ترجمة د. توفيق إسكندر، مراجعة وتقديم محمد الشفيق غربال (مكتبة الأنجلو المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، ١٩٦١م).
- رابعا- الأطاريح والرسائل الجامعية:
- * حمادى، عبد الخضر جاسم:
- ٢٠٨- الحركة الفكرية فى القرن الأول الهجرى، دراسة فى بدء التدوين، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة المستنصرية، المعهد العالى للدراسات القومية (بغداد، ١٩٨٤م).
- * حمودى، جعفر صادق:
- ٢٠٩- النقائض فى العصر الأموى، دراسة فنية، اطروحة دكتوراه مقدمه إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية بغداد، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- * الطرقي، محمد حسين جاسب:
- ٢١٠- دور الشعر فى تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثانى الهجرى فى

العراق، رسالة ماجستير مقدمة إلى المعهد العربي والتراث العلمي
للدراسات العليا، قسم التراث الفكري (بغداد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
خامسا- الدراسات والبحوث

* حسين، د. عبد الله محمود:

٢١١- تدوين الحروب في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، العدد (٤٨)، السنة
(١٢)، (دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

* خطاب، محمود شيت:

٢١٢- مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم فاتح شطر بلاد الروم و شطر ارمينية،
مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٥) الجزء (الأول)، (بغداد، ١٤٠٤
هـ/ ١٩٨٤م).

* القيسي د. نوري حمودي:

٢١٣- الأقيشر الأسدي أحباره وأشعاره مجلة الرسالة الإسلامية العدد (٦٥)،
السنة (٦) (مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

ABSTRACT

This treatise deals, through introduction and five chapters, with the influence of poetry in political events during the historic period between (40-130 hegira (660-749 ac)).

Chapter one covers the relation of poetry with history. The remaining four chapters, deal in an interconnected manner, with the eras of caliphs in a chronicle manner. The treatise arrived at the following conclusions.

There is a living connection between the historic event and poetry, something denoting the influence of the Arabs, culture and their knowledge of the circumstances surrounding them. Poetry is a sentimental outflow expressing an emotional interaction with events revealing a human reaction towards the event during both victory and failure.

The treatise revealed the use by umayyad caliphs of poetry as an information means something that promoted them to give poets generously, and were keen on education their posterity in literature and pure Arab culture.

The treatise revealed that the poets were closely following great historical events and were keen on leaving their imprints on such events. Some of them were also keen on actively partaking in some of those events. Therefore it is safely to say that poetry was instrumental in embellishing the events widening animosities, "Firing enthusiasm and aggravating conflicts, and in this way it has its extreme effect in expressing contradictory views on the subject of caliphate and the running of the affairs of the state.

Poetry had had its share in the embellishing of events and the quick spread of news because of the easiness of memorizing poetry and sublimity of its expressions and meanings and the beauty of its rhythm.

Poetry made a new reading of events different of that of history books assimilating them in a different manner thus giving us a true picture of the advanced Arab feeling as an instrumental of preserving Arab national identity.

Poetry truly expressed the anti-umayyad groups and factions whose propagandist poets found in poetry the best planes to spread their ideologies and thoughts.

Further more poetry clearly registered events when poets mentioned them and their places, thus helped in rehabilitating places and countries and their relations with those events.

Concluding, may almighty god helps me in making this treatise truly expresses reality.

أشهر الشعراء

في تدوين الأعلام التاريخية في العصر الأموي